مذاهب هذا الكتاب محمد النوراني نبه ولداه وعبد الكريم
سنة ١٣١٩ انتهى السبع الثاني جمادى الآخر

﴿ المجلد الاول من شرح عين العلم ﴾

هذا شرح للعالم الفاضل الاديب * والكامل المدقق الاريب ﴿ علي بن سلطان محمد القاري ﴾
روح الله مهجته في فراديس الجنان * واعلى منزلته ما بقيت آثاره على صفائح الاوان * على متن
متين مسمى (بعين العلم وزين الحلم) صنفه بعض علماء الهند وصلحائهم على
ما صرح الشيخ ابن حجر في شرح المقدمة * وقيل بعض علماء بلخ ومشايخهم
والله اعلم بصحيح نيته * في اخفاء ترجمته * وهو رحمه الله تعالى وارضاه
اختصر احياء العلوم لحجة الاسلام * وبرهان الانام * مع كثرة مجلداتها
الى هذه الاوراق المعدودة وبالغ في جمعها وتهذيبها واستقصى
في ضبطها وترتيبها * فهو لغاية الايجاز ونهاية
الالغاز كاد ان يبلغ الى حد الاعجاز
فلله دره رحمه الله تعالى
تعالى وتفعنا بعلومه

طبع في مطبعة محمد اسعد الكائن بجادة الباب العالي تومرو (٢٠) برخصة
نظارت المعارف الجليلة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ وصلى الله على سيدنا محمد * وعلى آله وصحبه وسلم ﴾

الحمد لله العلى العظيم العليم * على ماهدانا الى الطريق القويم * والصلاة والتسليم على نبيه الكريم * وعلى آله واصحابه واتباعه واحزابه المقيمين المديمين على الصراط المستقيم (امابعد) فيقول خادم كلام ربه القديم * وحديث رسوله الفخيم على بن سلطان محمد القارى * عاملهما الله البارى * بلطفه الخفى * وكرمه الوفى * ان هذا فتح شرح مجمل يحمل غير مطل ولا مخل جمل الكتاب عين العلم وزين الحلم الذى من غاية الايجاز * ونهاية الالغاز كاد ان يكون من انواع الاعجاز * وهو فى الحقيقة مختصر احياء العلوم * لحجة الاسلام وبرهان الانام * رجاء ان استفيض من بركات كلمات العلماء الاصفياء * واستفيد من نفحات صفايح المشايخ الاولياء وان اذكر فى جملتهم * واحشر فى زمرتهم * ولن قصرت فى متابعتهم * وخدمتهم اعتزاز بمحبتهم * واكتفاء بمودتهم (واقول كما قال القائل من ذوى الفضائل (لى سادة من عزهم اقدامهم فوق الجباه * ان لم اكن منهم فلى فى حبهم عزوجاه (﴿ قال المصنف رحمه الله ﴾ ونفعنا ببركات علومه وتقواه * وهو من فضلاء الهند وصلحائهم على ماصرح به الشيخ ابن حجر فى شرح مقدمته وقيل انه منسوب الى بعض علماء بلخ ومشايخهم والله اعلم بصحيح نسبته فى تخفية نجته (بسم الله الرحمن الرحيم) قد بسطنا الكلام * فى غير هذا المقام * على مفردات البسملة ومركباتها ومبانيها ومعانيها وماودفيها وسائر متعلقاتها (وبه نثقى) اى وثوقى واعتمادى بكرمه وجوده لا بغيره اذ لا عبرة بوجوده وشهوده وقد اكتفى بالبسملة مبنى لتضمنها الحمدلة معنى (يارب) اعنى فى شدتى وهو على حذف ياء المتكلم وابقاء الكسر دلالة عليها واشارة اليها وفى الابتداء به فى مقام المناجاة والدعاء بالنداء اشعار

بانه رب العالمين عموما كما يفيد فاتحة الكتاب ورائحة نافحة فصل الخطاب ورب كل فرد من افراد بنى آدم خصوصا كما يومى اليه حديث * ادبنى ربى فاحسن تأديبى * وقول بعضهم حسبى ربى من كل مربى وبدلى عليه خبر رضيت بالله ربا ثم زاد فى مقام التأكيد ونظام التأييد لافادة اظهار العبودية فى معرض الربوبية بقوله (يارباه) بلفظ المندوب لمد الصوت المطلوب فى الندبة والمرغوب فى الفجأة والمنادى يحتمل تعلقه بثقتى والاظهر تعلقه بقوله (باسمك) اى لا بغيره (ابتدى) كما هو واجب على المنتهى والمبتدى (وبك) اى بحكمك (اقتدى) وبعونك اقتدى (وبنور قدسك) اى المظهر المصور فى صدر صدرى الذى هو محل ظهور انسك اشارة الى قوله * افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه (اهتدى) ايماء الى قوله سبحانه * ومن يهدى الله فهو المهتدى * وقوله * قل ان الهدى هدى الله * والمعنى انه يهدى به عبده بالقاء نوره فى قلبه فيهدى الى طريق ربه ويفرق بين الحق والباطل فيختار الحق ويترك الباطل فى اعتقاده وعمله (الله الله) اى اتق الله مرة بعد اخرى فى امر الدنيا والعقبى واحذر مخالفة المولى فلا يراك فيما نهاك فان العقبة للتقوى والاعادة المشيرة الى زيادة الافادة كقوله تعالى * يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون * اى ظاهرا وباطنا او التقدير استغيث بالله واستعين بطلب رضاه فيما ارجو واخشاه والحاصل لما اهتدى بنور قدسه ودخل فى قلبه بعض انسه وتبين له الامر بكمال ظهوره ورأى نفسه متلوثة بالدنيا معرضة عن العقبى وغافلة عن المولى حذرها بقوله الله الله اى اتق الله اتق الله لقوله سبحانه وتعالى * ويحذركم الله نفسه * ولقوله عز وعلا * واتقوا الله ويعلمكم الله * وعلامة التقوى هى الزهد فى الدنيا والميل فى العقبى رجاء لمرضات المولى ولما كانت النفس بطبعها مائلة الى الدنيا وشهواتها وغافلة عما خلق له من تحصيل عباداتها قال مخاطبا لنفسه اومعاتبا اوخطابا عاما لاسيما اذا كان له مصاحب (الام) اصله الى ما بحرف الجارة وما الاستفهامية وكتب الى بالالف هنا لشدة الاتصال فى مرتبته النظامية وحذف الالف من ما اكتفاء بالحركة الفتحية البيانية واقتفاء برسم المصاحف العثمانية والمعنى الى متى ايها المخاطب المعاتب (تمد) اى تطمح وتتوجه (الى زهرة الحياة الدنيا) اى بهجتها وزينتها (عينيك) وفيه اقتباس من قوله تعالى * ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى * وقوله سبحانه * ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم * وروى انه عليه السلام رأى بازرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها فى سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم * لقد اعطيتم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع يعنى قرأتها مع التأمل فى مبانيها والتعمل بمعانيها خير من تلك القوافل ومافيها بل لا مناسبة بين الاموال الفانية والاحوال الباقية ومن هنا قال الصديق فى مقام التحقيق من اوتى القرآن ورأى ان احدا اوتى من الدنيا افضل مما اوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقال ابو القاسم القشيرى غار سبحانه على عينه ان يستعملها فى النظر الى غيره ويقال اذا لم يسلم له اشباع نظر ظاهره الى الدنيا فكيف نسلم له سكون قلبه الى غير المولى (وحتام) اى وحتى متى (تنكص) اى ترجع عن القيام بالاقدام على الله

والاقبال على سبيل رضاه وفيه تلميح الى فعل ابليس وماوقع منه من نوع تلبيس كما اخبر الله عنه بقوله * واذزين لهم الشيطان اعمالهم * الى ان قال * نكص على عقبيه الآية * وتلويح الى قوله سبحانه * قدكانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون (بعداياس نار) اى بعدابصار نارواستياس انوار احساس اسرار واخبارمن ديارليس بهابعض اغيار (على عقبيك) اى متوجها الى دار آكدارها بانواع حجاب وغبار وفى الكلام اقتباس من قوله تعالى * آنس من جانب الطور نارا * اى نارنور داراوالمعنى بعدظهورالحق وطريق الصدق آثارا وقيل اياس النار كناية عن استيناس النفس بالآفات الدنيوية المانعة عن العبادات الاخروية وهذا على تقديران يكون على عقبيك ظرف الاياس واماعلى تقديركونه متعلقا بنكص فالمعنى الى متى ترجع على عقبيك عن طريق العبادة وسبيل اهل الارادة الذى يسلك بهم الى مقام السيادة والسعادة بعدماعلمت يقينانار هداية الحق التى بها من نارجهنم يقينا (يجبهك) من جبهه بالتخفيف اى رده اوبالتشديد اى نكس رأسه اى ابعدك عن مقام القبول وبقعدك عن طلب الوصول (الشهوات الخسيسة) اى المانعة عن المقامات النفيسة والحالات الانيسة واللهوات الفانية الحاجزة عن الدرجات الباقية (للاحجام) اى للاعراض عن الدنيا والاقبال على المولى (ام يعوقك) من عاق اوعوق اى اويمنعك ويصدك (الزخارف الموهمة) اى الزينات المتوهمة الملفقة (عن الاقدام) على عمل الآخرة الفاخرة المحققة (مالك) اى ماحالك اواى شئ حاصل لك فى ماآلك حال كونك فى مقام اقبالك وزمان استقبالك (تسعى فى المباهات) اى المفاخرة فى غيرالحالات الفاخرة التى ينفع فى الاخرة وفى نسخة المماراة اى المجادلة والمخاصمة (والمجازات) اى المسابقة والمقاطعة فى المحاورات (وجمع الحطام) اى من اموال الشبهة والحرام (لنشر الصيت) اى لانتشار الجاه عندالعوام كالانعام (ورفع القدر) اى بالقعود فى مقام الصدر عند معرض القدر (وصرف وجوه الانام) اى بالتردد اليك فى الليالى والايام (وتنسى نعيم جنات) اى بساتين موعودة للمتقين باقية (ونهر) اى وانهار جارية فيها عين عافية من آفات سارية (فى مقعد صدق) اى مكان مرضى ومجلس حق (عند مليك مقتدر) اى مقربين فى غاية الاعتبار عند من تعالى امره فى الملك والاقتدار بحيث ابهم على ذوى الافهام والاسرار فهى عندية منزلة ومكانة لاعندية منزل ومكان لعلوشانه ورفعة برهانه قال جعفر الصادق مدح المكان بالصدق فلايقعد فيها الا اهل الصدق وهو المقعد الذى يصدق الله فيه مواعيد اوليائه بان يبيح لهم النظر الى وجهه الكريم ويشرفهم بلقائه وقال الواسطى ليس محل من اشتغل بنفسه وتلذذ بمطعمه ومشربه وملبسه كمن كان شغله بالحق وانسه والقيام بامره ونظره الى ربه * فى مقعد صدق عند مليك مقتدر * وقيل الصدق فى عبادته مما يتعبد على ملاحظة الاطماع ولاغراض ومطالبة الاعراض والاعواض (وماشانك) اى وماعذرك فى مقام حذرك (ترغب) اى تعرض وتبعد (عن علم سماه ربك الاعلى بالفقه) حيث قال تعالى * لعلهم يفقهون * وقال * فلولانفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين (والحكمة) حيث قال عزوجل * يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقداوتى خيرا كثيرا (والنور) حيث قال سبحانه * قدجاءكم من الله نور وكتاب مبين

* وقال * افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه (والهدى) حيث قال عزوعلا * قل ان هدى الله هو الهدى * والسلام على من تبع الهدى * وهو علم الكتاب والسنه واجماع ائمة يهم يقتدى وهو علم المعاملة واما ماسبق من قوله بنور قدسك اهتدى هو علم المكاشفة لان من كوشف فعرف الحق يتعين عليه ان يرغب فى علم المعاملة الذى يعرف به احكام الله وطريق عبادة مولاه (وترغب) اى تميل وتخوض (فيما احدثه قرون) اى طبقات بعد خير القرون من قرن الصحابة والتابعين واتباعهم (فشافيها) اى شاع وظهر فيما بينهم (الكذب) اى فى حكاياتهم (والبدعة) فى اعتقاداتهم (والهوى) اى هو ارباب النفوس ومشتهياتهم من العلوم التى غيرنافعة ولارافعة بل ضارة دافعة كعلم المنطق والكلام والهيئة وسائر علوم الفلاسفة (فقا) خطاب لصاحبيه كأنه شبه نفسه ان يكون فى سفر يسير مع رفيقيه فاذا بلغ منازل الاحباب وقدار تحلوا ومضوا ودخلوا فى مقام الحجاب غلب عليه وجد فراقهم وحرارة اشتياقهم وغشيه البكاء فى ميدان البداء فلم يتمالك فى مهالك الازمنة ان يتجاوز مسالك الامكنة فوقف لديه واستوقف صاحبيه وقال قفا (نبك) بالاتفاق على حزن الفراق وقيل اصله قف قف فحذف الثانى وعوض عنه الالف لان الفاعل كالجزء من الفعل وقيل اصله فقن ابدل نونه الفا والمعنى قفا ايها المخاطب مع الرجل المعاتب نبك (على رسوم علوم الدين) اى آثارها المندرسة فى ديارها المنقلبة بعد اقبالها الى ادبارها بقلة علماء الشريعة واخبارها (واطلال اعمال اليقين) اى وعلى انطماس علامات اعمال اهل اليقين حيث اختلطت بافعال ارباب الرياء والسمعة ولوكانوا من المجتهدين فى امر الدين بفقد المشايخ العاملين الكاملين فى مقام الطريقة والجامعين للاخلاق الواصلين الى مرتبة الحقيقة (ودمن كالات الاحوال) بكسر الدال وفتح الميم اى وعلى زوال آثار كمال ارباب الاحوال واصحاب الاقوال بعدم وجود اهل الشهود فى زوايا المشاهد الحقيقة والمعارف الدقيقة (وواردات مشاهدات الجمال) وكذا على صادرات مطالعات الجلال لغيبة ارباب الحضرة فى مقام التوحيد واصحاب الجذبة فى مرتبة التأييد (غدت الديار) اى صارت ديار العلوم وجدار الفهوم (عافية) اى خربة واهية (وظلت الآثار) اى وصارت آثار الاسلام واخبار الاحكام (باقية) وفيه ايماء الى قوله عليه السلام يأتى على الناس زمان لم يبق من الاسلام الا اسمه ومن القرآن الا رسمه مساجدهم عامرة وقلوبهم خربة (واصبح الاصحاب) اى العلماء الكبار الذين بمنزلة الاصحاب الوارد فيهم * اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم (راحلين) اى مرتحلين من دار الدنيا الى دار العقبى كما يشير اليه قوله تعالى * فلا يرون انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها * اى باخذ العلماء من اكنافها (واضحى الاعراب) اى الجهال الذين بمنزلة الاعراب الوارد فيهم قوله سبحانه * الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر ان لايعلموا حدود ما انزل الله على رسوله (نازلين) اى فى مقام العلماء العاملين وفيه ايماء الى قرب القيامة وعلاماتوقوع الساعة التى تورث الندامة لاهل الملامة كما ورد فى حديث جبريل وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان (فيا اسفى) اى تأسفى (على منام القلوب وقيام الالسنة) اى على غفلة القلوب القاسية وحدة الالسنة الراسية وفيه اشارة الى ماورد فى ذم علماء آخر الزمان ان قلوبهم امر من الصبر والسنتهم احلى من العسل (ومضاء العلوم) اى وعلى مضى العلوم

الفاخرة وذهاب علماء الآخرة (وبقاء الاوعية) اى علماء السوء الذين اكتفوا بمجرد حفظ الرواية دون ضبط الدراية والكتب البالية والحجب العلية (وبالهفى) بفتحتين اى تعطشى (على صيرورة الحال) اى حال ذوى الشمائل (كتباورسائل) اى مشحونة بقيل وقال واظهار فضائل (وانقلاب العمل اجوبة ومسائل) اى يبحثون فيها ولايعملون بها يخوضون فيماليس تحتها طائل (وياحسرتى) اى تحسرى (على انطماس المعنى عن الاسم) اى محو المعنى المراد (وانداس الحقيقة عن الرسم) اى رسم الشريعة والطريقة (وياسوأتى) اى فضيحتى (على خلو القشر) اى العلوم الآكية من الاعراب والاعراب (عن اللباب) اى لباب العلوم المأخوذة من الكتاب الذى يذكره لاولى الالباب فى جميع الفصول والابواب (واغترار القوم) اى اهل الزمان من ارباب الحجاب (بلامع السراب) اى الاعمال الظاهرة الخالية عن الاحوال الظاهرة وفيه تلويح الى قوله سبحانه * والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء * ولله در القائل من اعلامهم (شعر)

* لاوالذى حجت قريش بيته * مستقبلين الركن من بطحائها *
* ماابصرت عينى خيام قبيلة * الابكيت احبتى بفنائها *

(اما الخيام) جمع خيمة (فانها كخيامهم) اى فى منازل الحى ومقامهم (وارى نساء الحى غير نسائهم) اى الاولى التى كن فى نعت الجمال ووصف الكمال من العفة والحياء والخدمة والسخاء والمعنى انه ظهر السفهاء فى صورة الفقهاء والجهلاء فى هيئة المشائخ العرفاء (خطر ببالى) جواب شرط مقدر اى لما كان الامر كذلك خطر فى خاطرى هنالك (ان اريح ببالى) اى ادخل فى الراحة قلبى فى ميدان حب ربى وفى نسخة بالزاى اى ازيل حزن قلبى وتشتت بالى وتفرق حالى (بتفصح تلك العلوم) اى بتفحص صفحات العلوم النافعة الذاخرة فى الدنيا والآخرة (واسرارها) اى ودقايقها وحقايقها الفاخرة (وتتبع سيرالرجال) اى سلوك اصحاب الحال وفى نسخة مسير وفى اخرى بكسر السين وفتح الياء اى شمائل ارباب الفضائل واصحاب الفواضل (وآثارها) اى اللامعة انوارها تحت استارها (رجاء ان احث) ان احرض واحرص (على اتباعهم) بتشديد التاء اى على متابعتهم وموافقتهم فى الدنيا (وان ابعث فى اشياعهم) اى احشر فى اتباعهم فى العقبى (فاتربت اطباء الطاقة) اى حاولت وعالجت صرف الوسع والقدرة (واحتملت اعباء المشقة) اى وتحملت اثقال المشاق فى طريق المحبة وسبيل المعذرة (وبالغت فى جمعها) اى ضبط افرادها (وتهذيبها) اى تنقيتها وحذف زوائدها (واستقصيت فى ضبطها وترتيبها) اى ضبط معانيها وحفظ مبانيها (مع انى سكيت نادى البيان) بكسر السين وتشديد الكاف اى كثيرالسكوت فى مجلس التبيان (وسكيت حلبة الرهان) بضم السين وتخفيف الكاف المفتوحة و يشدد اى واخر الخيل فى ميدان المسابقة والجولان والجريان يمتحن فيه الافراس العشرة على عرف ذلك الزمان و يرهن للسبق مال يأخذ من سبق فرسه ذلك المكان وفيه تلويح الى قول من قال عند الامتحان يكرم المرأ او يهان (وانحفت به) اى بتصنيفى هذا (الفرع العلى) اى الرفيع (من الاصل العلوى) اى المنسوب الى على المتبع والغصن السنى اى المنسوب الى اهل السنة والجماعة لعزالوجود فيمابين السادة اوالسنى

بفتح فكسر اى الشريف الجلى الحسنى (من الشجر الحسينى) وفى نسخة الحسنى اى المنسوب الى احد اولاد فاطمة الزهرى وفيه تنبيه على ان كل علوى ليس بحسينى ولا حسنى كمحمد بن الحنفية وسائر اولاد على (ارفع السراة) جمع السرى (عمادا) بكسر العين اى على الاشراف اعتمادا يقال فلان رفيع العماد اى شريف سنى الذكر على الصيت وقيل العماد فى الاصل عمدان يرفع بها البنيان فكنى بذلك عن رفعة نسبه وقوة حسبه وقيل بل يراد بها حقيقتها اى مرتفع العماد فوق البنيان ليراه الضيفان فيقعدونه وذوا الحاجات فيطلبونه (واطول الكماة) جمع الكمى (نجادا) بكسر النون بعده جيم وهو حمائل السيف وهو كناية عن طول قامته وطول شانه والمعنى افضل شجعان زمانه استنادا (واكثر الكرام رمادا) كناية عن كثرة الجود المستلزم لكثرة الطبخ فى منزل الشهود المستلزم لكثرة الرماد ولدوام وقود ناره ليلا فى تلال البلاد فيهتدى به الضيفان من العباد (واكبر العظام وسادا) كناية عن كونه معظما موقعا فى قلوب العباد والزهاد (وهو ابن بنى بنى عدنان) فانه عليه السلام محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصى بن كلاب ابن مرة بن لوى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان والى هنا من النسب الشريف لاخلاف فيه بين العلماء الاعيان وانما الخلاف فيما فوقه مختلف البيان ولذا يروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا بلغ فى النسب الى عدنان امسك عما بعده من عنان البيان وقال كذب النسابون اى فى هذا الشان قال تعالى * وقرونا بين ذلك كثيرا * قال ابن عباس ولو شاء الله ان يعلمه لعلمه وقال ابن دحية اجمع العلماء والاجماع حجة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انتسب الى عدنان ولم يتجاوزه وفى مسند الفردوس عن ابن عباس انه عليه السلام كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك ويقول كذب النسابون وقال السهيلى الاصح فى هذا الحديث انه من قول ابن مسعود وقال غيره كان ابن مسعود اذا قرأ قوله تعالى * الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم الا الله * قال كذب النسابون يعنى انهم يدعون علم الانساب ونفى الله علمها عن العباد فى الكتاب وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلاثون ابا لايعرفون * وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك وقال من اخبره بما هنالك (وسمى جده خليل الرحمن) يعنى اسم الممدوح ابراهيم كاسم جده الكريم الخليل ابى ولده الجليل اسمعيل جد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم (ركن الدين) اى المدار عليه (المشار اليه) المشهود لديه (قطب الشرع) النافع فى العقبى (المدار عليه) كالتفسير بما قبله مشيرا الى علمه ومعرفته والحاصل انه جامع بين الفضائل الدنيوية والشمائل الاخروية (طاهر الذيل عن دنس الهوى) كناية عن صلاحه وديانته (عازف القلب) اى صارفه (عن لذة الدنيا) اشارة الى ورعه وزهده وحسن رعايته (راسخ القدم فى شريعة المصطفى) ايماء الى ثباته فى امر الدين واستقامته (صارف العنان الى طريق المرتضى) اشعار بانه على مذهب الصوفى وسلوك طريقته وايماء بانه متصف بصفات الانبياء ومقامات الاولياء وانه تابع لجده الاعلى والادنى (بلغه الله الى الكمال الاعلى) اى فى الدنيا والاخرى (واوصله الى السعادة القصوى) اى والسيادة

العظمى وهى رضاء المولى (وادام المجد بين ثوبيه) اى العظمة فى ذاته (واقام الكرم بين رديه) اى السخاوة فى صفاته قال صاحب المفتاح المجد بين ثوبه والكرم بين رديه من الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف اراد القائل ان لايصرح بتخصيص المجد والكرم بالممدوح فجعلهما بين ثوبيه و برديه تنبيها بذلك على ان محلهما ثوبان وبردان وهما مشتملان على الممدوح فتم غرضه بذلك ذكره الطيبى وانا بحمدالله سبحانه لم اجعل تصنيفى هذا ولاماسبق لى من تأليفى باسم احد من الامراء والوزراء وانما اردت به ابتغاء وجه الله وشفاعة نبيه يوم القيامة (فحصل بحسن لطف رحمانى وعميم فضل ربانى) اى بتوفيقه وتسهيله لهذا التأليف وتحصيله (كتاب جمعه عندى صغير) لانه فى اوراق معدودات يتم بها الكتاب غير طريق الاطناب (ليسهل الحفظ) اى بالجنان (والاستصحاب) اى مع الابدان (وعلمه) اى معلوماته (على ظنى غزير) اى كثير لاشتماله على جميع مافى الاحياء من اربع مجلدات لكمال الاستقصاء فهو كاللباب وانما قال على ظنى هضما لنفسه فى هذا الباب ولان صاحب البيت ادرى بمافيه لعدم الحجاب (يغنى عماعداه فى الباب) اى باب التصوف وفصل الخطاب (وابوابه عشرون) بابا فيها كفاية لارباب الالباب * فالباب الاول فى الورد والثانى فى الانفاق * والثالث فى الصوم * والرابع فى السفر * والخامس فى التزوج * والسادس * فى الكسب * والسابع فى المعيشة * والثامن فى الصحبة * والتاسع فى الصمت * والعاشر فى الاناءة فى والحادى عشر فى العزلة * والثانى عشر فى التواضع * والثالث عشر * فى الاخلاص * والرابع عشر فى التفويض * والخامس عشر فى نفى الخواطر * والسادس عشر فى التوبة * والسابع عشر فى الصبر والشكر والثامن عشر فى الخوف و لرجاء * والتاسع عشر فى الفقر والزهد * والعشرون فى التوحيد والتوكل واليقين (فقد صدرت) اى ابتدأت (بمقدمة) فى العلم والمعرفة (هى احرى) اى اليق واولى (بالتقديم وذيلت) اى ختمت واخرت (بخاتمة) فى المحبة (حق) اى اجدر واحق (ان يقع بها التتميم) لئلا يحتاج الى الترميم (واسم المطابق للمسمى عين العلم) الذى نتيجته وثمرته ان يكون زين الحلم بل هو معدن اسرار الشريعة والطريقة ومنبع انوار المعرفة والحقيقة (واساسه) اى مدار بنائه وتبراسه (الكتاب والسنة وشيم الصحابة الشم) بضم الشين وتشديد الميم جمع لاشم اى سير الاصحاب الكبار من ذوى الافتخار وفيه الاشعار بان اجماع الصحابة واكثرهم هو الاولى بالاعتبار لانهم من اولى الايدى والابصار (هجرى) اى خال ومجرد (عماحدث) اى اخترع وابتدع (من وضع غير مشروع) كالآراء الفاسدة والاهواء الكاسدة (لايسمن) ذلك الموضوع اوغير المشروع (ولايغنى من جوع) اى لايفيد الزيادة والاستزادة ولاينفع حين الافادة والاستفادة ليس التكحل فى العينين كالكحل) بنصفين اشارة الى ان تموبه الكتاب بالتكلف من الاعمال المحدثة كالتكحل صفة وتهذيبه على ما اتفق عليه الجمهور من السلف كالعين المكحلة خلقة لايزول بازالة احد ولو تكلف فى مشقة وفيه تنبيه فيه على ان طريق النجاة للانام هو متابعته عليه السلام واصحابه الكرام فى جميع احكام الاسلام كمايشير اليه قوله تعالى * قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله * ويدل عليه حديث * اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم * وخبر لاتجتمع امتى على الضلالة *

وعليكم بالسواد الاعظم والله سبحانه اعلم فالحمدلله ازلا وابدا لانشرك به احدا (نحمده) فى كل آن ونشكره فى كل زمان (ونستعينه) فى كل شان (ونتوكل عليه فى كل مكان (ونعوذ بالله من شرور انفسنا) اى من الاخلاق الدنية (ومن سيئات اعمالنا) من الاحوال الردية (ونشهد ان لااله) موجود اومعبود اومشهود (الاالله) اى الذات المستجمع لكمال الصفات فلانعبد الاياه ولانلتفت الى ماسواه (وحده) منفردا بالذات (لاشريك له) فى كمال الصفات (ونشهد ان محمدا عبده ورسوله) وحبيبه وخليله (اعطاه الله تعالى) خيرا ودعاه (الوسيلة) وقدسئل عليه الصلاة والسلام عن الوسيلة فقال هى مرتبة لاينالها الاواحدارجوان اكون انا فمن سأل لى الوسيلة من الله تعالى حلت له الشفاعة (والفضيلة) اى الزيادة فى المرتبة المنيعة (والدرجة الرفيعة) اى فى المنزلة البديعة (وبعثه) اى حشره ونشره (مقاما محمودا) يحمده الاولون والآخرون ويغبطه النبيون والمرسلون والملائكة المقربون (الذى وعده) اى بقوله * عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا * وماوعده لم يكن الاموجودا وانما عبر به عنه بعسى للاشعار بانه لايجب على الله سبحانه شئ للعباد وان الامور انما تكون وفق ماقضاه واراد (وصلى الله عليه) اصالة (وعلى اهله) اى اهل بيته من ازواجه واقاربه واحبائه (وآله) اى من يؤل اليه امره من اتباعه واصحابه واحزابه (وسلم تسليما) اى بقرنه تعظيما وتكريما

﴿ المقدمة فى العلم ﴾ وقدورد العلم ثلاثة وماسوى ذلك فهو فضل آية محكمة اوسنة قائمة او فريضة عادلة والمراد بها اجماع الامة اواتفاق الائمة رواه ابو داود وابن ماجة والحاكم فى مستدركه عن ابن عمر وفى رواية الدلمى عنه العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة ماضية و لاادرى وانما لم يذكر الاجماع لان مستنده اما الكتاب اوالسنة والحديث رواه ابو داود وابن ماجة عنه مرفوعا وقدروى ابو داود والحاكم وصححه من حديث ابى هريرة ما ادرى اعزير نبى ام لا وروى احمد وابو يعلى والبزار والحاكم وصحح اسناده والطبرانى من حديث جبير من مطعم ولابن حبان والحاكم وصححه نحوه من حديث ابن عمر انه لما سئل عن خير البقاع وشرها قال لاادرى حتى نزل جبريل وفيه تنبيه نبيه على ان العجز عن درك الادراك ادراك * ومنه قول الملائكة لاعلم لنا الاما علمتنا وقول الرسل يوم القيمة لاعلم لنا (بسم الله الرحمن الرحيم) ولايحيطون به علما وهو بكل شئ عليم (العلم علمان) اى علم الآخرة والمعتبر فى الاحوال الفاخرة والنافع فى المرتبة الزاخرة او علم التصوف والاحوال الذاخرة نوعان وقدورد العلم علمان فعلم فى القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم رواه ابن ابى شيبة والحكيم عن الحسن مرسلا والخطيب عنه عن جابر مرفوعا ﴿ علم المكاشفة ﴾ وهو مايطلب منه كشف المعلوم فقط المعبر عنه بعلم الباطن مثل علم المحبة والشوق والرضاء والقبض والبسط والمحو والصحو والهيبة والانس والفناء والانتفاء واللوامع والطوالع واللوائح والروائح والاستنار والاستتار ومقابلة المعاملة وهو مايطلب منه مع الكشف العمل به (وهو نور يظهر فى القلب) اما بالجذبة الالهية اوبالرياضة الشرعية عند تطهير القلب وتزكيته من الاخلاق الدنية والصفات الردية (فيشاهد به الغيب) اى ماغاب عن غيره من العلوم المتعلقة بالرب من وجود ذاته وشهود صفاته فى مكوناته ومصنوعاته كما يشير اليه قوله عزوجل سنريهم آياتنا فى

الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق* الآية (وهو منحقق) اى ثابت الى يوم القيمة لاصحاب السلامة من الندامة والملامة (فورد) دليلا لقوله فيشاهد به الغيب (اذا دخل النور فى القلب انشرح) اى انفتح (اى عاين الغيب) من غير الريب (وانفسح) اى اى انبسط واتسع وانفتح (اى احتمل البلاء وحفظ السر) اى فى مقام الولاء والابتلاء وفى المعالم عند قوله تعالى* فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام* اى لقبول مافيه من الاحكام ولما نزلت هذه الآية سئل عليه السلام عن شرح الصدر قال نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك امارة اى علامة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت وعن على كرم الله وجهه علم الباطن سر من اسرار الله تعالى عزوجل وحكم من حكم الله تعالى يقذفه فى قلوب من يشاء من عباده رواه الديلمى وابو عبدالرحمن السلمى (ولا يصرح به) اى لايمكن التعبير عن علم المكاشفة (لفقد الرواية) اى تصريحا بل روى احيانا تلويحا لانه من الامور الوجدانية فلا يمكن ان يروى وينقل الا بالرموز والاشارات الايمائية الوجدانية فان العاقل يكفيه الاشارة والغافل مايفيده الا صريح العبارة ولذا قيل العلم نقطة كثرها الجاهلون ومع هذا كل حزب بمالديهم فرحون والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة دون علم المكاشفة التى لارخصة فى ايداعها فى الكتب وان كانت هى غاية مقصد المطالبين ومطمح نظر السالكين وعلم المعامله طريق اليه ودليل عليه ولكن لم يتكلم الانبياء مع الخلق الا فى علم الطريق والارشاد الى الحلق واما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور افهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الانبيا فالهم سبيل الى العدول عن نهج التأسى ومنهاج الاقتداء (ووردان من العلم) اى من جملته علم خفى فيه الفنون (كهيئة المكنون) من الدر المصون (لايعلمه الا اهل المعرفة بالله) رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن ابى هريرة بلفظ ان من العلم كهيئة المكنون لايعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لاينكره الا اهل العزة بالله عزوجل وفى هذا المقام قيل من عرف ربه كل لسانه فان بيان حقايق الذات والصفات يعظم شانه برهانه واما قول من قال من عرف ربه طال لسانه فمحمول على العلوم الظاهرة والذخائر الفاخرة من سائر الامور المتعلقة بالدنيا والاخرة وقيل من عرف الله كل لسانه فى بيان الذات وطال بيانه فى شان الصفات وقيل من عرفه بالصفات الجمالية طال لسانه ومن عرفه بالنعوت الجلاليه كل بيانه (وهو) اى علم المكاشفة (الافضل) اى من علم المعاملة لان شرف العلم بشرف المعلوم ومن المعلوم اشرفية مايتعلق به سبحانه من الذات والصفات وما اخبر به المغيبات (لانه المقصود) الاكل والمقصود بالذات ولذا ينتقل بانتقاله حال الممات بخلاف علم المعاملة فانه ليس مقصودا بالذات بل ليعمل به فى سائر الاوقات ولذا ينتهى بانتقال صاحبه الى دار الاخرة حيث لاتكليف فيها ﴿وعلم المعاملة﴾ اى النوع الثانى (وهو العلم بما يقرب اليه تعالى) من المأمورات (ومايبعد عنه) من المنهيات وينقسم الى علم ظاهر يتعلق باعمال الجوارح والى باطن يتعلق باحوال القلوب ثم الجارى على الجوارح اما عبادة واما عادة والوارد على القلوب التى هى بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم (وهو) اى علم المعاملة (مقدم) اى على العمل اوعلى علم المكاشفة وهو اظهر من حيث دليله الوارد لكن يشكل بقوله (لانه

الشرط) فتدبر فانه قد تقدم الجذبة على السلوك فى الخدمة اللهم الا ان يقال انه الشرط الغالبى كما يدل عليه استثناؤه الآتى (فورد) اى فى كلامه سبحانه (والذين جاهدوا فينا) اى اجتهدوا فى طاعتنا وعبادتنا (لنهدينهم سبلنا) اى طرق معرفتنا ووصلنا او المعنى والذين جاهدوا فينا بما عرفوا منا لنهدينهم سبلنا التى ما فهموا عنا كما يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم مالا يعلم ويدل عليه قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى (اصبت) اى وورد اصبت (فلازم حين اخبر حارثة رضى الله عنه بانكشاف الغيب) اى من احوال العقبى (بعد عزوفه) اى بعد صرف السالك قلبه واعراضه (عن الدنيا) والحديث فى الجامع الكبير لشيخ مشايخنا المرحوم جلال الدين السيوطى عن الحارث بن مالك وحارثة بن النعمان الانصارى ففى رواية الطبرانى وابو نعيم عن الحارث بن مالك الانصارى قال مررت بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال كيف اصبحت ياحارث قلت اصبحت مؤمنا حقا فقال انظر ماتقول فان لكل شى حقيقة وما حقيقة ايمانك قلت قد عزفت نفسى عن الدنيا واسهرت لذلك ليلى واظمأت نهارى وكأنى انظر الى عرش ربى بارزا وكأنى انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى انظر الى اهل النار يتضاغون وفى رواية يتعاوون فيها فقال ياحارث عرفت فالزم قالها ثلاثا وفى رواية ابن عساكر قال له عليه السلام وانت امرؤ انور الله قلبه عرفت فالزم وفى رواية العسكرى فى الامثال عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لحارثة بن النعمان كيف اصبحت الى ان قال ابصرت فالزم ثم قال عبد نور الله الايمان فى قلبه فقال يانبى الله ادع لى بالشهادة فدعاله قال فنودى يوما ياخيل الله اركبى فكان اول فارس ركب واول فارس استشهد وفى رواية ابن النجار فبلغ ذلك امه فجأت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان يكن فى الجنة لم ابك ولم احزن وان يكن فى النار بكيت ماعشت فى الدنيا فقال يام الحارث اوحارثة انها ليست بجنة ولكنها جنة فى جنات والحارث فى الفردوس الاعلى فرجعت وهى تضحك تقول بخ بخ ياحارثة (الا) استثنا من قوله مقدم اى لكن قد يؤخر علم المعاملة (ان جذبته العناية كما فى سحرة فرعون) فانهم وصلوا الى الحق الحقيق بدون المجاهدة فى الطريق فانه روى انهم رأوا فى سجودهم الجنة ومنازلهم فيها وقد ورد جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين ووردان لله فى ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والحاصل ان السلوك الى الله تعالى بتقديم المجاهدة على الجذبة واما بتقديم الجذبة على المجاهدة كما يشير اليه قوله سبحانه * الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب * والطريق الثانى سلوك الحكماء واكثر الاولياء والاول مسلك الانبياء وبعض الاصفياء كما يدل عليه قوله تعالى (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان) اى تفصيله فى الخطاب ومعرض البيان (ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء) اى من اهل العرفان وابلغ منه وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك (ولا يفتك) اى علم المعاملة (عنه) اى عن علم المكاشفة كما قدمناه من لزوم وجود احدهما مقدما مؤخر والحاصل ان بعد الجذبة وحصول المكاشفة يلزم علم المعاملة واما قبل الجذبة فلابد من المجاهدة فانها شرط وجود المكاشفة وخلاصته ان علم المعاملة غير لازم لحصول علم المكاشفة ابتداء واما لدوامه فلابد منه انتهاء كما ان عمر حصل له الجذبة وعلم المكاشفة ثم التزم علم المعاملة والخدمة

ولوعاش سحرة فرعون لكان علم المعاملة لازما لهم ايضا لدام علم المكاشفة والمراد بالجذبة هنا الجذبة القوية الالهية الفورية الآتية من عالم الامر والافصاحب علم المعاملة ايضا لايخلو عن نوع جذبة ربانية الاانها ضعيفة تدريجية من عالم الخلق وقدقال تعالى (الاله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) و ... هناقيل الطرق الى الله بعدد انفاس الخلائق الا انها تختلف باختلاف حجب الخلائق والعوائق ثم اعلم انه لايلزم من وجود المعاملة حصول المكاشفة بخلاف العكس فى المقابلة وزبدته ان كل من سعى لم يدرك مانمنى لكن ماادرك مانمنى الامن سعى فله الاخرة والاولى (فورد) اى فى الحديث مما يدل على لزوم المعاملة بعد تقدم المكاشفة (النجا فى عن دار الغرور) اى التبعد والتزهد عن الدنيا (والانابة الى دار الخلود) اى الرجوع الى ذاالعقبى والاستعداد للموت قبل نزوله اشتياقا للمولى (حين سئل) اى النبى عليه السلام (عن علامة ذلك النور) كما قدمنا (هذا) اى العلم المنقسم الى قسمين المكاشفة والمعاملة (ماورد بفضله) اى فضل تعلمه وتعليمه (الشرع) اى المطابق للعقل والطبع من الكتاب والسنة واخبار الائمة اما الكتاب فقوله تعالى (شهد الله انه لااله الاهو والملائكة واولوا العلم) وقوله (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات عن ابن عباس للعلماء درجة المؤمنين بسبعمائة درجة مابين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقوله تعالى * قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون * وقوله انما يخشى الله من عباده العلماء) وقوله (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب) وقوله (وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا) وقوله (وتلك الامثال نضربها للناس ومايعقلها الا العالمون وقوله ولورده الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم وقوله بل هوآيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم واما السنة فقوله عليه السلام من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين متفق عليه وزاد الطبرانى ويلهمه رشده العلماء ورثة الانبياء ابوداود والترمذى وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه من حديث ابى الدرداء ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى تجلسه مجلس الملوك ابونعيم فى الحلية عن انس فقدنبه بهذا على ثمرته فى الدنيا ومعلوم ان الآخرة خيروابقى حصلتان لاتجتمعان فى منافق حسن سمت وفقه فى الدين الترمذى عن ابى هريرة افضل الناس المؤمن العالم اذاحتيج اليه نفع وان استغنى عنه اغنى نفسه البيهقى فى شعب الايمان موقوفا على ابى الدرداء الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم والعمل الحاكم فى تاريخ نيسابور عن ابى الدرداء اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد اما اهل العلم فدل الناس على ماجائت به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جائت به الرسل ابونعيم عن ابن عباس لموت قبيلة ايسر من موت عالم الطبرانى وغيره عن ابى الدرداء الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذافقهوا متفق عليه عن ابى هريرة يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء فترجح مداد العلماء ابن عبدالبر عن ابى الدرداء من حفظ على امتى اربعين حديثا من السنة حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة ابن عبدالبر عن ابن عمر من حمل من امتى اربعين حديثا لقى الله يوم القيمة فقيها عالما ابن عبدالبر عن انس من تفقه فى دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث

لايحتسب الخطيب عن ابن جزء او حى الله تعالى الى ابراهيم يا ابراهيم انى عليم احب كل عليم ابن عبد البر تعليقا العالم امين الله فى الارض ابن عبد البر عن معاذ صنفان من امتى اذ صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس الامراء والفقهاء ابو نعيم عن ابن عباس اذا اتى على يوم لاازداد فيه علما يقربنى الى الله فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم الطبرانى فى الاوسط وابو نعيم فى الحلية وابن عبد البر فى العلم عن عائشة يشفع يوم القيمة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ابن ماجة عن عثمان ماعند الله بشئ افضل من فقه فى الدين الطبرانى فى الاوسط عن ابى هريرة خير دينكم ايسره وافضل العبادة الفقه ابن عبد البر عن انس اصبحتم فى زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتى على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل الطبرانى عن حزام بن حكيم عن عمه والمعنى اظهار العمل حينئذ خير من اظهار العلم ليقتدى الناس فلا ينافيه ماسبق من الاحاديث الدالة على افضلية العلم مطلقا قيل يارسول الله اى الاعمال افضل قال العلم بالله عز وجل فقيل نسئل عن العمل ونجيب عن العلم فقيل ان قليل العمل ينفع مع العلم بالله وان كثيرا من العمل لاينفع مع الجهل بالله ابن عبد البر عن انس يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء انى لم اضع علمى فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم الطبرانى عن ابى موسى (فالمراد) اى فمراد الشارع (المكاشفة فيما ورد) والفاء للتعليل اى ولان المراد علم المكاشفة (فضل العالم على العابد كفضلى على امتى) ولفظ الترمذى والدارمى عن ابى الدرداء كفضلى على ادناكم وفيه مبالغة لاتخفى اى فى حديث مشهور ورد ورواه احمد والترمذى وابوداود وابن ماجة والدارمى وابن حبان ولفظه ان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولادرهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر وفى لفظ الترمذى عن ابى امامة فضل العالم على العابد كفضلى على ادنى رجل من اصحابى وقال حسن صحيح وورد فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة ابن عدى عن ابى هريرة وابو يعلى عن عبد الرحمن بن عوف وروى الاصبهانى فى الترغيب والترهيب عن ابى عمر بين العالم والعابد سبعون درجة وكذا فى مسند الفردوس عن ابى هريرة واما مافى الاحياء مائة درجة فلا اصل له (اذ غيره) اى غير علم المكاشفة وهو علم المعاملة (تبع للعمل لثبوته) اى العلم (شرطا له) اى للعمل فلا عمل بلا علم وقد يوجد علم بلا عمل والمعنى ان كلما وجد العمل لزم وجود العلم بخلاف عكسه فالعمل بغير العلم غير ممكن فعلم ان المراد بالعالم هو العالم بعلم المكاشفة والافلوار يد منه فضل العالم علم المعاملة لزم تفضيل العالم على العالم اوعلى العالم العابد وهذا فاسد فتعين ان المراد بقوله فضل العالم هو العالم بعلم المكاشفة هذا حل كلامه و بيان مرامه والظاهر ان المراد بالعالم هنا هو الجامع بين علمى المكاشفة والمعاملة بل المستجمع بين علم الشريعة وعمل الطريقة المؤدى الى مرتبة الحقيقة ثم التحقيق ان العلم بدون العمل غير مفيد والعمل بغير العلم غير صحيح فلابد للعالم من العمل وللعابد من العلم فالمراد بالعالم فى الحديث من يعمل مايجب عليه و يصرف الى العلم مايفضل من الاوقات لديه و بالعابد من يعلم مايجب عليه من العلم و يصرف بقية اوقاته الى العمل وانما فضل العالم على

العابد لان نفع العلم متعد ونفع العمل قاصر ولان العلم اما فرض عين واما فرض كفاية وكلاهما افضل من النوافل كما لايخفى على ذوى الفضائل ولان العلم من صفات الله والعمل من صفات العبد ولان الفضيلتين خير من واحدة فان العلم ايضا عمل اى عمل وخلاصته ان زيادة العلم خير من زيادة العمل والمراد هنا العالم العامل كما يشير اليه قوله عليه السلام تعوذوا بالله من علم لاينفع رواه ابن ماجة باسناد حسن عن جابر وعن عمر من حدث بحديث فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل ويؤيده حديث * الدال على الخير كفاعله رواه الترمذى من حديث انس عن الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل البهايم وقال عطاء دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكى فقلت مايبكيك قال ليس احد يسألنى عن شئ (والمعاملة) اى والمراد علم المعاملة (القلبية الواجبة فيما ورد طلب العلم فريضة على كل مسلم) رواه ابن ماجة وضعفه احمد والبيهقى وغيرهما (لامتناع ارادة غيرها) اى غير المعاملة القلبية اقول بل الحمل على العنى الاعم هو الانسب ليشمل المعاملة القالبية الواجبة وانما يصح كلام الماتن على قضية نادرة الوقوع فحينئذ يمتنع ارادة غير المعاملة القلبية لان الفرض بعد التوحيد نوعان احدهما مايكون فرضا على العبد بحكم الاسلام فهو علم المعاملة القلبية واصلاح الباطن لازدياد الانوار النفسية وازالة الاخلاق الردية واثبات الشمائل الرضية وثانيهما ماهو فرض عليه عند تجدد الحادثة كدخول وقت الصلاة والصوم ووجوب الحج والزكاة وعلم البيع والشراء وسائر المعاملات واما العبد اذا اسلم فى وقت لم يجب عليه فيه هذه الاشياء فليس عليه ان يعلمها لانه لم يدرك وقتها وما لم يدرك وقتها لايكون فرضا علمها اذلو قدر موته قبل تجددها لم يطالب يوم القيمة بتعلم علمها وانما يكون الفرض عليه حينئذ علم المعاملة القلبية وتحصيل الاخلاق الزكية لان العبد بعد الاسلام لايخلو اما ان يكون متصفا برذيلة فيجب عليه ازالتها واثبات ضدها مكانها اولايكون فيجب عليه تحصيل علم الباطن ايضا لتحصيل ازدياد اليقين ومعرفة خداع النفس وغرورها ودسائسها الخفية ومعرفة الخواطر الردية ومايكون بينه وبين الله فى ذلك الوقت من الاحوال الباطنة القلبية فلو وجد فرصة وفراغا بعد الاسلام ولم يشتغل لتحصيل علم المعاملة القلبية كان تاركا للفرض مسئولا عنه يوم القيمة وان لم يتجدد له من تلك الفروض الظاهرة شئ كالصلاة ونحوها فافهم والله اعلم وهذا بيان ما اجمل بقوله (اما التوحيد) اى علمه (فليس المراد به (الحصول) اى لحصوله لكل مسلم وفيه انه لابد له من بقائه ودوامه وحفظه من تخريب نظامه (واما الصلاة) اى امتناع ارادة الصلاة به (فلجواز ان يتأهلها شخص) اى يصير اهل وجوبها رجل اوامرأة (وقت الضحى) بالبلوغ اوالاسلام (ومات قبل الظهر) يعنى فلايجب على كل مسلم ويدفع بان هذا امر نادر على انه مشروط بشرائط فى تعلقها فالحكم بعد تحققها (واما غيرهما) اى من التوحيد والصلاة ونحوه من علم الفقه المسمى بعلم المعاملة (فاظهر) اى فى امتناع ارادته والجواب ماتقدم والله اعلم وبسط الكلام فى مرام هذا المقام ان العلماء اختلفوا فى العلم الذى هو فرض عين على كل مسلم فتحزبوا فيه اكثر من عشرين فرقة وتعصبوا ونزل كل فريق وجوبه على العلم الذى هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام اذبه يدرك التوحيد وبه يعلم ذات الله وصفاته وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذبهما يتوصل الى العلوم كلها وقال الفقهاء هو علم الفقه

اذبه تعرف العبادات والحلال والحرام من المعاملات وقال المتصوفة المراد به علم الاخلاق ومايتعلق به من علم المعاملة والمكاشفة والتحقيق ان هذه العلوم كلها من فروض الكفاية واما فرض العين على كل احد فبعضها مما تجب به الرعاية (وعلم الاخرة) اى والمراد علم ينفع فى الاخرة (مطلقا) اى مع قطع النظر عن المعاملة والمكاشفة (فيما ورد) اى فى كلامه المجيد (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون لئلا يفضل علماء الزمان على الصحابة) وفيه ان الظاهر فى معنى الآية عدم استواء العلماء والجهلاء واما مراتب العلماء من الانبياء والصحابة والتابعين والفقهاء والمشايخ الاولياء فمختلفة بحسب منازل مؤتلفة (فمجادلة الكلام) اى علم المنطق والكلام (والتعمق فى فتاوى ندور وقوعها محدث) اى بدعة الاان الاولى مذمومة والثانية فى الجملة محمودة (وماورد) اى والمراد علم الاخرة فيما جاء من القرآن * فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة (ليتفقهوا فى الدين لاختصاص الانذار والحذر) فى قوله سبحانه * ولينذر واقومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون (به) اى مختص بعلم الآخرة (فالمحدث مما سبق ذكره يقسى القلب) اى لعدم مدخليته فى الانذار والحذر وانما ينور القلب بذكر الرب ومايتعلق به من الترغيب والترهيب ففى العوارف لما صار الانذار مستفادا من الفقه والانذار احياء المنذر بالعلم رتبة الفقيه فى الدين صار الفقه فيه اكمل رتب المجتهدين وهو علم الزاهد فى الدنيا الراغب فى العقبى الطالب للمولى وهو الاعلى (وايضا) اى مما يؤيد ماقد مناه (وصف الشارع الفقيه بانه يمقت الناس) اى يبغضهم بالمعاصى (فى ذات الله) اى لاجل رضاه (ولم يقنطهم من رحمته) لقوله تعالى * لاتقنطوا من رحمة الله * وقوله * لايأس من روح الله الا القوم الكافرون * (ولم يؤمنهم من مكره) لقوله سبحانه * افأمنوا مكر الله فلايأمن مكر الله الا القوم الخاسرون * بل يجعل نفسه وغيره بين الخوف والرجاء واوظهر له مقامات الاولياء لقوله تعالى * ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * والانسان لايخلو من العصيان ولو بالنسيان (ولم يرغب عن القرآن) اى وماهو مقتبس منه (الى غيره اى الى غير القرآن من العلوم المحدثة (ويرى له اى للقرآن (وجوها كثيرة) اى من ظاهر وباطن وحد ومطلع وتأويلات عبارات ورموز واشارات لفظ الوارد عنه عليه السلام انه قال * الاانبئكم بالفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يئسهم من رحمة الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ماسواه ابو بكر بن لال فى مكارم الاخلاق وابو بكر بن السنى وابن عبد البر من حديث على وقال ابن عبد البر اكثرهم يوقفونه على على وفى حديث آخر لايفقه العبد حتى يمقت الناس فى ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة ابن عبد البر من حديث شداد بن اوس وقال لايصح مرفوعا وروى ايضا موقوفا على ابى الدرداء مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا قلت فيه ايماء الى ماقيل وجودك ذنب لايقاس به ذنب فظهر ان المراد بالفقه مايحصل به الانذار والحذر وهو علم الآخرة فقد سأل فرقد السنجى الحسن البصرى عن شئ فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونه فقال الحسن ثكلتك فرقد وهل رأيت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الاخرى البصير بدينه المداوم على عبادة الله الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعاتهم (ثم اعلم انه ورد فى فضيلة التعلم والتعليم آيات واخبار كثيرة وآثار شهيرة منها قوله تعالى *

(فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون * وقوله عليه السلام من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة رواه مسلم من حديث ابى هريرة وقوله ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع احمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال وقوله لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلى مائة ركعة ابن عبد البر من حديث ابى ذر والخير عند ابن ماجة بلفظ آخر وقوله باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا ابن حبان فى روضة العقلاء وابن عبد البر موقوفا على الحسن البصرى وجاء مرفوعا بلفظ خير له من مائة ركعة رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث ابى ذر * وقوله (اطلبوا العلم ولو كان بالصين) ابن عدى والبيهقى فى المدخل والشعب من حديث انس وقال متنه مشهور واسانيده ضعيفة وقوله العلم خزائن الله ومفاتيحها السؤال فاسئلوا فانه يؤجر فيه اربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم رواه ابو نعيم من حديث على مرفوعا باسناد ضعيف وقوله لاينبغى للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت عن علمه الطبرانى فى الاوسط وابن مردوية فى التفسير وابن السنى وابو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف وقوله ومن جائه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام فبينه وبين الانبياء فى الجنة درجة واحدة الدارمى وابن السنى فى رياضة المتعلمين من حديث الحسن اى ابن على او البصرى فالحديث مرسل واما قول الغزالى فى حديث ابى ذر حضور مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة فقيل يارسول الله ومن قراءة القرآن الا بالعلم فقال وهل ينفع القرآن فقد ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات من حديث عمر وقال الحافظ العراقى ولم اجده من طريق ابى ذر قلت قد ذكره الحافظ السيوطى فى الجامع الكبير فى مسند ابى ذر يا اباذر لان تغدو لتعلم آية من كتاب الله خير لك من ان تصلى مائة ركعة وان تغدو فتتعلم بابا من العلم عمل به اولم يعمل به خير من ان تصلى الف ركعة تطوعا رواه ابن ماجة والحاكم فى تاريخه عنه واما ماورد فى فضيلة التعليم فمنه قوله تعالى * واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه * وهذا ايجاب للتعليم وقوله * وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون * وهذا دليل على ذم كتمان الحق والتحريم وقوله ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا * وقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة * وقوله ويعلمهم الكتاب والحكمة * ومنه قوله عليه السلام ما اتى الله عالما علما الا اخذ عليه من الميثاق ما اخذ من النبيين ان يبينه للناس ولايكتمه ابو نعيم من حديث ابن مسعود وقوله لما بعث معاذا الى اليمن لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم احمد من حديث معاذ * وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد انه قال ذلك لعلى رضى الله عنه * وقوله تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطى ثواب سبعين صديقا الديلمى من حديث ابن مسعود * وقوله اذا كان يوم القيمة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله انتم عندى كبعض ملائكتى اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة ابو العباس المرهبى من حديث ابن عباس وقوله ان الله لاينزع العلم انتزاعا من الناس بعد ان يؤتيهم اياه لكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤسا جهالا ان سئلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو وقوله

علما فكتمه الجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ابوداود والترمذى وابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابى هريرة وقوله نعم العطية ونعم الهدية كلمة تسمعها فتنطوى عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة الطبرانى من حديث ابن عباس نحوه وقوله الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ذكر الله وماوالاه اومعلم اومتعلم الترمذى وابن ماجة من حديث ابى هريرة وقوله ان الله وملائكته واهل السموات واهل الارض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير الترمذى من حديث ابى امامة وقوله ما افاد المسلم اخاه فائدة افضل من حديث حسن بلغه فبلغه ابن عبد البر رواية محمد بن المنكدر مرسلا نحوه ولابى نعيم من حديث عبد الله بن عمر وبلفظ ما اهدى مسلم لاخيه هدية افضل من كلمة تزيده هدى اوترده عن ردى ورواه البيهقى فى الشعب ايضا وقوله كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة ابن المبارك فى الزهد والرقائق رواية زيد بن اسلم مرسلا نحوه وقوله على خلفائى رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتى ويعلمونها عباد الله ابن عبد البر من حديث الحسن قيل هو ابن على وقيل ابن يسار البصرى فيكون مرسلا ولابن السنى وابى نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث على نحوه وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين احدهما يدعون الله و يرغبون اليه والثانى يعلمون الناس فقال اما هؤلاء فيسئلون الله ان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم ابن ماجة من حديث عبد الله بن عمرو (ثم حقه) اى حق علم المعاملة وهو اثنان عشرون منها (العمل) والمعنى لابد للعبد من العمل فان العلم بمنزلة الشجرة والعمل فى مرتبة الثمرة فالشرف للشجرة لكونها الاصل لكن الانتفاع بالثمرة التى هى الفرع فكذا حقيقة العلم والعمل فى قواعد الشرع والكمال هو الجمع بين العلم والعمل والتعليم لقول عيسى عليه التسليم من علم وعمل وعلم يدعى فى الملكوت عظيما وقول نبينا عليه الصلاة والسلام خيركم من تعلم القرآن وعلمه والحاصل ان العالم العامل فى منزلة النبيين واذا انضم اليه التعليم فهو فى مرتبة المرسلين (فورد) فى ذم ترك العمل (كبر مقتا عند الله الآية) والمقت اشد الغضب تمامها * لم تقولون مالا تفعلون * وفى معناها * اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون وانشد

* لاتنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم *

ثم اعلم انه كثر فى التصانيف الخلافية ذكر الآية والحديث والبيت قبل تمامها فقد يكون الباعث على ذلك اختصار ماهنالك وقد يكون الاستدلال على المطلوب يتوقف على اوخراها ومحفوظ ومعروف عند اهلها فيذكر صدرها و يشير الى آخرها بقوله الآية ونحوها اما بالنصب على اضمار اقرأ وهو الوجه الظاهر ويجوز الرفع بتقدير مبتدأ اوخبر كالمورود والمروى والجر على تقدير الى آخر الآية وامثالها (اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه) اى لم يوفقه للعمل به ومن جملة عمله نفع غيره ان احتاج الى علمه والحديث رواه الطبرانى فى الصغير وابن عدى فى الكامل والبيهقى فى شعب الايمان من حديث ابى هريرة وورد ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات (والاحتراز) اى وحق علم المعاملة اجتناب صاحبه (عن الفتوى) اذ الم

يتعين لها (لعدم قيامهم) اى الصحابة (بها الا بضعة عشر) بكسر الموحدة مابين الثلاث الى التسع وكان قبض عليه السلام عن مائة الف واربع وعشرين الفا من الصحابة الكرام فهم يسير من كثير اهل التقوى (وورد لايفتى الا امير ومأمورا ومتكلف) الطبرانى عن عبادة بن الصامت وعن عوف بن مالك ايضا فالامير هو الامام وقد كانوا هم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذى يتكلف تلك العهدة من غير حاجة فلا يخلو عن الخطر فينبغى له الحذر كل الحذر وعن حذيفة انما يفتى احد ثلاثة من عرف الناسخ والمنسوخ اورجل ولى سلطان فلا يجد بدا من ذلك اومتكلف ابن عساكر قال الحجة وقد كان الصحابة يحترزون عن الفتوى حتى يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لايحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة وفى بعض الروايات بدل المتكلف المرائى فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين عليه للحاجة اليه فلم يقصد به الا طلب الجاه والمال وعن ابى حصين قال ان احدهم ليفتى فى المسئلة ولو وردت على عمر بن الخطاب لجمع لها اهل بدر ابن عساكر وعن ابن سيرين ان عمر قال لابى موسى امابلغنى انك تفتى الناس و لست بامير قال بلى قال فول حارها من تولى قارها عبدالرزاق و الدينورى فى المجالسة وابن عبد البر فى العلم وابن عساكر وعن عبدالله بن بشير ان على بن ابى طالب سئل عن مسئلة فقال لاعلم لى بها ثم قال وايردها على الكبد سئلت عما لم اعلم فقلت لا اعلم رواه سعد ان بن نصر وسئل مالك عن ار بعين مسئلة فقال فى ست وثلاثين لادرى ومن يرد وغير وجه الله بعمله فلا تسمح نفسه بان يقر على نفسه بانه لايدرى وعن ابى يوسف سمعت ابا حنيفة يقول لولا الخوف من الله تعالى ماافتيت احدا لكون الهنالهم والوزر علينا وسئل عن مسئلة فقال سلوا مولاى الحسن وذكر الكردرى منه وناهيك عن نهى الفتوى قوله عليه السلام اجرؤكم على الفتيا اجرؤكم على النار رواه الدارمى عن ابى عبدالله بن ابى جعفر مرسلا (والاستبصار) اى وحق على المعاملة بعد فتوى المفتين طلب البصيرة بعين الاعتبار واخذ القول بدليل الخاص من غير استبدال بالنظر من بين اخيار (فورد استفت قلبك وان افتاك المفتون) احمد من حديث وابصة و يؤيده حديث دع مايريبك الى مالا يريبك الترمذى وصححه و النسائى وابن حبان من حديث الحسن بن على وحديث لايكون الرجل من المتقين حتى يدع مالابأس به مخافة مابه بأس الترمذى وحسنه ابن ماجة والحاكم وصحح اسناده من حديث عطية السعدى وحديث الاثم جواز القلوب البيهقى فى شعب الايمان من حديث ابن مسعود وهو بتشديد الزاى جمع حازة وهى الامور التى تحزفيها اى تؤثر كما يؤثر الحز والحك فى الشئ وهو مايخطر فيها من المعاصى لفقد الطمانينة اليها و يروى بتشديد الواو اى يحوزها او يملكها و يغلب عليها و يروى حزاز بزايين الاولى مشددة فعال من الحز فيعتمد فى العلوم على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لاعلى صحفه وكتبه ولاعلى تقليد مايسمعه من غيره كما اشار اليه بقوله (ولان المقلد وعاء العلم) عطف على فورد لانه فى معنى التعليل والمعنى ان الذى يقبل قول الغير ولو كان مجتهدا انما هو وعاء العلم اى ظرفه بمنزلة الرواية فليس له حظ فى الدراية وانما نصيبه الرواية ومن هنا قال ابو حنيفة وغيره لايحل لاحد ان يقول بقولنا مالم يعلم من اين قلنا (والشفقة فى التعليم) اى ومن حق على المعاملة على المعلم بالنسبة الى المتعلم (فورد انا لكم

(مثل الوالدلولده) ابو داود والنسائى وابن ماجة وابن حبان من حديث ابى هريرة وقال تعالى (النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم * وفى قرأة شاذة وهواب لهم بل هو افضل واكمل من الوالدين فان قصده انقاذهم من نار الآخرة وهواهم من انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين فان الولد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ولولا المعلم لساق ماحصل من جهة الاب الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحياة الاخروية الدائمة اعنى معلم علوم الآخرة اوعلوم الدنيا على قصد الآخرة لاعلى قصد الدنيا واما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله ثم كما ان حق ابناء الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذا حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتواد ولايكونوا الا كذلك ان كان مقصدهم الآخرة ولايكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وابناء الآخرة مسافرون الى الله سبحانه وتعالى وسالكون اليه والطريق هو الدنيا وسنونها وشهورها منازل الطريق والتوافق فى الطريق بين المسافرين الى الامصار سبب التواد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الاعلى والتوافق فى طريقه الاعلى ولاضيق فى سعادات الآخرة فلذا لايكون بين ابناء الآخرة تنازع ولاسعة فى سعادات الدنيا فلذا لاتنفك عن ضيق التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى * انما المؤمنون اخوة * وداخلون فى مقتضى قوله سبحانه * الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين * ومعزولون عن منصب قوله عليه السلام لايؤمن احدكم حتى لايحب لاخيه مايحب لنفسه (فلايضن) بفتح الضاد وكسرها نفيا اونهيا اى فلايبخل على احد بعلمه لان العلم لايحل منعه فورد (من كتم علما الجم بلجام من نار) ابن ماجة وغيره من حديث ابى هريرة (الا) استثناء من قوله فلايضن اى فلايبخل بالعلم الا (عن غيراهله) وهو الذى يريد ان يتوصل الى المال والجاه ونحوه (فورد لاتطرحوا الدر فى افواه الكلاب) رواه ابن النجار عن انس ولفظة لاتطرحوا الدر فى افواه الخنازير وقال عيسى عليه السلام لاتعلقوا الجواهر فى اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير وقال ايضا لاتضعوا الحكمة عند غيراهلها فتظلموها ولاتمنعوها اهلها فتظلموهم وكونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء فى موضع الداء وفى لفظ آخر من وضع الحكمة فى غيراهلها فقد جهل ومن منعها اهلها فقد ظلم ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط كل ذى حق حقه وسئل بعض العلماء عن شئ فلم يجب فقال السائل اما سمعت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه فكتمته فيلجمنى وقوله تعالى * ولاتؤتوا السفهاء اموالكم * فيه تنبيه نبيه على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى وليس الظلم فى اعطاء غير المستحق باقل من الظلم فى منع المستحق

(شعر)

* فمن منح الجهال علما اضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم *

(والتعريض) اى لا التصريح (بالمنع ابقاء للهيبة وهو المأمور) اى فى المنع كما ورد فى الحديث المأثور والمعنى ان من حقوق المعلم ان يزجر المتعلم بالتعريض اذا وقع منه تقصير وقلة ادب فى القول

او الفعل حال تقرير ولا يصرح ما امكن و بطريق الرجمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراءة على الهجوم بالمخالفة كما روى ابن جريج مرسلا انه عليه السلام بينما هو يخطب يوم الجمعة اذا رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى عليه السلام عارض فقال الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان تجمع اليوم معنا فقال يا نبي الله انى قد جمعت معكم فقال عليه السلام اولم ار تخطى رقاب الناس فعرض عليه السلام بالمنع عن التخطى بانه يحبط اجر عمله ولم يصرح له مع ما فيه من امالة النفوس الذكية والاذهان البهية الى استنباط المعانى الخفية فيفيد فرح التفطن رغبة فى العمل به بخلاف التصريح فانه ربما يوقعه فى الاصرار على القبيح فقد روى لو منع الناس عن فتح البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شى يطلب وقد قيل الانسان حريص على ما منع كما يشير اليه قوله تعالى حكاية ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين (والاقتصار على قدر الفهم فورد امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم) ابو داود من حديث عائشة بلفظ انزلوا الناس منازلهم وفى رواية عن ابن عمر نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ويؤيده حديث كلموا الناس بما تعرفون ودعوا ما تنكرون البخارى موقوفا على على ورفعه ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق ابى نعيم و يقويه حديث ما حدث احدكم قوما بحديث لا يفهمونه الا كان فتنة عليهم العقيلى فى الضعفاء وابن السنى وابو نعيم فى الرياضة من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ولمسلم فى مقدمة صحيحة موقوفا على ابن مسعود نحوه وفى رواية ما احد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وفى رواية لابى نعيم عن ابن عباس لا تحدثوا امتى من احاديث الا بما تحمله عقولهم وعن على قال حدثوا الناس بما تعرفون اتريدون ان يكذب الله ورسوله البخارى وفى رواية عنه ايها الناس تحبون ان يكذب الله ورسوله حدثوا الناس بما تعرفون ودعوا ما تنكرون الخطيب وفى رواية عنه واشار الى صدره ان ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة ولقد صدق قلوب الابرار قبور الاسرار (وقطع الطمع) اى عن الخلق خصوصا عن التلميذ وهو سكون النفس الى منفعة مشكوكة (فورد) اى فى آيات كثيرة (قل لا اسئلكم عليه اجر) تمامها ان اجرى الا على رب العالمين ولان فساد الدين الطمع كما ان صلاح الدين الورع على ما روى عن الحسن (ونية العمل) بنفسه (والتعليم) لغيره فى التعلم اى لا قصد المال والجاه والاغراض الفاسدة والاعواض الكاسدة وهذا من حقوق تجب على المتعلم (فورد من تعلم للمباهاة) اى للمفاخرة (والمماراة) اى المجادلة (او لصرف وجوه الناس) اى اليه تعظيما وتكريما (فهو فى النار) ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح ولفظه لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار وفى رواية لابن ماجة عن ابى هريرة بلفظ من تعلم العلم ليباهى به العلماء او يمارى به السفهاء او يصرف وجوه الناس اليه ادخله الله جهنم وفى رواية لابى داود عنه من تعلم صرف الكلام ليسبى به لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وفى رواية الترمذى عن كعب بن مالك بلفظ من تعلم العلم ليمارى به العلماء او ليمارى به السفهاء او يصرف به وجوه الناس اليه ادخله الله النار وقد كثر طرقه بحيث كاد ان يكون متواترا (والانقطاع) عن سائر الامور التى فيها نوع من النزاع (لشغل العلائق)

اى العوائق بتعلق الخلائق عن خدمة الخالق ويشير اليه قوله تعالى * وتبتل اليه تبتيلا * اى انقطع اليه واعتمد عليه واقصد الحضور لديه ولقوله تعالى * ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وقال بعضهم العلم لايعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطائه اياك بعضه على خطر (والتملق) هو الافراط فى التواضع والتذلل (فورد ليس من اخلاق المؤمن التملق الا فى طلب العلم) رواه الخطيب (والتسليم) اى تسليم المتعلم للمعلم لان العالم الربانى يربى المتعلم بصغار العلم قبل كباره ولقوله (لهلاك مريض لايسلم) اى امره (للطبيب) اى فيما يحتميه وفيما يعينه (والحضور للانتفاع) اى ومن حق العلم حضور القلب مع الرب ليحصل له الانتفاع فى مقام الكسب (فورد) اى فى قوله تعالى (ان فى ذلك) اى فيما سبق من اول سورة فى اوفى القرآن (لذكرى) اى تذكرة اومنفعة وموعظة (لمن كان له قلب) اى حاضر وتمام الاية * اوالقى السمع وهو شهيد * اى بجميع حواسه (وترك الاستنكاف) اى الانفة عن الطلب اوالمطلوب منه فان العلم يؤتى ولايأتى (لانه تكبر) اى بغير حق وقد قال تعالى * سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لايؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا (والقياس) اى ومن حق العلم ترك قياس المبتدى على المنتهى فى كثرة الطاعة وقلة اجتناب الشبهة (لاستبداله) اى لاختيار المنتهى (الحضور) اى مع الله (بالنوافل) اذالنهاية ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الاعن رواتب الفرائض فيترائى للناظر انه كسل وبطالة واهمال وغفلة وهيهات فذلك مرابطة القلب فى عين الشهود والحضور مع الرب (واحالة البحر) اى ولتغييره (النجاسة ماء دون الكوز) شبه المنتهى بالبحر والمبتدى بالكوز فلايقاس الملوك بالحدادين ومن هنا قال بعض المشايخ من رأنى فى البداية صار صديقا ومن رأنى فى النهاية صار زنديقا (وتقديم الاهم) اى من العلوم تعلما وتعليما (فيبدأ بفرض العين) اى المتعين على كل احد (وهو علم مايجب من اعتقاد) اى اجمالا اوتفصيلا تقليدا اوتحقيقا كما بينته فى شرح الفقه الاكبر تدقيقا (وفعل) اى عمل من صلاة وصوم ونحوهما (وترك) اى من قتل نفس وشرب خمر وامثالهما ومحلهما كتب الفقه (ظاهرا) وهو ظاهر (وباطنا) كترك ارادة المعصية (ثم علم الآخرة) اى معرفة تفاصيل احوالها وموافقها واهوالها اوعلم لاينفع الا فى الآخرة وآمالها والمراد به علم التصوف وتحسين الاخلاق الباطنة وتزيين الاحوال السرية (فهو المقرب اليه تعالى) اى ظاهر او باطنا بخلاف غيره اذ قد يبعده عنه سبحانه لما يشتمل عليه من انواع التقصير واصناف التكدير من الرياء والسمعة والعجب والغرور فى التقرير والتحرير ومن هنا قال الامام مالك من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق (وقال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه من سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق به والتسليم لاهله وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له شىء من هذا العلم بدعة وكبر وقيل من كان محبا للدنيا اومصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم فاقل عقوبة من ينكره ان لايرزق منه شيئا وانشد

* وارض لمن عاب عنك غيبة * فذاك ذنب عقابه فيه *

هذا ومجمل مايجب عليك من الاعتقاد على وجه الاقتصاد فى مقام الاستفادة ان تعلم ان لك الها عالما قادر احيا مريدا متكلما سميعا بصيرا واحدا احدا فردا صمدا لاشريك له ابدا ولا ضد له ولاند ولاشبيه ليس كمثله شئ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد متصفا بصفات الكمال جامعا بين نعوت الجلال والجمال فهو ذو الجلال والاكرام وصاحب الافضال والانعام منزها عن الحدوث متفردا بالقدم خالقا لكل شى من حيز العدم كلامه قديم وارادته وعلمه مقدسان عن كل نقص وآفة لايوصف بصفات المحدثين ولايجوز عليه مايجوز على المحدودين ولاتتضمنه الامكنة والجهات ولاتمر عليه الازمنة والساعات ولا تحل له الحوادث والعاهات وان محمدا عبده ورسوله وخليله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وهو الصادق المصدوق فيما جاء من الله سبحانه وفيما ورد على لسانه من امر الاخرة وغرائب شانه ويجب عليه اعتقاد ما كان عليه السلف من ان الله سبحانه يرى فى الاخرة لانه موجود لكنه غير محدود وان القرآن كلام الله غير مخلوق ليس بحروف مقطعة ولا باصوات مختلفة فهو حال وحادث فينا محفوظ فى قلوبنا مقروء بالسنتنا مكتوب بايدينا ملحوظ باعيننا وتعتقد ايضا ان لايقع فى الملك والملكوت فلتة خاطر ولالفتة ناظر الابقضاء الله وقدره وفق ارادته ومشيئته فمنه الخير والشر والنفع والضر والايمان والكفر وانه لاواجب على الله لاحد من خلقه وان حقه واجب على غيره وهو العبادة ثم من اثابه فهو بفضله ومن عاقبه فهو بعدله ولايسأل عما يفعل وهم يسألون وتعتقد جميع مانبت بالسنة من امور الاخرة كالجنة والنار والحشر والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والصراط والميزان فهذه اصول الايمان درج السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم اجمعين على اعتقادها والتمسك بها ووقع الاجماع عليها قبل تنوع البدع وبدو الاهواء وقال الحجة علم الآخرة ينقسم الى المعاملة والمكاشفة وغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ولست اعنى بالمعرفة الاعتقاد الذى تلقنه العامى رواية بل ذلك نوع يقين من دراية هو ثمرة نور يقذفه الله فى قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهى الى رتبة ايمان ابى بكر الصديق والله تعالى ولى التوفيق ومن اهم المهمات معرفة الواجبات ليكتسبها والسيأت ليجتنبها اذ كيف تقوم الطاعات لاتعرف ماهى او كيف يفعلها مع وجود الملاهى ام كيف يجتنب المعاصى من غير ان يعرف انها من المناهى فيجب عليكم ان تحكم احكام الشرع من الاصل والفرع فربما انت مقيم على كفر و بدعة اوعلى غفلة مما يفسد عليك طهارتك اوصلاتك اويخرجهما عن كونهما على وفق السنة ثم مدار هذا الشان ايضا على العبادات الباطنة التى هى من فروض الاعيان من التوكل والتفويض والتسليم والرضاء والقضاء والتوبة والانابة والصبر والشكر والاخلاص فى النية ونحوها مما سيجئ ذكرها و يجب الاتصاف بها وكذا المعاصى الباطنة من السخط والغضب والحقد والحسد والبخل وطول الامل وخوف الفقر والرياء والكبر مما سيأتى بيانها و يجب اجتنابها حتى يصون النفس عما شانها و يكون منعوته بمازانها فان هذه المذكورات كلها فرائض الله سبحانه على الامر بها والنهى عن اضدادها فى كتابه القديم وعلى لسان رسوله القويم فقد قال تعالى فتوكلوا ان كنتم

مؤمنين واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون واصبروا ان الله مع الصابرين وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ونحو ذلك من الايات كما نص على الامر بالصوم والصلوة فما بالك اقبلت على العبادات الظاهرة وتركت الطاعات الزائدة والامر بها من رب واحد فى كتاب واحد على رسول واحد بل غفلت عنها ولا عرفت شيئا منها وعلى الجملة فكل ما لا يؤمن من الهلاك مع جهله فطلب علمه فرض لا يسوغ لاحد تركه (فاذا فرغ عن القيام بفرض العين علما وعملا) اى فعلا وتركه (ساغ ان يشرع فى فروض الكفاية كالتفسير) اى وما يتعلق به من علم القراءة واسباب النزول ومعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو الذى يسمى اصول الفقه و يتناول السنة ايضا وما يتوقف عليه من علم اللغه والصرف والنحو (والاخبار) اى الاحاديث والآثار المسندة وغيرها ومعرفة رجالها وسائر احوالها (والفتاوى) اى فروع الفقه واصوله (غير متجاوز الى النوادر) اى كما نقل عن السلف الاكابر فيكفيك من التفسير وجيز الواحدى او الجلالين ووسطه المدارك او المعالم ونهايته الدر المنثور فى التفسير المأثور ومن الحديث يكفيك ما فى الصحيحين والتوسط منه نحو المشكوة والنهاية وتيسير الوصول الى جامع الاصول والجامع الكبير للحافظ السيوطى واما الاستغراق فى علم واحد طلبا للاستقصاء فممنوع فان العلم كثير والعمر قصير (ولا مستغرق) اى بكليته فى فرض الكفاية وهى كما قال الحجة كل علم لا يستغنى عنه فى قوام امور الدنيا كالطب اذهو ضرورى فى حاجة بقاء الابدان وكالحساب فانه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها قال ولا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفاية فان اصول الصناعات كذلك كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة وهى اخس الصنايع فانه لو خلا بلد عن الحجامين تسارع الهلاك اليهم وخرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك فان الذى انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله قلت واغرب من هذا ان صنعة السرابادية ايضا من فروض الكفاية (مشتغل عن المقصود) اى الذى هو الحضور بين يدى المعبود والاستغراق فى لجة بحر الشهود فقد قال الطحاوى حدثنا ابن ابى عمران قال حدثنا محمد بن مروان الخفاف قال سمعت اسمعيل ابن حماد بن ابى حنيفة يقول قال محمد بن الحسن كنت آتى عند داود الطائى فاسئله عن مسئلة فان وقع فى قلبه انهما احتاج اليه لامر دينى اجابنى فيها وان وقع فى قلبه انها على خلاف ذلك تجهم فى وجهى وقال ان لنا شغلا (والاقتصار) اى ومن حقوق علم المعاملة الاختصار (على الواقع) اى من القضايا (والقريب منه) اى من الواقع فى البلايا (فى المناظرة) اى بطريق المشاورة (فهو المأثور) اى عن الجمهور فان الصحابة ما تناظروا ولا تشاوروا الا فى مسئلة واقعة او قريبة الوقوع غالبا (واختيار الخلوة) اى للمناظرة (لقربها الى جمع الهمة وصفاء الفكرة والبعد عن الرياء والعجب) لان فى حضور الجمع ما يحرك دواعى الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان او مبطلا (وسبيل التشاور) اى واختياره لقوله عز وجل * وامرهم شورى بينهم * و الحديث ما خاب من استشار (والتعاون) لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى (فهو المأثور) لا على

سبيل المراء و الخصومة والرياء (فيجيز الانتقال) اى فيجوز انتقال خصمه من معاونة ومشاورة (عن دليل واشكال) اى الى دليل آخر واشكال اظهر بان اعتقد اولا انه دليل واشكال قبل المشورة والتعاون فعلم بعد هما انه غيردليل واشكال فينتقل (ولايدعى علم مجهول) كما اذا قال احد المناظرين هذا ماظهرلى فان ظهرلك ماهو اوضح فاذكره فيصير المعترض ويقول فيه معان سوى ماذكرته فقدعرفته ولااذكره اذلا يلزمنى ذكره ولايعرف هذ المسكين ان قوله اما كذب ولايعرف معنى وانما يدعيه تعجيزا لخصمه فهوفاسق كذاب عصى الله سبحانه وتكون دعواه دعوى علم مجهول اوقوله صدق فقدفسق باخفاء ماعرفه من امر الشرع وقدسأل اخوه المسلم واظهر له ذلك واجب كما لايخفى فيكون سكوته سكوتا عن معلوم زاعما عدم لزوم الذكر وهو قدوجب عليه وهذا معنى قوله (ولايسكت عن معلوم زاعما) اى مدعيا (انه عالم بعد) اى بعدسئوال المناظرة و (لزوم الذكر) كما هوشان المناظرين اذ قاس المستدل على اصل بعلة بظنها فيقال له ماالدليل على ان الحكم فى الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ماظهرلى فان ظهرلك ماهو اوضح واولى فاذكره الى آخرماسبق (فهى) اى المذكورات من عدم اجازة الانتقال والادعاء والسكوت (قواعد محدثة) اى اصطلاحات مبتدعة مستقبحة (جاذبة الى المهلكات) من الحسد والتكبر وكتمان الحق واذى المسلم وغير ذلك (يحرم التمسك بها) اى و يجب العمل بخلافها (و يشكر) اى المناظر (للمصيب و يعترف بالخطاء) فعن محمد بن كعب قال سأل رجل عليا عن مسئلة فقال فيها فقال الرجل ليس هكذا ولكن كذا وكذا قال على اصبت واخطأت وفوق كل ذى علم عليم اخرجه ابن جرير وابن عبدالبر وقد ثبت ان امرأة ردت على عمر رضى الله عنه ونبهته على الحق وهو فى خطبته على ملأ من الناس فقال اصابت امرأة واخطأ رجل واستدرك ابن مسعود على ابى موسى الاشعرى فقال ابو موسى الاشعرى لاتسئلونى عن شئ وهذا الحبر بين اظهركم وذلك لماسئل ابو موسى عن رجل قاتل فى سبيل الله فقتل فقال هوفى الجنة وكان اذ ذاك اميرالكوفة فقال ابن مسعود اعده على الامير فاعله لم يفهم فاعادوا عليه واعاد الجواب وقال ابن مسعود وانا اقول ان قتل فاصاب الحق فهو فى الجنة فقال ابوموسى الحق ماقال وهكذا يكون انصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا لاقل فقيه لانكره واستبعده وقال لايحتاج الى ان يقال انه اصاب الحق فان ذلك معلوم لكل احد فانظر الى مناظرى زمانك اليوم كيف تسودوجه احدهم اذا اتضح له الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد فى مجاهدته باقصى قدرته وكيف يذم من افحمه طول عمره ثم لايستحى من تشبيه نفسه بالصحابة فى تعاونهم على النظر فى الحق (ولايهتم به) اى برأيه الخطأ لان هذا شان الاجتهاد ولانه اذا اصاب فله اجران وذا اخطأفله اجر فلايخلو عن الخير بالكلية (فهو المأثور) اى المنقول عن الجمهور قبل ولايقدر على هذه الثلاثة الا العالم الربانى اوالولى الصمدانى (ولانه) دليل آخر لعدم الاهتمام اى ولان المناظر اذاكان طالب الحق (منشد ضالة فلا فرق بين ظهورها منه او من غيره) كما يشير اليه قوله عليه السلام الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهوا حق بها اخرجه الترمذى عن ابى هريرة مرفوعا و (يقدم) اى المناظر

قبل البحث (افحام النفس) اى اسكات نفسه والزامها بان يحكم عليها بانها امارة بالسوء (والشيطان) وكذا افحام الشيطان (لشدة معاداتهما) قال تعالى * ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا * وقال عليه السلام اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك ومن لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو اعدى عدوله فلا يزال يدعوه الى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره فى المسائل المجتهد فيها مصيب اومساهم للمصيب فى الاجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين فى حزب الرحمن والله المستعان هذا وقد ورد من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا فى ربض الجنة اى وسطها ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا فى اعلى الجنة الترمذى وحسنه من حديث انس (والتمسك) عطف على اختيار الخلوة اى والاعتصام (فى الاصول) اى الاعتقاديات (بالكتاب) اذا كان مقطوع الدلالة (والسنة) اى المتواترة مبنى اومعنى (والاجماع) اى اجماع الامة واتفاق الائمة (والاعراض عن اعتراض خاطر اوناظر) اى ومن حق العلم ان يعرض عما اعترض فى خاطره اوفى قول مناظره اذا كان هذا الاعتراض مخالفا للادلة الثلاثة المذكورة (لاعتصامها عن الهوى) اى هوى النفس (والوسوسة) اى وسوسة الشيطان (دون غيرها) اى بخلاف ماعداها من المقايسات العقلية و نحوها (وتأييد الاعتقاد) اى تقويته وتأكيده (بالعاملة) والمعنى انه اذا علم و اعتقد شيئا واجبا اوسنة اومندوبا فحق حقه ان يؤيد هذا الاعتقاد بالعمل به وكذا اذا اعتقد شيئا حراما اومكروها من حقه ان يؤيد اعتقاده ذلك بالترك (فهو) اى تأييده بها (طريق المكاشفة) اى الموصل الى علم المكاشفة والمشاهدة فمن اشتغل بالعلم بالهدى ولازم طريق التقوى ونهى النفس عن الهوى يفتح له ابواب الهداية ومايوصله الى مقام النهاية كما يشير اليه قوله سبحانه * والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا * وقوله * والذين اهتدوا زادهم هدى وقوله عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله اعلم مالايعلم (ودالة القرآن) اى وتأييده بادلة القرآن خصوصا فانها قطعية لامحالة و يرجع الاجماع والسنة اليها (فيها) اى بالادلة القرآنية (كانوا) اى السلف (يحاجون) اى يباحثون) من قنعه القرآن (و يقاتلون من لم يقنعه فلا بيان) اى يوجد (بعد بيانه) اى بيان القرآن وقد قال تعالى * هذا بيان للناس * وقال * هذا بلاغ للناس * اى كفاية لهم فى امر دينهم ودنياهم وآخرتهم وفى الحديث من لم يتغن بالقرآن فليس منا اى من لم يستغن عن غيره و يؤيده قوله تعالى * اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة و ذكرى لقوم يؤمنون * (وصحبة الصالحين) اى وتأييد الاعتقاد بصحبة الصالحين لانه قد ينكشف لهم بنور الصلاح مالم ينكشف لغيرهم من العلوم وقد قال تعالى * يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين * (وصغاء الوعظ) اى وتأييده باستماع الوعظ (اللين) اى المؤثر للقلوب اما من الوعاظ اومن كتب الصوفية (وترك مجادلة الكلام) اى وتأييده بترك مجالة علم الكلام على طريقة المنطقيين والحكماء الخارجين عن دائرة الاسلام (فهو صنعة جدل) بفتح فكسر اى مجادل او بفتحتين فان المجادلة مراء يتعلق باظهار المذاهب وهو يعرف بكراهة اصابة الخصم و ارادة خطائه و اظهار فضل النفس وهو موضوع (تعجيز العامى الذى يضر) بصيغة المجهول (ضرره) اى بضر الجدل مثل

ضرر العامى وضرر العامى خلل اعتقاده بواسطة المناظرة بانه يقع فى خاطره ان العلماء لما يتر ددون فى المسئلة كيف نعتقدها على طريق الجزم وهذا معنى قوله (لتشويشه الحق يبعث الشبهة وتحريك العقيدة وازالة الجزم) فهذا ضرره بالنسبة الى العامى واما ضرره بالنسبة الى العالم فقد بينه بقوله (وتوكيده) عطف على تعجيزه اى فهو صنعة جدل لتأكيده (الباطل تأييد الاصرار) اى بتقوية الاستمرار على المجادله فى الآيات والاخبار (للعنت الجدلى) اى لطلب زلة من يجادل معه ومشقته (وحمل الافحام) اى و بحمل الالزام (على قصور الطبع) وذلك لان المماراة تصير عادة فيه طبيعة فلا يسمع كلاما الا و ينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه فى ادلة القرآن والفاظ الشرع فيصرف البعض منها بالبعض ولذا ذم الجدل فى الكتاب والسنة فقد ورد ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرأ * ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون * الترمذى وابن ماجة من حديث ابى امامة قال الترمذى حديث حسن صحيح وقال عزوجل * وكان الانسان اكثر شئ جدلا * وفى الحديث فى معنى قوله تعالى فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون * الآية هم اهل الجدل الذين عنى الله بقوله تعالى * فاحذروهم * متفق عليه من حديث عائشة وقال بعض السلف يكون فى آخر الزمان قوم يغلق عنهم باب العمل و يفتح لهم باب الجدل وفى بعض الاخبار انكم فى زمان الهمتم فيه العمل وسيأتى قوم يلهمون الجدل ذكره الحجة وقال العراقى لم اجد له اصلا وفى الخبر المشهور ابغض الخلق الى الله تعالى الالد الخصم متفق عليه من حديث عائشة ولعله مقتبس من قوله تعالى * ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا و يشهد الله على مافى قلبه وهو الد الخصام * ومن هنا قيل اعتقاد العامى الذى لم يشتغل بالكلام راسخ قوى فى احكام الاسلام واعتقاد الجدلى الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل فى الهواء بل يشابه الهباء تنفيه الرياح المختلفة فى الصحراء كما فى الاحياء (ومن ثمة) تكتب بالتاء لئلا تشتبه بثم ثم تقرأ بفتح المثلثة من غير تاء وصلا وهاء وقفا وخلاف ذلك عد من غلط العامة كذا فى غاية التحقيق اى ومن اجل ذلك ومايتفرع عليه هنالك (تزعزع) اى تزلزل (عقيدة المتكلم المشتغل بالنظر) اى بالادلة النظرية العقليه فقط (دون العامى المتقى) اى المعتمد على الادلة النقلية والحجج الشرعية فان المشتغل بالكتاب والسنة ومتابعة الصالحين من الائمة لايتزعزع بل يزداد رسوخا بما سمعه من ادلة القرآن و بما يرد عليه من شواهد الحديث فى ميدان البيان و بما يسرى اليه من سير الصالحين وسلوك الصادقين (الا) استثناء من قوله لتعجيز العامى الذى يضر ضرره اى الا (فى عامى اعتقد بدعة مسموعة) اى من جماعة مبتدعة (والف الجدل حتى لايفيده سواه) والغالب انه لايفيده بل لايزيده الا ضلالا وتبارا كما يشير اليه قوله تعالى * وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الا خسارا * فان القرآن كالنيل ماء للمحبوبين و دماء للمحجوبين كما يومى اليه قوله تعالى * يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا (فمن ثمة) اى من اجل انه يرجى انه يفيد فى الجملة اولاقامة الحجة (صار) اى علم المناظره (مباحا) عند بعضهم (بل من فروض الكفاية) اى عند بعض ارباب الدراية (فى زمان البدع) اى ايام ظهور انواع البدعة صونا للعقائد) اى عن تزلزلها فى القواعد وهو انما يكون مباحا او فرض كفاية (على الذكى) اى الفطن (الفصيح)

اى القادر على التقرير والتحرير (المتدين والمتجرد له) اى لتحصيله هذا الفن (ليقدر على الفهم) اى اولا (والتقرير) اى التفهيم ثانيا (والاثبات على الحق) اى ثالثا (والاستكمال لازالة الشبهة دون العامة) اى لايباح لعامة الناس ان يخوضوا فى هذا البحر العظيم فان فيه من الخطر الفخيم والمراد بالعامى هنا من لم يستحكم عقائده بالكتاب والسنة واجماع الامة وسائر الادلة العقلية والحجج النقلية (لانه) اى علم النظر (دواء) فيحتاج اليه عند الحاجة كالادوية والعامى ليس له معرفة بكيفية استعمال هذا الدواء فلا حاجة اليه بل استعماله وبال عليه (بخلاف ماسبق اى من الادلة الثلاثة التى هى الكتاب واجماع الامة (فهو غذاء) اى فانها كالغذاء للبدن فلابد للعامى منها فقد قال فتح الموصلى اليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا بلى فقال فكذا القلب اذا منع عنه الحكمة والعلم ثلثة ايام يموت واما دقائق المعتقدات وحقائق المختلفات فيستغنى عنه العامى حتى لومات قبل ان يعتدان كلام الله قديم وانه مرئى وانه ليس محلا للحوادث الى غيرذلك فقدمات على الاسلام اجماعا (بكلام واضح) اى هو من فروض الكفاية على الذكى الفصيح بكلام ظاهر (سديد) اى مسدد باهر (قريب من الشرع ليقرب اى ذلك الكلام (من الفهم) اى الذى يقتضيه الطبع (ويبعد عن ورود الشبهة والهوى) اى هوى النفس اوهوى البدعة (والوسوسة) اى الناشئة من النفس والشيطان (دون التعمق المشوش) اى ولا يباح لمن ينظر فى علم النظر ان يتعمق فيه بحيث يشوش عليه مايعنيه (والتجاوز) اى دون التعدى (الى هذيانات) اى وترهات تؤذى بها الطبايع وتمجها الاسماع (اخترعها المبتدعة) اى من الخوارج والروافض والمعتزلة ثم اعلم ان المصنف فى هذا المقام تبع حجة الاسلام فى اباحة علم الكلام واقتفاه فى تفاصيل ماذكره من المرام الا ان السلف الكرام وجماعة من الخلف الفخام اتفقوا على ان علم الكلام من العلوم المذمومة وهو ماتنصب فيه الادلة العقلية وتنقل فيه اقوال الفلاسفة والحكماء الطبيعية والا فعلم العقائد بالحجج الشرعية والبراهين النقلية اشرف العلوم الدينية لانه يبحث فيه عما يتوقف صحة الايمان عليه وتمامه اللازمة لديه فعن الشافعى لان يلقى الله العبد بكل ذنب ماخلا الشرك خيرله من ان يلقاه بشئ من علم الكلام وذكر فى غياث المفتى عن ابى يوسف انه لايجوز الصلاة خلف المتكلم وان تكلم بحق لانه مبتدع ولايجوز خلف المبتدع وكان ابو حنيفة يكره الجدال على سبيل الحق حتى روى عن ابى يوسف انه قال كنا جلوسا عند ابى حنيفة اذ دخل جماعة فى ايديهم رجلان فقالوا ان احد هذين يقول القرآن مخلوق وهذا ينازعه ويقول غير مخلوق قال لاتصلوا خلفهما قلت اما الاول فنعم فانه لايقول بقدم القرآن واما الاخر فمابالله لايصلى خلفه فقال انهما ينازعان فى الدين والمنازعة فى الدين بدعة كذا فى مفتاح السعادة ومن جملة العلوم المذمومة علم المنطق الذى هو يسمى بدهليز الكفر فقد صنفه شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطى رسالة مستقلة فى تحريمه ونقل عن الائمة الاربعة مايدل على تسليمه ومن جملتها علم السحر كمايدل عليه قوله تعالى * واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر * ومنها علم النجوم فقد ورد تعلموا من النجوم ماتهتدون به فى ظلمات البر والبحر ثم انتهوا ابن مردويه والدار قطنى عن ابن عمر رب معلم حروف ابى جاد

دارس فى النجوم ليس له عندالله خلاق يوم القيامة الطبرانى عن ابن عباس من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد احمد وابو داود وابن ماجه عن ابن عباس مثل الناظر فى النجوم كالناظر فى عين الشمس كلما اشتد نظره فيها ذهب بصره الديلمى عن ابى هريرة وعن الربيع بن بسرة الجهنى قال لما غزا عمر واراد الخروج الى الشام خرجت معه فلما اراد ان يدلج نظرت فاذا القمر فى الدبران فاردت ان اذكر ذلك لعمر فعرفت ان يكره ذكر النجوم فقلت له ياابا حفص انظر الى القمر ما احسن استوائه الليلة فنظر فاذا هو فى الدبران فقال قد عرفت ماتريد ابن بسرة تقول ان القمر فى الدبران والله مايخرج شمس ولا قمر الا بالله الواحد القهار الخطيب وابن عساكر وعن عبدالله بن عوف بن الاحمران ابى مسابن عوف بن الاحمر قال لعلى بن ابى طالب حين انصرف من الانبار الى اهل النهروان يا امير المؤمنين لاتسر فى هذه الساعة وسر فى ثلاث ساعات يمضين من النهار قال على ولم قال لانك ان سرت فى هذه الساعة اصابك انت واصحابك بلاء وضر شديد وان سرت فى الساعة الى امرتك بها ظفرت وظهرت وطلبت فقال على ماكان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده هل تعلم مافى بطن فرسى هذه قال ان حسبت علمت قال من صدقك بهذا القول كذب القران قال الله تعالى * ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام الآية ماكان محمد صلى الله عليه وسلم يدعى ماادعيت علمه تزعم انك تهدى الى علم الساعة التى يصيب السوء من سافر فيها قال نعم قال من صدقك بهذا القول استغنى عن الله فى صرف المكروه عنه وينبغى للمقيم بامرك ان يوليك الامر دون الله ربه لانك انت تزعم هدايته الى الساعة التى ينجو من السوء من سافر فيها فمن آمن بهذا القول لم آمن عليه ان يكون كمن اتخذ دون الله ندا وضدا اللهم لاطير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك نكذبك ونخالفك ونسير فى هذه الساعة التى تنهانا عنها ثم اقبل على الناس فقال ياايها الناس اياكم وتعلم هذه النجوم الا ما يهتدى به فى ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكافر والكافر فى النار والله لئن بلغنى انك تنظر فى النجوم وتعمل بها لاخلدنك فى الحبس مابقيت وبقيت ولاحرمنك العطاء ماكان لى سلطان ثم سار فى الساعة التى نهاه عنها فاتى اهل النهروان فقتلهم ثم قال لو سرنا فى الساعة التى امرنا بها فظفرنا اوظهرنا لقال قائل سار فى الساعة التى امر بها المنجم ماكان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده ففتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان ايها الناس توكلوا على الله وثقوا به فانه يكفى ماسواه الحارث والخطيب وعن على ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ياعلى لاتجالس اصحاب النجوم الخرائطى فى مساوى الاخلاق والديلمى ومنها علم الرمل والقال ولو من المصحف فانه من قبيل الازلام المنصوص فى القرآن انه من الحرام وعن معاوية ابن الحكم مرفوعا كان نبى من الانبياء يخط فمن وافق خطه فذاك احد ومسلم وابو داود ومنها علم النسب والتوغل فى الصرف والنحو ونحوهم فعن ابى هريرة مرفوعا تعلموا من انسابكم ماتصلون به ارحامكم ثم انتهوا وتعلموا من العربية ماتعرفون به كتاب الله ثم انتهوا البيهقى وعن ابى هريرة مرفوعا علم النسب علم لاينفع وجهالة لاتضر ابن عبدالبر وعن ابن عباس مرفوعا كذب النسابون قال الله تعالى * وقرونا بين ذلك كثيرا * ابن سعد وابن عساكر وفى رواية الديلمى عن عطاء عن ابن عباس وابى هريرة ان النبى

صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فرأى جمعا من الناس على رجل فقال ماهذا قالوا يارسول الله رجل علامة قال ومالعلامة قالوا اعلم الناس بانساب العرب وبالشعر وبما اختلف فيه العرب فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا علم لاينفع وجهالة لاتضر الدبلى ومنها علم الطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات كالكيميا والسيمياء واما المباح فالعلم بالاشعار التى لاسخف فيها وتواريخ الاخبار ومايجرى مجراه ومنها الشطحيات وهى الدعاوى الطويلة العريضة فى العشق مع الله والوصال الغنى عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهى قوم الى دعوى الالحاد من العينية والحلول وغيرهما من انواع الالحاد ودعوى ارتفاع الحجب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذى صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله انا الحق وبما حكى عن ابى يزيد البسطامى انه قال سبحانى سبحانى وهذا فن من الكلام عظيم ضرره فى العوام حتى ترك جماعة من اهل الفلاحة فلاحتهم واظهر وامثل هذه الدعاوى فان هذا الكلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال فلا يعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلفيف كلمات مخبطة من خرفة ومهما انكر عليهم لم يعجزوا ان يقولوا ان هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لايلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا ومثله قد استطار فى بعض البلاد شرره وعظم فى العوام ضرره حتى من نطق بشئ فقتله افضل فى دين الله من احياء عشرة واما ابو يزيد البسطامى فلا يصح عنه ماحكى وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز وجل فى كلام يردده فى نفسه كما لو سمع وهو يقول ۞ انني انا الله لا اله الا انا فاعبدنى) فانه كان ينبغى ان يفهم ذلك منه الا على سبيل الحكاية كذا فى الاحياء ومنها قراءة كتاب الفصوص المخالف للنصوص فانه مشتمل على انواع من كفريات صريحة التى ليس لها تأويلات صحيحة وقد قال ابن المقرى فى الارشاد ان طائفة ابن العربى شر من اليهود والنصارى وقد عملت فى هذه المسئلة رسالة مستقلة وقد حرم بعض فقهائنا مطالعة تفسير الكشاف لما فيه من الاعتزال وكذا ينبغى الاحتراز عن مواضع فى البيضاوى تبع فيه مذاهب الحكماء والله سبحانه وتعالى اعلم بحقايق الاشياء ومنها الطامات وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى امور باطنة لاتسبق منها الى الافهام كدأب الباطنية فى التأويلات فهذا ايضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع من غير ضرورة تدعوا اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ ويسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فان ماسبق منه الى الفهم لايوثق به والباطن لاضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا ايضا من البدعة الشائعة العظيمة الضرر وانما قصد اصحابها الاغراب لان النفوس مائلة الى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتأويل ظاهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكى الغزالى من مذاهبهم فى كتاب المستظهرى المصنف فى الرد على الباطنية ومثال تأويل اهل الطامات قول بعضهم فى تأويل قوله تعالى ۞ اذهب الى فرعون انه طغى ۞ اشارة الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى

على كل انسان وفى قوله ۞ وان الق عصاك ۞ الى كل مايتوكأ عليه ومايعتمده مما سوى الله فينبغى ان يلقيه وفى قوله عليه السلام تسحروا فان فى السحور بركة اراد به الاستغفار فى الاسحار وامثال ذلك حتى تحرفوا القرآن من اوله الى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا النقل بوجوده ودعوة موسى له كابى جهل وابى لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة ومالم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل الى الفاظها وكذلك حمل السحور على الاستغفار فانه كان عليه السلام يتناول الطعام فى السحر كما فى البخارى ويقول تسحروا وهلموا الى الغذاء المبارك كما رواه ابوداود وغيره فهذه امور تدرك بالتواتر والحس وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك فى امور لايتعلق بها الاحساس فكل ذلك حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق ولم ينقل شئ من ذلك عن الصحابة ولاعن التابعين ولا عن الحسن البصرى مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم فلا يظهر لقوله عليه السلام فى الترمذى وسننه من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار معنى الاهذا النمط وهو ان يكون غرضه ورأيه تقرير امر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن عليه ويحمله عليه من غير ان يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية اونقلية اولغوية ولاينبغى ان يفهم من الحديث انه يجب ان لايفسر القرآن بالاستنباط والفكر فان من الآيات مانقل عن الصحابة والتابعين خمسة معان وستة وسبعة واكثر ونعلم قطعا ان جميعها غير مسموعة عن النبى صلى الله عليه وسلم فانها قد تكون متنافية لاتقبيل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الكفر ولذا قال عليه السلام لابن عباس اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل كما رواه احمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد ومن يستجيز من اهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بانه غير مراده بالالفاظ ويزعم انه يقصد بها دعوة الخلق الى الحق يضاهى من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو فى نفسه حق ولكنه لم ينطق به الشرع كمن يضع فى كل مسئلة يرى انها حق حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك ظلم وضلال ودخول فى الوعيد المفهوم من قوله عليه السلام فى الصحيحين من كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار بل الشر فى تأويلات هذه الالفاظ اطم واعظم لانها مبطلة للفقه بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية واما اذا اورد الالفاظ والمبانى على مراد الشرع من المعانى بحسب العبارات ثم ذاد على ظواهرها مما يستفاد من سرائرها بطريق الاشارات فذلك نور على نور وجمع بين بطون وظهور ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور (وفى الفروع) عطف على فى الاصول اى ومن حق العلم التمسك فى علم الفروع المسمى بالفقه (بالمجمع عليه) اى ان وجد اجماعا اوبالمتفق عليه بين الاربعة مثل تعجيل صلاة المغرب (ثم الاحوط) كمسح كل الرأس فان الخروج عن الخلاف مستحب بالاجماع وكذا اذا كان حنفيا ومس ذكره اولمس امرأة يتوضأ واذا كان شافعيا لايتوضأ من القلتين واذا رعف او افتصد اوفعل نحوه يتوضأ وهذه الطريقة السنية طريقة الصوفية حتى قيل ان هذا مذهب خامس فى القواعد الفقهية (ثم الاوثق) اى اذا لم يمكن الاحوط

للتعارض فيتمسك بالاقوى (دليلا) كالاسفار بالفجر دون الغلس ووضع اليمين دون الارسال وقد بينا الادلة بيننا و بين المخالفين معنا فى شرح النقاية والله ولى الهداية فى البداية والنهاية (ثم قول من ظن) اى اذا لم يكن مجتهدا اولم يظهرله دليل ولابدله ان يقلد فيتمسك بقول من غلب على ظنه (انه افضل) وفى مقام الفقه اكمل لان نفسه حينئذ ينقاد الى قوله ويخضع لرأيه و يتبادر الى امتثال امره ونهيه وزاد ابن حجر فى نسخة اصله قوله والعمل به اكيد وهذه زيادة فائدة ان صحت لها منفعة عائدة ثم قال وكل من ابى حنيفة ومالك والشافعى امتاز باقليم لايعرف فيه خيرا تباعه اكثر كاقليم الحجاز واليمن ومصر والشام وحلب وعراق العرب والعجم بالنسبة للشافعى وكالغرب على سعته بالنسبة الى مالك وكالروم والهند وماوراء النهر بالنسبة لابى حنيفة انتهى ولايخفى ان المغرب مختص بالامام مالك واما ماذكره من اقليم الحجاز ومابعدهم فمخلوط بالشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية فان الحنابلة موجودون فى النجد وتوابعه وكذا فى البصرة و بغداد والاحصاء ونواحيها واما شمس علم ابى حنيفة فقد اشرق على الشرق وغلب على فرق اكثر الفرق فان كثرة الاروام وغلبة الهنود والاعجام ربما يكون اضعافا مضاعفة على اتباع مالك والشافعى واظن ان الحنيفة تكون ثلثى اهل الاسلام كما يكون المؤمنين ثلثى اهل الجنة فى دار المقام ثم الكثرة اصل معتبر عند العلماء الاعلام كما يشير اليه ماروى عليكم بالسواد الاعظم والله اعلم (كابى حنيفة عندنا) معشر الحنفية وكغيره من الائمة الاربعة عند غيرنا فقد علم كل اناس مشربهم وتبع كل طائفة مذهبهم (فورد) اى من طرق لكنها كلها واهية (ابوحنيفة سراج امتى) حديث موضوع كما قاله الصغانى وغيره بل قال السيوطى ومايورد فى ذكر ابى حنيفة من الاحاديث فباطل كذب لااصل له ثم اخرج الشيخان عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال * لوكان العلم عند الثريا لتناوله رجال من ابناء فارس قال السيوطى هذا اصل صحيح يعتمد عليه فى البشارة بابى حنيفة وفى الفضيلة التامة له قلت مع زيادة كونه من التابعين اتفاقا على اختلاف فى انه هل روى عن الصحابة ام لا كما بينه فى شرح مسند الامام وقد ورد خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ومما يصلح للاستدلال به على عظم شان ابى حنيفة ماروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال * ترفع زينة الدنيا سنة خمسين ومائة ومن ثمة قال شمس الائمة الكردرى ان هذا الحديث محمول على ابى حنيفة لانه مات تلك السنة كذا ذكره ابن حجر المكى فى الخيرات الحسان فى مناقب ابى حنيفة النعمان وقد ثبت ان اباه ثابتا ذهب به الى على بن ابى طالب كرم الله وجهه وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفى ذريته (وسمع) بصيغة المجهول والمعلوم (فى المنام) انه عليه السلام قال بعدما قيل اين اطلبك يارسول الله (اناعند علم ابى حنيفة) وفى شرح ابن حجر وسمع فى المنام البارى تعالى يقول اناعند علم ابى حنيفة اى بالحفظ والقبول وانزال البركة فيه وفى الآخذين به (وسلم المخالفون) كمالك والشافعى وغيرهما (سبقه فى الفقه) اى غلبته فى هذا الفن اصولا وفروعا فقد قال الشافعى قيل لمالك هل رأيت اباحنيفة قال نعم رأيت رجلا لوكلمك فى هذه السارية اى يجعلها ذهبا لقام بحجته وهذا من كمال انصاف مالك مع علو مقامه هنالك وغاية مبالغة فى بلاغة الامام و بيان المرام فى جميع المقام وقال الشافعى الخلق كلهم عيال ابى حنيفة فى الفقه وفى رواية عنه من اراد ان يتجر فى الفقه فهو عيال على

ابى حنيفة وقال ايضا من أراد ان يعرف الفقه فليلزم اباحنيفة واصحابه ذكره ابن حجر وذكر ايضا ان الشافعى لما دخل بغداد وزار قبره وصلى عنده ركعتين فلم يرفع يديه فى التكبير وفى رواية ان الركعتين كانت الصبح وانه لم يقنت فقيل له فى ذلك فقال ليس ادبنا مع هذا الامام ان نظهر خلافه بحضرته والفضل ما شهدت به الاضداد وقال النضر بن اسميل كان الناس نياما عن الفقه حتى ايقظهم ابو حنيفة و دخل على امير المؤمنين المنصور وعنده عيسى بن موسى العابد الزاهد فقال للمنصور هذا عالم الدنيا فقال له المنصور عمن اخذت العلم قال عن اصحاب عمر وعن اصحاب على وعن اصحاب ابن مسعود فقال له المنصور لقد استوثقت وكان يقول اذا جاء الحديث عن رسول الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وعن اصحابه اخذنا بعض اقوالهم ولم نزاحمهم وعن التابعين فزاحمناهم فهم رجال ونحن رجال وذكر الامام الاسفرائينى باسناده الى على ابن المدينى وهو من اساتذة البخارى وهو الذى طعن فى حديث القلتين سمعت عبد الرزاق يقول قال معمر ما اعرف احدا بعد الحسن اى البصرى يتكلم فى الفقه احسن معرفة من ابى حنيفة ومجمل الكلام فى مرام هذا المقام ان تقليد الافضل افضل باتفاق علماء الاعلام وقيل بل يتعين ثم تقليد الاقدم فى الاستنباط اولى واتم فالامام الاعظم والهمام الاقدم هو ابو حنيفة فانه افضل زمانا واكمل شانا فانه من التابعين دون سائر المجتهدين ثم انه اقدم برهانا واتم بيانا لتقدمه واختصاصه بتدوين الفقه اصلا وفرعا فانه صور المسائل واجاب عنها واوضح الاسباب والعلل منها و بنى ما يتفرع عليها فهو الذى اخذ الماء من عين المأخذ وعض عليها بالنواجذ وغيره انما التقط ما من اقلامه سقط ومع هذا ينبغى ان لا يعتقد ان اصحابنا مصيبون قطعا وان مخالفيهم يخطئون جزما فان المجتهد يخطئ و يصيب والحق عند الله واحد على ما ذكر فى المصفى وشرح البزدوى ولا يتمكن المجتهد من اصابة الحق قطعا بل على غلبة الظن حتى اذا سئلنا عن مذهبنا ومذهب مخالفنا فى الفروع نجيب بان مذهبنا صواب يحتمل الخطأ ومذهب مخالفنا خطأ يحتمل الصواب على ما فى جواهر الفقه وغيره وهذا لا ينافى قولنا الاجمالى ان مذهب الاربعة حق لاتفاقهم على مأخذهم من الكتاب والسنة واما قول بعضهم يجب ان نجيب بما قدمنا فليس فى محله اذ لم يظهر دليل وجوبه نعم ينبغى ان يقول كذا بناء على غلبة ظنه ثم فى الاصول نقول نحن على الحق ومخالفنا على الباطل كالمعتزلة وامثالهم من اهل البدعة المنابذتهم ظواهر الكتاب والسنة (وكان يقوم كل الليل) بعد ان كان يحيى نصفه فاشار اليه انسان وهو يمشى فقال هذا هو الذى يحيى الليل كله فلم يزل بعده يقوم الليل كله وقال انا استحى من ان اوصف بعبادة ليست فى يعنى احترازا من دخوله فى قوله تعالى يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا (وسمع هاتفا) اى فى المنام كما قاله ابن حجر او بين النوم واليقظة كالالهام (فى الكعبة) اى بعد ان ختم القرآن فى ركعتين (ان يا ابا حنيفة اخلصت خدمتى واحسنت معرفتى فقد غفرت لك ولمن تبعك الى قيام الساعة) ذكر فى آخر خزانة المفتين انه حكى ان اباحنيفة لما حج حجة الوداع دخل الكعبة وقام بين العمودين على رجله اليمنى حتى قرأ نصف القرآن وركع وسجد ثم قام على رجله اليسرى وقد وضع قدمه اليمنى على ظهر رجله اليسرى حتى ختم القرآن فلما سلم بكى وناجى وقال الهى

ماعبدك هذا العبد الضعيف حق عبادتك ولكن عرفك حق معرفتك فهبه نقصان عبادته لكمال معرفته فهتف هاتف من جانب البيت قد عرفت واخلصت المعرفة وخدمت واحسنت الخدمة فقد غفرنالك ولمن تبعك وكان على مذهبك الى قيام الساعة انتهى ولايخفى ان الصلاة على قدم واحدة مكروهة فلعل فعله هذا قبل ان تتبين له هذه المسئلة او الكراهة مختصة بالفريضة فان امر النوافل مبنى على التوسعة وههنا اشكال آخر حيث قال الامام عرفناك حق معرفتك والمشهور على السنة العوام وسائر الاعلام ماعرفناك حق معرفتك والجواب انه اراد حق المعرفة قدر مااوجبه الله تعالى عليه بحسب الوسع والطاقة وانهم ارادوا نهاية المعرفة وغاية العلم المعبرعنه بالاحاطة وقدقال تعالى * ولايحيطون به علما * وقال * وما اوتيتم من العلم الاقليلا * ولايحيطون بشئ من علمه الابماشاء * واما العبادة حق العبادة المعبرعنه بالتقوى حق تقاته المعبربان يطاع ولايعصى ويذكر فلاينسى فكل احد عاجز عن ذلك كما اخبر الله به عنه بقوله تعالى * كلالما يقض مامره * فالانسان محل النسيان والمخلوق فى مقام النقصان والله المستعان وهو ضعيف لعموم قوله سبحانه فاسئلوا اهل الذكران كنتم لاتعلمون * وقوله عليه السلام اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ولذا قيل من تبع عالما لقى الله سالما * (وتلمذله كبار من المشايخ) مثل ابراهيم بن ادهم وفضيل بن عياض وداود الطائى وابن المبارك والليث بن سعدو الامام مالك على ماذكره ابن حجر ونحوهم لكن لايخفى ان تلمذ مالك لابى حنيفة غيرظاهر نعم قد يكون كل منهما اخذ عن صاحبه والله اعلم بحقيقة منصبهما واما مشايخه فذكر الكردرى ان اباحنيفة ادرك الامام محمد بن على بن حسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم ويسمى محمد الباقر لتبقره فى العلوم وتبحره وكذا ادرك ولده الامام جعفر الصادق وكذا زيد بن اسلم مولى امير المؤمنين عمر بن الخطاب وكذا ربيعة الراى شيخ الامام مالك وكذا شعبة بن الحجاج الذى يقال له امير المؤمنين فى الحديث ومنهم الامام الاوزاعى امام اهل الشام وكان من جلالته ان مالكا والثورى احدهما يقود حماره والآخر يسوقه ومنهم عطاء ابن ابى رباح المكى كان جعد الشعر اسودا فطس اشل اعور ثم عمى بعد ذلك قال ابوحنيفة مارأيت افقه من حماد ولااجمع من عطاء ومنهم ابو بكر بن عاصم بن ابى النجود بفتح النون وضم الجيم الامام فى القراءة تابعى جليل القدر ومنهم عامر بن شرحبيل الشعبى قال ادركت خمسمائة من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وكان يعجبه هذا البيت (شعر) ليست الاحلام فى حال النهى * انما الاحلام فى حال الغضب * قلت وهو مقتبس من قوله عليه السلام الصبر عند الصدمة الاولى وفى الجملة بلغ عدد مشايخ امامنا اربعة آلاف واما اصحابه فلاتعد ولاتحصى بلاخلاف وقد نظم بعضهم هذا المعنى تحسينا للمبنى (شعر) خذا مذهب النعمان خيرالمذاهب * كالقمر الوضاح خيرالكواكب * تفقه فى خيرالقرون مع التقى * فشمر به لاشك خيرالمشارب * ثلاثة آلاف والف شيوخه * واصحابه مثل النجوم الثواقب * (وتحمل لتقلد القضاء) بان يكون قاضى قضاة جميع الدنيا وكذا لتولية مفاتيح خزائن بيت المال شرقا وغربا وعجما وعربا (ماتحمل) اى من الضرب والحبس والشتم ايثارا لعذاب الدنيا على عقاب العقبى من كمال التقوى وعن امام احمد انه ذكر ابا حنيفة فقال كان زاهدا ورعا وضرب على القضاء احدى وعشرين

سوطا فابى وعن سهل بن مزاحم بذلت له الدنيا بحذا فيرها وضرب عليها بالسياط فلم يقبلها من قليلها ولا كثيرها (وماخالط الظلمة) اى باختياره (وماقبل منهم شيئا) لكمال اقتداره فعن النضر بن محمد الرقى قال لقيته ببغداد وانا از يد الكوفة فقال قل لابنى حماد قوتى فى الشهر درهمان من سويق وقد حبسته عنى فعجله الى وكان فى ذلك اليوم حبسه المنصور للقضاء ببغداد وروى ان المنصور كان يريدان يقرب الامام فيقول الامام لاانك ان قربتنى افتننى وان ابعدتنى احزننى وليس عندك ما ارجوك له وليس عندى ما اخافك عليه واناغنى بمن اغناك فلن اغشاك فيمن يغشاك ومثله ذكر عن الامام محمد بن الحسن انه قال لعيسى بن موسى والى الكوفة وزاد فى آخره مما انشأ قائلا (شعر) * كسرة خبز وقعب ماء * وفردثوب مع السلامة * خير من العيش فى نعيم يكون من بعده ندامة * ثم ماذكرنا من افعال المنصور بالامام فعل يزيد بن هبيرة والى الكوفة مثله ايضا فى زمان المراونة كما رواه العسكرى وغيره عن يحيى بن اكثم عن ابى داود قال اراد ابن هبيرة ان يولى الامام قضاء الكوفة فابى فحلف ابن هبيرة ان لم يقبله يضربه بالسياط على رأسه ويحبسه فحلف الامام على انه لايلى منه فقيل له انه حلف على ان يضربك قال ضربه فى الدنيا اهون من معالجة مقامع الحديد فى العقبى والله لافعل ولو قتلنى فقيل انه حلف لايخليك وانه يريد بناء قصر فتول له عد اللبن فقال لوسألنى ان اعدله ابواب المسجد مافعلت فذكر للامير فقال ابلغ قدره ان يعارضنى فى اليمين فدعاه فشافهه وحلف ان لم يقبل يضرب على رأسه عشرين سوطا فقال اذكر مقامك بين يدى الله تعالى فانه اذل من مقامى هذا ولاتهددنى فانى اقول لااله الاالله محمد رسول الله والله يسألك عنى حيث لايقبل منك الجواب الابالحق فاومأ الى الجلاد ان امسك وبات فى السجن واصبح وقد انتفخ وجهه ورأسه من الضرب وعن ابن المبارك ان الرجال فى الاسم سواء حتى يقعوا فى البلوى فقد ضرب ابو حنيفة على رأسه فى السجن حتى يدخل فى الحكم فصبر على الذل والضرب فى الحبس طلبا للسلامة فى دينه وعن ابى عبدالله بن حفص الكبير البخارى ان الفتنة لما ظهر بخراسان دعا ابن هبيرة العلماء كابن ابى ليلى وابن شبرمة وداود بن هند وولى كل واحد منهم شيئا من عمله وعرض على ابى حنيفة ان يكون الخاتم فى يده لاينفذ كتابا الا من تحت امره فابى فحلف الامير انه ان لم يله نضربه فى كل جمعة سبعة اسواط فقال الفقهاء لابى حنيفة انا اخوانك تناشدك على ان لاتهلك نفسك وكلنا نكره عمله ولكن لم نجد بدا منه فقال لو اراد منى ان اعد ابواب مسجد واسط لم اعدله فكيف وهو يريد منى ان يكتب فى دم رجل واختم له والله لاادخل فى ذلك فقال ابن ابى ليلى دعوه فانه مصيب فحسبه الشرطى جمعتين وضربه اربعة عشر سوط ثم اجتمع مع الامير فقال الاناصح لهذا ان يستمهلنى فاستمهله وقال اشاورا خوانى فخلاء فهرب الى مكة فى سنة مائة وثلاثين الى ان صارت الخلافة للعباسية اقام بهما فقدم الكوفة فى زمن المنصور فعظمه وامر له بجائزة عشرة آلاف الف درهم وجارية فلم يقبلها وروى انه كان يمثل كثيرا

﴿ شعر ﴾

* اعط ذى العرش خير من عطائكم * وسيبه واسع يرجى وينتظر *
* انتم بكدر ماتعطون منكم * * والله يعطى فلا من ولا كدر *

وروى انه لما ارسل اليه ابو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم على يد الحسن بن قحطبة ولم يمكنه ردها اوصى ابنه حمادا انه اذا مات ودفن يردها للحسن ففعل فقال رحمة الله على ابيك لقد كان شحيحا على دينه (وما اشتغل بالدعوة) اى بدعوة الناس الى مذهبه (الا بالاشارة النوية فى المنام) اليه ليدعوهم الى مذهبه (بعدما قصد الانزواء اى الاستخفاء عن الانام وحكاية رؤيا الامام مشهورة بانه ينبش قبره عليه السلام ويؤلف العظام الكرام بوضع بعضها فى موضع مناسب للمقام فعبر ابن سيرين من اجلاء التابعين للمنام ان صاحبها رجل يحيى به الله سنن الاسلام مما اميتت فيما بين الانام والا ظهر ان يقال مما تفرقت بين الصحابة الكرام والتابعين العظام فجمعها الامام ورتبها اصولا وفروعا يلتئم به الاحكام على وجه الاحكام (وما استظل بحائط المديون حين اتاه متقاضيا) اى طالبا لقضاء دينه فعن يزيد بن هارون رأيته يوما بفناء دار غريم له قد قام فى الشمس فانكرت فقال لى على مالكه مال اخاف ان اجلس فى ظله ومثله عن يحيى بن زائدة الا انه قال حلفته بالله العظيم عن مانع الاستظلال فقال ان اخاف يكون قرضا جر منفعة قال وما اراه على الناس لكن على العالم ان يأخذ بعلمه اكثر مما يد عوا اليه والمعنى انه ينبغى له ان يعمل بالتقوى لا بظاهر الفتوى كما يشير اليه قوله عليه السلام استفت قلبك وان افتاك المفتون وقد اغرب شمس الائمة حيث ردهذا فى كتاب الصرف وقال انه من التكلف لا من التزهد انتهى وهذا جرأة عظيمة منه وجريمة وجسيمة عنه ومما يرد عليه ماذكر فى صفات الصالحين ان امرأة سألت الامام احمد ان سموع آل طاهر تعبر من محلنا وتغزل فى ضوئه ونحن على السطوح طاقة او طاقتين فهل يحل لنا ممن ذلك الغزل فقال الامام احمد من انت قالت اخت بشر الحافى قال مازال هذا الورع الصافى يخرج من آل بشر فعلم بهذا ان دقائق الورع مما لا غاية لها ولا نهاية فلا يقاس الملوك بالحدادين (وتصدق بجميع مال اتى به وكيله لما خلط به ثمن ثوب معيب مبيع مخفيا كان حفص بن عبد الرحمن شريك الامام فبعثه الى تجارة وقال له فى ثوب كذا عيب فباع بلا بيانه وجاء بربح فتصدق بحصته وفاسخه الشركة قال المرغينانى وكان الربح خمسة وثلاثين الف درهم وعن ابن المبيح انه قال الامام ماملكت اكثر من اربعة آلاف درهم منذ اكثر من اربعين سنة الا اخر جتها وانما مسكتها لقوله على رضى الله عنه ار بعة آلاف درهم ومادونها نفقة ولولا انى اخاف ان التجئ الى هؤلاء ماتركت واحدا منها (وترك لحم الغنم) اى اكله (لما فقدت شاة فى الكوفة) فعن ابن المبارك وقعت اغنام من الغارة فى الكوفة فسأل عن مدة حياة الغنم فقيل سبع سنين فما اكل اللحم سبع سنين وهذه المذكورات بعض مناقبه ونذرة يسيرة من جملة مراتبه منضمة (الى مناقب) اى كثيرة (يعسر تعدادها) اى قصد استيفاء ايرادها وقد خصصت مناقبه العلية ومناقب اصحابه الجليلة وذيلته بطبقات اتباعه الحنفية وسميته بالاثمار الجنية فى الاسمار الحنفية واختصرت على مناقب الامام هنا تبعا للمصنف اختصار اوقد اوردت مناقب الامام فى شرح المشكوة استكثارا

﴿ الباب الاول فى الورد ﴾

اصل الورد قصد الماء ومنه قوله تعالى * ولما وردماء مدين * والماء المرشح المعد المهيأ

للورود ومنه قوله سبحانه * بئس الورد المورود * و يسمى كل قول وفعل يأتيه الانسان في وقت معين على وجه مبين ورداو هو المراد هنا واما حديث صاحب الورد ملعون وتارك الورد ملعون فباطل لااصل له (ورد) اى فى قوله تعالى (وماخلقت الجن والانس الاليعبدون) اى ليعرفونى فيعبدونى اولي يعرفونى فيعرفونى كماهو شأن المراد والمريد فى مسالك المناسك المعبر عنهما بالمجذوب والسالك (وهى) اى العبادة المأخوذة من يعبدون (انواع) اى اصناف ستة (منها الصلاة) وهى افضلها واكملها واشملها واجلها (فورد ماافترض الله على خلقه بعد التوحيد) اى الايمان بالله ورسوله (احب اليه من الصلاة) كذا فى الاحياء معزيادة ولوكان شئ احب اليه منها لتعبد به الملائكة فمنهم راكع ومنهم ساجد وقائم وقاعد وقال العراقى لم اجده هكذا وآخر الحديث عند الطبرانى من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر (من ترك الصلاة متعمدا فقدكفر) البزار من حديث ابى الدرداء باسنادفيه مقال ذكر العراقى فى رواية الطبرانى عن ابن عباس من ترك الصلاة لقى الله وهو عليه غضبان وفى الاوسط عن انس من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا (اى قارب الكفر) لان المعاصى بريده (يقال دخل البلدة لمن قاربها) فالمراد به المعنى المجازى المعبر عنه بالبشارة خلافا للخوارج ومن تبعهم فى حمله على الكفر الحقيقى اومعناه كفر نعمة الله بترك عبادة مولاه اوعمل عمل الكفرة اوكفر فى عاقبة امره اومحمول على مستحل تاركه اومنكر فرضيته وفى رواية احمد والبيهقى من حديث ام ايمن ورجال اسناده ثقات من ترك الصلوة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم وفى رواية الطبرانى فى الاوسط من حديث انس اول مايحاسب به العبد الصلاة فان فسدت فسد سائر عمله والاحاديث فى هذا الباب كثيرة شهيره وناهيك فى شرفها قوله تعالى * ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر * (وحقها) اى حق الصلوة اللائق بها (ان يطهر الظاهر) اى ظاهره (عن الحدث) اى النجس الحكمى من الاصغر والاكبر بدنا (والنجس) اى الحقيقى المسمى بالخبث بدنا وثوبا والنجس بالفتح عين النجاسة و بالكسر المتنجس (والجوارح عن الجريمة) اى واعضاء عن اكتساب الاعمال الظاهرة الذميمة (والقلب عن الذميمة) اى الاخلاق الباطنة الدنية والاحوال الواردة الردية (والسر) اى الذى لايطلع عليه الا الله (عما سواه تعالى) اى يطهره عن حضور غيرالله وخطوره الاستهلاك غيره فى جنب تجلى نوره والغاية القصوى فى عمل السران ينكشف له جلال الله وعظمته ولن تحل معرفة الله بالحقيقة فى السر مالم يرحل ماسوى الله تعالى عنه ولذا قال عزوجل * قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون * لانهما لايجتمعان فى قلب واحد وماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه واما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالعقائد السنية السنية وبالشمائل البهية الرضية ولم يتصف بها مالم ينظف عن نقايضها من العقائد الفاسدة والاخلاق الكاسدة فتطهيرها احد الشطرين وهو الشطر الاول الذى هو شرط فى الثانى فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعنى وكذا تطهير الجوارح عن المناهى والملاهى احد الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثانى وخلاصته ان التخلية نصف الايمان والتحلية نصف الايقان و بهما كمال العرفان فهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة من طبقات الاتقان ولن ينال العبد الطبقة العالية الاان يجاوز الطبقة السافلة فلايصل الى طهارة السر عن الصفات

المذمومة وعمارته بالمحمودة مالم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذمومة وعمارته بالخلق المحمودة ولن يصل الى ذلك مالم يفرغ عن طهارة الظواهر عن المناهى وعمارتها بالطاعات كما هى وكما عز المطلوب وشرف المحبوب صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلاتظن ان هذا الامر يدرك بالمنى و ينال بالهوينا قال تعالى * ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب * الآية (هذا) اى المذكور من الطهارة فى كل رتبة (نصف) اى نصف حق عمل الصلوة (والآخر) اى النصف الثانى (هو العمارة بالطاعة ظاهرا و باطنا) اى عمارة الجوارح والجوانح بالعبادة المختلفة من القيام والقراءة والركوع والسجود والقعود وسائر الاحوال المؤتلفة (فورد الطهور) بفتح الطاء وضمها بمعنى المصدر او ما يطهر به (نصف الايمان) احمد ومسلم والترمذى عن ابى مالك الاشعرى فى حديث طويل والمعنى ان الايمان يطهر نجاسة الباطن والطهور يطهر نجاسة الظاهر كذا فى النهاية وقيل المراد بالايمان الصلوة كما قال تعالى * وما كان الله ليضيع ايمانكم * اى صلاتكم الى بيت المقدس فيراد بنصفها شطرها و بعضها فانه اقوى شرطها (والاصل) اى فى التطهير الذى عليه مدار العمل (طهارة الباطن) لانه محل النظر الالهى حيث ورد ان الله لاينظر الى صوركم و اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واحوالكم (فهم) اى الصحابة (كانوا يبالغون فيها) اى فى طهارة الباطن (و يساهلون فى الظاهر) اى يتسامحون فى طهارة الظاهر (حتى كانوا) اى احيانا (يمشون خفاة) اى بلانعل (فى الطين) اى طين الازقة و يجلسون عليها (ويصلون معه) اى من غير غسله و يأكلون من دقيق البر وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولايحترزون عن عرق الابل والخيل والحمير مع كثرة تمرغها فى النجاسات وقد انتهت النوبة الآن الى طائفة يمعن احدهم فى طهارة الظاهر و يستقصى فى مجاريها و يستوعب جميع اوقاته فى الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخبل العقل ان الطهارة المطلوبة المشرفة هى هذه فقط وجهالة بسيرة الاولين و استغراقهم جمع الهم والفكر فى تطهير القلب وتساهلهم فى امر الظاهر حتى ان عمر رضى الله عنه مع علو منصبه توضأ من ماء فى جرة نصرانية وحتى انهم ماكانوا يغسلون اليد من الدسمات والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان ونحوه من الغسول والصابون من البدع المحدثة وكانوا يقتصرون على الحجارة فى الاستنجاء (وصلى عليه السلام متنعلا) اى لابسا نعله اى مرة (فاخبر) اى اخبر جبريل عليه السلام (بتلطخ) اى باصابة نجاسة (فنزع) اى نعله بعمل قليل (واتم) اى صلاته من غير استيناف ولااعادة والحديث رواه ابوداود والحاكم وصححه من حديث ابى سعيد الخدرى وقد قال بعضهم الصلاة فى النعلين افضل اذلما نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعليه باخبار جبريل عليه السلام له ان عليها نجاسة وخلع الناس نعالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم خلعتم نعالكم قالوا رأينا ك خلعت فخلعنا نعالنا وقال النخعى فى الذين يخلعون نعالهم وددت لو ان محتاجا جاء فاخذها منكر الخلع النعال واما اهل زماننا فلو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر اومشى على الارض حافيا اوصلى على الارض اوعلى بوارى المسجد من غير سجادة مفروشة اومشى على الفرش من غير غلاف القدم من ادم

ونحوه او توضأ من آنية عجوز او رجل غير متقشف اقاموا عليه النكير ولقبوه بالقذر واستنكفوا عن مؤاكلته واستكرهوا عن مخالطته فسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه ولم يبق الا اسمه ورسمه (ولكن للظاهر) اى لطهارته ايضا (اثر في تنوير الباطن) للارتباط الذي بينهما ولذا قيل الظاهر عنوان الباطن حتى ان المجامع في حال مباشرته لو ادمن النظر الى بياض مشرف او حمرة فائقة الى ان غلبت تلك الصورة على نفسه مال لون المولود الى ذلك اللون الذي غلب عليه وان الجنين اذا تحوك في البطن وكانت الام مشاهدة في تلك الحال لصورة حسنة من الجمال بحيث غلبت تلك الصورة على نفسها في علم الخيال من باطنها نزعت صورة ذلك الجنين الى تلك الصورة الحسنة التي شاهدتها امه فعلم من هاتين الصورتين ان للظاهر اثرا في عالم الباطن (كما يصادف) اى يوجد اثره (عند اسباغ الوضوء) بفتح الواو او ضمها اى اكماله واسباغه (وسائر الاعمال الظاهرة) اى حيث تتأثر بها الاحوال الباطنة (لارتباط الملك) اى عالم الظاهر السفلي (بالملكوت) وهو عالم الباطن العلوي كما اذا كان شخص يرشح كل يوم بالماء جانب جداره البراني فلا شك ان اثر ذلك الترشيح يظهر في الجدار من جانب الطرف الداخلاني وقد ورد مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار عذب على باب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فما يبقى ذلك من الدنس احمد ومسلم عن جابر وفي الاحياء ان الانسان اذا اسبغ الوضوء واستشعر نظافة ظاهره وجد في قلبه صفاء او انشراحا لم يكن يصادفه قلبه وذلك النظافة العلاقة التي بين عالم الشهادة وعالم الملكوت فان ظاهر الانسان من عالم الملك والشهادة وقلبه من عالم الملكوت والغيب فان كنت لا تصادف بعد الطهارة واسباغ الوضوء شيئا من الصفاء الذي وصفناه فاعلم ان الجدار الذي استولى على قلبك من كدورات شهوات الدنيا وشواغلها اقتضى كلال حس القلب فصار باللطائف والاشياء الخفية ولم يبق في قوته الا ادراك الامور الجلية فاشتغل بجلاء قلبك وتصفية باطنك فان ذلك اوجب عليك من كل شيء انت فيه (ومن ثمة) اى ومن اجل ارتباط الملك بالملكوت (تصدق رؤيا من اعتاد الصدق) اى وتكذب رؤيا من اعتاد الكذب كما قيل كل اناء يترشح بما فيه (فتداوم) تفريع على قوله لكن للظاهر اثر في تنوير الباطن والمعنى اذا كان كذلك فتواظب (على الوضوء) فقد وردت دم على الطهارة يوسع عليك الرزق بل ينبغي ان يجدد الطهارة لكل صلوة كما كان يفعله عليه السلام نظرا الى ظاهر الآية وانما صلى عليه السلام عام الفتح خمس صلوت بوضوء واحد فسأله عمر عن ذلك فقال عمدا صنعت يا عمر يعني ليعرف انه ليس بفرض فتقدير الآية اذا قمتم الى الصلاة وانتم محدثون لان الاصل في الامر ان يكون للوجوب ولحديث من توضأ على طهر كتب الله له عشرا حسنات ابو داود والترمذي وابن ماجة من حديث عمر باسناد ضعيف والضعيف يعمل به في فضائل الاعمال اتفاقا مع ان كثرة الطرق ترقي الضعيف حسنا وفاقا واما حديث الوضوء على الوضوء نور على نور فقال العراقي لم اجد له اصلا وتعقبه العسقلاني بقوله رواه رزين في مسنده وهو حديث ضعيف و ينبغي ان يستنجي لمقعدته بثلاثة احجار فان انقى بها كفى والا استعمل رابعة فان انقى بها والا استعمل خامسة لان الانقاء واجب والايتار مستحب قال عليه السلام

من استجمر فليوتر متفق عليه من حديث ابى هريرة فيأخذ الحجر بيساره ويضعها على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمرها بالمسح والادارة الى المؤخرة ويأخذ الثانية ويضعها على المؤخرة وكذا يمرها الى المقدمة ويأخذ الثالثة فيديرها حول المسربة ادارة ثم يأخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلاثا فى ثلاثة مواضع اوفى ثلاثة احجار اوفى ثلاثة مواضع من جدار جازله ذلك الى ان لا يرى رطوبة فى محل المسح ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع آخر ويستنجى بالماء بان يفيضه على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى له اثر تدركه الكف بحس المس ويجزئ الاستقصاء فيه بالتعرض للباطل فان ذلك ينبع للوسواس لاكثر الناس ويقول عند دخوله فى المطهر بسم الله اللهم انى اعوذ بك من الخبث والخبائث واذا فرغ عنه غفرانك الحمد لله الذى اذهب عنى مايؤذينى وابقى على ماينفعنى واذا فرغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبى من النفاق وحصن فرجى من الفواحش والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روى انه لما نزل قوله تعالى ﴿ فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء ماهذه الطهارة التى اثنى الله بها عليكم فقالوا كنا نجمع بين الماء والحجر كذا فى الاحياء وقال العراقى الحديث فى اهل قباء وجمعهم بين الماء والحجر والبزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن ماجة والحاكم وصححه من حديث ابى ايوب وجابر وانس فى الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر فقول النووى تبعا لابن الصلاح ان الجمع بين الماء والحجر فى اهل قباء لا يعرف مردود بما تقدم والله اعلم (ويتوضأ بعد) نحو (الغيبة) وهى بكسر الغين ان تذكر اخاك بما يكرهه فى الغيبة وقد ورد الغيبة تنقض الوضوء والصلوة رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عمر وفى معناها الكذب والنميمة وسائر الاقوال الذميمة بل قال بعض المشايخ اذا ذكرت الدنيا اتوضأ واذا ذكرت الآخرة اتغسل يعنى ان الدنيا هى الشهوة الصغرى والعقبى هى الكبرى وكل منهما مانع عن كمال التوجه الى حضرة المولى وفى شرح المنية والمستحب ان يتوضأ لكل صلوة وان كان على طهارة لانه ربما جرى على لسانه كذب اوغيبة اوسيئة بها يأثم قلبه فينبغى ان يجدد الوضوء لدفع ذلك كما يتوضأ لدفع الحدث الظاهر فان كان لا يمكنه الوضوء فانه يتيمم وينوى بتيممه رفع الاثم وفى العوارف تجديد الوضوء مستحب بشرط ان يصلى بالوضوء ماتيسر والا فكروه (والقهقهة وان لم تكن فى الصلوة) اى فانها اذا كانت فى الصلوة تنقض الوضوء عندنا (ولكل صلوة قبل الوقت) عملا بقوله تعالى ﴿ وسارعوا الى مغفرة من ربكم ﴾ الآية فى شرح السنة من المستحب اذا فرغ من البول اوالغائط ان يتيمم الى ان يبلغ الماء فيتوضأ هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى الاحياء فى بيان طول الامل وقصره انه عليه السلام كان يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضى ساعة وقال لعلى لا ابلغه وحكى عن ذى النون المصرى انه كان على شط النيل يتيمم ويقول اخاف ان يدركنى الموت قبل ان توضأ كافى شرح السنة (وبملء الاناء للآتية) اى استعداد للصلاة الآتية ويكره ان يستخلصها لنفسه كذا فى السراجية (وبطيل الغرة والتحجيل) اى عند غسل وجهه ويديه ومرتقبه والغرة بياض الجبهة والتحجيل بياض قوائم الفرس ونحوه وقد ورد ان هذه الامة يحشرون

يوم القيمة غرا محجلين من آثار الوضؤ وقال عليه السلام من استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل متفق عليه من حديث ابى هريرة وروى يبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء اخرجه مسلم من حديثه (ويستقبل القبلة اى حين الوضؤ فورد اشرف المجالس ما استقبل به القبلة الطبرانى عن ابن عباس (ولايستعين بغيره) اى مهما امكن فانه افضل اذا لاجر على قدر المشقة (ولايتكلم بكلام الدنيا والبشر) اى فى اثناء الوضوء وفى فتاوى الحجة التكلم فى اثناء الوضوء مكروه وفى الاغتسال اشد كراهة وفى العوارف ادب الصوفية فى الوضوء حضور القلب فى غسل الاعضاء سمعت بعض الصالحين يقول اذا حضر القلب فى الوضوء يحضر فى الصلاة واذا دخل السهو فيه دخلت الوسوسة فى الصلوة وينوى رفع الحدث او استباحة الصلوة او القربة الى الله سبحانه ويبدأ بتسمية الله فقدورد لاوضوء لمن لم يسم الله الترمذى وابن ماجة من حديث سعيد بن زيد احد العشرة والتسمية فى اول الوضوء سنة عند الجمهور وواجب عند احمد بهذا الحديث ويستحب ان يقدم على البسملة التعوذ ويقول اعوذبك من همزات الشياطين واعوذبك رب ان يحضرون بسم الله العظيم والحمد لله على دين الاسلام ويغسل يديه ثلاثا قبل ان يدخلهما الاناء لقوله عليه السلام اذا استيقظ احدكم من منامه فلا يغمس يده فى الاناء حتى يغسلها ثلاثا فان احدكم لايدرى اين باتت يده مالك والشافعى واحمد والشيخان والاربعة عن ابى هريرة ويقول عند غسل يده اللهم انى اسألك اليمن والبركة واعوذبك من الشؤم والهلكة ثم يتمضمض ثلاثا ويبالغ فيه الا ان يكون صائما كما ورد به الخبر ويقول اللهم اعنى على ذكرك وشكرك وتلاوة كتابك ويستنشق ثلاثا ويقول اللهم ارحنى رائحة الجنة مع الابرار واعذنى بك من روائح اهل النار ويستنثر ثلاثا فورد اذا استيقظ احدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاث مرات فان الشيطان يبيت على خياشيمه الشيخان عن ابى هريرة ويغسل وجهه ثلاثا ويقول اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك ولاتسود وجهى يوم تسود وجوه اعدائك (ويفتح العين) اى عند غسل الوجه هو غير معروف بل قيل انه فيه خطر العمى فهو حرج مدفوع عنه ثم يدخل الاصبع اقى محاجز العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما فقدروى انه عليه السلام فعل ذلك اخرج احمد من حديث ابى امامة كان يتعاهد المأقين وروى الدار قطنى من حديث ابى هريرة باسناد ضعيف اشربوا الماء اعينكم اى حواليها لما تقدم والله اعلم ويغسل اللحية الخفيفة والكثيفة و يخللها فقدورد خللوا لحاكم وقصوا اظفاركم فان الشيطان يجرى بين اللحم والظفر الخطيب فى الجامع وابن عساكر عن جابر ويجب ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة اعنى مايقبل من الوجه واما الكثيفة فلا بل يفيض الماء على ظاهر ماانسترسل من اللحية وقدورد كان عليه السلام اذا توضأ خلل لحيته بالماء رواه احمد والحاكم عن عائشة وفى رواية ابى داود والحاكم عن انس كان اذا توضأ اخذ كفا من ماء فادخله تحت حنكه فخلل به لحيته وقال هكذا امرنى ربى وفى رواية ابن ماجة عن ابن عمر كان اذا توضأ عرك عارضيه بعض العرك ثم شبك لحيته باصابعه من تحتها والعرك المعالجة والدلك ثم يغسل يديه مع مرفقيه ثلاثا فوردانه عليه السلام اذا توضأ ادار الماء على مرفقيه الدار قطنى عن جابر وفى رواية ابن ماجة عن ابى

رافع كان اذا توضأ حرك خاتمه ويبدأ باليمنى ويقول اللهم اعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا وعند اليسرى اللهم اعوذبك ان تعطينى كتابى بشمالى او من وراء ظهرى ثم يستوعب رأسه بالمسح ويقول اللهم غشنى برحمتك وانزل على من بركاتك واظلنى تحت عرشك يوم لاظل الا ظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما و يقول اللهم اجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعنى منادى الجنة ثم يمسح الرقبة لقوله عليه السلام مسح الرقبة امان من الغل يوم القيمة ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر وهو ضعيف و يقول اللهم فك رقبتى من النار واعوذبك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا و يقول اللهم ثبت قدمى على الصراط يوم تزل فيه الاقدام و يقول عند غسل اليسرى اللهم اعوذبك ان تزل قدمى على الصراط يوم تزل اقدام المنافقين فى النار و يخلل باليد اليسرى من اصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى و يختم بالخنصر من الرجل اليسرى فقد ورد خلل اصابع يديك ورجليك احمد عن ابن عباس وفى رواية الدار قطنى عن ابى هريرة خللوا بين اصابعكم لايخللها الله يوم القيمة بالنار وفى رواية الطبرانى عن واثلة من لم يخلل اصابعه بالماء خللها الله بالنار يوم القيمة (و يسمى فى كل عضو) وقيل و يسلم ايضا على النبى صلى الله عليه وسلم (و يتشهد فيه) اى فى كل عضو ففى المحيط من الادب ان يقول عند كل عضو اشهد ان لااله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله (و بعد الفراغ) اى و يتشهد بعد فراغ الوضوء ايضا فقد ورد من توضأ فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم و بحمدك لا اله الا انت عملت سوء اوظلمت نفسى استغفرك واتوب اليك فاغفرلى وتب على انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى من عبادك الصالحين واجعلنى عبدا صبورا شكورا واجعلنى اذكرك ذكرا كثيرا واسبحك بكرة واصيلا يقال ان من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله و يقدسه و يكتب له ثواب ذلك الى يوم القيمة كذا فى الاحياء وقال العراقى حديث من توضأ باحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء ابو داود من حديث عقبة بن عامر وهو عند مسلم دون قوله ثم رفع (و يشرب بقية الماء) اى فضل الوضوء كله او بعضه (قائما مستقبلا) لما ورد فى اثر على موقوفا ومرفوعا فعن شمس الائمة الحلوانى وان شاء قائما وان شاء قاعدا وذكر شيخ الاسلام المعروف بخواهرزاده انه يشرب ذلك قائما ولايشرب قائما الا فى موضعين احدهما هذا والثانى عند زمزم والله اعلم (و يسرح اللحية بعده) اى بعد فراغ الوضوء الترمذى فى الشمائل من حديث انس كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته وفى الشمائل ايضا باسناد حسن انه عليه السلام كان يترجل غبا وعند ابى داود والترمذى والنسائى من حديث الله بن مغفل النهى عن الترجل الا غبا باسناد صحيح وفى الخبر المشهور انه عليه السلام كان لايفارقه المشط والمدرى والمرآة فى سفر ولاحضر وهى سنة العرب كذا فى الاحياء والمدرى القرن يقال له ادرى رأسه حكه قال العراقى حديث كان لايفارق المشط والمدرى فى سفر ولاحضر ابن طاهر فى كتاب صفة التصوف من حديث ابى سعد كان لايفارق

مصلاه سواكه و مشطه ورواه الطبرانى فى الاوسط من حديث عائشة واسنادهما ضعيف قال الحجة وفى حديث غريب انه كان يسرح لحيته فى اليوم مرتين وقال العراقى تقدم حديث انس كان يكثر تسريح لحيته وللخطيب فى الجامع من حديث الحاكم مرسلا كان يسرح لحيته بالمشط وكان عليه السلام كف اللحية قدملأت مابين منكبيه وكذلك كان ابو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها وكان على عريض اللحية قدملأت مابين منكبيه ذكره فى الاحياء وقال العراقى حديث كان كث اللحية الترمذى فى الشمائل من حديث هند بن ابى هالة ابونعيم فى دلائل النبوة من حديث على واصله عند الترمذى قال وفى حديث اغرب منه قالت عائشة رضى الله عنها اجتمع قوم الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فرأيته يتطلع فى الجب يسوى من رأسه ولحيته فقلت اوتفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب من عبده ان يتجمل لاخوانه اذا خرج اليهم قال العراقى ابن عدى وقال حديث منكر هذا وقيل لداود الطائى لم لاتسرح لحيتك قال انى اذا الفارغ وفى قوت القلوب قال السرى فى اللحية شرك ان كان تسريحها لاجل الناس وتركها لاجل اظهار الزهد رياء وقال لو دخل على داخل فمسحت لحيتى لاجله لظننت انى مشرك وتحقيقه ماقال الحجة ان الجاهل ربما يظن ان فعله عليه السلام ذلك من حب التزين للانام قياسا على اخلاق غيره فى الدين وتشبيها للملائكة بالجادين وهيهات فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمورا بالدعوة وكان من وظائفه ان يسعى فى تعظيم امر نفسه فى قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم وفى تحسين صورته فى اعينهم كيلا تستصغره اعينهم فينفرهم ذلك و يتعلق المنافقون بذلك فى تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم يتصدى لدعوة الخلق الى الحق وهو ان يراعى من ظاهره مالا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد فى مثل هذه الامور على النية فانها فى انفسها اعمال تكتسب الاوصاف من المقصود فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث باللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو اهم منه محبوب ومشكور وهذه احوال باطنة بين العبد و بين الله تعالى والناقد بصير والتلبيس غير رايج عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى هذه الامور التفاتا الى الخلق وهو يلبس على نفسه وغيره و يزعم ان قصده الخير فيرى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة و يزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة والمخالفين والتقرب الى رب العالمين وهذا امر ينكشف يوم تبلى السرائر و يوم يبعث من فى القبور و يحصل مافى الصدور * فعند ذلك تميز السبيكة الخالصة من النبهرج فنعوذ بالله من الخزى يوم الفزع الاكبر (و يجتنب اناء يتأذى من ريحه الملائكة كالصفر) ومثله النحاس تبع الاحياء لكن وردانه عليه السلام كان يعجبه ان يتوضأ من مخضب من صفر ابن سعد عن زينب بنت جحش لكن يؤيده بما فى شرح السنة من الادب ان يتوضأ من اناء الخزف ولا يتوضا من النحاس والصفر لان الوضوء به منهى عنه وفيه ايضا روى عن ابن عمر انه كره الوضوء فى اناء صفر وفى الشرعة لا يتوضأ من اناء نحاس وصفر قالوا الملائكة تنفرون من ريحهما (والماء المشمس) اى و يجتنبه لانه يورث البرص اذا كان فى اناء نحو الصفر فى بلاد حارة وهذا فى الاوانى دون الحياض وفى الاحياء ويكره ان يتوضأ فى اناء صفر وان يتوضأ بالمشمس وذلك من جهة الطب وروى عن ابن عمر وابى هريرة

كراهية الاناء الصفر وقال بعضهم اخرجت لشعبة ماء فى اناء صفر فابى ان يتوضأ منه ونقل كراهية ذلك عن ابن عمر انتهى وفى الشرعة لايتوضأ بالماء المسخن بالشمس وفى درر البحور ولايكره الوضوء بالماء المسخن بالجاسات وبه قال ابو حنيفة خلافا لمالك واحمد ولابماء زمزم وبه قال ابو حنيفة ومالك خلافا لاحمد ولابأس بالمشمس فى البرك والبحار والانهار وقافا (والاسراف فى الماء) قال تعالى * ولاتسرفوا انه لايحب المسرفين * وتوضأ عليه السلام ثلاثا وقال من زاد فقد ظلم واساء ابو داود والنسائى واللفظ له وابن ماجة من رواية عمر وبن شعيب عن جده وقال عليه السلام سيكون قوم من هذه الامة يعتدون فى الدعاء والطهور ابو داود وابن حبان والحاكم من حديث عبدالله ابن مغفل (والضرب به) اى ويجتنب لطم وجهه بالماء (ونشفه على وجه) اى قول (فهو يوزن) اى فى ميزان العمل (دون وجه) اى قول آخر (فهو يوزن) اى فى ميزان العمل (دون وجه) اى قول اخر (فهو مروى) ففى الاحياء كره قوم التنشيف وقالوا الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهرى لكن روى معاذ انه عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه وروت عائشة انه كانت له منشفة ولكن طعن فى هذه الرواية عن عائشة قال العراقى حديث معاذ الترمذى وقال غريب واسناده ضعيف وحديث عائشة الترمذى وقال ليس بالقائم قال ولايصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب شئ (ونفض اليد) اى ويجتنبه ففى الاحياء ويكره ان ينفض اليد فيرش الماء (ويواظب على السواك) اى استعماله او على الاستياك (من الاراك) اى خصوصا فهو الافضل الوارد والافيجوز من كل شجرة مرة لانه اطيب لنكهة الفم وازال للبلغم وانفى للصدر واقوى للمعدة واهضم للطعام وليكن رطبا مستويا قليل العقد طول الشبر وغلظ الخنصر ولايقوم الاصبع مقام الخشبة عند وجودها (طولا وعرضا) وان اقتصر فعرضا (فى كل صلوة) حتى عند بعض ائمتنا ايضا (ووضوء) اى فى كل وضوء اتفاقا ومحله ابتداء الوضوء كما فى الاحياء او حال المضمضة لانه من تكميلها وقد قال عليه السلام صلوة على اثر سواك افضل من خمس وسبعين صلوة بغير سواك ابو نعيم فى كتاب السواك من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ورواه احمد والحاكم وصححه والبيهقى وضعفه من حديث عائشة بلفظ من سبعين صلوة وقال لولا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك عند كل صلوة متفق عليه من حديث ابى هريرة وفى رواية لامرتهم بالسواك مع كل وضوء مالك والشافعى والبيهقى عن ابى هريرة وفى رواية احمد والنسائى عن ابى هريرة لامرتهم عند كل صلوة بوضوء ومع كل وضوء بسواك وفى رواية الحاكم عن العباس لفرضت عليهم السواك عند كل صلوة كما فرضت عليهم الوضوء وفى رواية الحاكم والبيهقى عن ابى هريرة لفرضت عليهم السواك مع الوضوء وفى رواية ابى يعلى عن مكحول مرسلا لامرتهم بالسواك والطيب عند كل صلوة وفى رواية ابى نعيم عن ابن عمر لامرتهم ان يستاكوا بالاشجار (وعند قراءة القرآن) فقد ورد ان افواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك ابو نعيم فى الحلية من حديث على ورواه ابن ماجة موقوفا على على وكلاهما ضعيف ورواه البزار مرفوعا واسناده جيد (وتغيير النتن بنحو الجوع والنوم) ونحوهما من طول الصمت او اكل مايكره رائحته فورد مالى اراكم تدخلون على قلحا استاكوا والقلح محركة صفر الاسنان البزار والبيهقى من حديث

العباس بن عبد المطلب واحمد البغوى من حديث تمام بن العباس والبيهقى من حديث ابن عباس وهو مضطرب وكان عليه السلام يستاك فى ليلة مرارا مسلم من حديث ابن عباس وهذا يدل على ان السواك مستقل غير متعلق بالوضوء والصلوة وعن ابن عباس انه قال لم يزل صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالسواك حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شئ ورواه احمد وقال عليه السلام عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب البخارى تعليقا مجزوما من حديث عائشة والنسائى وابن خزيمة موصولا وقال على السواك يزيد فى الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يدورون والسواك على اذانهم الخطيب فى كتاب اسماء من روى عن مالك وعن ابى داود والترمذى وصححه ان زيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواكه على اذنه موضع القلم من اذن الكاتب وفى شرح السنة اما كيفية الاستياك فينبغى ان يبدأ بالجانب الايمن من الاعلى والاسفل ثم بالايسر كذلك ثم فى مابين ذلك ويستاك بالوتر لان الله وتر يحب الوتر وفى الخلاصة كيفيته ان يعالج المسواك بعرضه للاسنان الظاهرة وبطوله لغيرها وبعده للعليا من جانب الايمن وللسفلى من جانبها ثم للعليا من جانب الايسر ثم للسفلى من جانبها وفى شرح السنة واما النهى فيه فينبغى ان لايستاك قائما ولابين القوم ولافى الحمام ويكره عند الشافعية بالعشى للصائم وتحقيقه فى غير هذا المقام وفى الخانية عن ابن المبارك لو انكر اهل بلدة السواك لقاتلهم كما يقاتل المرتدين (ويحافظ الجماعة) عطف على يداوم على الوضوء اى ويراعى صلوة الجماعة فورد صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ منفردا بسبع وعشرين درجة متفق عليه من حديث ابن عمر (فى اقرب المساجد الا ان يكون فى الابعدية) اى صالحة للعدول عن الاقرب كحضور عالم وشيخ واعظ وكونه اقدم المساجد او عمر بالمال الحلال ونحوه من الاحوال ففى الكبرى مسجدان يصلى الرجل فى اقدمهما بناء لان له زيادة حرمة فان كانا سواء ففى اقربهما وان استويا فهو مخير لانه لا ترجيح لاحدهما وان كان قوم احدهما اكثر فان كان هو فقيها يذهب الى الذى قومه اقل ليكثر الناس بذهابه الى ذلك المسجد وان لم يكن يذهب حيث احب رجل فى محلته مسجد فحضر المسجد الجامع لكثرة جماعته فالصلوة فى مسجده افضل قل اهل مسجده او كثر لان لمسجده حقا عليه وليس لذلك المسجد حق عليه فلم يقع الترجيح بكثرة الجمع وفى الخانية اذا كان امام الحى مرايا يأكل الربوا له ان يتحول الى مسجد آخر (ساعيا اليه) اى حال كونه ماشيا الى المسجد مطلقا لقوله تعالى * فاسعوا الى ذكر الله (بنية اجابة النداء) اى نداء الداعى الى عبادة رب السماء قال تعالى * ومن احسن قولا ممن دعا الى الله * الآية فقد قال ابن عباس من سمع النداء ثم لم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به وقال ابو هريرة لان تملأ اذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من ان يسمع النداء ثم لا يجيبه (خاشعا) متواضعا متذللا فى طريقه (غير متخطى رقبة) اى عند دخوله (ولا مار بين يدى مصل) فقد ورد لو يعلم المار بين يدى المصلى ماذا عليه لكان ان يقف اربعين سنة خيرا له من ان يمر بين يديه مالك واصحاب الكتب الستة عن ابى جهيم وفى رواية ابن ابى شيبة عن الحميد بن عبد الرحمن مرسلا لو يعلم المار بين يدى المصلى لاحب ان ينكسر فخذه ولا يمر بين يديه والمختار ان المرور حرام اذا وقع بين المصلى ومسجده سواء كان له سترة اولا ويحمل عليه ماروى الطحاوى من ان المرور بين يدى المصلى بحضرة الكعبة يجوز او يحمل على انه فى

وقت غير قيام الفرض واعتدال صفة بان يصلى فى طريق الطائفين فانه لاحرمة له حينئذ واما اذا كان بينهما فرجة فلابأس لماروى ابوداود والنسائى وابن ماجة عن المطلب بن ابى وداعة قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى المسجد الحرام مما يلى باب بنى سهم والناس يطوفون بينه و بين القبلة مما بين يديه ليس بينه و بينهما سترة (ولايتكلم فيه بكلام الدنيا) فروى فى الاثر او فى الخبر الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش كذا فى الاحياء وقال العراقى لم اقف له على اصل قلت ومعناه صحيح اذ قدورد * تأتى فى آخر الزمان ناس من امتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وخبر الدنيا لاتجالسوهم فليس لله بهم حاجة ابن حبان من حديث ابن مسعود والحاكم من حديث انس وقال صحيح الاسناد (و يؤدى فى الصف الاول) فانه الافضل (بازاء الامام) اى بحذائه فهو الأفضل لاخذه الحظ من الجانبين (اوعن يمينه) وقد يكون يساره افضل اذا كان الناس هناك اقل (و يتم الاركان) اى حد الامكان (و يراعى السنن) اى الرواتب اوسنن الصلوات (والآداب) اى مستحبات فى جميع الابواب (فورد فى الكل) اى فى كل ماذكر (فضائل) اى فى الصف الاول لقوله عليه السلام لو تعلمون مافى الصف الاول ماكانت الاقرعة مسلم وابن ماجة عن ابى هريرة واما فى اتمام الاركان فقوله اتموا الركوع والسجود فوالذى نفسى بيده انى لاراكم من وراء ظهرى اذا ركعتم واذا سجدتم احمد والشيخان عن انس واما فى السنن فقوله من صلى فى اليوم والليلة اثنى عشرة ركعة تطوعا بنى الله له بيتا فى الجنة مسلم وغيره عن ام حبيبة وتفصيله ماورد فى حديث آخر ركعتان قبل الفجر و بعد الظهر والمغرب والعشاء واربع قبل الظهر (ولايدافع الامامة) فانه من امارة القيامة فقدورد عن سلامة بنت الحر قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اشراط الساعة ان تتدافع اهل المسجد لايجدون اماما يصلى بهم احمد وابوداود وابن ماجة وروى عبدالرزاق فى مسنده حديثا بلفظ تنازع ثلاثة فى الامامة فخسف بهم ومحله اذا علم من نفسه القيام بشروطها والقوم لايكرهونه وليس وراءه احد هو افضل منه (وكان مدافعتهم) اى ممانعة بعض الصحابة من ذوى التقوى (لايثار الاولى) اى بذلك المقام الا على (اوخوف السهو) اى فى المبنى (اولتشويش) اى تشويش الخاطر فى حضور المعنى واحتياجه الى اخلاصه فى تطويل الصلوة وتحسينها لاسيما اذا لم يكن له عادة الامامة وكان مستحيا فى تلك الاقامة (وهى) اى الامامة (افضل من الاذان فهو عليه السلام وخلفاؤه) اى اصحابه الكرام (اختاروها) اى من بين الانام (وماورد) اى كما رواه البخارى فى التاريخ العقيلى فى الضعفاء والطبرانى فى الاوسط عن ابى عباس باسناد ضعيف انه عليه السلام قال لرجل يارسول الله دلنى على عمل ادخل به الجنة قال (كن مؤذنا فان لم تستطع فكن اماما) وفى رواية قال لااستطيع قال كن اماما قال لا استطيع قال صل بازاء الامام فلعله (محمول على ان القوم كانوا لايرضون امامته) اذ الاذان اليه والامامة الى الجماعة وتقديمهم لهائم بعد ذلك توهم انه ربما يقدر عليها (فورد فيه ان لاتجاوز الصلوة الرأس) اصل الحديث هذا من ام قوما وهم له كارهون فان صلاته لاتجاوز ترقوته اى حلقه ورأسه رواه الطبرانى عن جنادة وفى رواية العقيلى عن ابن عمر من ام قوما وفيهم من هو اقرأ منه لكتاب الله واعلم لم يزل فى سفال الى يوم القيامة (و يراعى الاعمال الباطنة)

فانها اهم ونفعها اتم (وهى) سنة (الحضور) اى مع الرب (وهو استغراق القلب بما هو فيه) اى بالركن الذى شرع فيه (والافراغ) اى تفريغ القلب وتخليصه (عن غيره) اى غير ما هو بصدده مما يوافقه (او ينافيه (وهو) اى الافراغ انما يكون (بصرف الهمة) اى الاهتمام (اليه) اى الى ذلك الركن الواجب عليه (فهى) اى الهمة (تستتبع القلب فى صرفه الى ذكر الرب (وهو) اى صرف الهمة (بذكر منافعها) اى فوائد الصلوة ومرافقها (كقربه تعالى ورضاه) اى بالمقام الاعلى (والمكاشفة) اى القريبة بالمشاهدة التى هى المرتبة الاجلى (عاجلا) اى فى الدنيا (والفوز بالسعادة الابدية) اى والسيادة السرمدية (والنظر الى وجهه الكريم) الذى هو اعلى مراتب النعيم (آجلا) اى فى العقبى (وخساسة الدنيا ومهماتها) اى وبذكر كثافتها وانقلاباتها فانها كثيرة العناء قليلة لعناء دنية الشركاء سريعة الفناء عديمة البقاء (والفهم) اى الادراك لمعنى الكلام وهو امر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ والمعنى فاشتمال القلب على العلم اللفظ هو الذى اريد بالتفهم وهذا معنى قوله (وهو اشتماله) اى القلب (على المعنى وهو) اى اشتماله (بتوجيه الذهن الى الذكر) من الثناء والحمد والقرءة والتسبيح والدعاء ونحوها (ومداومة الفكر) اى فى لفظ الذكر ومبناه ليفهم معناه (ودفع الخواطر) اى المانعة عن فهم مقتضاه وهذا مقام يتفاوت الناس فى ادناه واقصاه فكم من معان لطيفة ومعارف شريفة يفهمها المصلى فى اثناء صلاته وذكره ولم يكن خطر ذلك قبله بباله وفكره ومن هذا الوجه كانت الصلوة ناهية عن الفحشاء وماحية عن المنكر فان تفهم تلك الامور تمنع من الفحشاء لامحالة فقد ورد من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا الطبرانى وابن ابى حاتم فى تفسيره من حديث عمران بن الحصين وابن جرير فى تفسيره من حديث ابن مسعود ومن مرسل الحسن واحمد فى الزهد عن ابن مسعود مرفوعا (والتعظيم) اى عرفان المرتبة وعنوان المنزلة المرتبة على المحبة (وهو بذكر عظمته تعالى) مع رفعة الجلالة (وحقارة النفس) اى مع رداءتها وكمالها فى الرذالة والسفالة والجهالة وهو امر وراء الحضور والفهم اذا لرجل يخاطب عنده بكلام هو حاضر القلب فى مبناه ومتفهم لمعناه ولايكون معظما له فالتعظيم امر زائد عليهما (والهيبة وهى خوف ينشأ عن التعظيم) كما روى انه عليه السلام من رآه فجاءة هابه ومن خالطه احبه (وهو) اى الخوف المسمى بالهيبة (بذكر نفاذ قدرته تعالى) وفق مشيئته وحكمته (وقهره مع عدم المبالاة) بجمع من فى يد قبضته كما ورد خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالى وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالى وتحقيقه ان من لايخاف لايسمى هائبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد ومايجرى مجراه من الاسباب الحسية لايسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم تسمى مهابة فالهيبة خوف مصدرها الاجلال (والرجاء) اى الامل (وهو) الوثوق (بذكر عموم رحمته) اى شمول رفقه ورأفته (وسبقها غضبه) كما ورد سبقت رحمتى غضبى وفى لفظ غلبت (وصدق مواعيده) اى عدم تخلف اخباره لعباده من وعده ووعيده لقوله سبحانه ۞ ان الله لايخلف الميعاد ولاشك انه امر زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه اذ يخاف سطوته ولكن لايرجو مبرته والعبد ينبغى ان يكون راجيا بصلاته ثواب الله كما انه يخاف بتقصيره عقاب الله ومنه قوله تعالى ۞ يدعوننا رغبا ورهبا ۞

وادعوه خوفا وطمعا ۞ (والحياء) وهو انكسار النفس من النخجالة وظهور التقصير وعند بعض الصوفية استتار من مشاهدة شدة التنوير (وهو بذكر العجز والتقصير عن شكره تعالى) فان العجز عن درك الادراك ادراك كما قاله الصديق ومنه قوله عليه السلام ۞ سبحانك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك * وهو زائد على الجملة لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب وبقصور التعظيم والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب صغير او كبير (فان تعسر المراعاة) بان لم تتيسر مراعاة الاعمال الباطنة المذكورة وما يتعلق بها من ظهور الحقايق (يجتهد فى قطع العلايق) اى التعلقات ودفع العوايق المشغلات المتعلقة بالخلايق لتخلص له حضور القلب مع الخالق (فظاهرا) بتسعة اشياء (بضم العين) اى فى النوافل دون الفرائض واتماكره فى الفرائض دون النوافل مع ان التغميض لدفع الشواغل لان مبنى النوافل على الرغبة والنشاط والرخصة ولذا جوز اداؤها قاعدا وراكبا من غير عذر فيها (والاداء فى بيت مظلم قريب الجدار) ومنه الحلاوى الصوفية الابرار حتى لا يتسع مسافة بصر النظار (والاحتراز عن البيت المنقش) اى بانواع الزينة والكتابة والآنية (والفراش المصبوغ) اى بالالوان والاشكال وكذا لا يترك بين يديه ما يشغل حسه لديه وكان ابن عمر لا يدع فى موضع الصلوة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا امحاه ومسحه وقد قال عليه السلام لعثمان ابن ابى شيبة انى نسيت ان اقول لك تخمر القدر بن الذين فى البيت فانه لا ينبغى ان يكون فى البيت شئ يشغل الناس عن صلاتهم كذا فى الاحياء وتعقبه العراقى بان الحديث رواه ابو داود من حديث عثمان الحجبى وهو عثمان بن طلحة كما فى مسند احمد فقوله لعثمان بن ابى شيبة وهم (وكونه حاقنا) اى محبوس البول لحديث ابن ماجة من حديث ابى امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يصلى الرجل وهو حاقن ولابى داود من حديث ابى هريرة لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر ان يصلى وهو حاقن ولابى داود والترمذى وحسنه نحوه من حديث ثوبان (وحاقبا) بالموحدة محبوس الغائط او الريح لحديث مسلم عن عايشة لا صلوة بحضرة طعام وهو يدافعه الاخبثان واما حديث النهى عن صلوة الحاقب ففى الاحياء وقال العراقى لم اجده بهذا اللفظ (وحازقا) ضيق الخف وفى معناه السروال وقد ورد النهى عن صلوة الحازق وعزاه رزين الى الترمذى لكن قال العراقى لم اجده عنده والذى ذكره صاحب الغريب حديث لا رأى لحازق وهو صاحب الخف الضيق (وجائعا) لحديث اذا حضر العشاء والعشاء واقيمت الصلوة فابدأوا بالعشاء متفق عليه وفى معناه اذا كان عطشان وانحص منهما ان يكون شبعان (وغضوبا) اى ممتلئ الغضب بحديث لا يدخل احدكم الصلوة وهو غضب ولا يصلين احدكم وهو غضبان كذا فى الاحياء وقال العراقى لم اجده (ونحوها) اى من كل فعل خطر للمصلى ان يفعل بعد الصلوة فيفعله قبلها ان امكن (وباطنا) بخمسة اشياء (بذكر الاخرة) وتصور مواقفها واحوالها وشدائد اهوالها وتفاوت ما لها فى آمالها (وموقف المناجاة) اى مع قاضى الحاجات فورد المصلى يناجى ربه (وخطر المقام) اى بين يدى الملك العلام المذكر يوم الدين يوم يقوم الناس لرب العالمين (ودفع الخواطر) اى المشغلة للسرائر والضمائر (وصرف النفس الى الفهم اى ودفعها عن خطرات الوهم (ويبالغ فيه) اى فى دفع العوائق عن عمل الباطن ومراعاته

(فكانوا) اى السلف (يبالغون) اى فى تحسين حالاته وتزيين مقاماته (حتى لوكان يشغلهم ذكر مال) عن فكر حال (يتصدقون به تكفيرا وان كان) اى المال (خطيرا) اى عظيما كثيرا فروى ان باطلحة الانسارى صلى فى حائط له فيه شجر فاعجبه دبسى طار فى الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما اصابه من الفتنة ثم قال يارسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت رواه مالك عن عبدالله ابن ابى بكر وعن رجل آخر انه صلى فى حائطه والنخل مطروقة بثمرها فنظر اليه فاعجبه فلم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان وقال هو صدقة فاجعله فى سبيل الله فباعه عثمان بخمسين الفا وكان يفعلون ذلك قطعا لمواد الفكر به وكفارة لما جرى من نقصان الصلوة بسببه فاذا اردت الخلاص من الآفات فاقلع شجرة الشهوات فانها اذا تفرعت باغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار فلا تطمع ان تصفو لك لذة المناجاة فى الصلوة مع تلك الشهوات (فالاصل) اى فى مراتب العبادة (عمل الباطن) لانه النافع فى مقام الزيادة للسعادة (فوردا قم الصلوة لذكرى) اى لاجل ذكركم اياى اولاجل ذكرى اياكم ولذكر الله اكبر فاذكرونى اذكركم اووقت ذكركم صلاتى وفكركم صلاتى وفى الاحياء ظاهر الامر للوجوب والغفلة يضاد الذكر فمن غفل فى جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلوة لذكره وقوله سبحانه * ولاتكن من الغافلين * نهى وظاهر التحريم (لاتقربوا الصلوة وانتم سكارى اى من حب الدنيا) اوحيارى فى غير ذكر المولى (اومن كثرة الهموم) فى الامر المقسوم وقد ورد من جعل الهموم هما واحد اهم الدين كفاه الله هم الدنيا والاخرة وقوله حتى تعلموا ماتقولون تعليل لنهى السكران وهو مطرد فى الغافل المستغرق الهم بالوسواس وافكار الدنيا واشغال الناس (لاينظر الله الى صلوة) اى نظر قبول ورحمة اونظر رعاية وعناية (لايحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه) اى عند عبادة ربه لم اجد له اصلا بهذا اللفظ قاله العراقى (ان العبد ليصلى الصلوة وانما يكتب ماعقل منها) وفى الاحياء ليس للعبد من صلاته الا ماعقل منها قال العراقى لم اجده مرفوعا وروى محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلوة من رواية عثمان بن ابى دهرش مرسلا لايقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابى بن كعب ولابن المبارك فى الزهد مرفوعا على عمار لايكتب للرجل من صلاته ماسها عنه والتحقيق فيه ان المصلى يناجى ربه متفق عليه والكلام مع الغفلة ليس بمناجات البتة فحتى يكون فى قوله اهدنا الصراط المستقيم داعيا وسائلا اذا كان قلبه ساهيا وغافلا ووردكم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب ومااراد به الا الغافل كذا فى الاحياء وقال العراقى رواه النسائى وابن ماجة من حديث ابى هريرة * رب قائم ليس له من قيامه الا السهر * ولاحد * رب قائم حظه من صلاته السهر * واسناده حسن (هذا) اى خذ هذا اوالامر هذا (وانما يكون القول) كالقراءة ونحوها (والفعل) كالركوع والسجود (عبادة للمعنى) فى القول (والتعظيم) فى الفعل (دون اللفظ) اى غير تلفظ الانسان باللسان (والحركة) اى التحرك بالجوارح والاركان فقد قال بعض اهل الشان فى معرض هذا البيان (ان الكلام لفى الفؤاد وانما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا) قيل لما سمع الجنيد هذا انهار صلاة ثلاثين سنة صلاها بلاحضور الجنان وفى الاحياء لو حلف انسان والله

لاشكرن فلانا ولاثنين عليه ولاسألنه حاجة ثم جرت هذه الالفاظ الدالة على هذه المعانى على لسانه فى النوم لم يبرفى يمينه وكذا الوجرى على لسانه فى ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لايعرف حضوره ولايراه يصيربارافى يمينه اذلايكون كلامه خطابا ونطقا معه مالم يكن حاضرا فى قلبه ولوكانت تجرى هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر فى بياض النهار الا انه غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد وتوجيه الخطاب اليه عند نطقه لم يصر بارا فى يمينه ولاشك فى ان المقصود من القراءة والاذكار والحمد والثناء والتضرع الدعاء والمخاطب هوالله تعالى وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلايراه ولايشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة وما ابعد هذا عن المقصود بالصلوة التى شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الرب ورسوخ عقد الايمان به فهذا مما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب مع الرب (فان قلت فعلى هذا) الذى ذكرته من جعل القول والفعل للمعنى والتعظيم (تبطل) الصلوة (دون الحضور) اى عند عدم حضور القلب حيث جعلته شرطا فى صحتها (وهو خلاف الاجماع) اى اتفاق الفقهاء لماسيأتى من مخالفة بعض العلماء فالمراد اتفاق الجمهور فانهم لم يشترطوا حضور القلب فى صحتها لاعند التكبيرة الاولى المقرونة بالنية الاعلى (قلت انه) اى دعاء الاجماع (ممنوع) والاتفاق مدفوع (لبطلانها عند سفيان) اى الثورى (فى رواية) اى كما نقل بشر بن الحارث فيما روى عنه ابو طالب المكى عن الثورى انه قال (من لم يخشع قلبه) فى صلوته (فسدت صلاته) قلت ويؤيده قوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلوتهم خاشعون (وعن الحسن) اى البصرى (انها) اى الصلوة (بلاحضور القلب توجب العقوبة) قلت واى عقوبة اقوى من الغفلة وقد قيل الحجاب اشد العذاب قال تعالى * كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * وفى الاحياء روى عن الحسن انه قال كل صلوة لايحضر فيها القلب فهى الى العقوبة اسرع وفيه ان الصلوة يشترط فيها النية ولاتحصل النية الا لحضور الطوية واما استيعاب الحضور ففير مفهوم من كلامه ومن كلام غيره فيمكن الجمع بين قولهما المذكور و بين قول الجمهور وعن معاذ بن جبل انه قال من عرف من على يمينه وشماله معتمدا وهو فى الصلوة فلاصلوة له اى كاملة وروى ايضا مسندا كذا فى الاحياء وسكت عنه العراقى وقال عليه السلام ان العبد ليصلى الصلوة لايكتب له منها سدسها ولاعشرها و انما يكتب للعبد من صلاته ماعقل منها ابوداود والنسائى وابن حبان من حديث عمار بن ياسر بنحوه (وان كلامنا فى المنفعة الاخروية) هذا جواب آخر و بيانه ان الفقهاء لايتصرفون فى الباطن ولامطلع لهم على مافى القلوب ولايتكلمون فى طريق الآخرة بل يتبعون ظاهر احكام الدنيا على ظاهر اعمال الجوارح فظاهر الاعمال كاف بسقوط تعزير السلطان فاما انه هل ينفع فى الآخرة فليس هذا من حدود الفقه (وعن عبد الواحد بن زيد وقوع الاجماع على عدم النفع) اى النفع الكامل قال الحجة فجعله اجماعا ومانقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة اكثر من ان يحصى والحق الرجوع الى ادلة الشرع والآيات والاخبار والآثار ظاهرة فى هذا الشرط وهذا معنى قوله (وان اشتراط الشرع اياه) اى الحضور (ظاهر غيران مقام الفتوى فى تكليف الظاهر على حسب قصور الخلق) بفتح الخاء والسين

اى يتقيد بقدره (فلواشترط) اى الحضور (للجواز) اى لصحة الصلوة (لوقعوا) اى الجمهور (فى حرج) اى عظيم يؤدى الى المحظور لعجزهم عن كمال الحظور (وادى) اى ولافضى اشتراطه (اى تركها رأسا) وهوالمحذور (وهو التحقيق) اى فى مقام التدقيق فانه لايمكن ان يشترط على الناس كلهم احضار القلب فى جميع الصلوة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلامرد له الا ان يشترط منه ماينطلق عليه الاسم ولوكان فى لحظة واحدة و اولى اللحظات به اول الصلوة فاقتصر على التكليف لذلك و مع ذلك ترجوان لايكون حال الغافل فى جميع صلاته مثل حال تارك الصلوة بالكلية فانه بالجملة اقدم على الفعل ظاهرا فاحضر القلب لحظة وكيف لاوالذى يصلى مع الحدث ناسيا فصلاته باطلة عندالله تعالى ولكن له اجرما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره وعلى هذا الرجاء فقد يخشى ان يكون حال الغافل اشر من حال التارك وكيف لاوالذى يحضر للخدمة و يتهاون بالحضرة و يتكلم بكلام الغافل المستحقر اشد حالا من الذى يعرض عن الخدمة و يتهاون بالحضرة فاذا تعارض اسباب الخوف والرجاء صار الامر مخطرا فى نفسه فاليك الخيرة بعده فى ترك الاحتياط اوالتساهل ومع هذا فلامطمع لاحد فى مخالفة الفقهاء فيما افتوابه من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى الناشئة من عموم البلوى هذا وروى من احب غيرالله فلاتصغوله صلاة عن الخواطر المذمومة فان من احب شيئا اكثر ذكره كاورد فى الخبر فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فتدبر فخذما صفا ودع ماكدر (ثم من امعن) اى اشبع النظر واسبغ الفكر (فيماوردان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وانما الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع) حيث جاء بصيغة الحصر رواه الترمذى والنسائى من حديث الفضل بن العباس باسناد مضطرب (علم انها) اى الصلوة (هوالحضور) اى بكمال الشعور والا فصلاة الغافل لاتمنعه عن الفحشاء وقد انقسم الناس الى غافل يتم صلاته ولم يحضر قلبه فى لحظة منها والى من يتمها ولم يغب قلبه فى لحظة عنها بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لايحس بمايجرى بين يديه ومن هنالم يحس مسلمة بن يسار بسقوط اسطوانة فى المسجد اجتمع الناس عليها و بعضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه وشماله وكان وجيب قلب ابراهيم عليه السلام يسمع من ميلين وجماعة كان تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم (هذا) اى مضى هذا اوخذهذا (والاولياء انما يكاشفون فيها) اى فى الصلوة مع حضورها ودوام نورها (لاسيما فى السجود) فانه اقرب مقام الى واجب الوجود وصاحب الكرم و الجود (على حسب الصفا) اى على تفاوت درجات ارباب الوفاء ومن هنا قال بعض الصحابة يحشر الناس يوم القيمة على مثل هيئاتهم فى الصلوة من الطمانينة والهدو ومن وجود النعيم واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على مامات عليه و يموت على ماعاش عليه وقد قيل كانعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون (ثم اعلم ان كل مايشغله عن صلاته فهو ضد دينه فليتخلص منه باخراجه عن طينه ليقوم فى مرتبة يقينه كاروى عنه عليه السلام لما لبس الخميصة التى اتاه بها ابوجهم وعليها علم وصلى فيها نزعها بعد صلاته وقال اذهبوا بها الى ابى جهم فانها الهتنى عن صلاتى واتونى بانبجانية ابى جهم متفق عليه من حديث عائشة وامر صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك

نعله ثم نظر اليه فى الصلوة اذكان جديدا مامران ينزع عنها و يرد الشراك الخلق فيها ابن المبارك فى الزهد من حديث ابى النصر مرسلا باسناد صحيح وكان عليه السلام قداحتذى نعلا فاعجبه حسنها فسجد فقال تواضعت لربى كيلا يمقتنى ثم خرج بها فدفعها الى اول سائل لقيه ثم امر عليا ان يشترى له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما ابو عبدالله بن خفيف فى شرف الفقرا من حديث عايشة باسناد ضعيف وكان فى يده خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلنى هذا نظره اليه ونظره اليكم كذا فى الاحياء وقال العراقى اخرجه النسائى من حديث ابن عباس باسناد صحيح وليس فيه بيان ان الخاتم كان ذهبا ولافضة انما هو مطلق والحاصل ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين ولايحدثون انفسهم فيها بشئ من امور الدنيا فعجزوا عن ذلك فاذا لامطمع لامثالنا خلاف ماهنالك وليته سلم من الصلوة شطرها اوثلثها من الوسواس والخواطر المنقلبة بالرأس فتكون فيمن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهم الدنيا وهم الآخرة فى القلب مثل الماء الذى يصب فى قدح مملوء فيه حل فبقدر مايدخل فيه من الماء يخرج الحل منه لامحالة فلايجتمعان والله المستعان (ومنها) اى من انواع الورد (قراءة القرآن) (فورد خيركم من تعلم القرآن وعلمه) البخارى من حديث عثمان ومن قرا القرن ثم رأى ان احدا افضل مما اوتى فقد استصغر ما عظمه الله الطبرانى من حديث عبدالله بن عمر وبسند ضعيف ولعله مقتبس من قوله سبحانه * ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لاتمدن عينيك الى مامتعنا به ازواجا منهم ومن هنا قال الفضيل ينبغى لحامل القران ان لايلون له الى احد حاجة ولا الى الخلفاء فمن دونهم ويؤيده حديث من لم يستغن بالقرآن فليس منا اى من لم يستغن به عن غيره وورد من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى اعطيته افضل ماأعطى السائلين الترمذى من حديث ابى سعيد وقال حسن غريب افضل عبادة امتى قراءة القرآن ابو نعيم من حديث النعمان بن بشير اهل القرآن اهل الله وخاصته النسائى وابن ماجة والحاكم من حديث انس باسناد حسن (وحقها) اى القراءة (ان ينوى ايناس وحشة الدنيا) اى بذكر العقبى والدرجات الحسنى (وقضاء حق الشوق الى المولى) لان المناجاة والمكالمة معه تعالى فيه ينتهى به الى الشوق وزيادة الذوق الى قربه الاعلى (وضبط احكام العبودية) بحفظ حقوق مقام الربوبية (ويتوضأ) اى يتطهر (ويتطيب) باى طيب كان او يتنظف فى جميع الاركان (ويتأدب) بقدر الامكان (ويجوز الاضطجاع فورد الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) قال على رضى الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلوة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ وهو جالس فى الصلوة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ فى غير الصلوة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات وعن على اقرؤا القرآن على كل حال الا وانت جنب ابو الحسن بن صخر فى فوائده (والافضل فى الليل) لانه اقرب الى التيل (فالقلب فيه افرغ) قال تعالى * ان ناشئة الليل هى اشد وطأ واقوم قيلا ان لك فى النهار سبحا طويلا * اى شغلا كثيرا (وفى المصحف افضل فهو يضعف الاجر لاعمال الجوارح) اى من اللسان والعين والاذن لزيادة حظ النظر من الحواس وافادة نقص الوسواس من اشتغال الناس ومع هذا لابد من حضور القلب وشعوره بكلام

الرب وقد قيل الختمة فى المصحف بسبع وقد خرق عثمان رضى الله عنه مصحفين لكثرة قراءة فيهما وكان كثير من الصحابة يقرؤن القرآن من المصحف ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا فى المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعى فى السحر وبين يديه المصحف فقال شغلكم الفقه عن القرآن انى لاصلى العتمة واضع المصحف بين يدى فلا اطبقه حتى اصبح وقدورد اعطوا اعينكم حظها من العباده النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجايبه الحكيم الترمذى والبيهقى عن ابى سعيد (ويستظهره) اى وحفظها اى ويحفظه غيبا ويضبطه قلبا كما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم واكثر اصحابه رعاية لقوله تعالى * انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون * وقد قيل كن حافظا تقيا لا مصحفيا نقيا (فوردفيه) اى فى الاستظهار (تخفيف العذاب عن الوالدين وان كانا مشركين) لم اجده وقدروى ابوداود عن سهل بن معاذ عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن وعمل بمافيه البس والداه تاجا يوم القيمة ضوءه احسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لوكانت فيكم فما ظنكم بالذى عمل بمافيه وفى رواية البس والداه حلة لاتقوم بها الدنيا ومافيها وورد * اقرؤا القرآن فان الله تعالى لايعذب قلبا وعى القرآن تمام فى رواية عن ابى امامة مرفوعا لوكان القرآن فى اهاب ماسته النار احمد والدارمى والطبرانى (ولاينساه فورد انه بذنب) اى ذنب كبير فهو خبران وزيدت الباء فيه لان الكلام فى قوة اليس نسيان القرآن بذنب ونظيره قوله تعالى * اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر * وقد يقال انه اطلق المصدر واراد به الفاعل على طريقة رجل عدل اى فورد انه مذنب وفى نسخة يذنب اى يصير ذا ذنب عظيم وروى من اعظم الذنوب ان يتعلم الرجل آية من القرآن ثم ينساه قيل ونزل قوله تعالى فى حقه * ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى * مع ان العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب ونسيانه عندنا محمول على انه لم يقدر ان يقرأ نظرا وعند الشافعى ومن تبعه ان ينسى غالبه حفظا وهو كبيرة اتفاقا (ولايختم فى اقل من ثلاثة ايام فورد انه يمنع التفقه) ولفظ الحديث من قرأ القرآن فى اقل من ثلاث لم يفقهه رواه اصحاب السنن من حديث عبدالله بن عمرو وصححه الترمذى وذلك لان الزياده عليه تمنع الترتيل وتدفع ادراك مافى التنزيل وقد قالت عائشة لما سمعت رجلا يهذ القرآن هذا ان هذه ماقرأ ولاسكت (وجاء فى اربعين) وهو يناسب الاربعينات الصوفية الصفية وقدورد اقرؤا القرآن فى اربعين الترمذى عن ابن عمرو ومنهم من يختم فى الشهر مرة يقرأ كل يوم جزأ من ثلاثين اجزاء ورد اقرأ القرآن فى كل شهر اقرأه فى عشرين ليلة اقرأه فى عشر اقرأه فى سبع ولاتزد على ذلك رواه الشيخان وابو داود عن ابن عمر وفى رواية الطبرانى عنه اقرؤا القرآن فى خمس وبعضهم قرأه فى اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى الثلاث (وفى اسبوع) وقد امر النبى صلى الله عليه وسلم عبدالله بن عمر وان يختم القرآن فى كل سبع متفق عليه من حديثه وكان جماعة من الصحابة يختمون القرآن فى كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وابى بن كعب ففى الختم اربع درجات الختم فى كل شهر والختم فى يوم وليلة وقد كرهه جماعة وكأنه مبالغة فى الاقتصار كما

ان الاول مبالغة فى الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان اختارهما الابرار احديهما فى الاسبوع مرة وهى الاولى والاخرى والثانية فى الاسبوع مرتين تقريبا من الثلاث وهو الرخصة فى الكثرة (والاحزاب المروية سبعة) اى الاوراد المأثورة سبعة اقسام (ثلاث سور) وهى بعد الفاتحة البقرة وآل عمران والنساء (ثم خمس) وهى المائدة والانعام والاعراف والانفال والتوبة (ثم سبع) وهى يونس وهود ويوسف والرعد وابراهيم والحجر والنحل (ثم تسع) وهى بنى اسرائيل والكهف ومريم وطه والانبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان (ثم احدى عشرة) وهى الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة والاحزاب وسبأ وفاطر ويس (ثم ثلاث عشرة) وهى والصفات وص والزمر وحوامیم السبع والقتال والفتح والحجرات ففى كل مرتبة بزيادة سورتين (ثم الباقى) وهى ق الى الناس وينسب الى على كرم الله وجه انه اشار الى هذا الترتيب بطريق الرمز والايماء حيث قال * فى بشوق * فالفاء فاتحة والميم مائدة والياء يونس والباء بنى اسرائيل والشين الشعراء والواو والصفات والقاف ق وقد قال العراقى تحزيب القرآن على سبعة احزاب رواه ابو داود وابن ماجة من حديث اوس بن حذيفة قال اوس فسألت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تحزبون القرآن قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع واحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وفى رواية الطبرانى فسألنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزئ القرآن فقالوا كان يجزيه ثلاثا فذكره مرفوعا باسناد حسن (وكان عثمان رضى الله عنه يبتدئ ليلة الجمعة) فانها فى الليالى افضل والقراءة بالليل امثل (ويتم المائدة) اى فى ليلته وبقيته يوم جمعته (ثم هود) اى يبتديه فى ليلة السبت اونهاره (ثم مريم ثم طس ثم ص ثم الرحمن ثم الباقى) وهو يحتمل ان يكون باجتهاده حيث لم يبلغه ماسبق مرفوعا اوهو رواية اخرى عنه عليه السلام وان كان فى الظاهر موقوفا (وهذا) اى التحزيب بهذا الترتيب (للعامل ظاهرا) فى مقام التهذيب من الصوم والصلاة والتلاوة والاذكار (واما صاحب الباطن) اى المراعى لاحوال القلب وحضوره مع الرب (فعلى حسب حاله) اى مايقتضيه من الكثرة والقلة فى قراءته كسائر افعاله فانه ان كان من العابدين السالكين بطريق العمل فلا ينبغى ان ينقص عن ختمتين فى الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر اومن المشغولين بنشر العلم فلا بأس ان يقتصر فى الاسبوع على مرة وان كان ناقد الفكر فى معانى القرآن ومبانى الفرقان فقد يكتفى فى الشهر بمرة لحاجته لكثرة الترديد والتأمل فى الوعد والوعيد (وبرتل) اى يترسل ويتمهل (لتوقف التدبر عليه) وقد قال عز وجل * كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الباب * (ولكونه اقرب الى التعظيم والتأثير) اى تعظيم الرب وتأثير القلب قال تعالى * ورتل القرآن ترتيلا * وهو المستحب فى قراءته وقال عز وعلا * الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته (وهو المروى) فقد نعتت ام سلمة قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة مفسرة حرفا حرفا ابو داود والنسائى والترمذى وقال حسن صحيح وقال ابن عباس لان اقرأ البقرة وآل عمران ارتلهما واتدبرهما احب الى من ان اقرأ القران كله هذرمة وقال ايضا لان اقرأ اذا زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الى من ان اقرأ البقرة وآل عمران مهذرما (ويبكى) فانه

مسحب قال تعالى حكاية عن الانبياء والاصفياء * اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا * وقال * ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان الى قوله يبكون و يزيدهم خشوعا * ومن هنا قال ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه قلت وكذا اذا قرأ سجدة مريم ولابد من البكاء والتباكى او الحزن على فقدهما (فوردا تلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا) ابن ماجة من حديث سعد ابن ابى وقاص (فاذا قرأتموه فتحازنوا) صدر الحديث ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا ابو يعلى وابو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف ويقويه حديث ان الله يحب كل حزين الطبرانى والقضاعى بسندهما الى ابى الدرداء مرفوعا ويؤيده قوله سبحانه * ان الله لايحب الفرحين * ويعضده حديث اقرؤا القرآن بالحزن فانه نزل بالحزن رواه ابو يعلى وابو نعيم فى الحلية والطبرانى فى الاوسط عن بريدة وعن الحسن والله ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه ومشغلته وقلت راحته وبطالته وقال عليه السلام لابن مسعود اقرأ على قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت * فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنابك على هؤلاء شهيدا * رأيت عيناه تذرفان بالدمع فقال لى حسبك الآن (وهو) اى وجه احضار الحزن انما يحصل (بالتأمل فى مواعيده) من التهديد والوعيد (ومواثيقه) من العهد الاكيد (والتقصير فيها) اى فى لوازمها من الاوامر والزواجر فيحزن له لامحالة ويبكى (والا) اى فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر ارباب القلوب الصافية والصدور الوافية (فيبكى على فقدان بكائه) اى فليبك على فقد حزنه وبكائه (فهو اعظم المصائب) فى مقام بلائه (و يتعوذ فى الافتتاح) اى ابتداء القراءة مطلقا (فقد ورد فاذا قرأة القرآن) اى اردت قراءته وقيل بعد فراغه ولامنع من الجمع (فاستعذ بالله) اى من الشيطان الرجيم والامر للاستحباب عند الجمهور وقيل للايجاب (و يفتتح) اى يبتدئ ختمة اخرى (عند الختم) اى الختمة الاولى (رغما للشيطان) اى و رضى الرحمن ولقوله تعالى * فاذا فرغت * اى عن عبادة * فانصب * اى فاتعب فى اخرى و للآخرة خير لك من الاولى (فهو مأثور) بل مروى مشهور فعن زرارة بن ابى اوفى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل اى الاعمال افضل فقال عليه السلام * الحال المرتحل اى عمله فقيل ما الحال المرتحل فقال الحاتم المفتتح وفى رواية فتح القرآن وختمه صاحب القرأن يضرب من اوله الى آخره ومن آخره الى اوله كلما حل ارتحل ورواه البيهقى فى شعب الايمان بسند مرفوعا ولفظه عليكم بالحال المرتحل و وافقه الطبرانى فى مسنده فينبغى انه اذا قرأ سورة الناس ان يقرأ سورة الفاتحة وصدر سورة البقرة الى المفلحون و يدعو بما كان يقوله عليه السلام عند ختم القرآن اللهم ارحمنى بالقرآن واجعله لى اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه مانسيت وعلمنى منه ماجهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل والنهار واجعله حجة لى يارب العالمين ابو منصور المظفر بن الحسين الارجانى فى فضائل القرآن و ابو بكر ابن الضحاك فى الشمائل كلاهما من طريق ابى ذر الهروى من رواية داود بن قيس معضلا (و يسأل امر امرجوا مرا عليه و يتعوذ عن مخوف) اى اذا وصل اليه اوقرئ لديه (و يوافق ذكرا) اى فيذكر نبذة وكذا يوافق تسبيحا وتكبيرا كما اذا قرأ

* يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا * فيذكر ثلاث مرات او اكثر و يسبح كذلك (اودعاء) اى دعا كما اذا قرأ * ادعونى استجب لكم واجيب دعوة الداع اذا دعان * وكذا استغفر فى مقام يليق به كقوله تعالى * استغفروا ربكم انه كان غفارا * (فالكل مأثور) بل مروى مذكور قال حذيفة صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأ سورة البقرة فكان لايمر بآية عذاب الاستعاذ ولا بآية رحمة الا سأل ولا بآية تسبيح الا سبح رواه مسلم باختلاف لفظ (ويسر) اى ويخفى القراءة (ان خاف الرياء) اى على نفسه (او تشويش مصل) فى مخضره والافيجوز الجهر به لتلذذ الاذن بسببه وحصول الاستماع لغيره (فورد بفضل عمل السر على العلانية سبعين ضعفا) البيهقى فى الشعب من حديث عائشة وفضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وفى لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة ابوداود والنسائى والترمذى وحسنه من حديث عقبة بن عامر وخير الرزق مايكفى وخير الذكر الخفى احمد وابن حبان من حديث سعد بن ابى وقاص وفى الخبر لايجهر بعضكم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء كذا فى الاحياء وقال العراقى رواه ابوداود من حديث البياضى دون قوله بين المغرب والعشاء وللبيهقى فى الشعب من حديث على قبل العشاء و بعدها وفيه الحارث الاعور وهو ضعيف وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم عمر بن عبدالعزيز يجهر بالقراءة فى صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه اذهب الى هذا المصلى فقل له يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته فقال ايها المصلى ان كنت تريد الله عزوجل بصلاتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا فسكت عمر وخفف فلما سلم اخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ امير المدينة (والا) اى وان لم يكن خوف رياء ولاتشويش مصل (فيجهر) اى جوازا او استحبابا (فهو ينبه القلب) اى يوقظ قلب القارى (و يجمع الهمة) فى ذكر الرب البارى (و يصرف السمع اليه و ينفى النوم و الكسل) اى فيتلذذ باستماعه لديه (و يزيد فى النشاط) اى نشاط النفس اليه (و يوقظ الراقد) اى فى اول الليل وآخره فيكون هو سبب احيائه و باعث ذكره ودعائه (و يرغب فى العبادة) اى من سمعه من اهل الطاعة والسعادة (فورد ان الملائكة) صدر الحديث اذا قام احدكم من الليل يصلى فليجهر بقراءته فان الملائكة اى الحفظة (وعمار الدار) بضم العين وتشديد الميم جمع عامر اى ساكنوها اى من مسلمى الجن (يستمعون قراءته و يصلون بصلاته) رواه بنحوه بزيادة فيه ابو بكر البزار ونص المقدسى فى المواعظ من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر ومنقطع (والمتعدى) اى العمل الذى يتعدى ثوابه الى الغير (افضل) من العمل اللازم القاصر على صاحبه (وتضاعف النية بضاعف الاجر (فهما) حضره شئ من النيات المتقدمة فالجهر افضل وان اجتمعت النيات المتعددة تضاعف الاجر والمثوبة و بكثرة النيات فى العبادات يزكو عمل الابرار و يزيد فى الدرجات (والاخفاء) فى السر و الجهر (النظر الى صلاح القلب) اى فى حضوره مع الرب (فصوب عليه السلام ابابكر فى الاسرار وعمر فى الجهر بعد الفحص عن النية) روى انه عليه

السلام مر على ثلاثة نفر من اصحابه مختلفي الاحوال فمر على ابي بكر وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال ان الذي اناجيه هو يسمعني ومر على عمر وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال اوقظ الوسنان وازجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة فسأله فقال اخلط الطيب الطيب فقال كلكم قد احسن ابو داود من حديث ابي هريرة باسناد صحيح نحوه وفي رواية انه عليه السلام قال لابي بكر لم خفضت صوتك فقال اسمعت من ناجيت وقال لعمر ولم رفعت صوتك قال اوقظ الوسنان واطرد الشيطان فقال لابي بكر ارفع قليلا وقال لعمر اخفض قليلا وهو مناسب دليلا لقوله سبحانه * ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا * ولعله عليه السلام دعاهما لمقام جمع الجمع فان الصديق كان في جمع الصرف والفاروق في منع التفرقة وقيل لئلا يكون كل منهما عاملا الا بمتابعته في جميع حالته (ويحسن الصوت) اي بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم (به) اي بالقرآن (فورد ما اذن الله لشيء) اي ما سمع وقبل واقبل (اذنه) بفتحتين منصوبا (لشيء) اي من المسموعات اي مثل سماعه وقبوله واقباله (لحسن الصوت بالقرآن) متفق عليه من حديث ابي هريرة بلفظ ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي يتغنى بالقرآن زاد مسلم لنبي حسن الصوت وفي رواية كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقال عليه السلام زينوا القرآن باصواتكم ابو داود والنسائي وابن ماجة والحاكم وصححه من حديث البراء بن عازب وقال من لم يتغن بالقرآن فليس منا اي من لم يترنم وهو اقرب لغة من معنى الاستغناء (وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة ينتظر عائشة فابطأت عليه فقال ما حبسك قالت يا رسول الله كنت اسمع قراءة رجل ما سمعت احسن صوتا منه فقام عليه السلام حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد لله الذي جعل في امتي مثله ابن ماجة من حديث عائشة ورجال اسناده ثقات واستمع عليه السلام ايضا ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه ابو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال من اراد ان يقرأ القرآن غضا كما انزل فليقرأ على قراءة ابن ام عبد احمد والنسائي في الكبرى من حديث عمر والترمذي وابن ماجة من حديث ابن مسعود ان ابا بكر وعمر بشرا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب ان يقرء القرآن الحديث قال الترمذي حسن صحيح وقال عليه السلام لابن مسعود اقرأ علي فقال يا رسول الله اقرأ عليك وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري فكان يقرأ ورسول الله صلى الله عليه وسلم عيناه تفيضان متفق عليه من حديث ابن مسعود (واستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قراءة ابي موسى فقال لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود متفق عليه من حديث ابي موسى وفي الخبر كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقرأ سورة من القرآن وقال عليه السلام من استمع الى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيمة احمد من حديث ابي هريرة (مكتفيا على الترغيب) اي على قدر الرغبة (والتأثير) اي وتأثير النفس والقلب فورد اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم يقرؤنه وفي بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه كذا في الاحياء وقال العراقي متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلي باللفظ الثاني دون قوله ولانت جلودكم قلت ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى * الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر

منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله * وورد ان من احسن الصوت بالقرآن الذى اذا سمعتموه يقرأ رأيت انه يخشى الله تعالى ابن ماجة من حديث جابر بسند ضعيف ولا يسمع القران من احد اشهى منه ممن يخشى الله تعالى الحاكم ابو عبد الله (غير معير نظمه) اى مبناه بتغيير مخرج حروفه وصفاتها وتبديل حركاتها وسكناتها وزيادة فى مداتها وكفياتها (ولا مراعاة قواعد الموسيقى فى نغماتها المذمومة) فى الشريعة (المنسوبة الى المبتدعة) بل الى الكفرة الفجرة كما يشير اليه قوله تعالى * فمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون * اى مغنون وهامدون وخامدون (ولا مشتغل عن التدبر) فى آيه وآلائه وقصص رسله وانبيائه وانواع بلائه لاهل ولائه ثم اهلاك اعدائه وانجاء احبائه والتأمل فى احكامه من اوامره وزواجره والتفكر فى مبدأ امره ومنتهى عمره ومواقف القيامة واحوالها ودرجات الجنة وحسن آمالها ومنالها ودركات النار واختلاف اهوالها (وبعظمه) اى كما كان عكرمة بن ابى جهل اذا نشر المصحف غشى عليه ويقول هو كلام ربى هو كلام ربى (فورد لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) وتمام الآية وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون (من قرأ القرآن فرأى ان احدا اوتى افضل مما اوتى فقد استصغر ما عظم الله) اى واستعظم ما صغره الله وقد سبق الكلام على مبناه ومعناه (وبحضر القلب) فى التلاوة (لما سبق) فى حق الصلوة (انه الاصل) فى معرفة الرب (وبه فسر ما ورد) فى التنزيل (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) اى بقوة القلب واحضاره فى مكتب الرب (وبتدبر فورد) فى التنزيل (ليدبروا آياته) تمامه وليتذكر اولوا الباب فالتدبر سبب التذكر (وكان اهتمامهم بالنفقه) اى الدراية (دون التلقة) اى كثرة القراءة والرواية قال على لا خير فى عبادة لا فقه فيها ولا فى قراءة لا تدبر فيها وكان بعضهم يقول كل آية لا افهمها ولا يكون قلبى فيها لا اعد ثوابا لها وقد روى عن عامر بن قيس انه قال الوسواس يعترينى فى الصلوة فقيل له افى امر الدنيا فقال لا ان اختلف فى الاسنة احب الى من ذلك ولكن يشتغل قلبى بموقفى بين يدى ربى وابن اذهب وكيف انصرف قال الحجة فانظر كيف عد ذلك وسواسا وهو كذلك لانه يشغلهم عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله الا ان يشغله بمهم دينى ولكنه يمنعه عن الافضل ولما ذكر ذلك للحسن فقال ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا هذا وقد كثر اعتناء الصحابة بالقرآن من حيث معناه دون حفظ مبناه (حتى لم يستظهره) اى لم يحفظ جميعه (الا بضعة عشر) صحابيا من اكابر الصحابة واجلائهم فى القراءة كالخلفاء الاربعة وابى بن كعب وابن مسعود وزيد بن ثابت وسالم مولى ابى حذيفة وفى الاحياء مات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين الفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم الا ستة اختلف منهم فى اثنين قال العراقى قوله مات عن عشرين الفا لعله اراد بالمدينة والا فقد روينا عن ابى زرعة الرازى انه قال قبض عن مائة الف واربعة عشر الفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع انتهى واما من حفظ القرآن فى عهده ففى الصحيحين من حديث انس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اربعة كلهم من الانصار ابى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد وابو زيد قلت من ابو زيد قال احد عمومتى وزاد ابن ابى شيبة فى المصنف من رواية الشعبى مرسلا وابى الدرداء وسعيد ابن عبيد وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر استقرؤن القرآن من

اربعة من عبدالله ابن مسعود وسالم مولى ابى حذيفة ومعاذ بن جبل وابى بن كعب (بل الكثير منهم لم يحفظ الا سورة) كالبقرة (او سورتين) كازهرا وبن وكان الذى يحفظ البقرة والانعام من علمائهم وروى ابن الانبارى بسنده الى عمر قال كان الفاضل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر هذه الامة من يحفظ من القرأن السورة او نحوها الحديث وسنده ضعيف والترمذى وحسنه من حديث ابى هريرة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل مامعه من القرأن فاتى على رجل من احدثهم سنا فقال مامعك يافلان قال معى كذا وكذا وسورة البقرة فقال امعك سورة البقرة قال اذهب فانت اميرهم الحديث وبرد دمرارا) اى من حق القرأن ان يكرر المقروء مرة بعد مرة (فقد قام عليه السلام ليلة بآية) واحدة يرددها وهى * ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفرلهم فانك انت العزيز الحكيم * النسائى وابن ماجة بسند صحيح عن ابى ذر (وقرأ عليه السلام آية بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة ابو ذر الهروى فى معجمه عن ابى هريرة بسند ضعيف وقام تميم الدارى ليلة بهذه الآية * ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات * الآية وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية * وامتازوا اليوم ايها المجرمون (ويتفهم) بان يتكلف ضبط مبانيه وفهم معانيه ويستوضح من كل اية مايليق بها اذ القرأن يشتمل على ذكر ذات الله وصفاته وافعاله ومصنوعاته وذكر احوال انبيائه واوليائه وبيان حال اعدائه وذكر اوامره وزواجره وبيان درجات جنته ودركات ناره (وهو يتفاوت بحسب صفاء الباطن) وانواره (وظهور المكاشفة) للقلب واسراره (فوردان للقرأن ظهرا وبطنا) تمامه وحدا ومطلعا ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن مسعود وروى عن ابن مسعود مرفوعا ايضا ان القرأن انزل على سبعة احرف لكل اية منها ظهر وبطن ولكل حرف حد ومطلع فالظاهر تلاوة المبنى والباطن تفهم المعنى والحد احكام الاحكام والمطلع ماينكشف من المرام بعد هذا المقام واخرج النسائى من رواية ابى جحيفة قال سألنا عليا رضى الله عنه فقلنا هل عندكم من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شئ سوى القرأن فقال لا والذى فلق الحبة وبرئ النسمة الا ان يعطى الله عزوجل عبدا فهما فى كتابه الحديث وهو عند البخارى بلفظ هل عندكم شئ ماليس فى القرأن وقال مرة ماليس عند الناس (لايفقه العبد) اى كل الفقه (حتى يرى للقرأن وجوها كثيرة) قال ابو الدرداء لايفقه الرجل حتى يجعل للقرأن وجوها وعن الامام جعفر الصادق ان كتاب الله على اربعة اشياء العبارة والاشارة واللطائف والحقايق فالعبارة للعوام والاشارة للخواص واللطائف للاولياء والحقايق للانبياء اقول وفى الحقيقة لايعرف حقايق كلامه ودقايق مرامه غيره سبحانه بتمامه لان كلامه الازلى من نعته العلى وكالانهاية لذاته ولاغاية لصفاته فان تحت كل حرف من حروفه بحرا من بحار الاسرار ونهرا من انهار الانوار وقد قال عز من قائل ايماء الى عجز معرفة من سواه * ولو ان مافى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله * اى طرائق مبانيها ولطائف معانيها ومن هنا قال على لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب وقد قيل لايكون المريد حتى يجد فى القرأن كل مايريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغنى بالمولى عن العبيد وفى الخبر لولا ان الشياطين يحدقون على قلوب ابن ادم لينظروا الى الملكوت ومعانى القرأن من

جملة الملكوت رواه احمد عن ابى هريرة (اقرأوا القرأن والتمسوا غرايبه) ابن ابى شيبة فى مصنفه وابو يعلى الموصلى والبيهقى فى شعبه من حديث ابى هريرة بلفظ اعربوا وسنده ضعيف وعن ابن مسعود من اراد علم الاولين والآخرين فليتور القرأن هذا وقد شرط الله عز وجل الانابة فى الفهم والتذكر فى العلم فقال * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب * وقال * وما يتذكر الا من ينيب * وقال * انما يتذكر اولو الباب * والذى آثر غرور الدنيا على سرور العقبى فليس من ذوى الالباب فلذا لا ينكشف له اسرار الكتاب وانوار الخطاب وقد ورد اذا عظمت امتى الدينار والدرهم نزعت منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حرموا بركة الوحى قال الفضيل يعنى حرموا فهم القرأن كذا فى الاحياء وقال العراقى رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب الامر بالمعروف مفضلا من حديث الفضيل ابن عياض قال ذكر عن نبى الله صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى * واوحى الى هذا القرأن لانذركم به ومن بلغ * قال محمد بن كعب القرظى من بلغه القرأن فكأنما كلمه الرحمن وقال بعض اهل الفضائل هذا القرأن رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهود لنتدبرها فى الصلوات فنقف عليها فى الخلوات ونتفد بها فى الطاعات وبالسنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ماذرع القرأن فى قلوبكم ياأهل القرأن ان القرأن ربيع المؤمن كما ان الغيث ربيع الارض وقال قتادة لم يجالس هذا القرأن احد الا قام بزيادة او نقصان قال تعالى * وننزل من القرأن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا * ولذا قيل من لم يكن متصفا باخلاق القرأن فاذا قرأ القرأن ناداه الله عز وجل مالك ولكلامى وانت معرض عنى دع عنك كلامى اذلم تتب الى ومما يدل على ان مدار القرأن على فهمه والعمل بامره ونهيه مارواه ابوداود والنسائى فى الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبدالله بن عمر قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرئنى يارسول الله فاقرأه اذا زلزلت الارض حتى فرغ منها فقال الرجل والذى بعثك بالحق لا ازيد عليها ابدا ثم ادبر الرجل فقال عليه السلام افلح الرويجل ولاحمد والنسائى فى الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق انه صاحب القضية وقال حسبى لا ابالى ان لا اسمع غيرهذه وعن جعفر الصادق والله لقد تحكى الله سبحانه لخلقه فى كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال ايضا وقد سألوه عن حالة الخفية فى الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سرى منه قيل له فى ذلك فقال مازلت اردد الآية فى قلبى حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمى لمعاينة قدرة وكان رضى الله عنه تصور ان الله سبحانه جعل لسانه بمنزلة شجرة موسى عليه السلام وانه نودى فى شانه ماصدر من الكلام فى ذلك المقام وفق المرام ومن هنا قال بعض الحكماء كنت اقرء القرآن فلم اجد له حلاوة حتى تلوته كأنى اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كأنى اسمعه جبريل يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانا الآن اسمعه المتكلم به سبحانه فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه فقال عثمان وحذيفة لو طهرت القلوب لم يشبع من قراءة القرآن وعن ثابت البنانى كما بدأت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة و بمشاهدة المتكلم دون ماسواه يكون العبد ممتثلا لقوله سبحانه * ففروا الى الله * قيل ليوسف بن اسباط اذا قرأت القرآن بما تدعو قال بماذا ادعو استغفر الله

عز وجل من تقصيري سبعين مرة فيستغفر الله مما سواه ولا يعبد الا اياه ولا يقصد في الدارين ماعداه (اما ماورد من فسر القرآن برأيه فليتبوء مقعده من النار) اى فليهيئ مكانه من نار جهنم رواه الترمذى من حديث ابن عباس وحسنه وهو عند ابى داود فى رواية ابن العبد و عند النسائى فى الكبرى (فمحمول) اى وعيده (على القطع على مراده تعالى) اى اذا لم يعلم انه مراده كما فى الآيات المتشابهات والالفاظ المشتركة فى اللغات والا فمن المعلوم ان قوله تعالى * اقيموا الصلوة وآتوا الزكاة * اراد الله بهما العبادتين احديهما بدنية والاخرى مالية خلافا لبعض الملاحدة من الصوفية حيث قالوا المراد بالصلوة وصل الصلوات و بالزكاة طهارة القلب عن الكائنات (والاحتجاج لاثبات الهوى) بان يكون له فى الشئ رأى واليه ميل من طبعه وهواه فيتناول القرآن على مقتضاه ليحتج على تصحيح غرضه ومدعاه ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى (دون الاستنباط) اى لا يحمل على استنباط المعانى من مدارك المبانى فى الآيات المحتملات (لفقد السماع) اى لعدم سماع جميع المعانى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفسير السبع المثانى (الا فى بعض آيات) تعد نادرات فى واقعات (واختلافهم) اى ولاختلاف الصحابة و المفسرين (على اقوال) اى مختلفة (يمتنع التوفيق بينهما) اى لا يمكن الجمع بينهما لتناقض مبانيها وتعارض معانيها فنعلم على القطع ان كل مفسر قال فى المعنى ماظهر له باستنباط فى المبنى حتى قالوا فى الحروف التى هى اوائل السور سبعة اقاويل مختلفة بل سبعين قولا غير مؤتلفة (ورود لعله الذين يستنبطونه منهم) الآية والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فانبت لاهل العلم استنباطها ومعلوم انه وراء السماع فجاز لكل واحد ان يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله بشروط تذكر فى محله الاليق به ومن ذلك استخراج ابى بكر رضى الله عنه موت النبى صلى الله عليه وسلم من قوله سبحانه * اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى * فان الكمال يشير الى الزوال كوصول الشمس الى وسط السماء فهو استخراج للمعنى لا يفهم من ظاهر المبنى (اللهم فقهه فى الدين) اى ابن عباس (وعلمه التأويل) البخارى من حديث ابن عباس فلو كان التأويل مسموعا كالتنزيل فما معنى تخصيصه بذلك ثم اذا كان الاستنباط ممنوعا فينبغى ان لا يقبل مايقوله ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من قبل انفسهم على قدر فهمهم و يقال هو تفسير بالرأى لانهم لم يسمعوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس كذلك فافهم فان اكثر القرآن مما تبين الا بقوله عليه السلام ثم ماتبين باقوال اصحابه الكرام واتباعه العظام من العلماء الاعلام (و يتخلى عن الموانع) اى و يجتنب عن موانع الفهم (كتحقيق المخارج) اى مخارج الحروف وتدقيق صفاتها (واداء اللفظ) من ترفيق وتغليظ وروم واشمام ومد وقصر ووقف مراعاتها بالمبالغة فى تحسين حالاتها والافهما من الواجبات المتعلقة بالقراءة (وقواعد الموسيقى) اى و يتخلى عنها بان لا يلحن فى القراءة لحنا جليا كما لا ينبغى ان يلحن فيها لحنا خفيا ففى المقدمة الجزرية * والاخذ بالتجويد حتم لازم * من لم يجود القرآن آثم * فانه به الاله انزلا * وهكذا منه الينا وصلا (والاصرار على الذنب) اى و يتخلى عن الاصرار على الكبائر والصغائر فانه لا صغيرة مع الاصرار كما لا كبيرة مع الاستغفار وقد قال تعالى * والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم

ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون (والاتصاف بالذميمة) اى من الاخلاق الردية والاحوال الدنية (فورد) اى فى نعت القرآن (تبصرة وذكرى) اى تذكرة (لكل عبد منيب) والانابة هى الرجوع من الغفلة الى اليقظة كما ان التوبة الرجوع من المعصية الى الطاعة فهى والاوبة اخص من التوبة ولذا جاء فى وصف الانبياء والاولياء انه اواب فاستغفر ربه وخر راكعا واناب (و يقدر) اى يفرض القارئ و يقرر انه المراد (فى كل خطاب) من الامر و النهى وغيرهما كالوعد والوعيد فى كلام البارى (فورد) فى التنزيل (واوحى الى هذا القرآن لانذركم به) وقد سبق الكلام عليه ومايناسبه المرام لديه (اقرأ القرآن مانهاك) اى مادام ينهاك عن الكسل و الغفلة ونحوهما من المذمة وتمام الحديث واذا لم ينهك فليست تقرؤه الطبرانى من حديث عبد الله بن عمر بسند ضعيف (وقصة) اى و يقدر انه المراد فى كل قصة مشتملة على صحة ونعمة او محنة وغصة (فهى للتنبيه فورد) فى التنزيل (وكلا) اى وكل مايحتاج اليه ويصفه بقوله (نقص عليك من انباء الرسل مانثبت به فؤادك) بدل كل من كل واذا كان قلبه الاعلى يحتاج الى التثبيت فغيره اولى وورد اللهم يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك (ويتأثر) اى القارئ (باختلاف حال القلب) اى تقلبه (بحسب المعنى) اى بتفاوت معنى كلام ربه (فيفرح فيشتاق ويخاف) كلها لف ونشرها المرتب (عند آية رحمة وجنة وعذاب ونحوها) من التوبيخ والتهديد والوعد والوعيد والانذار والابشار (ويترقى فيه) اى فى مراتب التأثير من المقام الادنى الى المقام الاعلى (فالادنى) اى فى مقام الترقى (تقدير انه يقرأ بين يديه تعالى اى كما يقرأ بين يدى معلمه قال تعالى* الرحمن علم القرآن فيعتقد انه سبحانه ناظر اليه وسامع لما يبدو لديه و يجرى عليه فيفيد هذا الحال التملق والسؤال والتضرع والابتهال (ثم انه تعالى) اى يقدر انه سبحانه (يخاطبه) اى من وراء حجاب فيورثه الهيبة والعظمة وحقارة نفسه ان يكون متكلما بكلامه اى مستمعا لخطابه اوواقفا ببابه ومتعلقا بابه فيفيد التأدب بآدابه (ثم رؤية المتكلم) بان قرأ اسم الذات كاسم الله والحق (وصفاته) كاسم الحى والعليم والسميع والبصير والقدير (وافعاله) اى كاسماء افعاله مما اثره محسوس فى مخلوقاته كالمحيى والخالق والرازق والمصور والوهاب (والاولان) اى من الاحوال (لاصحاب اليمين) اى المطيعين من المسلمين (وغيرها) اى من المراتب المذكورة من انواع حالات الترقى (للغافلين) وقد تقدم تحقيق حصول الاحوال الكاملة للعلماء الكاملين (ويرى) اى وينبغى ان يرى السالك ولو كان فى اعلى المسالك (ودخوله فيما ورد فى العاصين والمقصرين دون المقربين وذوى اليقين) اى المعتبرين فى امر الدين (منها) اى من انواع الورد (الصلوة عليه) اى على النبى صلى الله عليه وسلم (فقيه وعد صحبته) اى رفقته فى منزلته (وشفاعته) لاهل محبته اما دليل الاول فقوله عليه السلام (ان اولى الناس بى اى بقربى فى العقبى اكثرهم على صلوة) اى فى الدنيا الترمذى وابن حبان عن ابن مسعود ويؤيده رواية البيهقى باسناد حسن عن ابى امامة فمن كان اكثر هم على صلوة كان اقربهم معى منزلة واما الثانى فورد اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على ثم اسئلو الله لى الوسيلة فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة وورد شفاعتى لاهل الكبائر من امتى الترمذى

وحسنه والبيهقي وصححه (وورد انها صدقة) رواه ابو يعلى من حديث ابي هريرة بلفظ اكثروا الصلوة على فانها زكوة لكم اى بمنزلة زكوة وصدقة لفقرائكم واغنيائكم ومن صلى على في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرله مادام اسمي في ذلك الكتاب الطبراني في الاوسط وابو الشيخ في الثواب والمستغفري في الدعوات من حديث ابي هريرة بسند ضعيف وفي رواية ابن ابي حاتم عن انس مرفوعا صلوا على فان الصلوة كفارة لكم فمن صلى على واحدا صلى الله عليه عشرا وفي روايته ايضا عن ابي كاهل من صلى على كل يوم ثلاث مرات وكل ليلة ثلاث مرات حبالي وشوقا الى كان حقا على الله ان يغفرله ذنوب تلك الليلة وذلك اليوم (وحقها ان تقرن) اى الصلوة (بالسلام فورد صلوا عليه وسلموا تسليما) وظاهره الجمع بينهما في كل موضع لكن لا يجب كما توهم النووي اذ الواو المطلق الجمع فاذا صلى في وقت وسلم في آخر فقد خرج عن عهدة الامر بن كما في قوله تعالى واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقد جعلت في المسألة رسالة مستقلة (والصلوة) بالخفض اى ويقرن بالصلوة (على سائر الانبياء) او بالرفع اى من حق الصلوة على النبي الصلوة على سائر الانبياء وكذا الملائكة المقربين اصالة (واهل البيت والصحابة) اى تبعا (فهو المأثور) وعليه الجمهور وقيل يجمع بين الصلوة والسلام لنبينا ويقتصر على السلام في الانبياء والملائكة (ولا يذكر عند العطسة) فيه خلاف (والذبح) وهو مكروه قال صاحب المحيط لان فيه ايهام الاهلال له (والتعجب) اى رؤية ما يستغرب فانه ممنوع وفي فتاوى قاضيخان رجل يقرأ القران وسمع اسم النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الناطفي انه لا يجب عليه الصوة لان قرأة القرآن على النظم والتأليف افضل من الصلوة ولو فيها من التشريف فاذا فرغ من القراءة ان صلى عليه كان حسنا وان لم يصل لم يأثم والله سبحانه اعلم والظاهر انه ان يستثنى ما اذا قرأ او سمع آية يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فانه يجب عليه الصلوة والسلام حينئذ ولو في الصلوة كما صرحوا بذلك في حال الخطبة وقد ورد من ذكرت عنده فليصل على النسائي والطبراني في الاوسط وابو يعلى وابن السني ورواه احمد وابن حبان والحاكم وصححه من ذكرني فليصل على ابو يعلى عن انس والظاهر ان الامر للوجوب لكن قال الطحاوي انه يتداخل في المجلس كسجدة التلاوة ومما يدل على الايجاب حديث رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على اى ذل في الباب ولصق بالتراب وابتلى بالحجاب رواه الترمذي وابن حبان والبزار والطبراني من حديث ابي هريرة وحسنه الترمذي البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على الترمذي والنسائي عن علي وابن حبان والحاكم عن حسين بن علي رضي الله عنهما والاخبار في هذا كثيرة والآثار شهيرة وقد ذكرت نبذة يسيرة في شرح الصلوات المحمديه والصلات الاحمديه (ومنها) اى من جملة الاوراد بل اجل ورد للعباد والعباد في جميع البلاد (الاذكار) ككلمة التوحيد والتمجيد واسماء الله والتسبيح والتحميد (المروية) في الاخبار المرضية (الوارد فيها) الفضائل) اى الكثيرة في الكتاب والسنة المصطفوية اما الكتاب فقوله تعالى * فاذكروني اذكركم * قال ثابت البناني انى اعلم امتي يذكرني ربي سبحانه وتعالى فقزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك قال اذا ذكرته ذكرني وقوله اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وقوله حكاية كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا وقوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وقوله فاذا

قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن عباس اى بالليل والنهار والبر والبحر والسفر والحضر والغناء والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقوله فى ذم المنافقين * ولا يذكرون الله الا قليلا * وقوله * واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ﴿ وقوله * ولذكر الله اكبر * قال ابن عباس له وجهان احدهما ان ذكر الله لكم اكبر من ذكركم اياه والآخر ان ذكر الله اكبر من كل عبادة سواه واما السنة فقوله عليه السلام ذاكر الله فى الغافلين بمنزلة الصابر المغازى رواه البزار والطبرانى فى الاوسط عن ابن مسعود وقوله تعالى انا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه ابن ماجة وابن حبان من حديث ابى هريرة والحاكم من حديث ابى الدرداء وقال صحيح الاسناد وقوله من احب ان يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى ابن ابى شيبة فى مصنفه والطبرانى من حديث معاذ وقوله لما سئل اى الاعمال افضل قال ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله ابن حبان والطبرانى فى الدعاء والبيهقى فى الشعب من حديث معاذ وقوله عزوجل اذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى واذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه واذا تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا واذا تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الى هرولة اليه يعنى بالهرولة سرعة الاجابة لديه والحديث متفق عليه من حديث ابى هريرة وقوله عزوعلا من شغله ذكرى عن مسألتى اعطيته افضل مما اعطى السائلين البخارى فى التاريخ والبزار فى المسند والبيهقى فى شعب الايمان من حديث عمر بن الخطاب وقوله عليه السلام لو ان رجلا فى حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله كان الذاكر لله افضل الطبرانى فى الكبير عن ابى موسى وقوله مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت رواه الشيخان عن ابى موسى الاشعرى وقوله اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر رواه احمد والترمذى والبيهقى عن انس واخرج الترمذى من حديث ابى هريرة مرفوعا اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت وما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع يا رسول الله قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقوله ليس يتحسر اهل الجنة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله تعالى فيها رواه الطبرانى وابن السنى عن معاذ وقوله اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون احمد وابن حبان وابو يعلى وابن السنى والحاكم والبيهقى من حديث ابى سعيد الخدرى ﴿ ومنها ﴾ اى من اصناف الورد (الدعاء فورد الدعاء مخ العبادة) الترمذى من حديث انس والدعاء هو العبادة اصحاب السنن الاربعة والحاكم وقال صحيح الاسناد وقال الترمذى حسن صحيح ليس شئ اكرم عند الله من الدعاء الترمذى وقال غريب وابن ماجة وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد مامن مسلم ينصب وجهه لله فى مسألة الا اعطاها اياه اما ان يعجلها واما ان يدخرها له احمد عن ابى هريرة الدعاء سلاح المؤمن ابو يعلى والحاكم عن على من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء فى الرخاء الترمذى والحاكم عن ابى هريرة وقال صحيح الاسناد من لم يدع الله غضب عليه ابن ابى شيبة من حديث ابى هريرة ونعم ماقيل

(شعر) الله يغضب ان تركت سؤاله * و بنى آدم حين يسأل يغضب)

واختلف هل الافضل هو الدعاء او السكوت تحت جريان القضاء مع ان الدعاء لاينافى الرضاء فقيل الاول افضل لحديث الدعاء مخ العبادة وقيل الثانى اكمل لقوله عليه السلام من شغله ذكرى عن مسألتى اعطيته افضل ماأعطى السائلين و يؤيده قول الخليل علمه بحالى يغنى عن سؤالى وقيل يختلف باختلاف الاوقات من البسط والقبض والخوف والرجاء ونحوها من الحالات وقيل ماكان لنفسه فالسكوت اولى وماكان لغيره فالدعاء احرى (وحقه) اى الدعاء (ان يترصد) اى ينتظر (شرائف الاوقات لما ورد فيه فضيلة من يوم) كيوم عرفة ويوم الجمعة (وليلة) كليلة الجمعة وليلة القدر (وسحر) وهو قبيل الصبح على ماذكره الجوهرى والسدس الاخير ماقاله الزمخشرى والثلث الاخير على مايفهم من كلام الغزالى لقوله عليه السلام ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفرله وقيل ان يعقوب عليه السلام انما قال لبنيه سوف استغفر لكم ربى ليدعو فى وقت السحر فقيل انه قام فى وقت السحر يدعو واولاده يؤمنون خلفه فاوحى الله عزوجل اليه انى قد غفرت لهم وجعلتهم انبياء وعن عائشة ماالفى رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر الاعلى فى بيتى او عندى الا نائما متفق عليه ولم يقل البخارى الاعلى (وجوف الليل) اى وسطه واثنائه كله اونصفه (وعند الزوال) اى لاستواء فانه بمنزلة نصف الليل ولانهما غالبا وقت الغفلة او بعد الزوال الاخير لماورد فيه من فتح ابواب السماء (وصعود الامام يوم الجمعة وفى جلسة الخطيب) اى على المنبر (وغروب الشمس فيها) اى وعنده فى الجمعة اقوال فى ساعة الجمعة وقد بينا هامع غيرها من الاقوال وماورد فيما سبق من اوقات الدعاء فى شرح الحصن الحصين (وبين الاذان والاقامة) يوم الجمعة اومطلقا فورد الدعاء بين الاذان والاقامة لايرد وقد جعله صاحب الحصن فى الاحوال والحديث رواه ابو داود والترمذى و النسائى و ابن حبان عن انس وزاد الترمذى قالوا فماتقول يارسول الله قال اسئلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة (و بين الظهر والعصر يوم الاربعاء) لم اجده وكان حقه ان يذكر رمضان فى اوقات الاجابة فروى البزار والطبرانى عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حضر رمضان اتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة و يحط الخطايا و يستجيب الدعاء لحديث (والاحوال) اى وان يترصد شرائف الاحوال كالغزو (ونزول المطر) رواه الشافعى فى الام مرسلا وقال قد حفظت عن غير واحد جرب الاجابة عنده (واداء الفرض) ظاهره بعداداته و يحتمل وقوعه فى اثنائه قال ابوهريرة ان ابواب السماء تفتح عند زحف الصفوف فى سبيل الله وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلوة المكتوبة وروى ابوداود والحاكم عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنتان لاتردان اوقلما تردان الدعاء عند النداء وعند الناس حين يلتحم بعضهم بعضا وفى رواية عنه ايضا مرفوعا قال ووقت المطر اوتحت المطر (وختم القرآن) خصوصا من القارئ فعن العرباض مرفوعا من صلى صلوة فريضة فله دعوة مستجابة الطبرانى فى الكبير وعن الحكم بن عتبة قال مجاهد وعنده ابن ابى لبابة والناس يعرضون المصاحف فلما كان اليوم الذى ارادوا ان يختموا ارسلوا الى والى سلمة بن كهيل فقالوا انا كنا نعرض المصاحف فاردنا ان نختم اليوم فاحببنا ان تشهدونا انه كان يقال اذا ختم القرآن نزلت الرحمة

عند ختمه رواه ابن ابى شيبة فى مصنفه وابو بكر بن ابى داود فى كتاب المصاحف بسند صحيح (والمشى الى المسجد) فورد انه عليه السلام اذا خرج للصلوة قال اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى بصرى نورا وفى سمعى نورا وعن يمينى نورا وعن شمالى نورا وخلفى نورا رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عباس وفى رواية كان يقول اللهم انى اسألك بحق السائلين عليك و بحق ممشاى اليك فانى لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء وانى خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك ان تنقذنى من النار وان تدخلنى فى الجنة مع الابرار (والصوم) اى حاله فورد الصائم لا يرد دعوته الترمذى وحسنه وابن ماجة من حديث ابى هريرة (والافطار) اى وقته فورد ان للصائم عند فطره لدعوة ما ترد ابن ماجة والحاكم عن ابن عمر (والسجدة) اى حال السجود فورد اقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء رواه مسلم (والرقة) اى رقة القلب ودمعة العين بذكر الرب (والتيقظ لجلاله تعالى) فانهما من علامات الاجابة (والمرض) فقد ورد اذا مرض العبد ثلاثة ايام خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ابو الفتح عن انس وعن عمر مرفوعا اذا دخلت على مريض فمره يدعو لك فان دعاءه كدعاء الملائكة كذا فى المشكوة (والغربة) فقد روى البزار عن ابى هريرة ثلاث حق على الله ان لا يرد لهم دعوة الصائم حتى يفطر والمظلوم حتى ينتصر والمسافر حتى يرجع (وقراءة الاخلاص) لم اجده (والكون فى الجماعة تبلغ مائة) ذكر فى الحصن الحصين فى الاحوال الاجابة اجتماع المسلمين وقال رواه الجماعة عن ام عطية الانصارية (والوقوف بعرفات) فورد خير الدعاء دعاء يوم عرفة الترمذى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده (والملتزم) وكذا رؤية الكعبة وعند زمزم (وعند قبره صلى الله عليه وسلم) وكذا فى مساجده ومشاهده (والكل مأثور) والبعض مشهور وفى الحصن زيادات عليه وقد شرحنا لديه من بيان اماكن الاجابة والذين يرجى لهم الاجابة وقد خلط المصنف بين الاحوال والرجال والامكنة والازمنة (ويستقبل القبلة ويرفع يديه) لما روى مسلم عن جابر انه عليه السلام اتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس وللنسائى من حديث اسامة بن زيد كنت ردفه بعرفات فرفع يديه يدعو ورجاله ثقات (حتى يرى ماتحت ابطيه ضاما كفيه جاعلا بطنهما نحو السماء فهو مروى) اى عن انس كان عليه السلام يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه فى الدعاء متفق عليه لكنه مقيد بالاستسقاء وعن ابى عباس كان عليه السلام اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلى وجهه الطبرانى فى الكبير بسند ضعيف وعن عمر كان عليه السلام اذا مد يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه الترمذى وقال غريب والحاكم فى المستدرك وسكت عليه (وورد انه تعالى يستحى ان يردها صفرا) بكسر الصاد اى خاليا فعن سلمان ان ربكم حيى كريم يستحى من عبده اذا رفع يديه ان يردهما صفرا ابو داود والترمذى وحسنه وابن ماجة والحاكم قال اسناده صحيح على شرطهما (دون العين) اى لا يرفعهما الى السماء حال الدعاء (فهو منهى عنه) فعن ابى هريرة مرفوعا لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء اولتخطفن ابصارهم رواه مسلم ولا يبالغ فى رفع صوته لما روى ابو موسى الاشعرى قال قدمنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا اصواتهم فقال ايها الناس ان الذى تدعون

ليس باصم ولاغائب ان الذى تدعون بينكم و بين اعناق ركابكم كذا فى الاحياء وقال العراقى حديث ابى موسى يا ايها الناس ان الذى تدعون ليس باصم ولاغائب متفق عليه مع اختلاف واللفظ الذى ذكره المصنف لابى داود وعن عبدالله بن مغفل مرفوعا سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وفى رواية والطهور ابوداود وابن ماجة وابن حبان والحاكم و يؤيده قوله تعالى * ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لايحب المعتدين * وورد اذا حب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه وفى لفظ صوته ابومنصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث الحسن قالا خفاء فى الدعاء افضل لتلك الآية ولقوله تعالى ثناء على زكريا * اذنادى ربه نداء خفيا (و يفتتح) اى يتبدئ الدعاء (بالتحميد) كما فى سورة الفاتحة وقع الثناء قبل الدعاء وقال سلمة بن الاكوع ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا استفتحه وقال سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب احمد والحاكم وقال صحيح الاسناد (والصلوة) اى على النبى عليه السلام فورد من حديث فضالة بن عبيد قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام عجل هذا ثم دعاه فقال اذا صلى احدكم فليبدأ بتمجيد ربه والثناء ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بما شاء رواه الجماعة وورد اذا سألتم الله حاجة فابدؤا بالصلوة على فان الله تعالى اكرم من ان يسأل حاجتين فيقضى احديهما و يرد الاخرى رواه ابو طالب المكى كذا فى الاحياء وقال العراقى لم اجده مرفوعا وانما هو موقوف على ابى الدرداء (و يختتم) اى الدعاء (بهما) اى بالحمد لقوله تعالى ۞ وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين * وبالصلوة (لكونهما) يكونان (مقبولين فلاترد حاجته فى البين) قال ابو سليمان الدارانى من اراد ان يسأل الله حاجته فليبدأ بالصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يسأل الله حاجته ثم يختم بالصلوة عليه فان الله تعالى يقبل الصلاتين وهو اكرم ان يدع مابينهما (ويقدم) على دعائه ربنا اى يارب (خمسا فورد فيه) اى فى حق تقديم ربنا خمسا وهو قوله تعالى ۞ ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك ۞ الى قوله * فاستجاب لهم ربهم وحاجة الآخرة) اى ويقدمها على حاجة الدنيا لقوله عليه السلام اللهم لاتجعل الدنيا اكبر همنا (لتسارع النجاح) اى الفوز والفلاح (ويجتنب الجهر والمخافة) اى بل يجعل دعاء وسط الحالة (فورد ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها) اى بدعائك كما قالت عائشة وهو متفق عليه وتمام الآية ۞ وابتغ بين ذلك سبيلا * لكن الظاهر ان المراد بصلاتك بقراءتك فيها كما تقدم وهو اما فى التهجد او المعنى لاتجهر بصلاتك على الدوام ولا تخافت بها فى تمام الايام وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجعل بعض الصلوات جهرية كالصبح والعشائين والجمعة والتراويح وبعضها سرية كالظهر والعصر وسائر النوافل وكان عليه السلام اذا قرأ من الليل رفع طورا وخفض طورا ابو نصر عن ابى هريرة (ولايتكلف بالسجع) فى الدعاء فان حال الداعى ينبغى ان يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه (فورد اياكم والسجع فى الدعاء) وتمامه يحسب احدكم ان يقول اللهم انى سألك الجنة وماقرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وماقرب اليها من قول وعمل وهو غريب بهذا السياق وللبخارى عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فانى عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لايفعلون الا ذلك اى عدم تكلف السجع ثم المنع انما هو التكلف فى السجع بخلاف ماذا ورد على مقتضى الطبع

والافق الادعية المأثورة على لسان صاحب الشرع جاءت كلمات متوازنة مؤتلفة الا انها غير متكلفة كقوله عليه السلام اللهم ذا الحبل الشديد والامر الرشيد اسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفون بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ماتريد الترمذى من حديث ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثا طويلا من جملته هذا وقال حديث غريب وكقوله اللهم انى اعوذبك من علم لاينفع وعمل لايرفع وقلب لايخشع ودعاء لايسمع احمد وابن حبان والحاكم عن انس وزيد فى رواية ومن هؤلاء الاربع وكقوله اللهم استر عوراتنا وأمن روعاتنا احمد فى مسنده عن ابى سعيد مرفوعا (والاولى ان يقتصر على المأثور لئلا يسأل مالا صلاح فيه) فانه اذا جاوزه قد يعتدى فيسأل مالا يقتضيه مصلحته فاكل احد يحسن فى دعوته ولذا روى عن معاذ ان العلماء يحتاج اليهم فى الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا ولا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا الدعاء من العلماء ولانه عليه السلام تعليما لامته الكرام ماترك شيئا مرغوبا الا دعا الله وطلبه ولا امرا مرهوبا الا سأل الله وتعوذه وقد جمعت الدعوات المصطفوية مع الدعوات القرآنية وسميته بالحزب الافخم والورد الاعظم (ويتضرع) اى بالاستكانة والتذلل عنده (ويخفى) اى الدعاء عن غيره (فورد* ادعوا ربكم تضرعا وخفية) والقياس على الذكر اولانه احد انواعه وقد ورد* واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول* وفى الحديث وخير الذكر الخفى (ويحقق الرجاء) اى فى اجابة الدعاء لحديث لايقل احدكم اللهم اغفرلى ان شئت اللهم ارحمنى ان شئت ليعزم المسألة فانه لامكره له متفق عليه من حديث ابى هريرة ولحديث اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة فان الله لايتعاظمه شئ رواه مسلم من حديث ابى هريرة (فورد ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة) تمامه واعلموا ان الله لايستجيب دعاء من قلب غافل الترمذى من حديث ابى هريرة وقال غريب والحاكم وقال مستقيم الاسناد وقال سفيان بن عيينة لايمنعن احدكم من الدعاء مايعلم من نفسه فان الله عز وجل اجاب دعاء اشر الخلق ابليس اذ قال رب انظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين وما احسن من قال من اهل الحال لو كان فيه خير لقال انظر الى مكان انظرنى (ويلح) اى يكرر الدعاء (فورد ان الله يحب الملحين الدعاء) الحكيم وابن عدى والبيهقى عن عائشة اما ماورد من حديث ان الله يبغض السائل المحلف فمحمول على سائل الخلق لمخالفته كلام الحق فى مدح الصحابة لايسألون الناس الحافا واقله التثليث فعن ابن مسعود كان عليه السلام اذا دعا دعا ثلاثا واذا سأل سأل ثلاثا رواه مسلم واصله متفق عليه (ولايستعجل) بان يستبطئ الاجابة (فورد يستجاب لاحدكم مالم يعجل) تمامه فيقول قد دعوت فلم يستجب لى متفق عليه من حديث ابى هريرة وقال بعضهم انى اسأل الله تعالى منذ عشرين سنة حاجة وما اجابنى وانا ارجو الاجابة سألت الله ان يوفقنى لترك مالا يعنينى وقد ورد اذا سأل احدكم ربه مسألة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن ابطأ عنه من ذلك شئ فليقل الحمد لله على كل حال البيهقى فى الدعوات من حديث ابى هريرة والحاكم نحوه من حديث عائشة مختصرا باسناد ضعيف وللبيهقى فى كتاب الصفات من حديث حبيب بن ابى ثابت قال حدثنا شيخ لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا جاء شئ يكرهه

قال الحمد لله على كل حال واذا جاءه شئ يعجبه قال الحمد لله المنعم المتفضل الذى بنعمته تتم الصالحات (ولا يذكر الطاعة) اى طاعته السابقة عند الدعوة (فهو يورث العجب) اى والمقام يقتضى المذلة وفيه نظر اذ جعله صاحب الحصن من آداب الدعاء تقديم عمل صالح كما فى حديث ابى بكر رضى الله عنه فى صلوة التوبة رواه الاربعة وكذا ذكر عمل صالح عند الشدة ويدل عليه حديث الشيخين عن ابن عمر مرفوعا قال بينما ثلثة نفر يتماشون اخذهم المطر فمالوا الى غار فى الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا اعمالا عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها فقال احدهم الحديث الطويل (ولا المعصية) اى ولا يذكرها (فهو ينفى الايقان) اى بالاجابة وان كان فى حيز الامكان والاولى ان يذكرها ويتوب منها ويستغفر عنها ليكون ادعى الى الاجابة كما سيأتى اليه الاشارة وقد تقدم ايضا فى طى العبارة (وقد جاء النذر) اى فى الكتاب والسنة فيجاز ان يقول مثلا ان استجاب الله دعائى فلله على ان اصلى كذا او اصوم كذا ونحو هذا (لقصة مريم رضى الله عنها) فقالت امهاحنة امرة عمران * رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك انت السميع العليم * الآيات وحيث قالت مريم انى نذرت للرحمن صوما ولقوله تعالى فى وصف الابرار * يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا * الآيات (والاضطرار) عطف على الرجاء اى وتحقق الاضطرار وهو اظهار كمال الاحتياج والافتقار (فورد امن يجيب المضطر اذا دعاه) وهو يعم الكفار (والاصل) اى فى قبول الاجابة (التوبة) اى حصولها بان يجتنب الحرام فى مأكله ومشربه وملبسه ومكسبه لما رواه مسلم والترمذى عن ابى هريرة يرفعه انه ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام فانى يستجاب لذلك (ورد المظالم) فانه من اركان التوبة وقال سفيان الثورى بلغنى ان بنى اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى اكلوا الميتة من المزابل واكلوا الاطفال وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال يبكون ويتضرعون فاوحى الله عز وجل الى انبيائهم لو مشيتم الى باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ ايديكم عنان السماء وتكل السنتكم عن الدعاء فانى لا اجيب لكم داعيا ولا ارحم منكم باكيا حتى ترد المظالم الى اهلها فعملوا فطروا من يومهم (وتوجيه الهمة اليه تعالى) اى تخليص قصد القلب الى جانب الرب وعدم الالتفات الى ماسواه فى المطلب فان همة الرجال تهد الجبال بل هو من اركان الدعاء قال تعالى * فادعوا الله مخلصين له الدين وقال * فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين (فالنافع) اى من الدعاء ولو من المأثور (هو الحضور) اى مع الله فى مجلس الانس والسرور (اذ المقصود الانس به تعالى) الموجب للنور فى الصدور واما الحور والقصور وسائر انواع الحبور فالالتفات اليها نوع من التقصير والقصور (وبه) اى بالانس فى حضرة القدس (يرجى خير الخاتمة) اللاحقة التى مدارها على العناية السابقة كما يشير اليه قوله تعالى * ان الذين سبقت لهم منا الحسنى (ويلازمه) اى يلازم مطلق الدعاء (فى الرخاء) اى فى حال النعماء والآلاء (ليندفع البلاء) اى فى البراء والضراء فورد من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء فى الرخاء الترمذى عن ابى هريرة والحاكم عن سلمان وقال صحيح الاسناد وروى البيهقى والخطيب

عن جابر مرفوعا لقد بارك الله فى حاجة اكثر الدعاء فيها اعطيها اومنعها (ويرغب فى دعاء ذى فضيلة دينية) اى من العلماء الاعلام والمشايخ الكرام والامام العادل للانام (فورد) ثلاثة لا يرد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم وللبيهقى عن ابى هريرة ثلاثة لا يرد الله دعوتهم الذاكر الله كثيرا والمظلوم والامام المقسط وقد ثبت انه عليه السلام قال لعمر حين اعتمر شاركنى فى دعائك يا اخى وروى مسلم من حديث عمر انه قال لاويس القرنى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يأتى عليكم اويس بن عامر مع امداد اهل اليمن من مراد ثم من قرن كان فيه برص فبرئ منه الا موضع درهم له والدة فهو لها بر لو اقسم على الله لابره فلو استطعت ان تستغفر لك فافعل فاستغفر له (ويتقى دعاء المظلوم) فورد اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على الغمام يقول الله وعزتى وجلالى لانصرنك ولو بعد حين الطبرانى فى الكبير والضياء عن عزيمة بن ثابت والحاكم عن ابن عمر ولفظه اتقوا دعوة المظلوم فانها تصعد الى السماء كانها شرارة واحمد والطيالسى من حديث ابى هريرة دعوة المظلوم مستجابة وان كان فاجرا ففجوره على نفسه واسناده حسن والظاهر ان المراد بالفاجر الفاسق ويحتمل ان يكون المراد به الكافر لما فى رواية ولو كان كافرا رواه احمد وابو يعلى والضياء عن انس اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافرا فانه ليس دونها حجاب ولابن حبان من حديث ابى ذر الغفارى قلت يا رسول الله ما كانت صحف ابراهيم قال كانت امثالا كلها ايها الملك المسلط المبتلى المغرور انى لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا اردها وان كانت من كافر (ولا يدعو على احد) لئلا يهلك بسبب دعائه احد ولو كان ظالما لقوله تعالى * فمن عفا واصلح فاجره على الله (فالكل مأثور) اى وعاملة فى كله مأجور (ومنها) اى من جملة الاوراد (التفكر فوردوا يتفكرون فى خلق السموات والارض) اى فى مخلوقاتهما او فى كيفية ايجادهما او ابقائهما بامدادهما وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الاية ولم يتفكر (تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة) ذكره الفاكهانى من كلام السرى السقطى وقال قال ابن عباس وابو الدرداء فكر ساعة خير من قيام ليلة انتهى واخرجه الديلمى عن انس وفى الجامع الصغير للسيوطى فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة ابو الشيخ فى العظمة عن ابى هريرة وقيل هو الذى ينقل من المكاره الى الرب ومن الرحب والرغبة الى الزهد والقناعة وقيل هو الذى يحدث مشاهدة فانها نتيجة المراقبة (وهو) اى التفكر (طلب المعرفه) بنظر الفكرة (اوله التذكر) اى اول التفكر تذكر ما نسى من جهة الغفلة (وهو) اى التذكر (احضار القلب) من اضافة المصدر الى فاعله (المعارف) اى معرفة نعمته الظاهرة والباطنة واعلم ان المواظبة على الاوراد هو الطريق الى الله للعباد وخواصهم من الزهاد والعباد لان الناظرين بنور البصيرة اعلموا انه لا نجاة الا فى لقاء الله عز وجل وانه لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محبا لله وعارفا مولاه وان المحبة والانس لا يحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة على فكر المطلوب وان المعرفة لا تحصل الا بدوام الذكر والفكر فيه وفى صفاته وافعاله وليس فى الوجود سوى ذاته وصفاته وافعاله فى مصنوعاته ثم لم يتيسر دوام الذكر والفكر الا بتوديع الدنيا وشهواتها والاكتفاء منها على قدر البلغة وضروراتها وكل ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات الليل وساعات النهار فى وظائف الاذكار ولطائف الافكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملالة لا تصبر على فن واحد

من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد من الافعال والاحوال اظهرت الملال والاستثقال وقد ورد ان الله تعالى لايمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت من اصل وفرع لتكثر بالانتقال لذتها وتغزر باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها ولله در القائل من ذوى الفضائل (شعر)

(لاتصلح النفس اذ كانت مدبرة * الا التنقل هذا طبع للبشر) فاصله اصلا لايتغيروا ما الملائكة فهم لايسأمون فكل جمع منهم على طاعة مستمرون ولذا يقسم الاوراد بقسمة مختلفة لاوقاتها وحالاتها والذكر والفكر ينبغي ان يستغرقا جميع الاوقات او اكثر الحالات فان النفس بطبعها تميل الى ملاذ الدنيا البطالات فان صرف العبد شطر اوقاته مثلا الى تدبيرات الدنيا وشهواتها والشطر الآخر الى العبادات وتحسين حالاتها رجح جانب الميل الى الدنيا لمو فقتها فى الطبع والهوى اذا لوقتان متساويان فانى يتقاومان فالطبع لاحدهما مرجح لامحالة اذ الظاهر والباطن يتساعدان على امور الدنيا و يتباعدان عن طريق العقبى فمن اراد ان يدخل الجنة بغير المحاسبة فليستغرق اوقاته فى الطاعة قال تعالى * يا ايها الذين آمنوا تقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون * وورد حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وقال عز وعلا * كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا * ومن اراد ان يترجح كفة حسناته و ينقل ميزان خيراته فليستوعب فى الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا وآخر سيئا فامره مخطر ومقتطع ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله تعالى منتظر متوقع فعسى الله ان يغفر له بجوده وكرمه ولطفه وحلمه (وجد واء العلم) اى ثمرة الفكر وفائدته ونتيجته ثلاثة مترتبة وهى العلم والحال والعمل هذا معنى قوله (وهو) اى العلم (حصول المعرفة) المثمر للحال وهو) اى الحال (تأثر القلب المثمر للعمل وهو) اى العمل (خدمة الجوارح) اى الاعضاء فى الطاعة وتوضيحه ان ثمرة الفكر ثلثة العلم والحال والعمل ولكن ثمرته الخاصة هى العلم نعم اذا حصل العلم فى القلب تغير حال القلب واذا تغير حال القلب تغير عمل الجوارح فالعمل تابع للحال والحال تابع للعلم والعلم تابع للفكر فالفكر اذا هو المبدأ والمفتاح للخيرات وهذا يكشف لك عن فضيلة الفكر وانه خير من الذكر لان فى الفكر ذكر اوزيادة وذكر القلب خير من عمل الاركان (ومجراه) اى مجرى التفكر ومسراه شيئان (اما المعاملة) وهو مبدأ السلوك فى طريق المعاملة (وحقه) اى حق التفكر فى المعاملة الظاهرة (ان يبدأ) اى يبتدئ بالنظر والتأمل (فى معاصيه الظاهرة) واحدا بعد واحد ويتفكر فى كل (هل هذا محظور) اى حرام اومكروه (ثم هل يوجد فيه) اى المحذور المذكور (ثم ما التدبير فى دفعه) بالسعى المشكور (ثم فى طاعته) اى وبعد ذلك يتفكر فى انواع طاعته الظاهرة ويتأمل فى كل فرد منها (هل هذا مندوب) اى مستحب اوسنة مؤكدة اوواجب اوفرض محتم (ثم هل هذا مقدور) اى مصور له بانه مستطيع فى تحصيله من الزكوة والحج ونحو هما المستغنى عن تفصيله (ثم فى الباطن كذلك) اى بعد ذلك يتفكر فى المعاصى الباطنية من الاخلاق الردية والاحوال الدنية هل شئ منها يوجد فيه وما علاجه واخراجه حيث يدافع المقصود وينافيه وكذا فى الطاعات الباطنية من الشمائل الرضية والفضائل البهية نفيا واثباتا (واما المكاشفة) عطف على المعاملة اى ومجراه الاعلى الامور المكاشفة) المتعلقة بالمولى (فهو)

اى التفكر الموجب للمكاشفة انما هو (فى اسمائه الحسنى وصفاته العليا) الواردة فى الكتاب والسنة (وملكوت السموات والارض) اى وبواطنها المملوءة من العجائب والغرائب فى الطول والعرض (اما الذات المقدس فلا سبيل اليه الا بالذكر) لقوله تعالى ولا يحيطون علما وقال على كل ماخطر ببالك فالله وراء ذلك وقال عز وعلا ليس كمثله شئ وقال بعضهم كل اسم للمخلق الا اسم الله فانه لمجرد التعلق (فورد لا تفكروا فى ذات الله) ابن ابى شيبة فى كتاب العرش عن ابن عباس موقوفا وابونعيم فى الحلية عنه مرفوعا بلفظ تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله ذكره الزركشى وهو موقوف على ابن عباس وسنده جيد ذكره العسقلانى فى فتح البارى فى كتاب التوحيد وفى الجامع الصغير للسيوطى تفكروا فى كل شئ وتفكروا فى ذات الله فان بين السماء السابعة الى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك ابو الشيخ فى العظمة عن ابن عباس وفى رواية له عن ابى ذر بلفظ تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فتهلكوا وله ايضا عن ابن عباس تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدره ايماء الى قوله تعالى * وما قدروا الله حق قدره * اى ما عرفوه حق معرفته وما عظموه حق عظمته وفى رواية تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله ابو الشيخ والطبرانى فى الاوسط ابن عدى والبيهقى عن ابن عمر و ابونعيم فى الحلية عن ابن عباس ولفظه تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله (والعقل يعجز عنه) اى عن ادراك ذاته سبحانه (عجز الخفاش عن ضوء النهار) اى لضعف بصر الخفاش وقوة نور الشمس فهو عزوجل من غاية نوره مخفى عن ظهوره ومن هنا قيل * العجز عن درك الادراك ادراك (وحقائق الصفات كذلك) اى لا يدرك كنهها هنالك (فلا يطيقه الا الخواص) من الانبياء وكل الاولياء (احيانا) فى اعلى مراتب مقامهم (ولا يذكرون للعوام الا على قدر افهامهم) لتقيدهم بتصورات اشكالهم وامثالهم فى عقولهم واوهامهم (فعلى العبد) السالك طريق الارادة (ان يديم العبادة) بالصلوة والتلاوة (ظاهرا و باطنا) بالذكر والفكر و يترك المألوف والعادة (لتحصيل محبته تعالى اذ هى اهم) من المطلوبات واتم من المقصودات وقد قال تعالى * قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله * الآيات وعن عائشة من عوده الله عبادة فتركها ملالا مقته الله رواه ابن السنى فى رياضة المتعبدين موقوفا عليها قال العراقى وتحقيق هذا الخبر انه مقته الله فتركه ملالة فلولا المقت والابعاد لما سلطت عليه الملالة (فى النهار يشتغل) بالاذكار والافكار (بعد الفجر) اى ظهور الصبح والاسفار (الى الاشراق) اى طلوع الشمس وضوء النهار لقوله تعالى * يسبحن بالعشى والاشراق (لازما مكانه) وملازما شانه (الا ان يخاف الرياء) فى عبادة ربه سبحانه (او التشويش) اى تشويش الخاطر من الخلق المانع من الحضور مع الحق هنالك (فيرجع و يلزم زاوية) اى معتدة لذلك (فكانوا) اى السلف (يبالغون فى رعايته) اى مراعاة هذا الوقت (و يعيبون المتكلم فيه) اى بكلام الدنيا و يخوفونه بالمقت (ووردانه) اى احياء (احب من عتق اربع رقاب من ولد اسمعيل) بفتح الواو واللام و بضم فسكون اى اولاده واحفاده من العرب (و بعد العصر الى المغرب كذلك) اى يشتغل بعد ادا العصر الى غروب الشمس كما ذكر هنالك واصل الحديث لان اقعد مع قوم يذكرون الله من صلوة الغدوة حتى تطلع الشمس احب الى من ان

اعتق اربعة من ولد اسمعيل ولان اقعد مع قوم يذكرون الله من صلوة العصر الى ان تغرب الشمس احب الى من ان اعتق اربعة ابوداود بسند حسن عن انس وفى رواية له لان اقعد فى مجلس ذكر الله من صلوة الغدوة الى طلوع الشمس احب الى من ان اعتق اربعة رقاب وروى احمد ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة عن جابر بن سمرة انه عليه السلام كان اذا صلى الغدوة جلس فى مصلاه حتى تطلع الشمس وفى رواية الترمذى عن انس من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كاجر حجة وعمرة تامة تامة تامة (وكان تعظيمهم) اى السلف (اياه) اى مابعد العصر (اكثر) من تعظيم مابعد الفجر اذهو وقت الغفلة و بعد وجود المعصية ولحديث الاعمال بالخواتيم فينبغى قيامه بالاستغفار ودوامه بالاذكار والافكار ومحاسبة ماجرى له من اعماله الفجار فمن الحسن كانوا اشد تعظيما للعشى منهم لاول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون اول النهار للدنيا وآخره للعقبى فليشكر الله على صحة جسمه و بقاء بقية من عمره فليشتغل بتدارك تقصيره فى امره وليحضر فى قلبه ان نهار العمر له انتهاء تغرب فيه شمس الحيوة ولايكون له بعدها طلوع و ابتداء وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الا اياما معدودة تنقضى لامحالة جملتها بانقضاء آحادها المحدوده (وورد) فى تخصيص فضل هذين الوقتين (واذكر اسم ربك بكرة واصيلا) اى صبحا وعشيا (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) وقال تعالى * واذكر ربك كثيرا (وسبح بالعشى والابكار) اى اطراف النهار (يا ابن آدم اذكرنى بعد) صلوه (الفجر ساعة و بعد) صلوة (العصر ساعة اكفك مؤنة مابينهما) ابن المبارك فى الزهد هكذا مرسلا عن الحسن (و يقرأ المسبعات العشر) فانه المستغاث للعسر (فى الوقتين) المذكورين (فيه فضل كثير) كما ذكره فى الاحياء لكن قال العراقى حديث كرز بن و برة عن رجل من اهل الشام عن ابراهيم التيمى ان الخضر علمه المسبعات العشر وقال فى آخرها اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم ليس له اصل ولم يصح فى حديث قط اجتماع الخضر بالنبى صلى الله عليه وسلم ولاعدم اجتماعه ولاحياته ولامانه انتهى والعشرة هى فاتحة الكتاب و الكافرون والاخلاص والمعوذتان وآية الكرسى والصلوه على النبى عليه السلام واللهم اغفرلى ولوالدى وللمؤمنين والمؤمنات وسبحان الله والحمدلله ولااله الاالله والله اكبر ولاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم واللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ماانت له اهل ولاتفعل بنا يا مولانا مانحن له اهل انك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم كل واحدة من العشرة يقرؤها سبع مرات (وكذلك) اى يشتغل بالعبادة (مابين الاشراق) وهو اول طلوع الشمس (والضحى) وهو الضحوة الكبرى وهو الربع بالتخمين الاخرى ثم فيه تفصيل بالنسبة الى اهل الارادة (ان كان متجردا لها) اى للعبادة (يشتغل بما سبق من العبادات) يعنى التلاوة والذكر والفكر والصلوة ونحوها من الطاعات (ينتقل) حال او بدل اشتمال او بيان انتقال (من نوع عبادة الى اخرى على حسب صلاح قلبه) فيما يراه حينئذ اولى واحرى فى الدنيا والاخرى وانما ينتقل فى تلك الحالة (قطعا للملالة) ودفعا للكسالة ورفعا للبطالة فورد عليكم من الاعمال ماتطيقون فان الله لايمل حتى تملوا الطبرانى عن عمران ابن حصين فقد كان فى الصحابة من ورده فى اليوم

اثنى عشر الف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون الفا وكان فيهم من ورده ثلاثمائة ركعة الى ستمائة والى الف ركعة واقل ماتقل فى اورادهم فى الصلوة مائة ركعة فى اليوم والليلة وكان بعضهم اكثر ورده القرآن فيختم فى اليوم مرتين اومرة وكان بعضهم يمضى اليوم والليلة فى التفكر فى آية واحدة وكان كرز بن و برة مقيما بمكة يطوف فى كل يوم سبعين اسبوعا وفى كل ليلة سبعين اسبوعا وكان مع ذلك يختم القرأن فى اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك مكان عشرة فراسخ و يكون مع كل اسبوع ركعتان فذلك مائتان و ثمانون ركعة وختمتان (والافضل قراءة القرأن فى قيام الصلوة متدبرا) اى الا و نهارا (فقيه) اى فى جمعهما يحصل (الصلوة و التلاوة والتعلم) اى يفهم المبنى و تصور المعنى (والحضور) مع المولى (والذكر) اى وانواع الذكر واصناف الفكر فى الهيئات المختلفة والحالات المؤتلفة وهذا فى حق المنتهى واما المبتدى ففى حقه دوام الذكر المجرد افضل والقراءة بالنسبة الى المتوسط امثل على ماقاله العارف الدهر وردى فى المعارف (وبغيره) اى ويشتغل بغير ماسبق ايضا من الحسنات (كعيادة المريض) لاسيما الغقير والغريب (وتشييع الجنازة) خصوصا للعلماء والاولياء (واعانة المسلم) واغاثته فى الامر المهم (وحضور مجلس العلم فهى عبادات) اى عظيمة وفيها مثوبات جسيمة (وكانوا يفعلونها مابين الاشراق والضحى) اى فى غالب احيانهم وعرف اهل زمانهم (وان لم يكن) اى السالك (متجردا) للعبادة (فالعالم او المتعلم يشتغل بالعلم) اى يشتغلان بتعليمه وتعلمه (فوردانه) اى الاشتغال بالعلم (افضل من صلوة الف ركعة وشهود الف جنازة وعيادة الف مريض وقراءة القرآن) وتقدم ان هذا الحديث لايصح فالاولى ان يستدل بنحو فضل العالم على العابد كفضلى على ادناكم ثم قراءة القرآن انما تعد من العبادة اذا كانت مجرد التلاوة واما تعلمه ومايتعلق به من انواع القراءة فهو من افضل العلوم فان شرف العلم بشرف المعلوم (غير ان المراد) اى المقصود هنا (بالعلم علم الآخرة) اى علم ينفع فى الآخرة كالكتاب والسنة الفاخرة (لماسبق) فى المقدمة من تقسيم علماء الدنيا وعلماء الآخرة وان غير علم الآخرة يقسى القلب فضلا عن حصول الثواب ووصول القرب (فيتفكر) اى كل من العالم والمتعلم (فى حل المشكل بعد الاشراق) اوقبله بعد اداء الفجر فانه افضل بالاتفاق (فالقلب فيه) اى فى صدور النهار (اصفى) اى ابعد من الاكدار (لكونه بعد الذكر) اى بعد وقوع الصلوة والاذكار (قبل عمل الدنيا) ومايتعلق بهذه الدار المشتملة على انواع من الاوزار وقد ورد اللهم بارك لامتى فى بكورها (والمشتغل بامور الناس) اى عموم المسلمين (كالقاضى والوالى) وهو الامام المتولى وكذا المدرس والمفتى (اوامور) ه اى امور نفسه (كالكاسب) ونحوه (يشتغل بتلك الامور مراعيا بشروطها) كما هو المشهور وقد قيل لاينبغى ان يوجد المؤمن الافى ثلاثة مواطن مسجد يعمره اوبيت يستره اوكسب لابد منه فيحضره (ذاكرا فى اثنائها) لقوله تعالى * رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله * الآية (محضرا قلبه) مراعيا ربه (قاصرا كسبه على الحاجة) اى قدر الضرورة له فى امر المعيشة من النفقة (الا) اى لكنه يجوز له الزيادة (للصدقة) اى لاجل ان يتصدق على ذى الحاجة (فقيل هو) اى الكسب للتصدق (احب من الذكر لانه) اى نفقة التصدق (متعد) للغير والذكر قاصر ثوابه

على الذاكر (وقيل الذكر) هو الافضل من التصدق وهذا هو الظاهر فقد ورد لو ان رجلا يقسم دراهم وآخر يذكر لكان الذاكر لله افضل ولقول عيسى عليه السلام ياطالب الدنيا لتبر تركك للدنيا ابرو قد اتفق المشايخ على ان الفقير الصابرا فضل من الغنى الشاكر (والاولى النظر الى صلاح القلب) اى والهام الرب فقد يصلح للواحد الكسب للتصدق فيكون اولى فى حقه من الذكر وقد يصلح الذكر للآخر فيكون اولى من الكسب للتصدق ويشير اليه قوله تعالى* ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا* وحديث ان من عبادى من لايصلحه الا الغنى ولو افقرته لفسد حاله وان من عبادى من لايصلحه الا الفقر ولو اغنيته لفسد حاله ومن هنا قال عمر الفقر والغنى مطيتان لاابالى ايهما اركب لكن الفقرا سلم والله اعلم (ويديم الورد فورد احب الاعمال ادومها وان قل) متفق عليه من حديث عائشة (بل يزيد) اى المريد فى الورد ان كان من اهل المزيد كيفية او كيفية (فورد لا يورث لى فى يوم لا اذاد فيه خيرا) اى عملا اوعملا والحديث كذا فى لاحياء وقال العراقى ورد عملا مدل خير اوقلت واصل الحديث على مافى الجامع الصغير اذا اتى على يوم لا ازداد فيه علما يقربنى الى الله تعالى فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم الطبرانى فى الاوسط وابن عدى وابونعيم فى الحلية عن عائشة (ويجمع) فى يوم واحد (بين الصوم والصدقة والعيادة والتشييع فورد من جمعها فى يوم غفرله اوادخل الجنة) شك من الراوى قال العراقى حديث من جمع بين صوم وصدقة وعيادة مريض وشهود جنازة غفرله وفى رواية دخل الجنة مسلم من حديث ابى هريرة ماا جتمعن فى امرئ الادخل الجنة انتهى وفى الجامع الكبير للسيوطى عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من اصبح اليوم منكم صائما قال ابوبكر انا قال من عاد منكم اليوم مريضا قال من شيع منكم جنازة قال ابوبكر انا قال وجبت لك الجنة رواه البخارى وليس فيه ذكر الصدقة ولعله فى رواية اخرى اوسقط من الكتاب وفى الجامع الصغير من اصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا وشهد جنازة وتصدق بصدقة فقد اوجب البيهقى عن ابى هريرة وفى رواية له ولابن عدى والبخارى فى تاريخه عن جابر من اصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا واطعم مسكينا وشيع جنازة لم يتبعه ذنب اربعين سنة (امافى الليل) اى فى ورده (فالاحوط ان يوتر) اى يصلى الوتر (قبل النوم فيحتمل ان لايستيقظ) اذالنوم اخو الموت (او) يستيقظ (ويكره القيام) لاستثقال المنام فيتركه (ولو ادركه الموت لذهب به) اى بالوتر فيكون آثما فى الفوت (وفيه) اى وفى تقديم العمل (قصر الامل) وفى التأخير آفات لاحتمال قرب الاجل قال ابو هريرة اوصانى خليلى ان اوتر قبل ان انام متفق عليه (والاقوى) اى الافضل والاولى (ان يؤخر الوتر لمن يألف) اى يعتاد ويثق (بالقيام) بعد المنام وقد قالت عائشة اوتر عليه السلام اول الليل واوسطه وآخره وانتهى فى وتره الى السحر متفق عليه (وبقرأيس) فى كل ليلة والافضل فى التهجد فلا بن حبان من حديث جندب من قرأيس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفرله ولابى منصور الغزنوى من حديث على ياعلى اكثر من قراءة يس الحديث (وسجدة) الاولى والسجدة فللترمذى من حديث جابر كان لاينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك (ولقمان) لم اجده وكذا فى الاحياء لم يذكره (والدخان) فللترمذى من حديث ابى هريرة من قرأ حم الدخان

فى ليلة اصبح يستغفرله سبعون الف ملك (والملك) وقدسبق ولابى الشيخ فى الثواب من حديث عائشة من قرأ فى ليلة الم تنزيل ويس وتبارك الذى بيده الملك واقتربت كن له نورا الحديث (والزمر) فللترمذى من حديث عائشة كان لاينام حتى يقرأ بنى اسرائيل والزمر وقال حسن غريب (والواقعة) فللحارث بن ابى اسامة من حديث ابن مسعود من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم يصبه فاقة ابدا (والمسبحات الست) اى السور المصدرة بالتسبيح وهى الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والاعلى فللترمذى وقال حسن وابو داود والنسائى فى الكبرى من حديث عرباض ابن سارية كان يقرأ المسبحات فى كل ليلة ويقول فيها انها افضل من الف آية (وينام) اى بعد القيام (عند الغلبة) اى غلبة النوم (فهو المأثور) فقد روى ابو داود والنسائى من حديث عائشة مامن امرئ تكون له صلوة بالليل يغلبه عليها نوم الا كتب له اجر صلاته وكان نومه صدقة عليه وفى رواية النسائى وابن ماجة من حديث ابى الدرداء بسند صحيح من اتى فراشه وهو ينوى ان يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتبت له مانوى وكان نومه صدقة عليه من الله (وورد كانوا قليلا من الليل) اى من زمانه (مايهجعون) اى الذى يرقدون فيه اوكانوا مايرقدون قليلا من الليل فاخر مراعاة للفواصل اوكانوا قليلا من عبادنا مايرقدون من الليل اى بعضه اوكله وقيل مازائدة ويهجعون خبر كان وقليل ظرف اى ينامون فى زمن يسير من الليل) ويقومون اكثره والآيات والاخبار والآثار فى احياء الليل كثيرة شهيرة منها سورة المزمل وقوله تعالى ۞ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ۞ الايات وفى الحديث عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم الترمذى من حديث بلال والطبرانى والبيهقى من حديث ابى امامة بسند حسن وعن المغيرة بن شعبة قام النبى صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له يارسول الله قد غفر الله لك من ذنبك ماتقدم وماتأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا الترمذى فى الشمائل واصله فى الصحيحين وذكر عنده رجل نام حتى اصبح فقال ذاك بال الشيطان فى اذنه متفق عليه من حديث ابن مسعود (ولايصلى بعدها) اى بعد غلبة النوم (فورد) حين قيل ان فلانة تصلى من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل (ليصل احدكم من الليل ماتيسر فاذا غلبه النوم فليرقد) وقد ورد قيامه عليه السلام اول الليل الى ان يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له فى الليل نومتان كذا فى الاحياء قال العراقى رواه ابو داود والترمذى وصححه وابن ماجة من حديث ام سلمة كان يصلى وينام قدر ماصلى ثم يصلى قدر مانام ثم ينام قدر ماصلى حتى يصبح وللبخارى من حديث ابن عباس صلى العشاء ثم جاء فصلى اربع ركعات ثم نام ثم قام انتهى وفى الشمائل عن عائشة كان اذا لم يصل بالليل منعه من ذلك النوم او غلبته عيناه صلى من النهار اثنتى عشرة ركعة وفى مسلم عنها انه عليه السلام كان اذا نام من الليل من وجع اوغيره فلم يقم من الليل صلى اثنتى عشرة ركعة اى تداركا لما فاته من التهجد بقوله تعالى * وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر اواراد شكورا * وفى صحيح مسلم عن عمر رضى الله عنه قال رسول الله عليه وسلم من نام عن حزبه من الليل اوعن شئ منه فقرأ مابين صلوة الفجر وصلوة الظهر كان كمن قرأ من الليل (لاتكابدوا الليل) اى لاتغالبوه فورد ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الاغلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة

والروحة وشئ من الدلجة البخارى والنسائى عن ابى هريرة عليكم هديا قاصدا عليكم هديا قاصدا عليكم هديا قاصدا فانه من يشاد هذا الدين يغلبه احمد والحاكم والبيهقى (وفيه) اى فى التهجد بعد غلبة النوم (التعبد على ملال وجاء) اى فى ذمه (اثما اكبر من نفعه) اذ ربما يجرى على لسانه موجب ذمه واثمه (وتحمل مالا يطاق) اى وفيه تكليف مالا يستطيع وقد قال تعالى * ولا تحملنا مالا طاقة لنا به * ولا يكلف الله نفسا الا وسعها (وورد تكلفوا من الدين) اى الاعمال (ما تطيقون) فعن عمران بن حصين عليكم من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا الطبرانى (وتبغيض العبادة) اى وفيه ابغاضه (الى النفس) وفى نسخة بالنون والصاد المهملة اى تمريرها اليها فى شدة تكريرها (وورد لا تبغض) بالوجهين (اليك عبادة الله) لم اجده مبنى وبواقعه ما سبق معنى (ويجتهد فى القيام) اى بعد المنام (فورد) فى نعت عباد الرحمن (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما صل من الليل ولو قدر حلب شاة) رواه ابو يعلى من حديث ابن عباس فى صلوة الليل مرفوعا نصفه ثلثه ربعه فواق حلب ناقة فواق حلب شاة ولابى الوليد بن المغيث من رواية اياس بن معاوية مرسلا لابد من صلوة الليل ولو حلبة ناقة او حلبة شاة (فالاولى ان يقوم كل الليل) اى ان قدر عليه وفيه انه بظاهره خلاف الكتاب والسنة ومناف لما تقتضيه الحكمة ففى القرآن * ثم الليل الا قليلا * ومن الليل فتهجد * وفى السنة انى انام واقوم وافطر واصوم ولم يحفظ عنه عليه السلام انه سهر ليلة كاملة فى جميع الايام واما الحكمة فقد جعل الله النوم سباتا اى راحة للابدان ومن فيه على الانسان حيث قال * ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * (وهو) اى احياء الليل كله (لمن تجرد له) اى لقيامه ومنع النفس عن منامه او جعل المنام فى نهاره بدلا عن قيامه فى مرامه (وقوى يقينه) اى وصلب دينه (فيتلذذ به ويتعذى) اى روحه بسببه فهون عليه شدة امره ويحلو عليه مرارة صبره ومن الاسباب المعينة على سهره خوف يغلب على قلبه مع قصر امله بحثه على تكثير عمله او رجاء يحمله على تكلفه وتحمله كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين ويقابله ان ذكر الجنة طير نوم الراقدين وكما قال بعضهم اذا ذكرت النار اشتد خوفى واذا ذكرت الجنة اشتد شوقى ولذى النون المصرى

(شعر)

* منع القرآن بوعده ووعيده * مقال العيون بليلها ان تهجعا *
* فهموا عن الملك الجليل كلامه * فرقا بهم ذلت اليه تخضعا *

ومن اشرف البواعث الحب لله فانه فى قيامه لا يتكلم فى حرف من كلامه الا وهو مناج به حضرت ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما خطر بقلبه فاذا كمل فى محبة ربه احب لا محالة الخلوة به وتلذذه المناجاة بسببه فيحمله تلك اللذة على طول القيام ودفع المنام وقال بعض الاعلام ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال آخر لذة المناجاة ليست من الدنيا وانما هى من الجنة اظهرها الله لاوليائه لا يجدها سواهم وقال على بن بكار منذ ار بعين سنة ما احزننى شئ سوى طلوع الفجر وقال الفضيل اذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتى بربى واذا طلعت حزنت لدخول الناس على وقال

بو سليمان اهل الليل فى ليلهم الذمن اهل اللهو فى لهوهم ولولا الليل مااحببت البقاء فى الدنيا وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء ومنهم ابو حنيفة امام الفقهاء (وهو) اى قيام الليل كله (محكى عن اربعين منهم) اى من التابعين قال ابو طالب المكى ان ذلك حكى على سبيل التواتر و الاشتهار عن اربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه اربعين سنة منهم سعيد بن المسيب و فضيل وطاوس ووهب بن منبه والربيع بن خيثم وابو سليمان الدارانى والخواص ومالك بن دينار وسليمان التيمى و يزيد الرقاشى و يحيى البكاء ومحمد بن المنكدر وكهمس بن المنهال وكان يختم القرأن فى الشهر تسعين ختمة ومالم يفهمه رجع وهذا كاد ان يكون من قبيل خرق العادة من طى اللسان او بسط الزمان والله المستعان (ثم النصف) اى يقوم نصف الليل (وواظب عليه) اى قيام النصف (من لايحصى) من السلف (ثم الثلث ثم السدس) عن عائشة كان يقوم اذاسمع الصارخ يعنى الديك وهذا يكون السدس فادونه والحديث متفق عليه وفى الجملة ربما كان عليه السلام يقوم نصف الليل اوثلثه اوسدسه ففى الصحيحين من حديث ابن عباس نام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل اوقبله بقليل او بعده بقليل استيقظ الحديث وهو المطابق لقوله سبحانه وتعالى * قم الليل الاقليلا نصفه اوانقص منه قليلا اوزدعليه * والموافق لقوله تعالى * ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه * فاثبت انه قام الثلثين ولابى داود نام حتى اذا ذهب ثلث الليل اونصفه استيقظ الحديث ولمسلم من حديث عائشة فيبعث الله مايشاء ان يبعثه من الليل (والاحب ان يجعل) اى سهره (فى الجوف) اى اوساط الليل (فورد ركعتان فى جوف الليل خير من الدنيا ومافيها لولا ان اشق على امتى لفرضتهما) آدم بن ابى اياس فى الثواب ومحمد بن نصر المروزى فى كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلا ووصله ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر قال العراقى ولايصح قلت والضعيف يعمل به فى الفضائل اتفاقا (ثم) اى بعد السدس (ركعتان او اربع) وكان الاولى ان يقول اربع ركعات اوركعتان ولوقعودا فقد ثبت انه عليه السلام مامات حتى كان اكثر صلاته من النوافل جلوسا (ثم احياء مابين العشائين) فقيل نزل فيه قوله تعالى * تتجافى جنوبهم عن المضاجع * وعن محمد بن المنكدر من صلى مابين المغرب والعشاء فانها صلوة الاوابين وعن ابى هريرة من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيمابينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتى عشرة سنة الترمذى وابن ماجة وفى مسند الفردوس من حديث ابن عباس من صلى اربع ركعات بعد المغرب قبل ان يتكلم احدا رفعت له فى عليين وكان كمن ادرك ليلة القدر فى المسجد الاقصى ولعل الجمع بين الروايتين ان الاربع يراد به المستحب بعد الركعتين من المؤكدة وورد من ركع عشر ركعات مابين المغرب والعشاء بنى له قصر فى الجنة فقال عمر اذا تكثر قصورنا يارسول الله فقال عليه السلام اكثر رواه ابن المبارك فى الزهد من رواية عبد الكريم بن الحارث مرسلا وقال الاسود ماأتيت ابن مسعود فى هذا الوقت الاورأيته يصلى فسألته فقال نعم هى صلوة الغفلة وقال احمد بن ابى الحوارى قلت لابى سليمان الدارانى اصوم النهار واتعشى مابين المغرب و العشاء احب اليك اوافطر بالنهار واحيى مابينهما فقال اجمع مابينهما فقلت ان لم يتيسر

فقال افطر وصل مابينهما (والقيام قبل الصبح) اى ليدرك احياء بعض الليل من اوله وآخره فقد ورد من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح فى جماعة فكانما صلى الليل كله احمد ومسلم عن عثمان (وروى) اى فى الحديث (المنام كلما غلب والقيام كلما استيقظ وهو افضل) مما ذكر من التقديرات (لانه اشق) والحديث فيه قد سبق (والمعين عليه) اى على القيام تسعة اشياء (ان لايكثر الاكل فهو سبب لكثرة الشرب القائد الى كثرة النوم) وقد كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة لزيادة الفائدة فى امر الدين ويقول يامعشر المريدين لاتأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فتحمروا كثيرا فتحمروا عند الموت كثيرا (ولايتكلف) بالنهار (فى امور تعنى) بالنون من العناء او بالياء من الاعياء اى يتعب (الاعضاء وتضعف الاعصاب) الاجزاء (ويقيل) بفتح اوله من القيلولة فانها من السنن المنقولة والمراد منها الاستراحة نصف النهار وان لم يكن منها نوم فورد قيلوا فان الشياطين لاتقيل الطبرانى فى الاوسط وابونعيم فى الطب عن انس وكان الحسن اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم ولهوهم يقول اظن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لايقيلون (ولايذنب) اى فى النهار (فهو) اى الذنب والعصيان (سبب الحرمان) فينبغى ان يجتنب الاوزار بالنهار حتى يقوم بالليل مع الابرار قال رجل للحسن ياابا سعيد انى بليت بمعاصى واحب قيام الليل واعدظهورى فقال لااقوم قال ذنوبك قيدتك وقال الثورى حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب اذنبته قيل وماهو ذلك الذنب قال رأيت رجلا يبكى فقلت هذا مراء وقال ابوسليمان الدارانى لايفوت احد صلوة جماعة الابذنب قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظره منعت قراءة سورة وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل وحد يجر الى الكثير فكما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلوة بل هذا هو الاكثر وهذه الامور المذكورة من الاسباب الظاهرة التى بها تيسر قيام الليل واما الاسباب الباطنة فقوله (ويفرغ القلب عن هموم الدنيا) فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لايتيسر له القيام بامر العقبى وان قام فى بعض اوقاته فلايتفكر فى صلاته الا فى تفاريق مهماته وفى مثل ذلك يقال * وانت اذا استيقظت ايضا فنائم * بخلاف العالم فان نومه عبادة ويقظه افادة وزيادة وكذا نوم الظالم عبادة (ويلازم الخوف منه تعالى) اى من مناقشة حسابه (ومن اليم عقابه) وجابه من بابه (ويقصر الامل) بان ينتظر الاجل ليكثر العمل (وبذكر مارود فى فضله) اى فضيلة القيام من الآيات والاخبار عنه عليه السلام (وماوعد عليه) اى الله سبحانه من القربة اليه والمثوبة لديه (والاصل) اى الذى عليه مدار الاسباب (محبته تعالى) والاقبال على المولى والزهد فى الدنيا والاستعداد فى العقبى (واستحكام الايمان) اى بالعرفان والايقان (ليكون متغذيا به) فى جميع الازمان وكما ان للاشباح غذاء وغشاء فكذا للارواح غذاء ودواء فمن ايقن نزول رحمته وحصول مغفرته فى وقت السحر ونحوه لايفوته قيام الليل ولا فى سفره فقد روى النسائى عن حميد بن عبدالرحمن ان رجلا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال قلت وانا فى سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لارقبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر فى الافق فقال * ربنا ماخلقت هذا باطلا * حتى بلغ انك لاتخلف الميعاد وفى رواية الى

آخر السورة ثم استل من فراشه سواكا وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل مانام الحديث وفى رواية اخذ سواكه من مؤخرة الرحل وهذا صريح فى انه كان فى سفر (وراعى فواضل الليالى كالاوتار من العشر الاواخر من رمضان) اذفيها تطلب ليلة القدر كما فى الاخبار الكثيرة والآثار الشهيرة لاسيما السبع والعشرين فان عليه اكثر الصحابة والتابعين (والسابعة عشر منه) فعن ابن الزبير انها ليلة القدر وهى ليلة صبيحة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر (والاولى من المحرم) فانه الشهر المكرم ومبدأ العام المفخم فاسرار البداية تدل على انوار النهاية (والعاشرة منه) اى من المحرم وهى ليلة عاشوراء (والاولى من رجب) وقد كان عليه السلام اذا رأى هلال رجب قال اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان وبلغنى انه شهر الغفران ويقال فيه سبعين مرة استغفر الله ذا الجلال والاكرام من جميع الذنوب والاثام ثم رأيت المنوفى قال وقد افاد صاحب ترغيب الطالب فى اشرف المطالب انه رأى بخط الشيخ الحافظ كمال الدين الدميرى عن ابن عباس مرفوعا من قال فى شهر رجب وشعبان استغفر الله العظيم الذى لااله الا هو الحى القيوم واتوب اليه توبة عبد ظالم لنفسه لايملك لنفسه موتا ولاحياة ولانشورا سبع مرات اوحى الله تعالى الى الملكين المؤكلين ان خرقا صحيفة ذنوبه ويكفيانا فى ثبوت وروده اعتناء الحافظ الدميرى بنقله بخطه ساكتا عنه ولوكان موضوعا لبينه فانه امام فى هذا الفن واقل مراتبه ان يكون ضعيفا والضعيف يعمل به فى فضائل الاعمال اتفاقا (والخامسة عشر) وهى ليلة النصف منه (والسابعة عشر والعشرين منه) وفى الاحياء وليلة سبع وعشرين منه قال وهى ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة فورد للعامل فى هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد فى كل ركعتين ويسلم فى آخر هن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولااله الا الله والله اكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلى على النبى مائة مرة ويدعو لنفسه بماشاء من امر دنياه وآخرته ويصبح صائما فان الله سبحانه يستجيب دعاءه كله الاان يدعو فى معصية قال العراقى ذكر ابو موسى المدينى فى كتاب فضائل الليالى والايام ان ابا محمد الخبازى رواه من طريق الحاكم ابى عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن ابان عن انس مرفوعا ومحمد بن الفضل وابان ضعيفان جدا والحديث منكر من جملته حديث ابى هريرة من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذى هبط فيه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم ابو موسى المدينى من رواية شهر بن حوشب عنه (والخامسة عشر من شعبان) وفى الاحياء واما ليلة النصف من شعبان فيصلى فيها مائة ركعة ويقرأ فى كل ركعة سورة الاخلاص عشر مرات وفاتحة الكتاب كانوا لايتركونها فقال العراقى حديث باطل نعم لابن ماجة من حديث على اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها وفى الاثر عن عمر انه كان يقول فى ليلة النصف من شعبان اللهم ان كنت كتبتنى من السعداء فاثبتنى وان كنت كتبتنى من الاشقياء فامح واكتب لى فى السعداء فانك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك ام الكتاب (وليلة عرفة) لم اجد له اصلا (والعيدان) اى وليالى العيدين فقد روى من احيى ليلتى العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب ابن ماجة باسناد ضعيف من حديث ابى امامة (والايام) اى وراعى فضائل

الايام (كالعيد) اى يومى العيدين (والتشريق) اى ايامها ولو لم يكن فى منى (ومايجئ) اى فى آخر الباب الثالث من الصوم (ان شاء الله تعالى والافضل يوم الجمعة وليلته) وهو سيد الايام عند الملائكة كما ورد ويوم المزيد فى الآخرة لزيادة حصول اللقاء فيه لاهل الولاء وورد خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة مسلم عن ابى هريرة وان لله تعالى فى كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار ابن عدى وابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث انس وقيل يوم عرفة افضل وقيل يوم الجمعة افضل ايام الاسبوع ويوم عرفة افضل ايام السنة وقد ورد من مات يوم الجمعة اوليلة الجمعة كتب له اجر شهيد ووقى فتنة القبر ابونعيم فى الحلية من حديث جابر وللترمذى نحوه من حديث عبدالله بن عمرو والحكيم فى النوادر وعن عائشة مرفوعا اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة ابن حبان فى الضعفاء وابونعيم وهو ضعيف (فلايعطل) اى من الطاعة (عصر الخميس فهو متبرك) اى بقربه لليلة الجمعة وكذا اوله متبرك فلابن ماجة عن ابى هريرة والطبرانى فى الاوسط عن عائشة مرفوعا اللهم بارك لامتى فى بكورها يوم الخميس وفى رواية قال عليه السلام اغدوا فى طلب العلم فانى سألت ربى ان يبارك لامتى فى بكورها يوم الخميس واما اشتهر فى هذا اللهم بارك لامتى فى سبتها وخميسها فباطل لااصل له (ويستعد لصلوة الجمعة بغسل الثياب) اى فى اول النهار اوفى يوم الخميس وهو الاولى ليقدر على التبكير الاعلى (والاغتسال) وهو سنة مؤكدة للصلواة على الاصح ويشهد له ماورد من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا ابن حبان والبيهقى من حديث ابن عمر وقيل لوجوبه وهو ظاهر حديث غسل الجمعة واجب على كل محتلم متفق عليه من حديث ابى سعيد وعن نافع عن ابن عمر من اتى الجمعة فليغتسل الشيخان وابن حبان وقد قال عمر لعثمان لما دخل يخطب ماهذه الساعة منكرا عليه تركه البكور فقال مازدت بعد ان سمعت الاذان على ان توضأت وخرجت فقال والوضوء وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل متفق عليه من حديث ابى هريرة وقد علم جواز ترك الغسل بماورد من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل افضل ابوداود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث سمرة وكان عليه السلام ربما اغتسل يوم الجمعة وربما ترك احيانا الطبرانى عن ابن عباس وورد رحم الله من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر اصحاب السنن وحسنه الترمذى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث اوس بن اوس (والتطيب) اى استعمال الطيب المناسب له فورد طيب الرجال ماظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ماظهر لونه وخفى ريحه ابوداود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث ابى هريرة وقال الشافعى من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله وورد حقا على المسلمين ان يغتسلوا يوم الجمعة وليمس احدهم من طيب اهله فان لم يجد فالماء له طيب الترمذى عن البراء (وتفريغ القلب عن الشواغل) كما يشير اليه قوله تعالى * اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع * وفى معناه كل شاغل عنها ظاهرا وباطنا (ومن ثم جاء) اى من اجل تفريغ القلب ورد (ان يأتى اهله) اى يجامع قاصد الجمعة امرأته وامته وحمل عليه رواية غسل بالتشديد اى حمل اهله على الغسل قال العراقى ومن اغتسل غسل الجنابة فليفض الماء على بدنه مرة اخرى على نية غسل الجمعة فانه كتفى بغسل واحد اجزأه وحصل له الفضل * اذا نوى

كليهما ودخل غسل الجمعة فى الجنابة انتهى ولايخفى ان تكرار الغسل من غير فصل بعبادة يعد من الاسراف فالاولى ان يغتسل واحدا وينوبهما وفى الاحياء ومن اغتسل ثم احدث توضأ ولم يبطل غسله والاحب ان يحترز عن ذلك انتهى ولايخفى ان هذا محمول على ان الغسل للصلوة لا للصلوة (ويقلم الاظفار) اى فى اول يوم الجمعة فعن ابن مسعود من قلم اظفاره يوم الجمعة اخرج الله منه داء وعن ابى هريرة انه عليه السلام كان يقلم اظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل ان يروح الى الصلوة البيهقى فى الشعب وله ايضا من مرسل ابى جعفر الباقر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب ان يأخذ من اظفاره وشاربه يوم الجمعة اويوم الخميس اذا اراد التبكير وسئل احمد عنه فقال يسن يوم الجمعة قبل الزوال وعنه يوم الخميس وعنه يتخير قال العسقلانى وهذا هو المعتمد انه يستحب كيفما احتاج اليه وورد قصوا اظافيركم فان الشيطان يجرى مابين اللحم والظفر الخطيب فى الجامع باسناد ضعيف من حديث جابر وقد جاء الامر بتنظيف ماتحت الاظفار فى رواية الطبرانى من حديث وابصة بن معبد سألت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن كل شئ حتى سألته عن الوسخ الذى يكون فى الاظفار فقال دع مايريبك الى مالا يريبك وسنده ضعيف وورد انه عليه السلام استبطأ الوحى فقيل له يارسول الله لقد ابطأ عنك جبريل فقال ولم لايبطئ عنى وانتم لاتستنون ولاتقلمون اظفاركم ولاتقصون شواربكم ولاتنقون رواجبكم ولا تغسلون براجكم احمد من حديث ابن عباس والرواجب رؤس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ والبراجم معاطف ظهور الانامل قال الغزالى ولم ار فى الكتب خبرا مرويا فى ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه روى عنه عليه السلام انه بدأ بالمسبحة اليمنى وختم بابهامه اليمنى وابتدأ باليسرى بالخنصر الى الابهام وتعقبه العراقى بقوله لم اجد له اصلا وقد انكره ابو عبد الله المازنى فى الرد على الغزالى وشنع عليه به قلت لاتشنيع عليه حيث انه بين على ما ثبت لديه مع انه نفى رؤية رواية خبر مسند اليه والحاصل ان التقليم من باب التنظيف فهو وغيره من قص شاربه ونتف الابط وحلق العانة يقدم على الغسل (ويتعمم) فعن ابى الدرداء ان الله وملائكته يصلون على اصحاب العمائم يوم الجمعة الطبرانى وابن عدى وعن ابن عمر مرفوعا صلوة بعمامة تعدل بخمس وعشرين وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة وعن انس مرفوعا الصلوة فى العمامة بعشرة آلاف حسنة الديلمى وحكم بعض الحفاظ بضعفه بل بوضعه لكن فى الجامع الصغير للسيوطى وقد التزم فيه ان لايورده موضوعا عن ابن عمر برواية ابن عساكر صلوة تطوع او فريضة بعمامة تعدل خمسا وعشرين صلواة بلاعمامة وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة بلاعمامة (ولا يركب) لانه اقرب الى حسن الادب والتواضع مع الرب ولظاهر قوله تعالى * فاسعوا الى ذكر الله * ولانه اشق والاجر على قدر المشقة والقياس على طريق الحج والعمرة (ويبالغ فى التبكير) ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وقيل بالاستواء (فهو المأثور) اى صح فضل البكور فقد ورد من راح الى الجمعة فى الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا ومن راح فى الساعة الرابعة فكانما اهدى دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكانما اهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فانما جاء لحق الصلوة

ليس له من الفضل شئ متفق عليه من حديث ابى هريرة الا ان قوله ورفعت الاقلام عند البيهقى من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وذكر ابن مردويه فى التفسير من حديث على باسناد ضعيف اذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواءه بالمسجد الحرام وغدا سائر الملائكة الى المساجد التى تجمع فيها يوم الجمعة واقلاما من ذهب وصحفا من فضة يكتبون الاول فالاول على مراتبهم ووردان الملائكة تفتقدون العبد اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه مافعل فلان وماالذى اخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان اخره فقرا فاغنه وان كان اخره مرض فاشفه وان كان اخره شغل فافرغه لعبادتك وان كان اخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك البيهقى من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده بسند حسن ومن فوائد البكور عدم تخطى رقاب اهل الحضور فقد ورد من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم الترمذى وابن ماجة من حديث معاذ بن انس وروى ابن جريج مرسلا ان النبى صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة اذا رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبى صلى الله عليه وسلم عارض الرجل حتى لقيه فقال يافلان مامنعك ان تجمع معنا اليوم فقال يانبى الله قد جئت قال اولم ارك تخطى رقاب الناس ابن المبارك فى الرقايق وفيه اشارة الى ان الله تعالى احبط عمله ونقص امله وفى حديث مسند انه قال مامنعك ان تصلى معنا قال اولم ترنى قال رأيتك اتيت وآذيت اى تأخرت عن البكور وآذيت الحضور والحديث رواه ابوداود والنسائى وابن حبان والحاكم من حديث عبدالله بن بسر مختصرا وقيل لبشر بن الحارث زالك تبكر وتصلى فى آخر الصفوف فقال انما يراد قرب القلوب لاقرب الاجساد فاشار به الى ان ذلك اسلم لقلبه وقيل لسفيان الثورى اليس فى الخبر ادن فاستمع فقال ويحك ذلك للخلفاء الراشدين فاما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر اليهم كان اقرب الى الله تعالى وروى عن على وعثمان رضى الله عنهما من استمع وانصت فله اجران ولم يستمع وانصت فله اجر ومن سمع ولغا فعليه وزر ومن لم يستمع ولغا فعليه وزران وورد حديث ابى هريرة اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت متفق عليه ولابى داود من حديث على من قال صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له ولاحمد من حديث ابن عباس والذى يقول له انصت ليس له جمعة وحديث ابى ذر لما سأل ابا والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب وقال متى انزلت هذه السورة فاومأ اليه ان اسكت فلما نزل النبى صلى الله عليه وسلم قال له ابى اذهب فلا جمعة لك فشكاه ابوذر الى النبى عليه السلام فقال صدق ابى واطع ابيا البيهقى وقال فى المعرفة اسناده صحيح ولابن ماجة من حديث جابر ان السائل له ابو الدرداء وابوذر ولاحمد من حديث ابى الدرداء انه سأل ابيا ولابن حبان من حديث جابر ان السائل عبدالله ابن مسعود ولابى يعلى من حديث جابر قال قال سعد بن ابى وقاص لرجل لا جمعة لك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم ياسعد قال لانه كان يتكلم وانت تخطب فقال صدق سعد (ويصلى قبل الجلوس فى الجامع اربعا بالاخلاص) اى منضمة بقراءة الاخلاص (خمسين مرة) بعد الفاتحة (فى كل ركعة) فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له كذا فى الاحياء وقال العراقى حديث من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى اربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله احد مائة مرة الحديث رواه الخطيب فى الرواة عن مالك

من حديث ابن عمر وقال غريب جدا وفي نسخة بعد الحديث الدار قطني في غرائب مالك وقال لايصح (ففي الكل) اى في جميع ماسبق من الغسل الى هنا (فضائل) لارباب الشمائل واذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد لله سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا وروى عن بعض السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ويستحب ان يقول بعد صلوة الجمعة اللهم ياغني ياحميد يامبدئ يامعيد يارحيم يا ودود اغنني بحلالك عن حرامك و بفضلك عمن سواك كذا في الاحياء وسكت عنه العراقي وقد رأيت الحديث في الجامع الصغير مستندا الى ابن السني عن عائشة بلفظ من قرأ بعد صلوة الجمعة قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس سبع مرات اعاذه الله بها من السوء الى الجمعة الاخرى فقال من داوم هذا الدعاء اغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لايحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات فقد روى ابن عمر رضى الله عنهما انه كان عليه السلام يصلي بعد الجمعة ركعتين متفق عليه وروى ابو هريرة اربعا رواه مسلم وروى علي وعبد الله ستا البيهقي موقوفا على علي وله موقوفا على ابن مسعود اربعا ولابي داود من حديث ابن عمر كان اذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستا والكل صحيح في احوال مختلفة والاكثر افضل (ويشتغل بعد الاقامة) اى بعد فراغ اقامة صلوة الجمعة (لصلوة جنازة او تعلم) لعلوم شرعية (وزيارة اخ فيه) اى في حبه (تعالى) شانه (فيها) اى مثلها (فسر ما ورد وابتغوا من فضل الله)فقد قال انس في قوله تعالى * فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله * اما انه ليس ابتغاء المعاش لطلب الدنيا لكن عيادة مريض اوشهود جنازة اوتعلم علم اوزيارة اخ في الله (لاباستماع القصص) اى من الاخبار التي بينت في التواريخ (فهو بدعة فكانوا) اى الصحابة (يخرجون القصاص من المسجد) فقد حضر ابن عمر في المسجد الى مجلسه فاذا قاص يقص في موضعه فقال له قم عن مجلسي فقال لااقوم فقد جلست وسبقتك فارسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فاقامه من مجلسه ولو كان ذلك من السنة لم يستحل اقامته فقد قال عليه السلام كما في الصحيحين لايقيمن احدكم من مجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر اذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه يعود اليه وروى ان قاصا كان يجلس بفناء الحجرة عائشة فارسلت الى ابن عمر ان هذا قد آذاني بقصصه وشغلني عن سبحتي فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده (و يراقب الساعة المرجوة الموعود فيها) اى في تلك الساعة (الاجابة) اى غالبا ففي الخبر المشهور ان في الجمعة ساعة لايوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئا الا اعطاه اياه الترمذي وحسنه وابن ماجة من حديث عمرو بن عوف المزني وفي خبر آخر لايصادفها عبد يصلي متفق عليه من حديث ابي هريرة (واختلف فيها) اى في تعيين تلك الساعة (على طلوع الشمس) اى على اقوال قيل عند طلوع الشمس (والزوال) اى عنده او بعده وقيل بعد الاذان الاول (وصعود الامام) اى على المنبر وقعوده (والقيام للصلوة) اى صلوة الجمعة كما بينا ادلتها في شرح الحصن (ومنتهى الاستحباب في العصر) اى اوله او آخره (والغروب) اى وقته فقيل هي آخر ساعة من يوم الجمعة وقيل مابين العصر الى الغروب (وروى فيه) اى في حين الغروب اوفيما ذكر من مابين العصر والغروب والاول

اذب لقوله (رعاية فاطمة رضى الله عنها) وكانت ترويه عن ابيها عليه السلام وكانت تؤكل الخادم لفقد هذا الوقت لتقوم فى طلب المرام وفى رواية تأمر خادمها ان ينظر الى الشمس فاذا تدلى جناحها الاسفل يؤذنها بسقوطها فتأخذ فاطمة رضى الله عنها فى الدعاء والاستغفار الى غروبها قال العراقى حديث فاطمة فى ساعة الجمعة رواه الدار قطنى فى العلل والبيهقى فى الشعب وعليه الاختلاف (وروايتها) اى رواية رعايتها (تؤيد ماروى لايوافقها) اى الساعة وفى رواية لايصادفها (عبد) اى مسلم (يصلى) اى يدعو بقرينة قوله (الا استجيب له) وقد قال كعب الاخبار انها فى آخر ساعة فى يوم الجمعة وذالك عند الغروب فقال ابو هريرة كيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايوافقها عبد يصلى ولات حين صلوة قال كعب الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد منتظر الصلوة فهو فى الصلوة قال بلى قال فذلك صلوة فسكت ابو هريرة وكان كعب يقول الا ان هذه رحمة من الله تعالى للقائمين بحق اليوم وان ارسالها بعد الفراغ من اتمام العمل كذا فى الاحياء وتعقبه العراقى بان كعبا هو القائل ليس كذلك وانما هو عبد الله بن سلام واما كعب فانما قال انها فى كل سنة مرة ثم رجع والحديث رواه ابو داود والترمذى والنسائى وابن حبان من حديث ابى هريرة ولابن ماجة نحوه من حديث عبد الله ابن سلام انتهى وروى البيهقى فى الشعب عن فاطمة مرفوعا ان فى الجمعة لساعة لايوافقها مسلم يسأل الله تعالى خيرا الا اعطاه اياه اذا تدلى نصف الشمس للغروب هكذا رأيت فى هامش نسخة والله اعلم (والمبهمة كليلة القدر) وكالصلوة الوسطى والاسم الاعظم (فيستغرق اليوم لرعايته) اى لمراعاة ادراكها (وهو) اى الابهام (اصوب) وفى الاحياء قيل انما يتنقل فى ساعات الجمعة كتنقل ليلة القدر وهو الاشبه وله سر لايليق بعلم المعاملة ذكره لكن ينبغى ان تصدق بما قال عليه السلام ان لربكم فى ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها و يوم الجمعة من جملة تلك الايام فينبغى ان العبد فى جميع نهاره متعرض لها باحضار القلب وملازمة ذكر الرب والنزوع عن وساوس الدنيا وهواجس النفس والهوى فعساه ان يخطى بشئ من تلك النفحات انتهى والحديث رواه الترمذى والحكيم فى النوادر والطبرانى فى الاوسط من حديث محمد بن مسلمة ولابن عبد البر فى التمهيد نحوه من حديث انس ورواه ابن ابى الدنيا فى كتاب الفرج من حديث ابى هريرة (و يكثر الصلوة عليه عليه السلام) اى فى يوم الجمعة وليلتها فقد ورد اكثروا الصلوة على فى الليلة الغراء واليوم الازهر فان صلاتكم تعرض على البيهقى عن ابى هريرة وابن عدى عن انس وفى رواية البيهقى عن انس اكثروا من الصلوة على فى يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا وشافعا يوم القيمة وفى رواية ابن ماجة عن ابى الدرداء اكثر و من الصلوة على يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان احدا لن يصلى على الا عرضت على صلاته حين يفرغ منها وفى رواية للبيهقى عن ابى امامة اكثروا من الصلوة على فى كل جمعة فان صلوة من تعرض على فى كل يوم جمعة فمن كان اكثرهم على صلوة كان اقربهم منى منزلة وكانوا يصلون على النبى صلى الله عليه وسلم الف مرة ويقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر الف مرة وروى من صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة قيل يارسول الله كيف الصلوة عليك قال تقول اللهم صل على عبدك ونبيك ورسولك النبى الامى

وتعقدوا حدة الدار قطنى من رواية ابن المسيب قال اظنه عن ابى هريرة وقال حديث غريب وقال ابن النعمان حديث حسن وفى الاحياء وان قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلوة تكون لك رضاء ولحقه اداء واعطه الوسيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته واجزه عنا ما هو اهله واجزه افضل ما جزيت نبيا عن امته وصل عليه وعلى جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا ارحم الراحمين يقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها سبع جمع فى كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته وان اراد ان يزيد فى الصلوة المأثورة فيقول * اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامى بركاتك وشرائف زكواتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد رسولك سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين وقائد الخير وفاتح البر ونبى الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به نقر به عينه فيغبطه به الاولون والآخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيعة اللهم اعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله اول شافع واول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وابلج حجته وارفع فى اعلى درجات المقربين درجته اللهم احشرنا فى زمرته واجعلنا من اهل شفاعته واحينا على سنته وتوفنا على ملته واوردنا حوضه واسقنا بكاسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين يا رب العالمين* ابن ابى عاصم فى كتاب الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ووقفه ابن ماجة على ابن مسعود (وقراءة القرآن) اى يكثرها فيه فيقرأ سورة الكهف خاصة فعن ابى سعيد من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة او يوم الجمعة اعطى نورا من حيث يقرأ الى مكة وغفر له من الجمعة وفضل ثلاثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح ويمسى وعوفى من الداء والدبيلة وذات الجنب والجذام والبرص وفتنة الدجال رواه البيهقى (وبتصدق) اى يوم الجمعة فى غير الجامع او لغير السائل فيه فقد قال ابن مسعود اذا سأل الرجل فى المسجد فقد استحق ان لا يعطى (بشيئين مختلفين) كدرهم ودينار او ثوب وقرص او خبز وادام او فاكهتين مختلفين فعن كعب الاخبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع ورکع رکعتين يتم رکوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول * اللهم انى اسئلك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسم الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم* لم يسأل الله شيئا الا اعطاه وفى رواية ابن حبان عن ابى هريرة مرفوعا من الاشياء فى سبيل الله دعى من ابواب الجنة هذا خير وللجنة ابواب الحديث ورواه الخطيب عن انس بلفظ ما من مسلم ينفق زوجين فى سبيل الله عزوجل الا دعته الجنة هلم لها ولا يخفى ان المتبادر من الزوجين ان يكون الشيئان متفقين لا مختلفين كدرهمين ودينارين وثوبين وعن بعض السلف من اطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ احدا ثم يقول حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم اسألك ان تغفر لى وترحمنى وتعافينى من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له (ويصلى) اى يوم الجمعة (صلوة التسبيح) وقد سبقت الكلام عليها فى شرح الحصن رواية ودراية وعملا وقد علمها عليه السلام لعمه العباس وقال له صلها فى كل جمعة الحديث ابو داود وابن ماجة وابن خزيمة والحاكم من حديث ابن عباس وكان ابن عباس لا يدع هذه الصلوة يوم الجمعة بعد الزوال (وفى الكل) اى جميع ما تقدم (فضائل) اى واردة عن اصحاب الشمائل (وجاء قراءة يس والسجدة

والدخان والملك) اى فى ليلة الجمعة وقد سبق بيانها وبرهانها (والمسبحات الست) اى المتقدم شانها (والاكثار بالاخلاص) اى بقراءة سورة الاخلاص (فقراءتها الف مرة فى عشر ركعات اوعشرين افضل من الختم) اى ختم القرآن بدونها اوفى غير الصلوة وهذا لم اجده مرويا لكن وردمن قرأ قل هو الله احد الف مرة فقد اشترى نفسه من الله الخرائطى فى فوائده عن حذيفة واما حديث قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن فرواه مالك واحمد والبخارى وابوداود والنسائى عن ابى سعيد وجماعة عن جماعة كاد ان يكون متواترا وفى الاحياء الاحسن ان تجعل وقته للصلوة الى الزوال وبعد الجمعة الى العصر لاستماع العلم وبعد العصر الى المغرب للتسبيح والاستغفار وسائر الاذكار وينبغى ان يلازم المسجد حتى يصلى العصر فان وقف الى المغرب فهو افضل ويقال من صلى العصر فى الجامع كان له ثواب حجة ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة فان لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه اوخاف الخوض فيما لايعنى فالافضل ان يرجع الى بيته ذاكر الله تعالى مفكرا فى آلائه شاكرا لله على نعمائه من جملتها توفيقه للطاعة خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لاتفوته الساعة الشريفة فلاينبغى فى الجامع وغيره من المساجد التكلم بحديث الدنيا فانه عليه السلام قال يأتى على الناس يكون حديثهم فى مساجدهم بامور دنياهم ليس لله عزوجل فيهم حاجة فلاتجالسوهم البيهقى فى الشعب من حديث الحسن مرسلا واسند الحاكم من حديث انس وصححه ولابن حبان من حديث ابن مسعود ونحوه (ولايخصه بالصوم وقيام الليل فهو) اى التخصيص (منهى عنه) روى مسلم عن ابى هريرة لاتخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالى ولاتخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الايام الا ان يكون فى صوم يصوم احدكم وفى رواية احمد عن ابى هريرة لاتصوموا يوم الجمعة الا وقبله يوم او بعده يوم (ويحافظ الرواتب) اى السنن المؤكدة بعد الفرائض وقبلها (وسائر السنن) اى المستحبة (كالتهجد) فى الليل (والضحى) فى النهار ركعتين اواربعا اوستا اوثمانيا اوثنى عشر فوردانه عليه السلام كان اذا اشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين واذا انبسطت وكانت فى ربع النهار من جانب المشرق صلى اربعا الترمذى والنسائى وابن ماجة من حديث على (واحياء مابين العشائين) اى بالعبادة او بعشرين ركعة اوست ركعات مطلقا ففى الكل فضائل وبعضها تقدم (و لعيد) اى وراعى عيد فطر اواضحى بالتكبير ونحوه (ويستعله كالجمعة) من الغسل والتزين والتطيب (ويرجع عن المصلى) اى مصلى العيد حالة الاياب (فى غير طريق الذهاب فهو مروى) اى عن فعله عليه السلام رواه مسلم (والتراويح) اى وراعيها وهى عشرين ركعة واداؤها سنة مؤكدة (ويختم فيه فهو مأثور) اى عن الصحابة (ويختار الانفراد) عن الجماعة (ان خاف الرياء والجماعة) اى ويختارها (ان خاف الكسل) وقيل الانفراد افضل لقوله عليه السلام فضل صلوة التطوع فى بيته على صلاته فى المسجد كفضل الصلوة المكتوبة فى المسجد على صلاته فى البيت آدم بن اياس فى كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسلا ورواه ابن ابى شيبة فى المصنف فجعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم موقوفا وفى سنن ابى داود باسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت صلوة المرء فى بيته افضل من صلاته فى مسجدى هذا الا المكتوبة وعن انس صلوة فى مسجدى تعدل

بعشرة آلاف صلوة وصلوة فى المسجد الحرام تعدل بمائة الف صلوة والصلوة بارض الرباط تعدل بالفى الف صلوة واكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد فى جوف الليل لايريد بهما الا ماعندالله عزوجل ابو الشيخ فى الثواب وذكر ابو الوليد الصفار فى كتاب الصلوة تعليقا من حديث الاوزاعى قال دخلت على يحيى فاستدلى حديثا وهو صلوة فى مسجدى هذا افضل من الف صلوة فى غيره وصلوة فى المسجد الحرام افضل من مائة الف صلوة فى مسجدى وافضل من هذا كله رجل يصلى ركعتين فى زاوية بيته لايعلمها الا الله وقيل ان الجماعة افضل لفعل عمر رضى الله عنه فانه عليه السلام قد خرج فيها ليلتين اوثلاثا للجماعة ثم لم يخرج وقال خشيت ان تفرض عليكم متفق عليه من حديث عائشة وجمع عمر الناس عليها فى الجماعة حيث امن الوجوب بانقطاع الوحى (و يخير) اى فى صلوة التراويح منفردا اومع جماعة (ان أمنهما) اى الرياء والكسل وانما يخير (لتضمن الجماعة البركة) المشتملة على السرور (والانفراد قوة الحضور) المتضمن لكثرة النور والحاصل ان هذه السنة ليست من الشعائر كالعيد بن فالحاقها لصلوة الضحى وتحية المسجد اولى ولم يشرع فيها جماعة نعم صلى عليه السلام التراويح بالجماعة ثم تركها خشية ان تكتب على الامة ثم كان الناس يصلون فرادى وجماعات مختلفة فجمعهم عمر على امام واحد وقال نعمت البدعة اى الحسنة وهى الجماعة المجتمعة المشيرة الى الفقد لامة (والكسوف) اى وبراعى صلوة الكسوف وكذا الخسوف وتفصيلها فى كتب الفقه وقد ورد ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لايخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله تعالى والى الصلوة قاله لما مات ولده ابراهيم عليه السلام وخسف الشمس وقال الناس انما كسفت لموته متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة (وكل ماورد) اى و براعى جميع ماورد من السنة (فيه فضيلة كصلوة الرغائب) وهى فى اول ليلة جمعة من رجب يصلى اثنتى عشرة ركعة بست تسليمات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة القدر ثلاثا والاخلاص اثنتى عشرة و بعد الفراغ يصلى على النبى عليه السلام سبعين مرة و يدعو بمايشاء وهى بدعة منكرة كما صرح به النووى وغيره وكذا حديث مامن احد يصوم اول خميس من رجب الحديث فى صلوة الرغائب اورده رزين فى كتابه وهو موضوع كما قال العراقى (وليلة النصف من شعبان وهى) اى صلاتها (مائة ركعة بالاخلاص مائة مرة وكانوا) اى بعض السلف (يواظبون عليها) قال العراقى حديث باطل ولابن ماجة من حديث على اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها واسناده ضعيف (والاستخارة) اى و براعى صلوة الاستخارة ادبارها بعدها (وكان عليه السلام يعلمها تعليم سورة من القرآن) البخارى من حديث جابر و بسطنا الكلام عليه فى شرح الحصن (وركعتى الدخول فى المنزل والخروج) اى ركعتيه (منه) من المنزل فعن ابى هريرة قال عليه السلام اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت منزلك فصل ركعتين يمنعانك مدخل السوء البيهقى فى الشعب والخرائطى فى مكارم الاخلاق وابن عدى فى الكامل وفى الحديث ايماء الى قوله تعالى * وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق * الآية (وركعتى دفع النفاق فى السر) اى بالخفية بان يصلى ركعتين يقرأ فى الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفى الثانية قل هو الله احد ثم

يقول اللهم انى اعوذبك من النفاق والشقاق وسوء الاخلاق ولم اجده مرويا (وتحيتى الوضوء) اى المسمى بشكر الوضوء وهى قبل جفاف اعضائه (والمسجد) اى اول دخوله قبل جلوسه فتحية الوضوء مستحبة لان الوضوء قربة مقصودها الصلوة ونحوها والاحداث عارضة بعدها وربما يطرؤ الحدث قبل الصلوة فالمبادرة الى ركعتين استقباء لمقصود الوضوء قبل الفوت ولئلا يضيع السعى قبل الموت وعرف ذلك بحديث بلال اذقال عليه السلام دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت يا بلال بم سبقتنى الى الجنة فقال بلال لا اعرف شيئا الا انى لا احدث وضوء الا صليت عقيبه ركعتين اوكما قال متفق عليه من حديث ابى هريرة وتحية المسجد سنة مؤكدة حتى انها لا تسقط فى مذهب الشافعى وان كان الخطيب فى الخطبة يوم الجمعة مع تأكد وجوب الاصغاء الى الخطيب وقد ورد اذا دخل احدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين ابن عدى والبيهقى عن ابى هريرة (ولا يتعين لهما التطوع لحصول المقصود فى غيره) اى غير التطوع (وهو) اى المقصود (صون الوضوء والدخول عن التعطل) اى البطالة عن الطاعة (بل الفرض افضل) من النافلة فان ثوابه اكمل (ولا ينوى الصلوة للوضوء) اى لا يقول نويت ان اصلى ركعتين للوضوء (بل يطلق) اى ينوى صلوة مطلقة (لان الوضوء للصلوة دون العكس) اذ ليست الصلوة للوضوء ولكن لو نوى شكرا لتوفيق الوضوء لا يبعد (ويحترز) عن النافلة (فى الاوقات المكروهة) اى مطلقا عندنا خلافا للشافعى حيث يجيز اداء صلوة لها سبب متقدم كتحية مسجد وشكر وضوء واستثنى الحرم ايضا (فيها تعبد الاوثان) اى وفيها مضاهاة عبدة الشمس وسائر النيران (وينتشر الشيطان) اى ويكثر الوسواس للانسان وقد ورد ان الشمس لتطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها فاذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها فاذا زلت فارقها فاذا تضيفت الغروب قارنها فاذا غربت فارقها النسائى من حديث عبدالله الصنابحى وهو مرسل ومالك هو الذى يقول عبدالله الصنابحى ووهم فيه والصواب عبدالرحمن ولم ير النبى صلى الله عليه وسلم (وفى الكف) اى الامتناع عن الصلوة فى الاوقات المكروهة وهى بعد طلوع الفجر الى طلوع الشمس وبعد صلوة العصر الى غروبها وبعد غروبها قبل اداء المغرب وكذا الاوقات المحرمة (يتجدد الشوق الى العبادة) ويرتفع عنه نوع من الملالة وقد كره دخول المسجد على غير وضوء اوتيمم وان دخل لعبور ضرورة اوجلس فى اوقات مكروهة فليقل سبحان الله والحمدلله ولااله الاالله والله اكبر بقولها اربع مرات فيقال انها عدل ركعتين فى الفضل ولعله مأخوذ مما ورد اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا وفسر الرياض بالمساجد والرتع بالكلمات المذكورة على ماتقدم والله سبحانه اعلم ثم هذه الاوراد لانواع السالكين من الزهاد والعباد فى استعداد زاد المعاد (اما العارف المستغرق همه فيه تعالى) اى فى ورد محبته وورد الحضور فى حضرته (فورده الحضور) اى حضور القلب فى ذكر الرب فى جميع المراتب (بعد الفرائض والرواتب ويغرق) اى هذا العارف فى علو المناقب (بان لا يهم بمعصية) اى لا يقصدها (ولا يغتر بطاعة) اى لا يكسلها (ولا يتزعج بمصيبة) اى لا يتزلزل ولا يجزع ولا يفزع بموت الاولاد والاحفاد وسائر الاقارب من الاخوان والخلان وذهاب الاموال وتغير الاحوال من الامراض وسائر شدائد الاهوال (ولا يتقلب)

عن حاله ومقامه (بامر عظيم) كالقحط وفتنة البلاد وسائر البلايا العامة للعباد وهو الكريم الرحيم السميع العليم

﴿ الباب الثانى فى الانفاق والقناعة ﴾

(بسم الرحمن الرحيم) انفق فى الطاعة واعتنق بالقناعة فيما قسم لى الى قيام الساعة (ورد) اى فى التنزيل (ومن يوق شح نفسه) اى يحفظ و يصن بخلها فيما يجب عليها (الآية) وهى فاولئك هم المفلحون اى الناجون من النار والفائزون بالجنة اذ ماذموا الزكوة هم الظالمون اى الواضعون الاشياء فى غير موضعها (والذين يكنزون الذهب والفضة) اى يجمعونها (ولا ينفقونها فى سبيل الله) اى وزكوتها لا يخرجونها (الآية) اى فبشرهم بعذاب اليم * وفيه تهكم عظيم * يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم * لتعبسهم على الفقراء * وجنوبهم * لتكبرهم على الضعفاء * وظهورهم * لاعراضهم عن العلماء والصلحاء و يقال لهم بلسان القال او بيان الحال * هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون * قال الاحنف بن قيس كنت فى نفر من قريش فمر بنا ابوذر فقال بشر الكانزين بكى فى ظهورهم يخرج من جنوبهم و بكى من قبل اقفائهم يخرج من جباههم وعن ابى ذر انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت من هم فقال الاكثرون اموالا الا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم متفق عليه (السخى قريب من الله تعالى والبخيل بعيد من الله تعالى) رواه الترمذى عن ابى هريرة والبيهقى عن جابر والطبرانى فى الاوسط عن عائشة بلفظ السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم) اى هلك والحديث كذا فى صحيح البخارى وفى رواية الترمذى عن ابى هريرة بلفظ لعن (والفقه) اى الحكمة والسر فى تشريع الانفاق (الابتلاء فى دعوى حبه تعالى وترك الدنيا) اى محبتها فانها لا تجتمع مع محبة المولى فان المحبة لا تقبل الشركة ولا تقدر بالجنة وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وشهواتها و بسببها يأنسون بهذا العالم الدنيوى ولهواتها و ينفرون عن الموت مع لقاء المحبوب فى الجنة وسائر لذاتها فامتحنوا بتصديق دعواهم واستنزلوا عن المال الذى هو معشوقهم ومهواهم ولذا قال تعالى * ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة * وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا الى لقاء المولى و المسامحة بالمال اهون فبذله اولى (وظهور المراتب فيها) اى دعوى المحبة فقد قيل ما ايسر الدعوى وما اعسر المعنى (فالسابق كالصديق حيث ما ابقى شيئا) اى لا درهما ولا دينارا وتبعه جماعة من اهل التوفيق فى اباتهم ان يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم بل فرقوا جميع مالديهم لئلا ينسب حب غيره سبحانه اليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة فى مائتى درهم فقال اما على العوام فى حكم ظاهر الشرع فخمسة دراهم واما نحن فيجب علينا بذل الجمع (والمقتصد كالفاروق حيث ابقى النصف) اى واعطى النصف واصل الحديث جاء ابو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله فقال عليه السلام لعمر ماذا ابقيت لاهلك فقال مثله فقال لابى بكر ماذا ابقيت لاهلك فقال

الله ورسوله رواه ابوداود والترمذي والحاكم وصححاه من حديث عمرو وفي رواية يونس عن الحسن انه قال لهما مابين صدقيكما كما بين كلاميكما (والقاصر هو المقتصر على الواجب) اى على اعطاء قدره من غير زيادة في اجره وفي كلام المصنف تلويح الى قوله تعالى * ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير* فيحتمل ان يقال القاصر المقصر انه الظالم على نفسه وغيره اذ الظالم هو مانع الزكوة ونحوه والعوام اقتصروا على قدر الواجب لبخلهم بالمال وجهلهم بالمآل وضعف حبهم بالمولى وشدة ميلهم الى الدنيا قال تعالى* ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم ومعنى يحفكم يستقصى عليكم فيكم بين عبد استبدل منه نفسه وماله بان له الجنة و بين عبد لايستقصى عليه لاجل بخله وهناك درجة اخرى دون الدرجتين الاوليين وهم الممسكون اموالهم بعد اخراج الواجبات المراقبون لاوقات الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة والقناعة دون التنعم والرفاهة وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه المبرة وطريق المسرة وقد ذهب جماعة من التابعين الى ان في المال حقوقا سوى الزكوة كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد قال الشعبي بعدان قيل له هل في المال حق سوى الزكوة قال نعم اما سمعت قوله سبحانه وتعالى* وآتى المال على حبه* الآية تمامها* ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة وآتى الزكوة * حيث عطف آتى الزكوة على آتى المال واستدلوا بقوله عزوجل * ومما رزقناهم ينفقون* وبقوله* وانفقوا مما رزقناكم * وزعموا ان ذلك غير منسوخ بآية الزكوة بل داخل في حق المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته فضلا عن مال الزكوة ولايبعد حمله على صدقة الفطر والاضحية ونفقة ذوى الرحم المحرم والله سبحانه اعلم (وتنقية الباطن) اى ومن جملة الحكمة في الانفاق تنظيف القلب وتخليته (عن البخل) فورد ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجب المرء بنفسه الطبراني في الاوسط عن انس (وتحليته) اى تزيين الباطن وتحسينه (بالشكر) اى بشكر النعمة وقد قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وما انفقتم من شئ فهو يخلفه (وهو) اى ماذكر من التنقية والتحلية او الانفاق انما يحصل (بقلع اسباب الحرص لكحب عين المال) لالغرض يحصل منه (وهو) اى حب عين المال (مرض مزمن) اى لادواء له في الزمن حيث لاينفعه لفوات اغراضه من المال (و لشهوات) وكحب سائر الشهوات كما اشار اليه قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام و الحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب (وطول الامل) عطف على حب اى وكطول الامل بتوهم طول الاجل فانه يورث الملل عن العمل قال تعالى *ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون (وخوف الفقر) قال عزوعلا الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم (وقلة الوثوق بمجئ الرزق) وقد قال سبحانه وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم وقد ورد لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا احمد والترمذي وابن ماجة والحاكم عن عمر (وهم الولد فورد الولد مبخلة) تمامه مجنبة ابو يعلى في مسنده عن ابى

سعيد وابن ماجة من حديث عبد الله بن سالم والحاكم وصححه ومعنى مجلة ان يحمل ابوبه على النخل فيدعوهما اليه فيخلان لاجله ومعنى مجنبة ان يحمل اباه على ان يحين عن الحروب استبقاء لنفسه من اجله (وطريقه) اى الطريق المحمود فى الانفاق احد عشر او طريق قلع اسباب الحرص (التوسط فى النفقات) قال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (فالقصد) اى الاقتصاد والتوسط واعتدال الحالات (فى الفقر والغنى عد من المنجيات) وورد ماعال من اقتصد الديلمى عن ابى امامة مرفوعا والبيهقى فى الشعب عن ابن عمر مرفوعا الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة (وتقليل الشهوات) اى الموجب لتقليل النفقات وهو المعبر عنه بالقناعة فى بعض العبارات (والوثوق بضمانة الرزق المقدر) فقد قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وورد فى حديث مشهور واعلم ما اخطأك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطئك (ومعرفة عز القناعة) فورد القناعة كنز لا ينفد وفى رواية مال لا ينفد وفى اخرى كنز لا يفنى القضاعى عن انس والطبرانى فى الاوسط من حديث جابر ولفظه القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى وفى القناعة احاديث لا تحصى وقد قيل من قنع شبع منها قوله عليه السلام ابن آدم عندك ما يكفيك وانت تطلب ما يطغيك ابن آدم لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع ابن آدم اذا اصبحت معافى فى شربك آمنا فى بدنك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء اى التراب ابن عدى والبيهقى عن ابن عمر وفى رواية لهما عن ابى هريرة اذا اشتد كلب الجوع فعليك برغيف وجرعة من ماء القراح وقل على الدنيا واهلها الدمار روى ابى المبارك عن الاوزاعى معضلا ما ابالى ما رددت به عنى الجوع وما احسن مقال بعض اهل الحال

(شعر)

وما هى الا جوعة قد سددتها ❁ وكل طعام بين جنبى واحد

وعن سمرة مرفوعا ارض من الدنيا بالقوت فان القوت لمن يموت كثير العسكرى ولله در الناظم

(شعر)

عزيز النفس من لزم القناعه * ولم يكشف لمخلوق قناعه

وفى الحديث اللهم قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه وفسر قوله تعالى * فلنحيينه حيوة طيبة * بالقناعة والقيام بالطاعة وقوله قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه احمد ومسلم والترمذى وابن ماجة عن ابن عمر وقوله ما قل وكفى خير مما كثر والهى ابو يعلى والضياء عن ابى سعيد وقوله خيار امتى القانع وشرارهم الطامع القضاعى (وذل الطمع) اى ومعرفته وهو الاحتياج الى الغير من غير ضرورة وقد ورد لا يحل لمؤمن ان يذل نفسه قال تعالى * ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين * وهو ينشأ من عدم القناعة وورد عن عمر رضى الله عنه ان الطمع فقر وان اليأس غنى وان المرء اذا ايس عن شئ استغنى عنه احمد فى الزهد وابن ابى الدنيا فى القناعة والعسكرى فى المواعظ وروى ان رجلا من الانصار قال يا رسول الله اوصنى واوجز لى قال عليك باليأس مما فى ايدى الناس واياك والطمع فانه فقر حاضر ابو نعيم (والتأمل فى ذم البخيل ومدح السخى) اذهما فى جبلة كل احد من العالى والدنى (وما ورد فيهما) اى من احاديث النبى كقوله عليه السلام السخاء شجرة من اشجار الجنة اغصانها متدليات فى الدنيا فمن يأخذ

يغصن منها قاده ذلك الغصن الى الجنة والبخل شجرة من اشجار النار اغصانها متدليات فى الدنيا فمن اخذ بغصن من اغصانها قاده ذلك الغصن الى النار الدارقطنى فى الافراد والبيهقى عن على والاربعة عن ابى هريرة وكقوله خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله فاما اللذان يحبهما الله فالسخاء والسماحة واما اللذان يبغضهما الله تعالى فسوء الخلق والبخل البيهقى عن ابن عمرو وكقوله تعالى مامن العباد يصبح الا وملكان ينزلان فيه فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا (واحوال الانبياء والاولياء) اى وفى احوالهم واخلاق سائر البخلاء والاسخياء (واختيار التشبه بهم) اى بالاصفياء فمن تشبه بقوم فهو منهم (لا بالمتنعمين من الكفار والحمقى) اى من الجهلة والفجار وقد قال تعالى * انهم كانوا قبل ذلك مترفين * اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا * وورد اشبعكم فى الدنيا اجوعكم فى العقبى (والتصنع) اى تكلف السخاوة والتشبه بجنس السخى (وخداع النفس بالصيت) اى بحسن الثناء عند الناس والجاه والوجاهة فى مقام الايناس (والمكافاة) اى وبتصور المكافاة فورد تهادوا تحابوا (ثم ازالة الرياء بعد الاعتياد) اى بعد تعوده بالسخاء فان الرياء فى الابتداء قنطرة الاخلاص فى الانتهاء كما ان المجاز قنطرة الحقيقة حكى ان ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس فى ايديهم شئ مما يتمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا اصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها من الفتور فصلوا عندها بالحضور ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم فى ذلك معايش من نبات الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له احب الملك ذا القرنين فقل مالى حاجة فاقبل اليه ذو القرنين فقال ارسلت اليك لتأتينى فابيت فها انا جئت فقال لو كان لى اليك حاجة لاتيتك فقال ذو القرنين مالى اراكم على حالة لم اراحدا من الامم عليها قالوا وماذاك قال ليس لكم دنيا ولا شئ من البناء ولا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها قالوا انما كرهناهما لان احدا لم يعط شيئا منهما الا اتاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل منه فقال مالكم احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا اردنا اذا نظرنا اليها واملنا الدنيا منعنا قبورنا من الامل قال واراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض افلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحلبتموها وركبتموها قالوا كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا فى نبات الارض بلاغا وانما يكفى ابن آدم ادنى العيش من الطعام وان ماجا وزالحنك لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده فتناول جمجمة فقال ياذا القرنين اتدرى من هذا قال لا ومن هو قال فذلك ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهلها ففشم وظلم وعتا فلما رأى الله ذلك منه قصمه بالموت فصار كالحجر الملقى فاحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى الآخرة ثم تناول جمجمة اخرى باليسة فقال ياذا القرنين هل تدرى من هذا قال لا ومن هو قال هذا الملك ملك بعده فكان يرى مايصنع الذى قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتوا صنع الله وامر بالعدل فى اهل مملكته فصار كما ترى وقد احصى الله عمله فى دنياه حتى يجزيه فى اخراه ثم اهوى الى جمجمة ذى القرنين فقال هذه الجمجمة فكانت كهاتين فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين هل لك فى صحبتى ما تجدك اخا وزيرا وشريكا ومشيرا فقال ما اصلح انا وانت فى مكان قال ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولى صديق قال ولم يعادونى قال يعادونك على مافى يدك من الملك والمال ولا احد يعادينى لما عندى من الحاجة وقلة الشئ والفاقة فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا ومتعظا

(وكثرت ذكر الموت) فانه يهون السخاوة قبل الفوت (والاعتبار بالسالفين) اى لاتعاظ بالسابقين من اهل الاموال فى تركهم الدنيا عند الموت فكذا حكم اللاحقين وقد قال تعالى * ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين * ومن هنا قالوا طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله (وزيارة القبور) فانها تذكر العقبى وتزهد فى الدنيا وفيها عبرة لارباب الصدور وروى اذا تحيرتم فى الامور فاستعينوا باهل القبور (والاصل فيه) اى فى طريق الانفاق من توسطه المحمود بالانفاق (الصبر) اى عن المستلذات الفانية (وقصر الامل) اى باستعداد زاد الدار الباقية وورد عن على قال انما اخشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى الاخرة وان اتباع الهوى يصد عن الحق وان الدنيا قد ارتحلت مدبرة والاخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من ابناء الاخرة ولاتكونوا من ابناء الدنيا فان اليوم عمل ولاحساب وغدا حساب ولاعمل ابن المبارك واجد فى الزهد (والعلم باآفات المال) اى تغيراته فى المآل وانقلاباته فى اسوء الحال فقد روى عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى عليه السلام فقال اكون معك وصحبك فانطلقا فانتهيا الى شاطئ نهر فجلسا يتغذيان ومعهما ثلاثة ارغفة فاكلا رغيفين وبقى رغيفة فقام عيسى الى النهر فشرب ثم رجع ولم يجد الرغيف فقال للرجل لم اجد الرغيف فقال لاادرى قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية معها خشفان لها فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فاكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فذهب فقال اسألك بالذى اراك هذه الآية من اخذ الرغيف قال ماادرى ثم انتهيا الى وادى ماء فاخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل فمشيا على الماء ثم جاوزا قال اسألك بالذى اراك هذه الآية من اخذ الرغيف قال لاادرى فانتهيا الى مفازة فجلسا فاخذ عيسى عليه السلام ترابا وقال كن ذهبا فصيره ثلاثة اثلاث فقال ثلث لى وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف قال فانا اخذت الرغيف قال فكله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان فى المفازة ومعه المال فارادا ان يأخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا اثلاثا قال فابعثوا احدكم الى القرية حتى يشترى طعاما فبعثوا احدهم فقال الذى بعث لاى شئ اقاسم هؤلاء فى هذا المال لكن اصنع فى هذا الطعام سما فاقتلهما قال ففعله ذلك وقال هؤلاء لاى شئ تجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع الينا قتلناه واقتسمناه بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام فماتا فبقى ذلك المال فى المفازة واولئك الثلاثة قتلى عنده فمر بهم عيسى عليه السلام فى تلك الحال فقال لاصحابه هذه الدنيا وهذه المال فاخذ روها والاقتلكم فى المال (وهى) اى آفات المال من البليات (الافضاء الى المهلكات) اى ايصاله الى مهلكات الاخلاق (الكبر) فانه يغلب على ارباب الاموال (والكذب) اى فى معاملتهم وسائر الاحوال (والعداوة) اى الناشئة من كثرة القيل والقال (وحب الدنيا) وهو رأس كل خطيئة كما رواه البيهقى فى الشعب باسناد حسن الى الحسن البصرى رفعه مرسلا (واقتحام الشهوة) وفى نسخة الشبهة اى ودخوله من غير ملاحظة لحصوله فى الامور المضرة من غير وصول المسرة (والحاجة الى الناس) لضرورة الغنى من معاشرة الخلق فى مباشرة امره بخلاف الفقير فانه غنى بربه عن غيره (والشغل عن الطاعة بالكسب) اى والاشتغال عن العبادة بسبب الكسب كما هو العادة بخلاف المتوكلين من ارباب الارادة (والحفظ) اى وبسبب حفظ الاموال فانه يضيع به ضبط الاحوال (ودفع الحساد) اى وبدفعهم لما فيهم من انواع الفساد (مع احتمال المشاق) فى جمعه ومنعه بالانفاق اذ حلال

الدنيا فيه الحساب وحرامها فيه العقاب بل الحجاب الذى هو اشد العذاب (وفوائده) اى والعلم بفوائد المال (وهو الانفاق على النفس للقيام بالطاعة) فيما لابد له منه على طريق القناعة (كالمطعم) وكذا المشرب (والملبس) وكذا المسكن (ومايحتاج اليه) اى الى الانفاق الزائد عليه (كالحج) وكذا العمرة (والغزو) وكذا طلب العلم وتحصيل الصلة (وعلى الغير) من الزوجة والخادم ونحوهما من الاجانب والمحارم فورد افضل الدينار دينار ينفقه على عياله رواه مسلم وكفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت ابوداود وعند مسلم معناه (وهو) اى الانفاق (صدقة للفقير) او بأى طريقة مع حصول النية (ومروءة) اى فتوة (للغنى) فى بعض الاحوال الرضية كما بينه بقوله (فى الضيافة) فانها من الشمائل السنية فورد الضيافة على اهل الوبر وليست على اهل المدر القضاعى عن ابن عمر الضيافة ثلاثة ايام فمازاد فهو صدقة احمد وابو يعلى عن ابى سعيد الضيف يأتى برزقه و يرتحل بذنوب القوم الطبرانى عن طارق بن اشيم ضاف ضيف رجلا من بنى اسرائيل وفى داره كلبة مجح بالحاء المهملة المشددة بعد الجيم اى قريبة الولادة فقالت الكلبة والله لاانجح ضيف اهلى فعوى جراوها فى بطنها قيل ماهذا فاوحى الله الى رجل منهم هذا مثل امة تكون من بعدكم تقهر سفهاؤها علماءها (والهدية) فانها من الفضائل البهية وقد ورد الهدية تذهب بالقلب والسمع والبصر الطبرانى عن عصمة بن مالك الهدية تعور عين الحكيم الديلمى عن ابى عباس هدية الله الى المؤمن السائل على بابه الخطيب فى رواية مالك عن ابن عمر (والاعانة) وكذا الاغاثة قال تعالى ❁ وتعاونوا على البر والتقوى ❁ وفى الخبر المشهور من كان فى عون اخيه المؤمن كان الله فى عونه وورد من اغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحده فيها صلاح امره كله وثنتان وسبعون له درجات يوم القيمة البخارى فى تاريخه والبيهقى عن انس (فهى) اى المروءة (تحصل الاخوة) اى فى الدين والدنيا وورد المرء كثير باخيه ابن ابى الدنيا عن سهل بن سعد والمرء مع من احب وله ما اكتسب الترمذى عن انس والمرء على دين خليله فلينظر بمن يخالله (والسخاء) لارباب الصفاء واصحاب الوفاء (والفتوة) وهى كمال الرجولية وجمال الانسانية (وورد فيها) اى فى المروءة ومايتعلق بها (الاخبار) فانها من اعمال الابرار فورد من المروءة ان ينصت الاخ لاخيه اذا حدثه ومن حسن المماشاة ان يقف الاخ لاخيه اذا انقطع شسع نعله الخطيب عن انس المروءة اصلاح المال الديلمى عن ابن ابان عن انس ليس من المروءة الربح على الاخوان ابن عساكر عن ابن عمر (ووقاية) عطف على صدقة اى محافظة (لدفع الشر) اى من اهل الضر (فهو) اى الانفاق على الغير لدفع الشر (بنفى الغيبة) باللسان (والعداوة) فى الجنان (فورد نها) اى وقايته (صدقة) قال عليه السلام ماوقى به المرء عرضه فهو له صدقة العسكرى والقضاعى من حديث جابر (واستخدام) اى اخذ خادم بالشرا والكرا (لتدبير المعاش فهو) اى الخادم (يفرغ للعبادة) التى هى ذاد المعاد (وفى نحو المسجد) اى والانفاق فى نحو عمارة المسجد وترميمها وتنويرها (والجسر) اى معبر العامة او الخاصة فوق البحر او النهر (والرباط) اى الخانات فى البعد عن العمارات او القلاع دفعا للفكرة وارباب الغارات (والحوض والبئر) فى البلدان والفلوات والكل من الخيرات والمبرات (فهو) اى الانفاق فى نحو المسجد (يبقى الذكر) اى الثناء الحسن بعد فناء العمر (ويحصل بركة الدعاء) اى دعوة العامة (وكل منها) اى من فوائد المال (عبادة مستقلة) لاسيما عمارة

المساجد فقد قال تعالى * انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر * الآية وورد من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة ابن ماجة عن على زاد الطبرانى عن ابى امامة اوسع منه وفى رواية احمد عن ابن عباس من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة لبيضها بنى الله له بيتا فى الجنة وفى معنى المسجد المدارس للعلماء والزوايا للصلحاء فعن ابى هريرة من بنى بيتا يعبد الله فيه من حلال بنى الله له بيتا فى الجنة من دروياقوت الطبرانى فى الاوسط (ثم السخى) فى عرف العلماء (من لا يمنع ما يجب شرعا ومروءة) اى طبعا وضده البخيل وهو ما يمنعهما (ومانع الشرع) اى موجبه (البخل) من مانع المروءة (والسخاوة تفارق الايثار) وهو اختيار الغير بالبر (بانه) اى الاثار (بذل مع الاحتياج) اى مع غاية الافتقار اليه والسخاوة مع عدمه فافترقا (وهو) اى الايثار (الافضل) اى افضل من السخاء (فهو من ثلاث خصال يستكمل به الايمان) والخصلة الثانية ان يحب لاخيه ما يحب لنفسه والثالثة ان يأمن جاره بوائقه (وورد) فى مدح الانصار (ويؤثرون على انفسهم) تمامه ولو كان بهم خصاصة اى شدة حاجة وفاقة او مجاعة وضرورة الى ما يؤثرون وفى البخارى عن ابى هريرة ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فاستضافه فبعث الى نسائه فقلن ما معنا الا الماء فقال عليه السلام من يضيف هذا فقال رجل من الانصار انا فانطلق به الى امرأته فقال اكرمى ضيف رسول الله فقالت ما عندنا الا قوت للصبيان فقال هيئى طعامك واصبحى سراجك ونومى صبيانك اذا ارادوا عشاء فهيأت طعامها واصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح السراج فاطفأته فجعلا يريانه انهما يأكلان فباتا طاويين فلما اصبح غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضحك الله الليلة او عجب من فعالكما فانزل الله عزوجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة واخرج الحاكم عن ابن عمر قال اهدى لرجل من الصحابة رأس شاة فقال ان اخى فلانا وعياله احوج الى هذا منا فبعث اليه فلم يزل يبعث به واحدا الى آخر حتى تناول سبعة ابيات حتى رجع الى الاول فنزلت الآية وعن بعض المتعبدات انها وقفت على حبان ابن بلال وهو جالس مع اصحابه فقالت هل فيكم من اسأله عن مسألة فاشاروا الى حبان فقالت ما السخاء عندكم قال العطاء والبذل والايثار قالت هو السخاء فى الدنيا فى السخاء فى الدين قال ان نعبد الله سبحانه متبرعة سخية بها انفسنا غير مكرهة قالت اتريدون على ذلك اجرا قال نعم قالت لم قال لان الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر امثالها قالت سبحان الله اذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرة فأى شئ تسخيتم عليه قال فما معنى السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندى ان تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لعبادته لا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل ما يشاء بكم فى اولاكم واخراكم الا تستحيون من الله ان يطلع على قلوبكم فيعلم فيها انكم تريدون شيئا بشئ ان هذا فى الدنيا القبيح وقال المحاسبى السخاوة فى الدين ان تسخو نفسك فى محبة ربك وتسخو قلبك ببذل مهجتك واهراق دمك عن سماحة دون كراهة ابتغاء لوجهه غير مريد بذلك عوضا وغرضا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب لان مولاك يختار لك ما لا يحسن ان تختار لنفسك فى دنياك وآخرتك وفيه تلميح الى قوله سبحانه * اى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة * الآية (والتبذير) اى السخاوة تفارق التبذير (بانه حيث يجب الامساك) اى المنع من بذله لكونه اسرافا او فى غير محله اللائق به (وهو حرام) لقوله تعالى * وآت ذا القربى حقه

والمسكين وابن السبيل ولاتبذر تبذيرا (فورد ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) اى اولياؤهم * وكان الشيطان لربه كفورا * اى جحودا نفورا والمعنى لاتنفق مالك فى المعصية قال مجاهد لو انفق انسان ماله كله فى الحق ماكان تبذيرا ولو انفق مدا فى الباطل كان تبذيرا ولذا قيل لاسرف فى خير ولاخير فى سرف وقال شعبة كنت امشى مع ابى اسحق فى طريق الكوفة فاتى على جدار بنى بجص وآجر فقال هذا التبذير (لكن البخل افحش) من التبذير لان البخل مطلقا يذم بخلاف زيادة الكرم (والتسخى) اى ويفارق السخاوة التسخى (بانه مع الكراهة) اى بالطبع والجبلة بخلاف السخاوة فانها لاتكون الا مع طيبة النفس والمحبة (والمروءة) اى تفارقها السخاوة (بترك المضايقة) وكان حقه ان يقول بالمضايقة ليكون على منوال المضايقة وفى نسخة والمروءة بالرفع وخبره ترك المضايقة (بالمحقرات فتختلف) المضايقة (باختلاف الاشخاص) اى الذوات الذين يصدر منهم المضايقة اومعهم المضايقة وايضا تختلف باختلاف مايه المضايقة وتفاوت الازمنة والحالات (كالغنى والفقر) فان ترك المروءة فى الغنى اقبح من تركها فى الفقر (والقريب والاجنبى) فان ترك المروءة فى حق الاقارب اقبح من تركها فى حق الاجانب (والجار والاهل من الزوجة والخادم (والضيف والميت) فى امر تكفينه وتجهيزه وتدفينه وكذا فى حال الغلاء والرخاء والسراء والضراء وكذا تختلف باختلاف الشيخ والصبى والشاب والمرأة والرجل والعاقل والجاهل (فما يستقبح فى احدهما) اى الشخصين او الحالين (لايستقبح فى الآخر) لتفاوت الامرين (والاولى) فى الانفاق (التوسط) المحمود فى جميع الاخلاق بان يكون متوسطا بين البذل والبخل فيمسك حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب العطاء وانما كان ذلك اولى لان التفريط الذى هو البخل مذموم كالافراط الذى هو التبذير والايثار ان كان حسنا لكن المداومة عليه ربما تؤدى الى الحجر فكان الاولى هو التوسط (فورد ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك) اى لاتمسك يدك عن النفقة فى الحق كالمغلولة يده لايقدر على مدها (ولاتبسطها) اى بالعطاء (كل البسط) فتعطى جميع ماعندك (فتقعد ملوما محسورا) والملوم الذى اتى مايلوم نفسه ومايلوم غيره ومحسورا اى منقطعا بك لاشى عندك وفى المعالم قال جابر اتى صبى فقال يارسول الله ان امى تستكسيك درعا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال للصبى من ساعة الى ساعة يظهر فعد وقتا آخر فعاد الى امه فقالت له قل له ان امى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل عليه السلام داره ونزع قميصه فاعطاه اياه وقعد عريانا فاذن بلال بالصلاة وانتظروه فلم يخرج فلشغل قلوب اصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فانزل الله الآية (وحق العطاء) لاسيما اذا كان فرضا (ان يعجل قبل الوجوب) وهو حولان الحول فى الزكوة ودخول عيد رمضان فى صدقة الفطر (مبادرة الى الايثار) اى قبول الامر لقوله تعالى * وسارعوا الى مغفرة من ربكم (واسرارا للمؤمن) فقد قيل ادخال السرور على قلب المؤمن افضل من عبادة الثقلين وعن جابر افضل الاعمال سرور تدخله على مسلم ابن عدى وعن ابن عمر ما من شئ احب الى الله من ادخال السرور على قلب اخيك المسلم ابن النجار (وتحاميا) اى تحافظا (عن طروق الآفات) اى حدوث طرق الآفات الدنيوية الانسانية والوساوس الشيطانية (وبعين له وقتا فاضلا) اى زمانا كاملا ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف صدقته (كشهر رمضان) فعن انس افضل الصدقة فى رمضان الدارمى

فى جزئه وقد كان صلى الله عليه وسلم اجود الخلق واجود مايكون فى رمضان كالريح المرسلة لايمسك فيه شيئا كما فى الصحيحين عن ابن عباس (وذى الحجة) فانه شهر حرام وفيه الحج وموسم الخيرات والمبرات والايام المعلومات وهى العشر الاول والايام المعدودات وهى ايام التشريق وقد قالوا افضل ايام شهر رمضان العشر الاواخر وافضل ايام ذى الحجة العشر الاول (وبسر) اى بخفى العطاء (ان خاف الرياء فوردان لعبد ليعمل سرا وان اظهره) لغيره بعد سره (نقل الى العلانية) اى ديوانها (فان تحدث به) اى ثالثا (نقل الى الرياء) الخطيب فى التاريخ من حديث انس نحوه باسناد ضعيف والديلمى عن ابى الدرداء ولفظه ان الرجل ليعمل عملا سرا فيكتبه الله عنده سرا فلا يزال به الشيطان حتى يتكلم به فيمحى من السر ويكتب علانية فان عاد وتكلم الثانية محى من السر والعلانية وكتب رياء وورد ثلاث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة ابو نعيم من حديث ابن عباس وصدقة السر تطفئ غضب الرب الطبرانى من حديث ابى امامة وسبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل الا ظله احدهم رجل تصدق بصدقة فلم يعلم شماله بما يعلم يمينه متفق عليه من حديث ابى هريرة (وكانوا) اى السلف (يبالغون فيه) اى فى اخفاء الاعطاء (بحيث لايعرفهم القابض) تحاميا عن السمعة والرياء وتحافظا عن المن والاذى فكان بعضهم يقيه فى يد الاعمى وبعضهم كان يصرف فى ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل الى يد الفقير على يد غيره بحيث لايعرف المعطى وكان يستكتم المتوسط بشانه ويوصيه بان لايفشيه فى زمانه (ويظهر) اى الاعطاء (ان سئل فى ملاء معتصما عنه اى محفوظا عن الرياء (او امنه) اى او ان امن من السمعة والرياء لاختصاصه بمقام الحوص فى الاخلاص (وقصد الترغيب) لغيره فى باب الاعطاء من الاقتداء (فوردان تبدوا الصدقات) اى ان تظهروها (فنعما هى) اى فنعمت الخصلة ابداؤها اى اظهار اعطائها (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) اى من الابداء بالاعطاء (وانفقوا) بصيغة الماضى (مما رزقناهم سرا وعلانية) اى باختلاف الاحوال من الترهيب والترغيب وتفاوت النية واختلاف الطوية والسر مختص بالنوافل والاعلان بالفرائض اوتارة وتارة بحسب مايليق بالاشخاص والاوقات والحالات كما يشير اليه قوله تعالى * الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون * روى مجاهد عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية فى على بن ابى طالب رضى الله عنه كان عنده اربعة دراهم لايملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم سرا وبدرهم علانية (ولم يستر القابض) اى لم يكتم ما اخذه بل يظهره ويتحدث به ويدعو لصاحبه فقد ورد من صنع اليكم معروفا فكافؤه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى ترون انكم قد كافأتموه ابو داود والنسائى من حديث ابن عمر باسناد صحيح ومن صنع اليه معروفا فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد بلغ فى الثناء الترمذى وابن حبان والنسائى عن اسامة ومن صنع الى احد من اهل بيتى يدا كافيته عليها يوم القيامة ابن عساكر عن على (تحاميا عن الهتك) اى احتراز عن انهتاك حرمة شكر النعمة (فورد من لم يشكر الناس لم يشكر الله الترمذى وحسنه وفى رواية عبد الله بن احمد عن النعمان بن بشير من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر (ويجتنب المن) اى الامتنان فى الاعطاء والاحسان (والاذى) باليد او باللسان (فورد لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) اى بكل منهما (وهما اى المن والاذى على طريق اللف والنشر المرتب (الذكر بالقلب) اى ذكر الصدقة بقلبه

(والاظهار) لها (باللسان) فى غيبته اووجهه (والاستخدام) للفقير بالعطاء (التفريع بالفقر) اى وتعييره بانه من الفقراء (والتكبر بالعطاء) اى لانه من الاغنياء (والتشديد بالقول) اى بان ينهره ويوبخه بانه من الفقراء (والاقرب) اى الى الصواب من بين الاقوال ان يقال (المن) اى حد المن (ان يراه) اى المعطى (محسنا اليه) ومنعما عليه وحقه ان يرى الفقير محسنا لديه بقبول حق الله تعالى عنه الذى هو طهرته وبه عن النار نجاته وانه اولم يقبله لبقى مرتهنا به فحقه ان يتقلد منة من الفقير فى قبضه واخذه بيد لطفه ولذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدى الفقير و يتمثل قائما عنده يسأله قبولها حتى يكون هو فى صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لوردده وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير فتكون يد الفقير هى العليا (و يعرف) اى المن (بقوة استبعاد جناية القابض بعد العطاء) اى بترك الخدمة وعدم التعظيم والحرمة والتقديم فى المحافل والمتابعة فى المجالس والمناهل فلو جنى القابض على المعطى فزاد استنكاره علم ان صدقته لم تخل عن شائبة المنة لانه توقع بسببها هنالك مالم يكن توقعه قبل ذلك (والمحسن) اى فى الحقيقة (هو القابض) اى للصدقة (لايصاله) اى المحسن (الى الثواب والانجاء) اى الخلاصه (عن العقاب وكونه) اى ولكونه (نائبا عنه تعالى فيه) اى فى القبض (فورد انها تقع اولا بيده تعالى) ولفظ الحديث ان الصدقة تقع بيد الله قبل ان تقع فى يد السائل الدار قطنى فى الافراد من حديث ابن عباس والبيهقى فى الشعب (وكونها) اى ولكون الصدقة (حقا له تعالى) اى خاصة اذ ليس له شريك فى ملكه (احال عليه الفقير) على سبيل الرفق (انجازا لما وعده من الرزق) اى وقدره ان يكون على يد الخلق فليتحقق الغنى انه مسلم الى الله سبحانه حقه والفقير آخذ من الله عزوجل رزقه بعد صيرورته مسلما الى الله ولو كان عليه دين الانسان فاحال به عليه صاحب الدين عبده او خادمه الذى هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون القابض تحت منته سفها و جهلا فان المنة للمحسن اليه المتكفل برزقه فاما هو فقائم بقضاء الدين الذى لزمه بشراء ما احبه فهو ساع فى حق نفسه فلم يمن به على غيره (والاذى) اى والاقرب ان حدا لاذى (التعيير والتوبيخ) عطف تفسير او احدهما مختص بالغيبة والآخر بالمشاهدة (والقول السئ) كالذم والشتم وتخشين الكلام (والقطوب) وهو عبوسة الوجه (وهتك الستر) اى بيان اعطائه له فى الملاء حوله (والاستخفاف) اى بقوله (والاستحقار) بفعله (والسبب) اى الباعث على المن والاذى (استكثار العطاء) واستثقاله وهو حمق لان من كره بذل درهم فى مقابلة مايساوى الفا فهو شديد الجهل ومعلوم انه يبذل المال لطلب رضاء المولى والثواب فى دار العقبى فلا وجه لكراهيته اصلا (والتكبر على القابض الناشئان من الجهل) الحاصلان الحادثان من جهله (باستثقال رضائه تعالى على خسيس فان) اى فى اصل بنائه كما تقدم (ونسيان فضل الفقير) اى ومن نسيان فضله لانه لو عرف فضل الفقر على الغناء وعرف خطرا الاغنياء وحظ الفقراء لما استحقر الفقير بل يبتغى بخدمته و يتمنى ان يكون فى درجته فصلحاء الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام فقد ورد فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام الترمذى عن ابى سعيد (والمراد) اى بالبطلان فى قوله تعالى ﴿ لاتبطلوا صدقاتكم (عدم كون ذلك الاعطاء صدقة) اى مقبولة نافعة كل المنفعة او صدقة مضاعفة بان يكون

كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة (لا الابطال) اى الحقيق فلا يكون له ثواب الصدقة بالكلية ولا حبة كما يقوله المعتزلة وعلى التنزل فيكون له ثواب الاحسان لانه احسن الى احد من الاخوان (فهو) اى الابطال من جميع الاحوال (ممتنع) فى صحيح الاقوال (و يستصغر) اى من حق العطاء ان يستحقر (الاعطاء ليعظم عنده تعالى) فيصير حبة مثل جبل احد و يقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت وكلما استعظمت صغرت (وهو) اى استصغاره انما يحصل (بذكر التوفيق) بان يتأمل بعين التحقيق انه من اين له المال والى ماذا يصرفه فى المآل فالمال لله وله المنة اذا اعطاه اياه ثم وفقه لبذله وصانه عن بخله فلم يستعظم فى حق الله تعالى ما عين من بعض حقه وهذا ان ارتقى الى الدرجة العليا بان يكون بذله فى محبة المولى (والثواب) اى و بالاجر والمثوبة ان كان مقامه يقتضى ان ينظر الى الآخرة ومثوبة العقبى فلم يستعظم بذل ما ينظر عليه اضعافه مع انه بخيل باعطاء بعض ماله فكان ينبغى ان يخجل فى اعماله من نقصان كماله باعتبار مآله وهذا معنى قوله (و يؤدى مستحيا منه تعالى) فهو عطف بالمعنى على بذكر التوفيق فالتقدير وهو بان يذكر التوفيق وان يؤدى مستحيا منه سبحانه فى مقام التحقيق (للبخل الحامل على الحفظ) اى على امساك بقية ماله عن مرضاة مالكه (اجود المال) مفعول يؤدى اى يعطى احسن المال (وابعده من الشبهة) اى واقربه الى الحلال (فوردا انفقوا من طيبات ما كسبتم) تمامه ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه * اى لا تأخذونه الا مع كراهة وحياء وفى الخبر سبق درهم مائة الف درهم النسائى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابى هريرة وذلك بان يخرجه من اجل ماله واجوده فيصدر ذلك عن الرضاء والفرح ببذله وقد يخرج مائة الف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على انه ليس يؤثر الله عزوجل بشئ مما يحبه كذا فى الاحياء و يحتمل ان يكون معناه ان لاحد درهمين فاخرج درهما وللآخر سبعمائة الف درهم فاخرج مائة الف درهم فتصدق عليه انه غلب درهم مائة الف درهم بحسب الرتبة فى مقام الكرم والله سبحانه اعلم ثم رأيت فى رواية النسائى عن ابى ذر سبق درهم مائة الف درهم رجل له درهمان اخذ احدهما فتصدق به ورجل له مال كثير فاخذ من عرضه مائة الف درهم فتصدق بها وفى رواية الطبرانى عن ابى مالك الاشجعى ثلاثة نفر كان لاحدهم عشرة دنانير فتصدق بدينار وكان لآخر عشر اواق فتصدق منها باوقية وكان لآخر مائة اوقيه فتصدق منها بعشر اواق هم فى الاجر سواء كل قد تصدق بعشر ماله (حتى تنفقوا مما تحبون) فى قوله تعالى * لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون * فينبغى ان ينفق من ماله اجوده واحبه واحله واطيبه فورد ان الله طيب لا يقبل الا طيبا اخرجه مسلم عن ابى هريرة وطوبى لعبد انفق من مال اكتسبه من غير معصية ابن عدى والبزار (ولانه تعالى يأخذها فوردياخذ الصدقات) اى فى قوله تعالى * وهو الذى يقبل التوبة عن عباده و يأخذ الصدقات * (فلا يدخل) تفريع لقوله يؤدى اجود المال اى حتى لا يدخل فى المآل فيما ورد (من ذم الكفار ويجعلون لله ما يكرهون) اى من البنات حيث قالوا الملائكة بنات الله وتمامه * وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى * وهى الضبيان (لمن يكثر) متعلق بيؤدى اى يخص اعطاؤه لمن يكثر (اعطاؤه الاجر بكونه متقيا) والاتقياء هم المعرضون عن الدنيا المتجردون

بجارة العقبى فقد قال تعالى * ان اكرمكم عند الله اتقيكم * وورد لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى ابو داود والترمذى من حديث ابى سعيد واطعموا طعامكم الاتقياء ابن المبارك فى البر والصلة من حديث ابى سعيد الخدرى وهذا الان التقى يستعين به على التقوى فيكون شريكه فى طاعة المولى (وعالما) فان ذلك اعانة له على العلم والعلم اشرف العبادات (فورد وتعاونوا على البر والتقوى) وورد احب بطعامك من يحبه الله وفى لفظ من تحبه فى الله ابن المبارك وابو جوير عن الضحاك مرسلا وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه اهل العلم فقيل له لو عممت فقال انى لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب احدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقدر على التعليم فتفريغهم للعلم افضل وكان بعضهم يؤثر فقراء الصوفية بالعطاء دون غيرهم فقيل لو عممت بمروفك جميع الفقراء كان افضل فقال هؤلاء قوم همهم الله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت همهم اوهم احدهم فلان اردهم واحد منهم الى الله احب الى من اعطاء الف ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولى من اولياء الله ما سمعت منذ زمان كلاما احسن من هذا وهذا معنى قول المصنف (وصادقا) اى فى تقواه وعمله بتوحيد مولاه حال كونه (يرى النعمة منه تعالى) اى ولم ينظر الى واسطته وتكون همته الله لا ما سواه ففى وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم وسلطانه ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله اياه اذ سلطه الله تعالى عليه دواعى الفعل ويسر له الاسباب فاعطى وهو مقهور ولو اراد تركه لم يقدر عليه بعد ان القى الله عز وجل فى قلبه بان صلاح دينه ودنياه فى فعله فمن تيقن هذا لم يكن له نظر الا الى سبب الاسباب وتيقن مثل هذا العبد انفع للمعطى من ثناء غيره وشكره فذلك حركة فى اللسان يقل جدواه فى اكثر الزمان واعانة مثل هذا الموحد لا تضيع ولا تقع فى مقام النقصان واما الذى يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الاباء من الاعطاء فاحواله متفاوتة فى السراء والضراء وفى هذا المقام قال عليه السلام لرجل تب فقال اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله احمد والطبرانى من حديث الاسود بن سريع بسند ضعيف ولما نزلت براءة عائشة رضى الله عنها فى قصة الافك قال ابو بكر رضى الله عنه قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله لا افعل ولا احمد الا الله عز وجل فقال عليه السلام دعها يا ابابكر وفى لفظ آخر انها قالت لابى بكر بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ان الوحى وصل اليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا فى الاحياء وقال العراقى رواه ابو داود ومن حديث عائشة بلفظ فقال ابواى قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت احمد الله لا اياكما وللبخارى تعليقا فقال ابواى قومى فقلت لا والله لا اقوم اليه ولا احمده ولا احمد كما ولكن له ولمسلم فقالت لى امى قومى اليه فقلت والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله وللطبرانى فقالت بحمد الله لا بحمد صاحبك وله من حديث ابن عباس فقالت لا بحمدك ولا بحمد صاحبك وله من حديث ابن عمر فقال ابو بكر قومى فاختضنى رسول الله فقالت لا والله لا ادنو منه الحديث وفيه انها قالت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحمد الله لا بحمدك ثم اعلم ان رؤية الاشياء من غير الله تعالى وصف للكافرين قال تعالى

* واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون * ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط الا من حيث انهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفي سره فليتق الله سبحانه في تصفية توحيده في مراتبه عن كدورات الشرك الخفي وشوائبه ومع هذا من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر من يرى الواسطة اصلا وهذا مرتبة جمع الجمع في التحقيق والله ولي التوفيق (وساتر الحاجته) اى ومخفيا لفاقته لا يكثر البث والشكوى في مضرة حالته (فورد يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف) تمامه * تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا * اى الحاحا وتصريحا بل تعريضا وتلويحا اولا يسألون اصلا فالنفي منصب على القيد والمقيد كقوله سبحانه * ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع * حيث لا شفيع لهم اصلا وقطعا وذلك لانهم اغنياء بيقينهم واعزة بصبرهم وتمكينهم فورد ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس متفق عليه من حديث ابى هريرة (ومعيلا) بضم الميم اى عاجزا عن نفقة اهله ((ومريضا) اى محبوسا لمرض مانع له من كسبه (فورد للفقراء) اى خصوا صدقاتكم للفقراء (الذين احصروا في سبيل الله) اى حبسوا في طريق الآخرة لعيلة اوضيق معيشة او اصلاح قلب في علم وعبادة تمامه * لا يستطيعون ضربا في الارض * اى سيرا فيها للتجارة والزراعة والاجارة ونحوها فبهذه الاسباب كان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يعطى اهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان عليه السلام يعطى العطاء على قدر العيلة كذا في الاحياء قال العراقي لم اجد له اصلا لكن لابي داود من حديث عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اتى الفيء قسمه في يومه ويعطى الاهل حظين ويعطى العزب حظا وقال احمد حديث حسن اقول فكأن الغزالي نقل بمعناه لعدم استحضار مبناه او اطلع على مالم يجده غيره بعده وورد ان المعونة تأتي من الله للعبد على قدر المؤنة وان الصبر يأتي من الله على قدر المصيبة الحكيم والحاكم والبزار والبيهقي عن ابن عمر وسئل عمر رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال قلت وضعف الحال والاقارب الكمال لو كان الخلق كلهم عياله ولم تنزل قطرة ولم تنبت حبة يجبالهم ما يبالون فان خالقهم رازقهم وواعدهم فصادقهم (وذا رحم فجاء ان الصلة) اى صلة الرحم (بدرهم احب من التصدق بعشرين الى الاجنبي) فمن على لان اصل اخا من اخواني بدرهم احب الى من ان اتصدق بعشرين درهما ولان اصله بعشرين درهما احب الى من التصدق بمائة درهم ولان اصله بمائة درهم احب الى من ان اعتق رقبة واما الاصدقاء واخوان الخير فيقدمون على المعارف كما تقدم الاقارب على الاجانب وقد ذكر السيوطي في خاصيته ثواب الصدقة خمسة انواع واحدة بعشرة وهي على صحيح الجسم وواحدة بسبعين وهي على الاعمى المبتلى وواحدة بسبعمائة الف على ذي قرابة محتاج وواحدة بمائة الف على الابوين وواحدة بسبعمائة الف على عالم اوتقيه (والاولى بطلب الجامع اياها) اى طلبه لمن جمع فيه الصفات المذكورة والحالات المسطورة (او اكثرها) فان ما لا يدرك كله لا يدرك كله ولا يترك كله وبقدر ما يتعنى يحصل له ما يتمنى فان وجد من جميع هذه المراتب في اعلى المناقب فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى (ويتصدق كل يوم) اى ليكتب في المتصدقين وقد ورد ما كروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطى الصدقة الطبراني في الاوسط عن علي والبيهقي عن انس (ولا يرد سائلا) فورد ردوا السائل ولو بظلف محرق مالك

واحمد والبخارى فى تاريخه والنسائى عن حوا بنت السكن وفى رواية العقيلى عن عائشة ردوا هذمة السائل اى بغيته وشهوته ولو بمثل رأس الذباب العقيلى عن عائشة ولعله مقتبس من قوله تعالى * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره (فيستحب ان لم يقدر) على العطاء (وهو المأثور) فعن محمد بن الحنيفة مرسلا انه عليه السلام كان لا يكاد يقول بشئ لا فاذا هو سئل فاراد ان يفعل قال نعم وان لم يرد ان يفعل سكت رواه ابن سعد ورواه الحاكم عن انس كان عليه السلام لا يسأل شيئا الا اعطاه او سكت (الا بلطف) وهو المشهور عن الجمهور (فورد قول معروف) اى كلام حسن ورد على السائل مستحسن وقيل عدة حسنة وقيل دعوة صالحة (ومغفرة) اى سترخلة او سد فاقة ورفع حاجة (خير من صدقة) يدفعها اليه حال كونه (يتبعها اذى) اى يعقبها به لديه او من عليه والاولى ان يستدل بقوله تعالى * واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا * اى ذا يسر ولين وهى العدة اى فعدهم وعدا جميلا وقيل ادع لهم دعاء جزيلا نحو يرزقنا الله واياك واعطانا الله واعطاك (ولا ينهر) اى ومن حق العطاء انه لا يزجره ولا يقهره وبه فسر قوله تعالى * واما السائل فلا تنهر * اى اذا سألك فاما ان تطعمه طعاما لينا واما ان ترده رداهينا (فاوعد فيه العذاب فى النار الف عام فى النار) لم عرف له اصلا (ويغتنم السؤال) بالمصدر اى سؤال الفقير على بابه فانه هدية من الله الى جنابه كما ورد فيما تقدم ويحتمل ان يكون السؤال على وزن الجهال جمع سائل فعن ابراهيم بن ادهم ذم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وعن ابن عمر مرفوعا هدية الله الى المؤمن السائل على بابه رواه الخطيب (ويسئ الظن بنفسه عند فقده) اى عند عدم وجدان السائل فى باب انسه (ولا يتوقع) اى لا يطمع من الفقير حين اعطاء عطاء ان يجازيه (جزاء ودعاء وشكر او ثناء) قال تعالى حكاية عن الابرار * ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا (ويكافئ) بالهمز اى يجازى المعطى (بمثله) بنظير دعاء الفقير (ان دعا له بالخير) ونحوه من الجزاء (او اثنى) عليه بان مدح فى مقابلة العطاء وكانت عائشة ام المؤمنين كثيرة الخيرات والمبرات قال عروة بن الزبير لقد تصدقت بخمسين الفا وان درعها لمرقع وكانت هى وام سلمة اذا ارسلنا معروفا الى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدعاء لانه يشبه المكافاة وهكذا فعل عمر وابنه رضى الله عنهما (ويجعلها) اى صواب صدقته (لوالديه الماضين) اى المتوفيين فانها ينتظران دعوة تلحقهما او صدقة تصيبهما فعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ما على احدكم اذا اراد ان يتصدق ان يجعلها لوالديه اذا كانا مؤمنين فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل اجورهما من غير ان ينقص من اجورهما شئ ابن النجار (فالكل مأثور) وفى كتب الحديث مسطور (ويقدم نفقة النفس والعيال فهو) اى تقديمهما (فرض) وقد ورد ابدأ بمن تعول منفق عليه ابدأ بنفسك فتصدق عليها فان فضل شئ فلاهلك فان فضل عن اهلك شئ فلذى قرابتك فان فضل من ذى قرابتك شئ فكذا النسائى وفى الطبرانى من حديث جابر بن سمرة اذا انعم الله على عبده نعمة فليبدأ بنفسه واهل بيته وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم ابو داود من حديث ابى هريرة بسند صحيح ابن حبان والحاكم وصححه ورواه

النسائى وابن حبان ايضا بتقديم الزوجة على الولد ويجمع بين الحديثين بان الولد صغير فى الاول وكبير فى الثانى وقال صلى الله عليه وسلم يوما لاصحابه تصدقوا فقال رجل عندى دينار فقال انفقه على نفسك قال ان عندى آخر قال انفقه على زوجتك قال عندى آخر قال انفقه على ولدك قال ان عندى آخر قال انفقه على خادمك قال عندى آخر قال انت ابصر به ابو داود والنسائى واللفظ له وابن حبان والحاكم من حديث ابى هريرة (وبادروا) اى بخرج الصدقة اول النهار ليدخل فى قوله تعالى * ويسارعون فى الخيرات (ليبادرها) اى بالصدقة (البلاء) اى دفعه فورد الصدقات بالغدوات يذهبن بالعاهات الديلمى عن انس وفى رواية البيهقى عنه والطبرانى فى الاوسط عن على باكروا بالصدقة فان البلاء لايتخطى الصدقة وورد الصدقة تمنع سبعين نوعا من البلاء اهونها الجذام والبرص الخطيب عن انس الصدقة تمنع ميتة السوء القضاعى عن ابى هريرة (ويختم) الصدقة (على من رق له القلب) لانه من علامة انه رحمه الرب (فهو) اى رقة القلب (علامة صدق السائل) وقد ورد لو صدق السائل ما افلح من رده العقيلى فى الضعفاء وابن عبد البر فى التمهيد من حديث عائشة وللطبرانى نحوه من حديث ابى امامة وللبيهقى عن عائشة لولا ان السؤال يكذبون ما قدس من ردهم لاتردوا السائل ولو بشق تمرة (ولاتحقرما عنده) لقوله تعالى * ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما * ولقوله حكاية عن لقمان * يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل * الآية قال يحيى بن معاذ ما اعرف حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة ولقوله سبحانه * ماعندكم ينفد وماعند الله باق * فربما يكون خيره عنده حقيرا ويصير عنده سبحانه عظيما وكبيرا فورد ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولايقبل الله الا طيبا الا كان الله يأخذه بيمينه فيربيها كما يربى احدكم فصيله اوفلوه حتى تبلغ التمرة مثل احد البخارى تعليقا ومسلم والترمذى والنسائى فى الكبرى واللفظ له وابن ماجة من حديث ابى هريرة واتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة متفق عليه من حديث عدى بن حاتم وتصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجايع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ابن المبارك فى الزهد من حديث عكرمة مرسلا ولاحمد من حديث عائشة بسند حسن اشترى نفسك من النار ولو بشق تمرة فانها تسد من الجايع مسدها من الشبعان وللبزار وابى يعلى من حديث ابى بكر اتقوا النار ولو بشق تمرة فانها تقيم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجايع موقعها من الشبعان وقال عليه السلام لابى ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها ثم انظر الى اهل بيت من جيرانك فاصبهم منه بمعروف رواه مسلم وفى رواية العقيلى ردوا هذمة السائل ولو بمثل رأس ذباب ويقال ان الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال ارضى فى ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله رضى فى الحور العين بالفلس والفلسين واللقمة واللقمتين وعن على كم من حور ما كان مهره الا قبضة من حنطة اومثلها من تمر العقيلى عن ابن عمر وكان عليه السلام لايكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمر يده وكان يناول المسكين بيده الدارقطنى من حديث انس باسناد ضعيف وابن المبارك فى البر مرسلا (ويحصل انواعها) اى يجتهد فى تحصيل انواع الصدقة حقيقة وهو ظاهر وحكما (كارشاد الضال) اى دلالته على صاحبه اورده الى بابه فروى الترمذى وغيره عن ابى ذر مرفوعا تبسمك فى وجه اخيك صدقة وامرك بالمعروف صدقة

ونهيك عن المنكر صدقة وارشادك الرجل فى الارض الضالة صدقة الحديث اوهدايته الى زقاقه فلاحمد والترمذى وصححه من حديث البراء من منح منحة ورق اومنحة لبن اوهدى زقاقا فهو كعتاق نسمة اودلالته عن جهله وضلالته فورد لان يهدى الله بك رجلا خيرلك من حمر النعم اى من صدقتها (وقربان المرأة) اى جماعها (للتعفف) اى من اجله اومن اجلها فروى ابوداود عن ابى ذر يصبح على كل سلامى من ابن آدم صدقة تسليمه على من لقى صدقة وامره بالمعروف صدقة واماطة الاذى عن الطريق صدقة و يجزى عن ذلك ركعتان من الضحى قالوا يارسول الله احدنا يقضى شهوته و يكون له صدقة قال ارأيت لو وضعها فى غير حلها الم يكن يأثم وفى رواية النسائى وابن حبان وغيرهما عن ابى ذر ايضا ولك فى جماع زوجتك اجر ارأيت لوكان لك ولد فادرك ورجوت اجره فمات اكنت تحتسب به قال نعم قال افانت خلقته وانت هديته وانت رزقته قال لا قال فضعه فى حلاله وجنبه حرامه فان شاء الله احياه وان شاء اماته ولك اجر (والعدل بين الاثنين) من الزوجين وغيرهما فعن ابى هريرة كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل على دابته فيحمل عليها او يرفع عليها متاعه صدقة الحديث احمد والشيخان (والحمل على الدابة) لماسبق من الحديث والمعنى حمل الغير اومتاعه على دابته اودابة نفسه (وطيب الكلام) فعن ابن عباس الكلمة الطيبة يتكلم بها الرجل صدقة الطبرانى وفى رواية لمسلم والنسائى عن ابى ذر فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة الحديث وتقدم حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة (والخطوة الى الصلوة) فعن ابى هريرة برواية احمد والشيخان وكل خطوة تخطوها الى الصلوة صدقة (والانفاق على العيال) فعن جابر ما انفق المسلم من نفقة على نفسه واهله كتب له بها صدقة الحديث ابن عساكر والحاكم فى مستدركه عن انس ان تفقتك على اهلك وخادمك صدقة وفى رواية الخطيب عنه كل معروف صنعته الى غنى اوفقير فهو صدقة وفى رواية احمد وغيره عن ابى امامة ما اطعمت زوجتك فهو لك صدقة وما اطعمت ولدك فهو لك صدقة وما اطعمت خادمك فهو لك صدقة وما اطعمت نفسك فهو لك صدقة (والتبسم فى وجه اخيه) وقد تقدم حديث وتبسمك فى وجه اخيك صدقة وفى رواية احمد وغيره عن جابر كل معروف صدقة وان من المعروف ان تلقى اخاك ووجهك اليه منبسط وفى رواية له عن ابى ذر لاتحقرن من المعروف شيئا ولوان تلقى اخاك بوجه طلق (واطراق الفحل) اى من الابل والخيل يعنى اعارته للضراب وهو نزوه على الانثى ففى مسند احمد والترمذى عن ابى امامة افضل الصدقات ظل فسطاط فى سبيل الله عزوجل اومنيحة خادم فى سبيل الله عزوجل (واعارة الدلو) اى نحوها الداخلة فى ذم منعها حيث قال تعالى *و يمنعون الماعون* وقد روى البخارى فى تاريخه عن ابى ذر وافراغك من دلوك فى دلو اخيك صدقة وفى رواية ولو ان تفرغ من دلوك فى اناء المستسقى (والنفع بعلم) اى شرعى فعن ابى هريرة افضل الصدقة ان يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه اخاه المسلم ابن ماجة (وغرس) فعن ابى الدرداء من غرس غرسا لم يأكل منه آدمى ولا خلق من خلق الله الا كان له صدقة احمد (وزرع) فعن خلاد بن السائب من زرع زرعا فأكل منه طيرا وعافيه كان له صدقة احمد والعافية السبع (ونهر وبئر ومصحف ومسجد وتخليف

ولد يستغفرله) فمن ابى هريرة اذامات الانسان انقطع عمله الامن ثلاث الامن صدقة جارية اوعلم ينتفع به او ولد صالح يدعوله مسلم وغيره (وافضلها) اى افضل الصدقات ان يكون (فى الصحة) اى حال العافية ففى الصحيحين عن ابى هريرة افضل الصدقة وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولاتمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الاولفلان كذا (والمحتاج فدرهم منه) اى من اجله (مثل سبعين) اى درهما من اجل غير المحتاج ويتفرع عليه قوله (والقرض افضل منها) اى من الصدقة (فهو) اى القرض (بثمانية عشر) اى درجة زائدة على الصدقة التى درجتها عشرة (لوقوعه فى كف المحتاج) كماورد دخلت الجنة فرأيت على بابها الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر فقلت ياجبريل كيف صارت الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر قال لان الصدقة تقع فى يدالغنى والفقير والقرض لايقع الافى يد من يحتاج اليه الطبرانى عن ابى امامة (ولاينذرى) اى الاولى ان لاينذر فيجب عليه (فلعله لايفى) بنذره اويفى ولكن مع كره (ونهى عنه) ففى الصحيحين عن ابن عمر انه عليه السلام نهى عن النذر ومحمله على انه من فعل البخلاء اذ السخى اذا اراد ان يتقرب الى الله تعالى استعجل فيه واتى به فى الحال ولم يتركه الى الاستقبال وفى مسلم والترمذى والنسائى عن ابى هريرة مرفوعا لاتنذروا فان النذر لايغنى عن القدر شيئا وانما يستخرج به من البخيل وورد قال الله تعالى لايأتى ابن آدم النذر بشئ لم اكن قد قدرته ولكن يلقيه النذر الى القدر وقدقدرته له هوشئ استخرج به من البخيل فيوسى عليه مالم يكن يوسى عليه من قبل احمد والبخارى والنسائى عن ابى هريرة واما مامر فى آداب الدعاء من الترغيب فى النذر فمحمول على ما اذا كان فى الاعمال الصالحة والنهى عن النذر ههنا محمول على النذر فى المال لمظنة عدم الوفاء فى المال بخلاف النذر فى الاعمال فالغالب فيه الوفاء فى الاستقبال ثم اعلم انه ينبغى للقابض امور منها ان يفهم ان الله سبحانه اوجب صرف الزكوة ونحوها الى الفقير ليكفى همومه ويجعلها هما واحدا هم دينه وقد اكثر الله عز وجل الاموال ووضعها فى ايدى عباده من العمال والبطال لتكون آلة لهم فى دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم الى طاعاتهم فمنهم من ابتلاه بالمال وجعله عليه فتنة وبلية فانفقه فى متن الحظر ومنهم من احبه فحماه الدنيا ومايتعلق بها من الحذر كما يحمى الشفيق مريضه مافى اكله من الضرر فيزوى عنه فضولها وقدرله حصولها وساق اليه قدر حاجته على يدالاغنياء ليكون شغل الكسب والتعب فى الجمع والحفظ عليهم مع غاية من العناء وفائدته منصبة الى الفقراء مع نهاية من الهناء ليتجردوا لعبادة المولى والاستعداد لزاد المعاد الى العقبى فلايصرف عنهم فضول الدنيا فحق الفقير ان يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق ان فضل الله عليه فيما زواه اكثر مما اعطاه فليأخذ مايأخذ من الله سبحانه رزقا وعونا على الطاعة فان استعان به على المعصية كان كافرا للنعمة مستحقا للطرد واللعنة ومنها ان ينظر فيما يأخذه فان لم يكن من حل تورع عنه لقوله سبحانه * ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب * فلايأخذ من اموال من اكثر كسبه الحرام الا اذا ضاق عليه الامر وكان مايسلم اليه لايعرف له مالكا معينا فله ان يأخذ بقدر الحاجة ومنها ان يتوقع مواقع الريبة والشبهة فى مقدار مايأخذه ولايأخذه الا اذا تحقق له انه موصوف بصفة الاستحقاق وحينئذ يأخذ مايتم به كفايته من وقت اخذه الى سنة فهذا اقصى مارخص فيه من حيث ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخر لعياله قوت سنة متفق عليه من حديث عمر كان يعزل نفقة اهله سنة وللطبراني في الاوسط من حديث انس كان اذا ادخر لاهله قوت سنة تصدق بما بقي فاذا اقتصر على حاجة شهر او يوم فهو اقرب للتقوى في حق الاقوياء وذاهب العلماء في قدر المأخوذ بحكم الزكوة والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل الى حد اوجب الاقتصار على قوت يومه وليلته وتمسك بما روى سهل الحنظلية انه عليه السلام نهى عن السؤال مع الغنى فقال غداؤه وعشاؤه ابوداود وابن حبان وهو محمول عند الجمهور على السؤال لا في جميع الاحوال لان لفظ الحديث من سأل وله مايغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم وقال آخرون يأخذ الى حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكاة اذلم يوجب الله عز وجل الزكاة الا على الاغنياء فقالوا له ان يأخذ لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكوة وبالغ آخرون في التوسع فقالوا له ان يأخذ مقدار مايشتري به ضيعة فيستغني بها طول عمره او يهيئ بضاعة ليتجر فيها ويستغني لان هذا هو الغنى حتى ذهب قوم الى من افتقر فله ان يأخذ مايعود به الى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم الا اذا خرج عن حد الاعتدال والله اعلم بالاحوال وقد ورد ما المعطى من سعة بافضل اجرا من الذي يقل من حاجة ابن حبان والطبراني من حديث انس ومنها انه يأخذ مايعطى له حال الخلاء ولا يأخذ في الملاء فقد دفع رجل الى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده اليه ودفع اليه آخر شيئا سرا فقبله فقيل له في ذلك فقال ان هذا عمل بالادب فقبلته وذلك اساء ادبه في عمله فرددته واعطى رجل بعض الصوفية شيئا في الملاء فرده فقال له لم ترد على الله تعالى ما اعطاك فقال انك اشركت غير الله حيث لم تقنع بعين الله فرددت عليك شركك وقيل بعض العارفين في السر شيئا كان رده في العلانية فقيل له في ذلك قال عصيت الله في الجهر فلم اكن لك عونا على المعصية واطعته بالاخفاء فاعنتك على برك فقال الثوري لو علمت ان احدهم لا يذكر صلته ولا يتحدث بها لقبلتها وايضا في اظهار الاخذ ذل وامتهان وليس للمؤمن ان يذل نفسه وايضا للاحتراز عن شبهة الشركة فورد من اهدى اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها العقيلي وابن حبان في الضعفاء والطبراني في الاوسط والبيهقي من حديث ابن عباس قال الفضيلي لا يصح في هذا المتن حديث واما العارف فلا نظر له الا الى الله عز وجل والسر والعلانية في حقه واحد واختلاف الحال شرك في التوحيد والتوفيق منه سبحانه والتأييد

﴿ الباب الثالث في الصوم وكسر الشهوة ﴾

اي الذي هو مراد القوم (بسم الله الرحمن الرحيم ورد الصوم) ي فرضه ونفله (لي) اي مختص لاجلي لا يتصور كونه لغيري (و انا اجزي به) بصيغة الفاعل وقيل بالمفعول ففي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وانا اجزي به وفي رواية لهما عنه كل حسنة بعشر امثالها الى سبع مائة اضعاف الا الصيام فانه لي وانا اجزي به وانما قال وانا اجزي به مع ان جزاء كل العبادات منه تعالى اشارة الى عظم ذلك الاجر لان الكريم اذا تولى بنفسه اقتضى ذلك سعة الجزاء وكأنه لم يذكر ما يجزي به لكثرته ويومي اليه قوله تعالى * انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب * وقد ورد الصوم نصف الصبر اخرجه الترمذي وحسنه والصبر نصف الايمان ابونعيم في الحلية من حديث ابن مسعود بسند حسن (اي جزاؤه لقائي)

يعنى رؤيتى فى العقبى (اومعرفتى) اى فى الدنيا ولامنع من الجمع (وانما خص الصوم بالاضافة) اى اللامية مع ان كل عبادة مختصة له سبحانه (لانه) من بين العبادات (خلق صمدى) فان الاستغناء من الاكل والشرب والجماع من الصفات الصمدية والنعوت الاحدية وكان الصائم متخلقا بذلك الخلق من اخلاق الله وروى تخلقوا باخلاق الله وقد قالوا كل اسم من اسمائه سبحانه للمخلق الا اسم الجلالة فانه للتعلق بالاضافة تشريفية كناقة الله و بيت الله وانما قال انا اجزى به مع ان جزاء كل العبادات منه سبحانه اشارة الى عظيم ذلك الاجر به لان الكريم اذا وعد ان يتولى شيئا بنفسه اقتضى ذلك عظمته وكأنه لم يذكر مايجزى به لكثرته اونفاسته كما يشير اليه قوله تعالى * فلاتعلم نفس ماأخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعلمون * من اخفاء الاعمال وحديث اعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر (اوعمل سرى) فانه قصد قلبى مع ترك المقطر الصورى والملائكة الكتبة لايطلعون على مالاعمل فيه فهو سر بين العبدور به بحيث لايطلع عليه غيره (اوقهر النفس والشيطان الذى هو) اى قهرهما (اصل المعاملة) فان مدار المعاملة على مخالفتهما وموافقة الله ورسوله فى حكمهما و ايضا كما ان النفس والشيطان مقهوران مغلوبان فى قبضة الله سبحانه يكونان مقهورين مغلوبين ايضا فى قبضة الصائم فصار الصائم حينئذ متخلقا بخلق الحق فى الجملة ولوكان وصفه سبحانه بنعت الدوام ومن هنا ورد نوم الصائم عبادة ابونعيم فى الحلية عن ابن عباس وخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك يقول الله تعالى انما يدع شهوته وطعامه وشرابه من اجلى فالصيام لى وانا اجزى به متفق عليه من حديث ابى هريرة وهوموعود بلقائه سبحانه فى جزاء صومه اذورد للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه متفق عليه ايضا وفى الاحياء ان الصوم قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان الشهوات المشغلة عن العبادات وانما يقوى الشهوات بالاكل والشرب وسائر اللذات ولذا قال عليه السلام ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع (وادنى رتبته) اى مراتب الصيام وهو الجواز اعم من ان يكون مقبولا ام لاناقصا او كاملا وهومقام العوام (الكف عن الشهوتين) اى الامتناع عن شهوتى البطن والفرج فى وقته مقرونا بالنية المعتبرة المذكورة فى محله (وهو مناط الجواز) اى متعلق جواز الفتوى فى ظاهر شرع الدنيا وهو صوم العموم (ثم كف الجوارح اى منع الاعضاء من العين والاذن واللسان وسائر الاعضاء والاركان (عن الاثم) اى مطلق العصيان (وهومناط القبول) لقوله تعالى* انما يتقبل الله من المتقين * وهو صوم الخصوص (فوردخمس) اى خصال (يفطرن الصائم) بتشديد الطاء اى يجعلنه مفطرا حكميا لاحقيقيا (الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة) الازدى فى الضعفاء من رواية جابال عن انس وقول الحجة فى الاحياء جابر تصحيف وقال ابو حاتم الرازى هذا كذب اقول لكن يقويه رواية الديلمى فى مسند الفردوس عن انس ثم اعلم ان حفظ اللسان عن الهذيان والزامه السكوت اوشغله بالذكر وتلاوة القرآن هوكمال صوم الانسان عند الاعيان وقد روى ليث عن مجاهد خصلتان تفسد ان الصوم الغيبة والكذب وقال سفيان الغيبة تفسد الصوم وورد انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما فلايرفث ولايجهل فان امرؤ قاتله اوشاتمه فليقل انى صائم متفق عليه

من حديث ابى هريرة وجاء فى الخبران امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهد هما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الافطار فارسل اليهما قدحا وقال عليه السلام قل لهما قيئا فيه ما اكلتما فقاءت احديهما نصفه دما غبيطا ولحما عريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال عليه السلام هاتان صامتا عما احل الله سبحانه لهما وافطرتا على ماحرم الله عليهما قعدت احداهما الى الاخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما اكلتا من لحومهما احمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسند فيه مجهول وكذا حكم غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر الى كل مايعرف وينكروا الى كل مايشغل القلب ويلهى عن ذكر الرب فورد النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله عزوجل آتاه الله سبحانه ايمانا يجد حلاوته فى قلبه الحاكم وصحح اسناده من حديث حذيفة وكذا حكم كف السمع عن الاصغاء الى كل مايكره من لغو ولهو وقد ورد * والذين هم عن اللغو معرضون ۞ والمغتاب والمستمع شريكان فى الاثم كذا فى الاحياء وهو غريب نعم للطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة (كم من صائم ليس له الا الجوع والعطش) النسائى وابن ماجة من حديث ابى هريرة (وهو المفطر بالحرام) وقيل المرتكب للاثم كالكذب والغيبة وسائر الآثام (ثم كف القلب عما سواه تعالى) اى عما عدا ذكر الرب ومايتعلق به (وهو) اى هذا النوع من الصوم (للانبياء والاولياء) وهم خصوص الخصوص وفصوص الفصوص وتوضيحه ان يصوم قلبه ولبه عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية ويكفه عن ماسوى الله بالكلية ويحصل الفطر فى هذا الصوم بالفكر فى غير صفات الله وآياته ومصنوعاته واليوم الآخر ومقاماته وبالفكر فى امر الدنيا وشهواته ولهواته لادنيا تراد للدين وضرورياته فان ذلك زاد الآخرة ومقدماته حتى قال ارباب القلوب امن تحركت همته بالتصرف فى نهاره بتدبير مايستعمله فى افطاره كتبت عليه خطيئة من اوزاره فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وكرمه وقلة اليقين برزقه ووعده فينبغى ان يكون بحال يصدق ان يقال فى حقه قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون (وحقه) اى الصوم على الصائم (ان يخاف الرد ويرجو القبول) فيكون قلبه بعد الافطار متعلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذ ليس يدرى ايقبل صومه فهو من المقربين او يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك فى آخر كل عبادة يفرغ منها وروى عن الحسن بن ابى الحسن انه مر بقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال ان الله جعل شهر رمضان مضمار الخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق اقوام ففازوا وتخلف اقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيه السابقون المسارعون وخاب فيه المبطلون المدعون اما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بطاعته واحسانه والمسئ باساءته وعصيانه اى لكان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك وعن الاحنف بن قيس انه قيل له انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال انى اعده ليوم طويل والصبر على طاعة الله سبحانه وفى بابه اهون من الصبر على عذاب الله وحجابه فعلماء الظاهر يعنون بالصحة الجواز والحصول وعلماء الآخرة يعنون بها

القبول و بالقبول الوصول الى المقصود والمأمول ومن هنا قال ابو الدرداء يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يعيبون صوم الحمقاء وسهرهم ولذرة من عبادة ذوى التقوى واليقين ارجح من امثال الجبال من عبادة المغترين ولذا قال العلماء * كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم فالمفطر الصائم هو الذى حفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب من الحلال دون الحرام والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش فى الايام ويطلق جوارحه فى الآثام (ويقول) اى فى جنانه او بلسانه (لمن قاتل) اى جادل اوضارب اوخاصم (اوشاتم انى صائم) اى فانا ممسك عما لايليق به من الاحكام وفيه تنبيه على ان الشخص اذا علم من صاحبه عمل الصيام ان لايتعرض له من كلام الخصام ويشير اليه قوله تعالى فاما ترين من البشر احدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلم اكلم اليوم انسيا (فهو مأثور) كما تقدم وقد ورد انما الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته الحرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود فى حديث الامانة فى الصوم واسناده حسن ولما تلا عليه السلام قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وضع يده على سمعه وبصره فقال السمع امانة والبصر امانة كذا فى الاحياء قال العراقى اخرجه ابو داود من حديث ابى هريرة دون قوله السمع امانة ثم لولا ان الصوم امانة لما قال عليه السلام فليقل انى صائم اى انى اودعت لسانى لاحفظه عن الاشتغال بك فكيف اطلقه بجوابك (ولايسأل) بصيغة المجهول (عنه) اى عن صومه اوعن حاله بان يقال انك صائم ام لا فانه يوجب على كل تقدير اشكالا (لان المسؤل ان اقر اظهر) وربما يتفرع عليه الرياء (وان انكر كذب) وهو اعظم البلاء (وان سكت استحقر) اى المسؤل للسائل بسؤاله فيما ان استحضر وترتب عليه الجفاء (وان احتال للمدافعة تعب) اى فيما تفكر وتدبر ووقع فى العناء وورد لايكذب الكاذب الامن مهانة نفسه عليه الديلمى عن ابى هريرة مرفوعا (ولايكثر الاكل) اى حال الافطار بحيث يمتلئ فاوعاء ابغض الى الله من بطن يملأ من الحلال فقد ورد ماملأ آدمى وعاشرا من بطن يحسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه فان كان لامحاله فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه احمد والترمذى وابن ماجة والحاكم عن المقدام بن معدى كرب واكلات بصمتين لقيمات كما فى رواية (تحاميا عن الكسل) اى فى الطاعة وقد ورد اعوذ بك من الكسل لاسيما (فى التهجد) لما تقدم من انه اذا اكثر الاكل اكثر الشرب واذا اكثر الشرب اكثر النوم واذا اكثر النوم ضيع عمره وفسد امره وينبغى ان لايكثر النوم فى النهار ايضا ليحس اثر الجوع والعطش والافيقل نتيجته وثمرته لاسيما مع وجود غفلته وعن بعض الحكماء خمسة من الاشياء ابتلى الناس بها وكان هلاكهم فيها اولها حب الشبع وفيه قساوة القلب الثانى حب النوم وفيه نقصان العمر والثالث حب الراحة وفيه الافلاس والرابع حب المال وفيه الحساب الطويل فى المآل والخامس الثناء وفيه ذهاب الثواب وابطال الاعمال (وبطلان سره) اى وتحاميا عن بطلان فائدة لصوم ومنفعة امره (وهو قهر النفس) اى اذلالها للانقياد فيما خلقت لاجله فكيف يستفاد من الصوم قهر الشيطان وكسر النفس وتقليل الشهوة اذا تدارك الصائم عند افطاره مافاته فى نهاره ومن جعل بين قلبه وبين ربه مخلاة من الطعام فهو محجوب عن شريف المقام ولطيف المرام (وطريقه) اى طريق تحصيل الصوم فى مذهب القوم (معرفة فوائد الجوع) فقد قيل الجوع عزكله والشبع ذل كله وورد صمت الصائم تسبيح ونومه عبادة

ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف الديلمى عن ابن عمر وقال بعضهم اخترت صوم الدهر لما سألت ستة نفر عن ستة اشياء فاجابوا بجواب واحد سألت الاطباء عن اشفى الادوية فقالوا الجوع وقلة الاكل وسألت الحكماء عن اعون على طلب الحكمة فقالوا الجوع وقلة الاكل وسألت العباد عن انفع الاشياء فى العبادة قالوا الجوع وقلة الاكل وسألت الزهاد عن اقوى الاشياء على الزهادة قالوا الجوع وقلة الاكل وسألت العلماء عن افضل الاشياء على حفظ العلم وفهمه قالوا الجوع وقلة الاكل وسألت الملوك عن اطيب الادام والذ الطعام قالوا الجوع وقلة الاكل (وهى اى فوائده ثلاثة عشر (صفاء القلب) اى ضياؤه وبهاؤه وقبوله لدوام ذكر الرب (فورد من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه) اى وكبرت همته وقلت شهوته وعدمت نهمته والحديث لم اجده مرفوعا وانما قال لقمان لابنه يابنى اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمت وفترت الاعضاء عن العبادة وقدورد ان من السرف ان تأكل كلما اشتهيت ابن ماجة عن انس وفى رواية البيهقى عن عائشة اكثر من اكلة كل يوم سرف وعن سلمان ان اكثر الناس شبعا فى الدنيا اطولهم جوعا يوم القيمة ابن ماجة والحاكم ومن حديث ابن عباس ان اهل الشبع فى الدنيا هم اهل الجوع فى الآخرة الطبرانى وعن يحيى بن معاذ يا معاشر الصديقين جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر الجوع (ورقة) اى ورقة القلب وتأثره بذكر الرب (فورد من شبع ونام قسا قلبه) لم اعرفه بهذا اللفظ نعم ورد اذيبوا طعامكم بالصلوة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم ابو نعيم وغيره ثم يؤخذ بالمفهوم فيفيدان من جاع وسهر رق قلبه (والاستلذاذ بالطاعة) اى التلذذ بالعبادة كما يعرفه اهل الارادة (والانكسار) اى لذال الحاصل من مقام الافتقار (فالبطر سبب المعصية والغفلة)والفقر باعث التوبة والرجوع الى الحضرة وقدورد عليكم بالصوم فانه محساة للعروق ومذهبة للاشر ابو نعيم فى الطب عن شداد بن اوس (وذكر عطش العرصات) اى موقف القيمة بحيث تكون الشمس قريبة رأسه قدر القامة وفى الخبر يوضع للصائمين مائدة يوم القيمة من ذهب يأكلون منها والناس ينظرون ابو الشيخ والديلمى عن ابن عباس (وجوع الجحيم) كما قال تعالى * ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع* وقدورد الصوم يعد من حر السعير الطبرانى عن انس (وكسر شهوة الفرج فاستيلاؤها بالشبع) ولذا ورد من استطاع منكم ان يتزوج فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء متفق عليه من حديث ابن مسعود (ودفع النوم اى فى الجملة (فهو) اى النوم الكثير (يكل الطبع) اى يجعله كلا فى فهم الكلام (و يضيع العمر) بقدر المنام (و يفوت القيام) بمقاصد المرام و مراصد المقام (والتهجد) وهو القيام والناس نيام (و ييسر المواظبة على الطاعة لخفة البدن) المستلزمة للمواظبة على العبادة كما يعرفه ارباب السعادة (والفراغ عن الاهتمام بالتحصيل) اى تحصيل الكثير فان امر القليل يسير (والاعداد) اى تهيئة ما يحتاج للاكل من نحو الطبخ والنفخ (والاكل) اى نفسه من الفعل (والقراع) بالجر اى والفراغ عن القراغ من قضاء الحاجة الانسانية (ودفع الامراض الشاغلة عنها) اى عن العبادة الكاملة (فورد المعدة) بفتح و يكسر فسكون (بيت كل داء) اخرج الخلاد من حديث عائشة مرفوعا بلفظ الحمية رأس الدواء و المعدة بيت الداء وعودوا بدنا ما اعتاد ذكره السيوطى واخرج ابن ابى الدنيا فى كتاب الصمت عن وهب من منبه قال اجتمع

الاطباء على ان رأس لطب الحمية قلت و اجتمعت الحكماء على ان رأس الحكمة الصمت (وخفة المؤنة) فانها مطلوبة فى مقام العبودية (والاكتفا بالقليل) فان الكثير قل ان يكون حلالا والحديث قليل يكفيك خير من كثير يطغيك (فطلب الزيادة يورث المذلة اى فى كسبها (وتحصيل الحرام) بسببها (والشبهة) اى بلا شبهة فى حبها (وامكان الايثار بالفاضل) اى الزائد على قدر كفايته وفق قناعته (ليكون فى ظله) اى ظل مايفقه فى سبيل الله (يوم القيمة) فروى ان الرجل فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس القضاعى عن عقبة بن عامر ان ظل المؤمن يوم القيمة صدقته ابن راهويه عن بعض الصحابة (ثم التقليل بالتدريج الى مايحصل به القوام) وهو طريق رياضة المشايخ الكرام وعن بعضهم ان مما يعين على الجوع ياصمد من غير شيء ولاشيء كمثله ثلاثمائة وستين مرة وهو عجيب مجرب غريب (وان لم يطق) اى التقليل وهو الانسب اومايحصل به القوام وهو الاقرب (فالاكل بعد صدق الشهوة) اى تحقيق الرغبة (ويعرف) الصدق (بان لاينتظر الادام) بعد حضور الخبز فى المقام (ولايقع الذباب على البراق) فانه علامة عدم بقاء مادة الطعام فى معدته بالاتفاق واما اذا كان يشتهى خبزا مخصوصا اومع الادم فهو كاذب فى جوعه واما الجوع المفرط فمفسد للفكرة ومعد للخيالات المنكرة (والترك) بالرفع اى وترك الاكل (مع بقائه) اى بقاء الميل فى اثنائه (والاصوب) اى الاقرب الى الصواب فى هذا الباب (الاكتفاء بما يقوى على العبادة) فانها هى المقصودة من اولى الالباب (فهو المأثور) عن الجمهور (وهو) اى مايقوى (يختلف بحسب الاحوال) وكذا بتفاوت امزجة الرجال (اما الوقت) اى قدر من الجوع والتقليل فكانوا) اى بعض السلف (يطوون ويومين فصاعدا) اى ثلاثة (الى خمسين) يوما وهذا درجة ارباب كمال الاجتهاد (والاقتصاد) فى الاكل بحسب الوقت المناسب لاكثر العباد من الزهاد والعباد (هو الاكلة فى اليوم) ان لم يكن صائما (والليلة) حين افطاره (وهو الوسط المروى عنه عليه السلام) اى فى بعض المقام وفى الخبر اذا لم تعشى لم تتغد ابونعيم فى الحليه عن ابى سعيد (فورد ان اكلتين فى يوم من السرف) وقد تقدم ماخرجه البيهقى وضعفه عن عائشة قالت رآنى النبى عليه السلام وقد اكلت فى اليوم مرتين فقال ياعائشة امانحبين ان يكون لك شغل الا فى جوفك الاكل فى اليوم مرتين من الاسراف والله لايحب المسرفين الا ان المعروف فى سنته انه عليه السلام كان غالبا يأكل مرتين المعبر عنه بالغداء والعشاء وفى الصوم المفطور والسحور المسمى بالغداء المبارك فى الحديث المشهور وهو مذكور فى قوله سبحانه فى حق اهل الجنة ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وهو الطريقة الحنيفية السهلة فالحديث محمول على اكلتين مشبعتين اوعلى اكلتين فى نهار واكلة فى ليلة (والاحب تسحرها) اى ثلاث الاكلة ان كان يكتفى بها فهو اولى من اول الليلة (ليتهجد على فراغ المعدة ويتقوى على الصوم وهو المروى) اى مع تضمام الاكلة اول الليلة فى الخبر تسحروا فان فى السحور بركة متفق عليه واستعينوا بطعام السحر على صيام النهار و بالقيلولة على قيام الليل ابن ماجة والحاكم عن ابن عباس وقيل المروى هو ماورد فى حديث عائشة كان عليه السلام يواصل الى السحر وفى حديث عاصم بن كليب عن ابيه عن ابى هريرة وقال ماواصل عليه السلام وصالكم هذا قط غير انه اخر الاكل الى السحر (وان منع) اى الجوع (الحضور) بالطاعة من التهجد وغيره

(يفطر بنصف) اى من قرصه او من قدر عادته فى حال شبعه) ويتسحر ما آخر استعانة على الطاعتين) اى طاعة الباطن وهو الحضور فى مقام السرور وطاعة الظاهر وهى الطاعة بالجوارح فيبقى نور على نور (فالجوع الشاغل عنه تعالى مذموم) كما ان الشبع الشاغل عنه سبحانه مشئوم وقدورد اللهم انى اعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع وقد اشار صاحب البردة الى هذه الزيدة بقوله * فرب مخمصة شر من التخم (واما الجنس) اى جنس المأكول (فالاعلى من الخبز البر المنخول) وفيه سعة (ثم الشعير المنخول) وفيه رخصة (والبر الغير المنخول (فهو توسط) ثم الشعير الغير المنخول وهو سنة وعن ابن عباس انه عليه السلام كان يبيت الليالى المتتابعة طاويا واهله لا يجدون عشاء وكان اكثر خبزهم الشعير احمد والترمذى وابن ماجة وفى الشمائل عن عائشة انها قالت ماشبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى شمائل الترمذى عن سهل بن سعد انه قيل له اكل عليه السلام النقى يعنى الحوارى فقال سهل ما رأى عليه السلام النقى حتى لقى الله عز وجل فقيل هل كانت لكم مناخل على عهده عليه السلام قال ما كانت لنا مناخل فقيل كيف تصنعون بالشعير قال ننفخه فيطير ما طار ثم نعجنه لا يقال المنخل بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا نقول ليس كل ما ابتدع منهيا عنه بل المنهى عنه ابداع بدعة مضادة سنة ثابتة فقد يكون بدعة حسنة وقد تكون واجبة وقد تكون مباحة ومنها المنخل فان المقصود منه تطييب لطعام وذلك مباح مالم ينته الى التنعم المفرط قال تعالى قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق اى المستلذات للخلق (ومن الادام) اى والاعلى من الادام (اللحم) وقدورد سيد طعام اهل الدنيا واهل الجنة اللحم رواه ابن ماجة وابن ابو الدنيا من حديث ابى الدرداء مرفوعا وسنده ضعيف لكن له شواهد منها عن على رفعه بلفظ سيد طعام الدنيا اللحم ثم الارز اخرجه ابو نعيم فى الطب النبوى وعن صهيب بلفظ سيد الطعام فى الدنيا والآخرة اللحم الارز اخرجه الديلمى من جهة الحاكم وعن بريدة ايضا مرفوعا سيد الادام فى الدنيا والآخرة اللحم وسيد الشراب فى الدنيا والآخرة الماء وسيد الرياحين فى الدنيا والآخرة الفاغية رواه الطبرانى وكذا ابو نعيم لكن بلفظ آخر ومما يقويه حديث فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام اخرجه الترمذى وغيره وفى الشمائل انه عليه السلام اكل الدجاج ولحم حبارى وجنبا مشويا وكان يحب الذراع ويقول ان اطيب اللحم لحم الظهر وفى الاحياء عن على كرم الله وجهه من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه (والحلواء) من التمر وغيره فعن عائشة كان عليه السلام يحب الحلواء والعسل رواه اصحاب الكتب الستة وكان يعجبه الحلو البارد كما فى الشمائل واما حديث المؤمن حلوى والكافر خرى فقال ابن حجر العسقلانى باطل لا اصل له وكان يحب الدباء كما فى الشمائل وغيره عن انس وكان يحب القثاء كما رواه الطبرانى عن الربيع بنت معوذ (ثم الدهن) وفى معناه السمن فقد ورد كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة وفى لفظ فانه مبارك احمد والترمذى وابن ماجة عن عمر وصححه الحاكم على شرطهما (ثم الملح) فعن انس مرفوعا سيد ادامكم الملح ابن ماجة وابو يعلى والطبرانى (والخل) فعن عائشة انه عليه السلام قال نعم الادام الخل الترمذى ورواه مسلم عن جابر بن عبد الله ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم سأل اهله الادام فقالوا ماعندنا الا خل فدعا به فجعل يأكل وهو يقول نعم الادام الخل وعن ام سعد مرفوعا نعم الادام الخل اللهم بارك فى الخل وفى رواية فانه كان ادام الانبيا من قبلى وفى حديث لم يفقر بيت فيه خل رواهن ابن ماجة واما حديث خيرخلكم خل خمركم فرواه البيهقى فى المعرفة عن جابر مرفوعا وقال انه ليس بالقوى (والمحمود الوسط فالطرفان) اى الاعلى والادنى (شاغلان) من العبادة للمتجرد الزاهد واما العارف فكل حلال له طيب قال تعالى * يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا * وقال * يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون (فورد والذين اذا انفقوا لم يسرفوا) اى لم يبذروا (ولم يقتروا) اى لم يبخلوا (وكان بين ذلك قواما) ولاشك ان قوام كل قوم بحسب مايقوم عندهم (خيرالامور اوساطها) رواه البيهقى عن عمر بن الحارث بلاغا ولعله مأخوذ من قوله تعالى * وكذلك جعلناكم امة وسطا * وقوله كنتم خيرامة (والاولى ان لا يواظب عليه) اى على الادام فى جميع الليالى والايام (و يترك المشتهى) اى وان يترك ماتشتهيه النفس (قطعا للانس بالدنيا) وطمعا لجلاس القدس فى العقبى وفيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين وورد اللهم لاعيش الاعيش الآخرة فان عيشها عيشه راضية فاخرة (وورد) اى فى توبيخ الكفار (اذهبتم طيباتكم) اى مستلذاتكم (فى حياتكم الدنيا) والظاهر انها محمولة على المحرمة اذلا تبعة فى المباحات او مختصة بالكفار لكن قد يقال العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فيتناول الفجار حيث صرفوا نعم الله سبحانه فى المعصية دون الابرار فانهم استعانوا بنعمه على الطاعة (شرار امتى الذين غذوا) بصيغة المجهول من الغذاء بالمعجمتين اى تربوا (بالنعيم) من غير فرق بين الحلال والحرام (ونبت عليه اجسامهم) وكل جسد نبت من اكل الحرام فالنار اولى به كما فى رواية (وانما همتهم انواع الطعام واللباس) اى من غير تفرقه بين الجواز وعدمه فان محط نظرهم مايرون من فعل عامة الناس و الحديث رواه ابن عدى فى الكامل ومن طريقه البيهقى فى شعب الايمان من حديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وروى من حديث فاطمة بنت الحسين مرسلا قال الدار قطنى فى العلل هو اشبه بالصواب وراوه ابونعيم فى الحلية من حديث عائشة باسناد لا بأس به (ولايجمع بين الشهوتين) اى المشتهاتين كاللحم والفاكهة والفاكهتين (قضاء) اى اداء لشهوة النفس ومرادها فيجوز ان يجمع بنية ادراك خاطر المضيف وغيره وقد ثبت فى الشمائل انه اكل اللحم مرتين وجمع بين اللحم و الرطب و بين البطيخ والرطب وفى رواية بين الخبز والرطب وفى اخرى بين القثاء والرطب وقال بردهذا بحر هذا (ولابين الشبع والنوم فهما غفلتان) وفى كثرتهما حسرتان وخسارتان (فورد اذبوا طعامكم) اى اهضموا (بالصلوة و الذكر) واعلاء التلاوة (ولاتناموا عليه) اى على الشبع من غير طاعة ربكم (فتقسو قلوبكم) ابونعيم وغيره عن انس (و يكتفى بالتمر تحرزا عن التفكه) اى التنعم فعن النعمان بن بشير رأيته صلى الله عليه وسلم ومايجد من الدقل مايملاء بطنه الرمذى فى شمائله وقيل معنى الاكتفاء بالتمر عن التفكه انه يأكل التمر بدلا من الخبز وكذا يكتفى بكل فاكهة اشتهت نفسه عن الطعام فيأكلها بدلا عنه ليكون قوتا ولايكون تفكها لان التفكه انما يكون اذا شبع من الطعام ثم اكل الفاكهة اما

اذا اكتفى بالفاكهة بدلا عن الطعام فلايكون ذلك تفكها بل يكون قوتا يقتضى قوة و يناسبه ماحكى عن بعضهم انه نظر الى رجل يأكل خبزا و تمرا فقال له ابتدء بالتمر فان قامت به كفايتك والا اخذت من الخبز بقدر حاجتك (و يؤلم النفس) اى يؤدبها و يهذبها (فى ابتداء الرياضة) قال تعالى * والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (فكان عليه السلام يحب العسل) اى والحلواء ونحوهما و يستعملهما لانه كان فى مرتبة العرفان وايضا اراد ان يقتدى به جميع افراد الانسان (وعمر رضى الله عنه يجتنبه) اى العسل اوالادام تركا للذة واختيار الرياضة وعملا بالافضل كما هو شأن الاكمل (يأمر ابنه) اى عبدالله على ماهو الظاهر (يأكل الخبز يوما مع اللحم ثم اللبن) اى يوما (ثم الدهن) اى دهن الزيت ونحوه اوالسمن و يؤيده قوله (ثم الزيت) اللهم الان يقال المراد به الزيتون مجازا وفيه ان الزيت والزيتون كلاهما كان عزيزا فى المدينة (ثم الملح ثم وحده) اى الخبز من غير ادام معه (ولا يأكل فى الخلاء مايتركه) اى شيئا اوقدرا يتركه (فى الملاء) فانه من باب السمعة والرياء وكذا لايعبد فى الملاء مايتركه فى الخلاء فانه من اخلاق اهل النفاق (فهو شرك خفى) وقد قال سبحانه وتعالى * فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه احدا * وفى الحديث القدسى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معى غيرى تركته وشركه مسلم وابن ماجة عن ابى هريرة (ولا يريد) اى و ينبغى ان لا يريد (ان يعرف) بين الناس (بالتقليل) اى بتقليل الاكل وكذا بتكثير العلم والعمل (فهو) اى التقليل رياء (افحش) اى اقبح (من الاكثار) مطلقا فانه حينئذ ترك شهوة الحلال واختار شهوة الحرام (و يؤخر السحور) وهو بفتح السين مايتسحر به و بالضم التسحر وهو الاكل فى السحر وهو السدس الاخير من الليل (و يعجل الافطار) ففى كل منهما ورد الآثار فعن ام حكيم عجلوا الافطار واخروا السحور الطبرانى وعن انس بكر وا بالافطار واخروا السحور ابن عدى وعن ابن عباس انا معاشر الانبياء امرنا ان نعجل افطارنا ونؤخر سحورنا ونضع ايماننا على شمائلنا فى الصلوة الطيالسى وعن ابى ذر لاتزال امتى بخير ما عجلوا الافطار واخروا السحور رواه احمد (و يتبدئ بالتمر) والرطب افضل (او الماء) عند عدمهما وزمزم افضل ولامنع من الجمع وعن انس كان عليه السلام يفطر على رطبات قبل ان يصلى فان لم تكن رطبات فتمرات وان لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء (و يفطر صائما) و اقله واحد وورد من فطر صائما كان له مثل اجره غير انه لاينقص من اجر الصائم شيئا احمد والترمذى وابن حبان عن زيد بن خالد (فالكل مأثور) وفى ضمن الشرح مسطور (و يستعد فى شعبان) لاستقبال رمضان (بالتوبة) اى الاستغفار والندامة (ورد المظالم) اى مظالم العباد وكذا اداء حقوق الله (وترك الشواغل) اى الموانع عن الصيام والقيام من العمارة والسفر للتجارة والكسب الزائد على الحاجة (و يخص رمضان بالصدقة) اى بزيادتها فانها اقرب الى القبول والغفران (والتلاوة) اى قراءتها اومدارستها فانه شهر نزل فيه القرآن (والاعتكاف) اى فى المسجد قال تعالى * وانتم عاكفون فى المساجد (لاسيما العشر الاواخر) فالاعتكاف فيه سنة مؤكدة وفى غيرها مستحبة (فهو عليه السلام واظب عليه) اى على الاعتكاف فى العشر الاخير ففى الصحيحين عن عائشة كان اذا دخل العشر الاواخر احيى الليل وايقظ اهله وجد

وشد المبزر وكان لايخرج الا لحاجته وفى رواية ابى داود بزيادة ولايسأل عن المريض الا مارا (وامرنا بالتماس ليلة القدر فيها) اى فى العشر الاواخر واوتارها اشبه والجمهور على انها ليلة السابع والعشرين (و يراعى سائر الايام الفاضلة) اى بالصوم فيها قدر طاقته واستطاعته فى تكثير طاعته (كالاشهر الحرم) وهى رجب وذى القعدة وذى الحجة والمحرم واما المحرم فوردفيه ان كنت صائما بعد شهر رمضان فصم المحرم فانه شهر الله الحديث رواه النسائى عن على ولانه ابتداء السنة فبناؤه على الخير احب وارجى لدوام البركة وفى المعجم للطبرانى من حديث ابن عباس من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون حسنة وعن انس من صام ثلاثة ايام من شهر حرام الخميس و الجمعة والسبت كتب الله عزوجل له عبادة تسعمائة سنة الازدى فى الضعفاء وفى رواية ابن شاهين فى ترغيبه وابن عساكر عن انس كتب له عبادة سبعمائة سنة وفى رواية الطبرانى فى الاوسط عن انس عبادة سنتين واما رجب فوردفيه صوم اول يوم من رجب كفارة ثلاث سنين والثانى كفارة سنتين والثالث كفارة سنة ثم كل يوم شهر رواه ابو محمد الخلال عن ابن عباس (لاسيما عرفة) اى يوم عرفة فورد من صام يوم عرفة غفر الله له سنتين سنة امامه وسنة خلفه ابن ماجة بسند حسن عن قتادة بن النعمان واذا كان بعرفات ان لم يضعف عن العبادة ولم يسئ خلقه فالصوم افضل والا فالافطار وقد ثبت انه عليه السلام افطر بعرفة فى حجة الوداع وكأنه تهوين على الامة منشاؤه الشفقة والرحمة بل ورد انه عليه السلام نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة احمد وابوداود وابن ماجة والحاكم عن ابى هريرة (وعاشوراء) والافضل ضم تاسوعاء (والعشرين) بالفتحتين اى العشر الاول من ذى الحجه ومن المحرم فورد مامن ايام العمل فيهن افضل واحب الى الله من ايام عشر ذى الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلة القدر الترمذى وابن ماجة من حديث ابى هريرة وعند البخارى من حديث ابن عباس ما العمل فى ايام افضل من العمل فى هذا العشر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد الا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشئ (وشعبان) كله او اكثره فكان عليه السلام يكثر صيام شعبان حتى كان يظن انه من رمضان متفق عليه من حديث عائشة (والايام البيض) اى التى لياليها البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر على الاشهر من الاقوال والايام التى تبيض جسم آدم بصومها لما خرج آدم عليه السلام من الجنة وكان قد سود من جهة الخطيئة وعن ابن عباس كان عليه السلام لايدع صوم ايام البيض فى سفر ولاحضر الطبرانى (والجمعة) والافضل ان لايصوم فيها منفردا لما ورد عن جنادة الازدى لاتصوموا يوم الجمعة منفردا احمد والنسائى والحاكم وفى رواية لاحمد عن ابى هريرة لاتصوموا يوم الجمعة الا وقبله يوم او بعده يوم (والخميس والاثنين) لانهما يومان متبركان وورد كان يصوم الاثنين والخميس فقيل له فقال الاعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر لكل مسلم الا المتهاجرين فيقول اخروهما احمد عن ابى هريرة (ويفطر فى آخر شعبان استعانة على صوم رمضان) واستبعادا عن التقدم فى الزمان وورد اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان الاربعة من حديث ابى هريرة وصححه الترمذى وفى رواية اذا انتصف شعبان فلا صوم حتى رمضان احمد والدارمى والاربعة وصححه وابن حبان وابو عوانة وغيرهما

مرفوعا فان وصل شعبان برمضان فجائز كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة كما رواه الاربعة من حديث ام سلمة لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما الا شعبان يصل به رمضان ولابى داود والنسائى نحوه من حديث عائشة وفصل مرارا كثيرة كما رواه ابوداود من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحفظ من هلال شعبان مالا يتحفظ من غيره فان غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام واخرجه الدار قطنى وقال اسناده صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين كذا ذكر الحجة ومخرجه ولا يخفى عدم دلالة الحديث على المدعى (ثم السر فيما وود) من حديث عبدالله بن عمر وفى الصحيحين (افضل الصيام صيام اخى داود) وتمامه كان يصوم يوما ويفطر يوما (شدة انكسار النفس) ومالها من الارادة (بنقض العادة) فانه لب العبادة ومن ذلك ماورد فى الصحيحين ايضا من منازلته عليه السلام لعبدالله بن عمر وفى الصيام وهو يقول اريد افضل من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم له صم يوما وافطر يوما فقال اريد افضل من ذلك فقال عليه السلام لا افضل من ذلك لانه اشد على النفس والهوى وفى قمع قهرها اقوى ولان فيه بين صبر يوم وشكر يوم فقد قال عليه السلام عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الارض وقلت اجوع يوما واشبع يوما احمدك اذا شبعت واتضرع اليك اذا جعت الترمذى من حديث ابى امامة وحسنه وفيه تنبيه على ان الكمال هو التربية بين تجلى صفتى الجمال والجلال وقدور ايضا الايمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر وقال عز وعلا * ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور (بخلاف صوم الدهر) فانه يصير العبادة له كالعادة على انه شامل للكل مع الزيادة وللسالكين طرق هنالك فمنهم من كره ذلك اذ وردت فيه اخبار كثيرة تدل على كراهيته منها من صام الابد اى الدهر فلا صام ولا افطر احمد والنسائى والحاكم وابن ماجة عن عبدالله بن الشخير وفى الصحيحين من حديث عبدالله بن عمر لا صام من صام الابد ولمسلم من حديث ابى قتادة قيل يارسول الله كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا افطر وللنسائى من حديث عبدالله بن عمر وعمران بن الحصين وفى الاحياء الصحيح انه انما يكره لشيئين احدهما ان لا يفطر فى العيدين وايام التشريق وهو الدهر كله وثانيهما ان يرغب عن السنة فى الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع ان الله سبحانه يحب ان تؤتى عزائمه واذا لم يكن شئ من ذلك ورأى صلاح نفسه فى صوم الدهر هنالك فليفعل وقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين وقال عليه السلام فيما رواه ابوموسى الاشعرى من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين معناه ليس له فيها موضع والحديث رواه احمد والنسائى فى الكبرى وابن حبان وحسنه ابوعلى الطوسى (قيل يجتهد ان يصوم نصف السنة) وهو صيام داود ويمكن ان يكون غيره (او ثلثها) فاذا صام ثلاثة ايام من اول الشهر وثلاثة من وسطه وثلاثة من آخره فهو ثلث بانفراده واما (مع رعاية الايام الفاضلة) بان صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من النصف (وقيل لا يفطر الا اربعة ايام متواليات اعتبارا بايام النحر والتشريق وفى الاحياء كره بعض العلماء ان يوالى بين الافطار اكثر من اربعة ايام تقديرا بيوم العيد وايام التشريق وذكروا ان ذلك يقسى القلب ويولد ردئ العادات ويفتح ابواب الشهوات قال ولعمرى هو كذلك فى حق اكثر الخلق لاسيما من يأكل فى اليوم مرتين (والاصل العمل بحسب صلاح الباطن) اى اذا صلح باطنه بالصوم صام واذا صلح بالفطر افطر لان المقصود صلاح القلب

المحضور بين يدى الرب فتارة يقتضى دوام العطر واخرى مزجه وهو الانسب (فكان عليه السلام يصوم) اى النفل متتابعا (حتى يقال) وفى رواية حتى تقول بالنون والغيبة والخطاب (لايفطر) اى ابدا (وكذا يفطر) اى مواظبا (حتى يقال لايصوم) بعد هذا اصلا (و يقوم) اى فى الليل متواليا (حتى يقال لاينام وينام) اى كثيرا (حتى يقال لايقوم) كذا فى الاحياء قال العراقى حديث كان يصوم حتى يقال لايفطر الحديث اخرجاه من حديث عائشة وابن عباس دون ذكر القيام والنوم وللبخارى من حديث انس كان يفطر من الشهر حتى يظن انه لايصوم منه ويصوم حتى يظن ان لايفطر منه شيئا وكان لاتشاء تراه من الليل مصليا الا رأيته قلت والحديث ايضا فى شمائل الترمذى وقد شرحته وكان ذلك القام له عليه السلام بحسب ماينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الاوقات واختلاف الحالات

﴿ الباب الرابع فى السفر والحج والغزو ﴾

تخصيص بعد التعميم للتتميم (بسم الله الرحمن الرحيم) المعين للمسافر والمقيم (السفر) اعم من الشرعى واللغوى (اما دينى وهو على قصد التعلم) من علماء الشريعة اومن مشايخ الطريقة فيستفيد من معارفهم فى الحقيقة (فورد) اى برواية الترمذى والضياء عن انس (من خرج من بيته فى طلب العلم فهو فى سبيل الله) اى الجهاد مع اعداء مولاه اوفى طريق رمضاء (حتى يرجع) اى من سفره الى حضره قال المظهرى وجه مشابهة طلب العلم بالمجاهدة فى سبيل الله انه احياء الدين وفيه ارضاء الرحمن واذلال الشيطان وعن انس طالب العلم افضل عند الله من المجاهد فى سبيل الله الديلمى وعن جابر بن عبدالله انه رحل من المدينة الى مصر لحديث بلغه ان عبدالله بن انيس يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل فى تفسير قوله تعالى * السائحون * انهم طلاب العلم المسافرون وعن ابى هارون قال كنا نأتى اباسعيد فيقول مرحبا بوصية عليه السلام كان يقول ان الناس لكم تبع وان الرجال يأتونكم من افطار الارض يتفقهون فى الدين فاذا اتوكم فاستوصوا بهم خيرا وعن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع ابى الدرداء فى مسجد دمشق فجاء رجل فقال يا ابا الدرداء انى جئتك من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لحديث بلغنى انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماجئت لحاجة اى غيران اسمع منك الحديث قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها رضاء لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض والحيتان فى جوف الماء وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولادرهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر رواه احمد والترمذى وابوداود وابن ماجة و الدارمى والحديث فى المشكوة وشرحه فى المرقاة (والتجارب) اى وقصد التجربة فى اماكن الشدة (لاصلاح الاخلاق) اى المستحسنة فى حكم الخلاق (فهو مهم) والسالك بسيره متم ومنه قوله عليه السلام اخبر نقله ابن عدى من حديث ابى الدرداء مرفوعا وفى رواية له وجدت الناس اخبر نقله اخرجه الطبرانى وابو يعلى وابو نعيم وفى النهاية اى جرب الناس فانك اذا جربتهم قليتهم وتركتهم لما يظهر لك من بواطن سرائرهم لفظه امر ومعناه خبر اى من جربهم واختبرهم

بضمهم والهاء فى نقله للسكت ومعنى نظم الحديث وجدت الناس مقول فيهم هذا القول قيل و بضرب هذا مثلا فى قلة توقع الخير عند الناس (والسفر) وسمى به لانه (يسفر عنها) اى يكشف عن الاخلاق الرضية والدنية فى اختلاف الحالات (للبعد عن المألوفات) وعدم وجود المعروفات (والتفكر فى لطائف افعاله تعالى) فى مصنوعاته (وعظيم صفاته) اى الدالة على عظمة ذاته كما يشير اليه قوله تعالى* قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم* فهو اما بسير الباطن او بانضمام سير الظاهر وقوله عزوعلا* سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم ۞ وقوله* اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ* واختلف احوال الصوفية فى سلوك سير الظاهر فمنهم من سافر فى بدايته واقام فى نهايته وهو الاظهر ومنهم من اقام ولم يسافر وهو الاكثر ومنهم من استدام على السفر (والحج فورد دوالله على الناس حج البيت الآية) اى من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين (من حج البيت ولم يرفث) اى لم يجامع فى الاحرام ولم يذكر النساء فى مجامعهن (ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه) احمد والبخارى والنسائى وابن ماجة عن ابى هريرة بلفظ من حج الله فلم يرفث الحديث ومن مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا ابن عدى من حديث ابى هريرة والترمذى من حديث على وقال غريب وفى اسناده مقال ومن خرج من بيته حاجا او معتمرا فمات اجر الله له اجر الحاج والمعتمر كل سنة الى يوم القيمة البيهقى فى الشعب (والجهاد) مع الكفار (فورد لغدوة فى سبيل الله اوروحة خير من الدنيا ومافيها) احمد والشيخان والترمذى وابن ماجة عن انس (وزيارة المدينة) ففى الخبر من زار قبرى وجبت له شفاعتى ابن عدى والبيهقى وابن ابى الدنيا والطبرانى والدارقطنى عن ابن عمر وهو فى صحيح ابن خزيمة والطيالسى عن عمر مرفوعا من زار قبرى كنت له شفيعا اوشهيدا قال الذهبى طرقها كلها لينة لكن يقوى بعضها بعضا لان من الرواة من هو متهم بالكذب قال ومن اجودها اسنادا حديث حاطب من زارنى بعد موتى فكانما زارنى فى حياتى اخرجه ابن عساكر وغيره قلت حديث من زارنى بعد وفاتى فكانما زارنى فى حياتى رواه ابن عدى والطبرانى والدارقطنى والبيهقى من حديث ابن عمر ومن جاءنى زائرا لا يهمه الا زيارتى كان حقا على الله ان اكون له شفيعا الطبرانى من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن ومن وجد سعة ولم يفر الى فقد جفانى ابن عدى والدارقطنى وابن حبان والخطيب من حديث ابن عمر وفى رواية من حج ولم يزرنى فقد جفانى وروى ابن النجار فى تاريخ المدينة من حديث انس مامن احد من امتى له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر (وبيت المقدس) فعن ابن عمر ان سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله عزوجل خلالا ثلاثة سأل الله حكما يصادف حكمه فاوتيه وسأل الله ملكا لا ينبغى لاحد من بعده فاوتيه وسأل الله حين فرغ من المسجد ان لا يأتيه احد لا ينهض الا الصلوة فيه ان يخرجه من خطيئته كيوم ولدته امه اما اثنتان فقد اعطيهما وارجو ان يكون قد اعطى الثالثة احمد والنسائى وابن ماجة وابن حبان والحاكم وقد صح انه عليه السلام صلى فيه ورحل ابن عمر اليه ودخل عليه وصلى ركعتين ثم رجع وعن ميمونة مرفوعا من لم يأت بيت المقدس يصلى فيه فليبعث بزيت يسرج فيه البيهقى (فورد) اى فى الصحيحين وغيرهما من حديث ابى هريرة

وابی سعید (لاتشد الرحال) ای لاتطلب برکة البقاع بالسفر الیها (الا الی مسجدی هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصی) ولایمنع هذا زیارة قبور الانبیاء والاولیاء لان الحصر فی حق المساجد دون سائر المشاهد ومسجد قباء ونحوه فی المدینة من منازل الکرام داخل فی جنس مسجده علیه السلام ثم لفظ الحدیث علی ماهو المشهور عند المحدثین الاعلام لاتشد الرحال الا الی ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدی هذا والمسجد الاقصی وهذا هو الترتیب المناسب لتفاوت المساجد فی فضیلة مضاعفة الصلوة فیها فمن جابر صلوة فی المسجد الحرام مائة الف صلوة وصلوة فی مسجدی الف صلوة وفی بیت المقدس خمسمائة صلوة البیهقی (وملاقاة الکبراء) من المشایخ والعلماء وهم احیاء (للاستفادة من مشاهدة الاحوال) ومعاینة الاقوال (فلسان الحال افصح) من بیان المقال ولیس الخبر کالمعاینة وقد ورد اولیاء الله الذین اذا رأوا ذکر الله الحکیم عن ابن عباس فقد ینفعه لحظ الرجال مالاینفعه لفظ الرجال ومن هنا قیل من لم ینفعك لحظه لم ینفعك لفظه وهذا القول له معنیان احدهما ان الرجل الصدیق یکلم الصادقین بلسان فعله اکثر مما یکلمهم بلسان قوله فاذا نظر الصادق الی تصاریفه فی موارده ومصادره وخلوته وجلوته وکلامه وسکوته ینفع بالنظر الیه فهو نفع اللحظ علیه ومن لم تکن افعاله هکذا فلفظه ایضا لاینفع لانه یتکلم بهواه ونورانیة القول علی قدر نورانیة القلب ونورانیة القلب بحسب الاستقامة فی طاعة الرب المعبر عنها بالشریعة فی الاعمال الظاهرة وبالطریقة فی الاخلاق الباهرة وبالحقیقة فی الاحوال الذاخرة المستمرة حتی فی الدار الآخرة والثانی ان نظر العلماء الراسخین والرجال البالغین تریاق نافع ینظر احدهم الی الرجل الصادق فیستنشف بنفوذ بصیرته حسن استعداد الصادق واستیهاله لمواهب الله تعالی الخاصة الموافق فتقع فی قلبه محبة المرید الصادق وینظر الیه نظرة محبة عن بصیرة فیکتسب بنظره احوال سنیة ویری آثار وماذا ینکر المنکر من قدرة الله سبحانه ان یجعل هذه الخاصیة فی نظر بعض خواصه من عباده کما جعل فی بعض الاقاعی من الخاصیة انه اذا نظر الی انسان یهلکه ومما یدل علی تأثیر الصحبة واکسیر نظر الاثیر ماحصل لاجلاف العرب حیث کان احدهم ممن یبول علی عقبیه فینظر صلی الله علیه وسلم وآمن به فصار فی لحظة واحدة من کمل الاولیاء والاصفیاء حیث لم یبلغه احد من المشایخ والعلماء وابلغ من هذا قضیة کلب اصحاب الکهف حتی وصل مرتبته الی ان ذکره الله فی کتابه القدیم مرات بنعت التعظیم والتکریم وقد وقع تأثیر نظر الشیخ نجم الدین الکبری الی کلب کان حول الفقراء وذکر صاحب عوارف المعارف الشیخ شهاب الدین السهروردی عن عمه الشیخ نجیب الدین صاحب آداب المریدین انه کان یطوف فی مسجد الخیف بمنی و یتصفح وجوه الناس ههنا وههنا فقیل له فی ذلك فقال ان لله عبادا اذا نظروا الی شخص اکسوه السیادة فانا اطلب تلك السعادة وحکایة الشیخین مع السید عبد القادر مشهورة وفی غیر هذا المحل مسطورة (وزیارة قبورهم) ای الکبراء فانهم بمنزلة الشهداء لایموتون ولکن ینتقلون من دار الفناء الی دار البقاء وقد ورد کنت نهیتکم عن زیارة القبور فزوروا القبور فانها تزهد فی الدنیا وتذکر الآخرة ابن ماجة عن ابن مسعود وفی روایة الحاکم عن انس کنت نهیتکم عن زیارة القبور الا فزوروها فانها ترق القلب وتدمع العین وتذکر الآخرة الحدیث (والفرار عما یشوش العبادة) او ینقصها او یمنعها

(كالجاه) اى الوسيع (والمال) اى الكثير وعن سفيان الثورى هذا زمان سوء لايؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان ينتقل الرجل من قرية الى قرية ليفر بدينه من الفتنة ومن افضلها الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام ومن دار البدعة الى دار السنة ومن دار المعصية الى دار الطاعة فمن الصحيح من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها اوامرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه فالمدار على تصحيح النية وتخليص الطوية فى جميع الاعمال الدينية والدنيوية لتصير وسائل فى رفعة الدرجات الاخروية (واما دنيوى كالفرار من الفتنة) اى الدنيوية (والقحط) ونحوه من الغلاء وسائر البلية (ولاحرج فيه) اى فى هذا النوع بل هو مباح اومستحب فقد قال ابونعيم رأيت سفيان الثورى وقد جعل جرابه على كتفه وقلته بيده فقلت الى اين يا ابا عبدالله فقال الى بلد املأ فيها جرابى بدرهم وفى حكاية اخرى بلغنى خير قرية فيها رخص اقيم فيها فقلت تفعل هذا يا ابا عبدالله فقال نعم اذا سمعت برخص فى بلدة فاقصدها فانه اسلم لدينك واقل لهمك قالا ولى المريد اذا كان طالبا للمزيد ان يلزم مكانه و يحفظ شانه معاشانه اذالم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله فى وطنه فان لم يسلم فيطلب من المواضع ماهو اقرب الى الخمول واسلم للدين وافرغ للقلب و ايسر بعبادة الرب فهو افضل المواضع قال تعالى * يا عبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون * وورد البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فاى موضع رأيت فيه رفقا فاقم واحمد الله احمد والطبرانى من حديث الزبير بسند ضعيف وفى الخبر من رزق من شئ فليلزمه ابن ماجة من حديث انس بسند حسن واذا سبب الله لاحدكم رزقا من وجه فلايدعه حتى يتغيره او يتنكره ابن ماجة من حديث عائشة بسند فيه جهالة واحمد بسند حسن (الاعن الطاعون فهو) اى الفرار منه (منهى عنه) بلفظ اذا سمعتم بالطاعون بارض فلا تدخلوا عليه واذا وقع وانتم بارض فلاتخرجوا منها فرارا منه احمد والشيخان والنسائى عن اسامة بن زيد (اوطلب المال) اى وكطلبه (ونحوه) من النكاح وغيره من المباحات (فينوى فيه) اى الخيرات والمبرات (نحو التعفف عن السؤال) فى طلب المال (والتعطف على العيال) فى النكاح (ليصير عبادة) لان تصحيح النيات يجعل العادات عبادات كما حقق فى شرح حديث انما الاعمال بالنيات ومن هنا ورد نية المؤمن خير من عمله (ثم ان كان) اى السفر (واجبا) اى فرض عين (كالحج وطلب العلم فيتعين) اى فعله (والا) اى وان لم يكن واجبا (فالاستغناء من القلب) متعين فى فعله وتركه (بحسب صلاح الحال) وفساده فى الحضور مع الرب (فالفوائد) اى المنافع (والآفات) اى المضار (متعارضة) فى امر السفر وغيره من الحالات (والمقصود) اى الاعلى (هو المعرفة والانس به تعالى) فى جميع المقامات (والمعين فى البداية السفر للتعلم) ان لم يوجد العلماء فى بلدة اولم يقدر على تحصيله لشغله باهله (وفى النهاية الاقامة) لاسيما مع الكبر فانه لايتحمل الضرر (فيه) اى فى السفر (شواغل) عن الذكر والفكر (من النظر الى المألوفات وحفظ النفس والمتاع) من الآفات (واحتمال الشدائد والهموم) باختلاف الحالات وتفاوت الاوقات وتباين المقامات ومن هنا ورد السفر قطعة من العذاب يمنع احدكم طعامه وشرابه ونومه فاذا قضى احدكم نهمته من وجهه اى حاجته من

جهته فليعجل الرجوع الى اهله مالك واحمد والشيخان وابن ماجة عن ابى هريرة (وحقه) اى المسافر (ان يتوب) عن الذنوب من الصغائر والكبائر فى الظواهر والضمائر ويؤدى حقوق الله من فوات صوم وصلوة ونحوهما (ورد المظالم) اى حقوق العباد او يتحلل من اصحابها ويقضى الديون ويدفع الامانات الى ارباباها فى القنية رجل عليه حق وغاب عن صاحبه بحيث لا يعلم مكانه ولا يعلم احى ام ميت لا يجب عليه طلبه فى البلاد وفيه ايضا رجل عليه ديون لاناس لا يعرفهم من غصوب ومظالم وجنايات يتصدق بقدرها على الفقراء بنية القضاء ان وجدهم مع التوبة الى الله فيعذر وفى فتاوى قاضى خان رجل له خصم فمات ولا وارث له يتصدق عن صاحب الحق بقدر ماله ليكون وديعة عند الله يوصله الى خصمائه يوم القيمة (ويؤدى النفقات) اى كل من تلزمه نفقته الى حين رجعته (ويأخذ الزاد) من المال الحلال لذهابه وايابه من غير تقدير وتعيين فى بابه بل على وجه يمكنه معه التوسع فى الزاد مع الرفقاء والرفق بالضعفاء والفقراء قيل وبذل الزاد فى طريق الحج نفقة فى سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعمائة قال ابن عمر من كرم الرجل طيب زاده فى سفره وكان يقول افضل الحاج اخلصهم لله وازكاهم نفقة واحسنهم يقينا وورد الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل يا رسول الله وما بر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام وذكر ابن الحاج ان من يخرج للحج بغير زاد ولا مركوب يطرأ عليه امور عديدة منها عدم القدرة على اداء الصلوة وهو متعد فى ذلك ومنها عدم القوة والقدرة على تحمل المشقة ومنها يكلف الناس ان يقوموا بقوته وسقيه وربما آل امره الى الموت وهو الغالب فتجدهم فى اثناء الطريق مرضى مرميين او طرحى ميتين بعد ان خالفوا امر الله فى حق انفسهم واوقعوا اخوانهم ممن علم بحالهم من اهل الركب فى اثمهم وكذلك يأثم كل من اعانهم بشئ لا يكفيهم فى اول امرهم او يسعى لهم فيه من غيرهم اللهم الا ان يعلم ان غيره يغنيهم بشئ يتم به كفايتهم فى الذهاب والاياب فلا بأس فان لم يعلم بذلك حرم عليه الاعطاء لهم لان ذلك سبب لدخولهم فيما لا قدرة لهم من العطش وغيره والافضاء الى الموت ونحوه فيكون شريكا لهم فيما وقع بهم وهذا بخلاف ما اذا كانوا فى الطريق على هذا الحال فانه يتعين على من علم بحالهم اعانتهم بما تيسر له ولو بالشربة والشربتين واللقمة واللقمتين ويعرفهم ان ما ارتكبوه يحرم عليهم لا يجوز لهم ان يعودوا لمثله (ويطلب الرفيق المعين على الخير) المجرب فى الخير والشر والسفر والحضر فقد قيل الرفيق ثم الطريق والله ولى التوفيق ووصف الرفيق بانه ان نسى الخير ذكره وان ذكره اعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره وسلاه وكونه من الاجانب اولى من الاقارب عند بعض الصالحين تبعدا عن ساحة الوقيعة الموجبة للقطيعة ويجتنب صحبة المتكبرين والجهال (ويتصدق قبل الخروج) ولو بشئ قليل فان الصدقة تدفع البلاء (ويصلى ركعتين) للمودعة اولا للاستخارة (ويستخير فى غير الواجب) من السفر وغيره والتحقيق ان يستخير فى الواجب ايضا الا انه لا فى فعله وتركه بل يستشير ويستخير فى متعلقاته من خروجه فى هذا الوقت او غيره او فى شراء الدابة وكرائها ونحوه (ويودع الاخوان) ويقول لهم استودع الله دينكم وامانتكم وخواتيم عملكم كما رواه ابو داود والترمذى وصححه والنسائى من حديث ابن عمر (ويرغب فى دعائهم) ويستحب لهم ان يقولوا له فى حضرته زودك الله

التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير اينما توجهت كما رواه الطبرانى فى الدعاء من حديث انس وهو عند الترمذى وحسنه وفى غيبته اللهم اطو له البعد وهون عليه السفر وفى الخبر اذا اراد احدكم سفرا فليسلم على اخوانه فانهم يزيدونه بدعائهم الى دعائه خيرا الطبرانى فى الاوسط عن ابى هريرة (ويعرض الاشياء) اى جميعها (على المكرى) بضم الميم اى المكارى ولو كان قدر مكتوب ونحوه فقد قال رجل لابن المبارك احمل لى هذا الكتاب معك لتوصله فقال حتى استأمر الجمال فانى قد اكتريت منه قال الحجة فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم فى الورع فانه اذا افتتح باب يسير انجر الى الكثير اقول ولا يبعد ان يراد بالكتاب ماله وزن فحينئذ يجب التوقف على الاذن (ورضيه) بحمله ان كان زيادة على معتاده (ويخرج فى بكور الخميس) فورد انه عليه السلام كان يستحب ان يسافر يوم الخميس الطبرانى عن ام سلمة (والسبت فورد دعاؤه عليه السلام فيهما) اى فى الخميس والسبت اما فى مطلق البكور بقوله عليه السلام اللهم بارك لامتى فى بكورها واخرجه الاربعة وحسنه الترمذى وصححه ابن حبان من حديث صخر بن وداعة الغامدى مرفوعا به واما فى خصوص الخميس فلابن ماجة عن ابى هريرة والطبرانى فى الاوسط عن عائشة مرفوعا اللهم بارك لامتى فى بكورها يوم الخميس وفى رواية قال اغدوا فى طلب العلم فانى سألت ربى ان يبارك لامتى فى بكورها يوم الخميس وعن ام سلمة كان يحب ان يسافر يوم الخميس الطبرانى واما ما اشتهر فى هذا اللهم بارك لامتى فى سبتها وخميسها واللهم بارك لامتى فى بكورها واجعل ذلك فى سبتها وخميسها فباطل لا اصل له كما افاده الحافظ بن الملقن فى ادلة التنبيه (والاثنين) اى ويخرج فى الاثنين (وهو ايضا مأثور) فقد ثبت انه عليه السلام هاجر من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين ومات يوم الاثنين (ويكثر السير فى الليل) اى ينبغى ان يكون اكثر سيره بالليل (فورد عليكم بالدلجة) بضم فسكون وهى السير فى اول الليل وقيل فى آخره وهو الاظهر لما فى جميع المناسك ويستحب السير فى آخر الليل وذكر بعضهم سيره اول الليل انتهى ولا يخفى ان ذلك مختلف باختلاف البلاد والعباد (فان الارض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار) ابو داود والحاكم والبيهقى عن انس بدون مالا تطوى بالنهار هذه زيادة فى الموطأ من حديث خالد بن معدان مرسلا (ولا ينزل) اى فى المنزل (مالم يصر اليوم حارا) فان السير فى البردا يسر (ويصلى) استحبابا (عند الركوب) من المنزل (والنزول فيه) قياسا على الركعتين عند دخول بيته وخروجه منه وقد اخرج الطبرانى عن فضالة ابن عبيد انه عليه السلام كان اذا نزل منزلا فى سفر اودخل بيته لم يجلس حتى يركع ركعتين وللبيهقى عن انس كان عليه السلام اذا نزل منزلا لم يرتحل حتى يصلى فيه ركعتين ويقول عند نزوله * رب انزلنى منزلا مباركا وانت خير المنزلين * وعند سيره بسم الله التكلان على الله لا حول ولا قوة الا بالله كما رواه ابن ماجة والحاكم وابن السنى عن ابى هريرة وفى رواية الطبرانى عن ابى سعيد بسم الله توكلت على الله الحديث (ويكبر فى كل صعود) يصعد عليه من شرف اظهارا لكبريائه وعلو مكانته وارتفاع شانه (ويسبح فى كل هبوط) اى حدر يهبط اليه بان نزل من علو الى سفل تنزيها له سبحانه عن الزوال والنزول فقد ورد اذا علا نية كبر واذا هبط سبح البخارى والنسائى عن جابر وابو داود عن ابن عمر وفى رواية

لاصحاب الكتب الستة عن ابى موسى اذا شرف على واد هلل وكبر اى قال لا اله الا الله والله اكبر وفى رواية لاحمد وابى يعلى وابن السنى عن انس اذا شرف على مكان مرتفع قال اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال اى لك العلو على كل عال كما قال تعالى* وهو القاهر فوق عباده* وله الكبرياء فى السموات والارض (وحدوث وحشة) اى ويسبح عند ظهور وحشة من خوف ومحنة ولم ار مأثورا وانما ورد اذا خاف قوما قال اللهم انا نجعلك فى نحورهم ونعوذبك من شرورهم ابو داود والنسائى وابن حبان والحاكم عن ابى موسى الاشعرى وفى الفردوس للديلمى عن شداد بن اوس مرفوعا حسبى الله ونعم الوكيل امان لكل خائف (ويؤمر احدا) اى يجعل اميرا اذا كان المسافر متعددا (لانتظام الرأى) وعدم التنازع فى الامر (وليكن الامر احسنهم خلقا) بضمتين اى اكثرهم علما واظهرهم حلما (ومواساة) اى اوسعهم موافقة ومداراة وهو بان يكون ازهدهم فى الدنيا واشهرهم فى التقوى واصبرهم على البلوى واشكرهم فى النعمى واتمهم مروءة واعمهم شفقة واقواهم خدمة فقد نقل عبدالله المروزى ان اباعلى الرباطى صحبه فقال عبدالله لعلى ان تكون انت الاميرا وانا فقال ابو على بل انت فيحمل الزاد لنفسه ولابى على على ظهره وامطرت السماء ذات ليلة فبات عبدالله طول الليل على رأس رفيقه يغطيه بكسائه عن المطر وكلما قال لا تفعل يقول الست الامير وعليك الانقياد والمطاوعة (وورد اذا كنتم ثلاثة فى السفر فامروا احدكم) عن ابى سعيد اذا كانوا ثلاثة فليؤمهم احدهم واحقهم بالامامة اقرؤهم احمد ومسلم والنسائى ولعل قيد الثلاثة للاشعار بانه اقل الكمال فى الجماعة والرفقة (ويعين) اى الامير (الرفقة) بضم فسكون اى رفقته بما يقدر عليه من اللطف والرفق (ويواسى عليهم) بزيادة الاحسان وسعة الرزق (ويرافق الراحلة) اى الدابة بان لا يحملها اما لا طاقة لها ولا يرضى بان صاحبها ايضا يحملها فوق طاقتها فى عرفها وعادتها قال ابو الدرداء لبعيره عند الموت يا ايها البعير لا تخاصمنى الى ربك فانى لم اكن احملك وعلى الجملة فى كل كبد حراجر فيراعى حق الدابة وحق المكارى جميعا (وينزل احيانا فيه للسنة) اذا كان عليه السلام ينزل احيانا عن الدابة ففى الاوسط للطبرانى من حديث انس باسناد جيد انه عليه السلام كان اذا صلى الفجر فى السفر مشى ورواه البيهقى فى الادب وقال مشى قليلا وناقته تقاد وقال علماؤنا ويستحب ان يريح الدابة بالنزول عنها غدوة وعشية وعند عقبة اذا اطاق وقال الطرابلسى يجب اذا كانت الدابة مستأجرة فى المواضع التى جرت عادة مثله بالنزول فيها الا ان يرضى صاحبها وكانت الدابة مطيقة ولا يحل له ان يستلقى على ظهر الدابة ولا يتكئ عليها بل يكون راكبا على العرف والعادة مثلها ذكره صاحب السراج الوهاج (وترفيه الدابة) اى تهوين لها عن دوام المشقة (واسرار للمكارى) حيث يفرح بالخفة (ورياضة للنفس) اى تهذيب لها ليعرف قدر النعمة (وتحرز عن ضعف الاعصاب) ومايترتب على دوام الركوب من اليبوسة (ولاينام عليها الا نومة خفيفة) اذا حصلت ضرورة اذ النوم عليها يؤذيها ويثقل عليها وكان اهل الورع لاينامون على الدواب الا غفوة عن قعود (ولا يتوقف) راكبا عليها زمانا طويلا (فورد لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى) والحديث رواه احمد من حديث سهل بن معاذ ورواه ابن حبان والحاكم وصححه من رواية معاذ بن انس عن ابيه مثل كراسى فى دوام

القعود عليها ولعله محمول على محمولة مثقلة بخلاف الخيل والنافة التى هى غير مزملة وعلى كل تقدير فيستثنى عشية عرفة فانه يستحب الوقوف على الدابة (ولا ينفرد عن رفقة) اى لا يمشى منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع وكذا لا ينفرد عنهم فى المنزل (ويحرس) اى متاعه وامتعة اصحابه (بالوبة) فاذا نام احدهم حرس الآخر فهو السنة اخرج البيهقى من طريق ابن اسحق من حديث جابر فى حديث فيه فقال الانصارى للمهاجرى اى الليل احب اليك ان اكفيكه اوله او آخره فقال لابل اكفنى اوله فاضطجع المهاجرى والحديث عند ابى دود ايضا لكن ليس فيه قول الانصارى للمهاجرى بل فيه تناوب الرفيقين فى الحراسة فاذا نام احدهما حرس الآخر (وينام فى اول الليل جاعلا رأسه على العضد) بان افترش ذراعه (وفى آخره) اى الليل (على الكف ويقيم العضد) بان نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه فى كفه (لئلا يشتد النوم) فتفوت صلوة الصبح (فهو مأثور) رواه احمد والترمذى فى الشمائل من حديث ابى قتادة باسناد صحيح وكذا ابن حبان والحاكم عنه بلفظ كان اذا عرس وعليه ليل توسد يمينه واذا عرس قبيل الصبح وضع رأسه على كفه اليمنى واقام ساعده والتعريس النزول فى الليل قال العراقى وعزاه ابو مسعود الدمشقى والحميدى الى مسلم ولم اره فيه (ولا يصحب جرسا) لقوله عليه السلام لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس احمد ومسلم وابو داود والترمذى عن ابى هريرة لقوله عليه السلام الجرس مزامير الشيطان احمد ومسلم وابو داود عن ابى هريرة وفى رواية لابى داود عنه لا تدخل الملئكة بيتا فيه جرس (ولا شاعرا) اى من شعراء الجاهلية الذين قال تعالى فى حقهم * والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا * والحاصل ان الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح يستوى فيه السفر والحضر (ولا ساحرا) فانه اما ان يكون فاجرا او كافرا (ولا كاهنا) وهو من يدعى علم الغيب بواسطة الجن او غيره فقد ورد من اتى كاهنا فصدقه بما يقول فيه برئ مما نزل على محمد احمد والاربعة عن ابى هريرة وفى رواية الطبرانى عن وائلة من اتى كاهنا فسأله عن شئ حجبت عنه التوبة اربعين ليلة فان صدقه بما قال كفر ومن اتى عرافا فسأله عن شئ فصدقه لم تقبل له صلوة اربعين يوما رواه مسلم عن بعض امهات المؤمنين وللحاكم واحمد عن ابى هريرة من اتى عرافا او كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم وفسر العراف بمن يدعى معرفة السارق ومكان الضالة فهو اخص من الكاهن وفى معناه المنجم والرمال وسائر اصحاب الفال (ولا جلالة) وهى دابة تأكل العذرة فان الملائكة يتنفرون من رائحتها واخرج الدولابى فى الكنى وابن مندة والطبرانى وابن عساكر عن ابى رابطة بن كرامة المدحجى قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقوم فى سفر لا يصحبنكم جلال من هذه النعم ولا يضمن احدكم ضالة ولا يردن سائلا ان كنتم تريدون الربح والسلامة ولا يصحبنكم من الناس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ساحر ولا ساحرة ولا كاهن ولا كناهنة ولا منجم ولا منجمة ولا شاعر ولا شاعرة الحديث (ولا كلبا) لما تقدم (ويؤذن ان ضل الطريق) او غاب عن الرفيق ورأى اشياء منكرة او تخيلت له خيالات منكرة او تلونت له اجسام مكروهة مزورة فقد ورد اذا تغولت الغيلان نادى بالاذان رواه

مسلم عن ابى هريرة فان الجن والشيطان يفرون من الاذان وتحضره الملائكة والابدال من الاعيان واذا انفلتت دابته فلينادا عينوا يا عباد الله رواه ابن ابى شيبة من قول ابن عباس موقوفا وان اراد عونا فليقل يا عباد الله اعينونى يا عباد الله اعينونى يا عباد الله اعينونى رواه الطبرانى عن زيد بن على عن عقبة بن غزوان عن نبى الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا ضل احدكم شيئا اوارد عونا وهو بارض ليس بها انيس فليقل يا عباد الله اعينونى يا عباد الله اعينونى فان لله عبادا لا نراهم (وورد اذا اختلف عليكم الطريق فعليكم بذات اليمين) اى تيمنا وتحاميا (فان عليها ملكا يسمى هاديا) لم اعرف له راويا (ولا يدخل بلدة ليس فيها سلطان) اى خليفة اونائبه من امير اوقاض (ولا سائس) اى شحنة وحاكم سياسة لانه عند عدمهما تكثر الفتنة وتعدى الظلمة وفى الخبر اذا مررتم ببلدة ليس فيها سلطان فلا تدخلوها انما السلطان ظل الله ورمحه فى الارض البيهقى عن انس (ومافيها) اى ولا يدخل بلدة فيها (طاعون) لما تقدم وروى بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا فى بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ماهذا يارسول الله فقال ان الناقة تقحمت بى اى رمت بى اوهزت بى والحديث رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث عمر بسند ضعيف (و يصاحب المرآة) بكسر الميم ومد الهمزة آلة الرؤية وكان عليه السلام اذا نظر الى وجهه فى المرآة قال اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى وحرم وجهى على النار البزار عن عائشة (والمكحلة) محل الكحل ومروده فانه عليه السلام كان يكتحل كل ليلة ثلاثا فى كل عين كما فى شمائل الترمذى وغيره (والسواك) للوضوء والصلوة وقدتقدم (والمشط) اى لتسريح شعر اللحية والرأس (والمقلم) وهو المقص اوالسكين فانه بهما يقلم الظفر و يقص الشارب (والموسى) لحلق العانة (والركوة) اى الدلو ونحوها من المطهرة (والخيل) فانهما من ضرورة الشرب والطهارة (والابرة وخيطها) لترقيع ثوب يستر العورة (و يجتنب الغرة) بكسر المعجمة وتشديد الراء اى يحترس من ان يغر احدا او يغره احد بالمكر والحيلة (فهو يذهب البركة) اوالمعنى لايصاحب شخصا لايعرفه ولا يسلك طريقا لايعرفه ولا يترك السلاح مواضع المخافة اغترار على شجعته و يأكل من ثمار البرارى التى ماعهدا كلها فى عادته (و يتبرك بزيارة الاحياء) من العلماء والاولياء (والاموات) من الانبياء والاصفياء (و يعجل الاوبة) اى الرجعة (بعد قضاء الحاجة) لسرار القلب اهله واظهارا لطيب محله وفى نسخة زيادة (وورد من كان مسافرا اذا قضى نحبه فليرجع الى اهله) لم اجده لكن تقدم مايدل على اصله وورد اذا قضى احدكم حجه فليعجل الرجوع الى اهله فانه اعظم لاجره الحاكم والبيهقى عن عائشة (و يأتى بالتحفة) اى بالهدية (لاهل البيت والاقارب) حقيقة وحكما فقد ورد اذا قدم احدكم من سفر فليقدم معه اى بهدية واو يلقى فى مخلاته حجرا ابن عساكر عن ابى الدرداء قيل اراد حجر الزناد وفى رواية البيهقى عن عائشة اذا قدم احدكم على اهله من سفر فليهد لاهله فليطرفهم ولو كان حجرا (ولا يقدم) من سفره على اهله (بغتة) اى فجأة ففى الصحيحين من حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال امهلوا حتى ندخل ليلا اى عشاء اى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة ولاحمد من حديث ابن عمر بسند جيد انه عليه السلام قال قبل دخول المدينة لاتطرقوا اهلكم

ليلا فخالفه رجلان فسعيا الى منازلهما فرأى كل واحد فى بيته مايكره (ولاليلا) لانه وقت الوحشة فقدورد اذا طال احدكم الغيبة فلايطرق اهله ليلا احمد والشيخان (والاحب وقت الضحى) لكمال الظهور وجمال النور ومحال السرور (و يدخل المسجد) اى مسجد بلده (اولا و يصلى ركعتين) تحية المسجد شكرالله سبحانه فعن ابى ثعلبة كان عليه السلام اذاقدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم يثنى بفاطمة ثم يأتى ازواجه (فالكل مأثور) وفى كتب الحديث مسطور (ويقدم) اى من سائر الافعال (له) اى لقدومه (الضحى) بفتح فكسر فتشديد اى طعام الضحى ولوشاة اوطبخ لحم ومرقة (فكان عليه السلام اذاقدم نحرجزورا) اى بعيرا (او بقرة) لم تحضرنى الآن مخرجه (وحق الحج) اى اداء كماله (ان يخلص فى النية) و يحسن الطوية بان يتبرأ من الرياء والسمعة ولايقصد التجارة والنزهة فقدروى فى خبر من اهل البيت اذاكان آخر الزمان خرج للحج اصناف اربعة سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة الخطيب من حديث انس قال علماؤنا من اتى بعبادة لغرض دنيوى بحيث لوفقد تركها فليست بعبادة بل معصية وان وجد عليها باعث الدين و الدنيا فان كان باعث الدنيا اقوى اوهما متساويان فهى باطلة وان كان باعث الدين اقوى فذهب بعضهم الى انها باطلة وجماعة الى انها صحيحة وهوالاظهر * بقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم * اى تبتغوا عطاء ورزقامنه يريد الربح بالتجارة على ماذكره البيضاوى و غيره ثم من حقه ان يعجله بعد الاستطاعة فى التأخير آفات مانعة عن الطاعة على ان المسألة خلافية فى ان الفرضية على التراخى اوفورية فى الفورية اذااخره عن اولى سنى الامكان سقطت عدالته وعد من الفساق الى ان يحج ثم لوحج فى آخر عمره سقط عنه اجماعا وارتفع اثمه اتفاقا وان مات قبل الحج لقى الله عاصيا بترك حجه وكان الحج فى ذمته عندنا فيجب عليه وصيته وعندالشافعى فى تركته فيحج عنه وان لم يوص به كسائر ديونه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره شديد وفى حقه ورد وعيدا كيدمنه قوله تعالى * ومن كفر فان الله غنى عن العالمين * حيث وضع من كفر موضع من لم يحج ووضع العالمين موضع عنه للمبالغة عن غنائه سبحانه واستغنائه عن ترك الحج وادائه لان منفعته راجعة الى عباده واما ئه وقدوردمات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا رواه الترمذى وغيره عن ابى هريرة مرفوعا وقيل فى تفسير قوله تعالى *لاقعدن لهم صراطك المستقيم* انه طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس من الوصول اليها وقال عمر رضى الله عنه وهو يومئذ امير المؤمنين لقدهممت ان اكتب الى الولاة فى الامصار ان تضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وعن سعيد بن جبير وابراهيم النخعى وطاوس ومجاهد لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل ان يحج ماصليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يزرلم يحج سأل الرجعة الى الدنيا وقرأ قوله تعالى * رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيماتركت وكذا ورد عنه ايضا فى قوله تعالى * وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتى احدكم الموت * الآية (و يحتال فى دفع الضريبة) اى الاموال المعينة (لقطاع الطريق) اى من الاعراب وغيرهم (و يرجع) عن طريق الحج (ان لم يقدر) على الاحتيال (فى النفل) اى لافى الفرض (فالامانه

على العدوان) اى الظلم والعصيان (الفحش) من الرجوع عن طريق الحج اذا لم يكن من فروض الاعيان واما فى الفرض فلا يرجع اذا لاثم فى مثله على الآخذ لا المعطى على ماعرف من تقسيم الرشوة فى كتاب القضاء ولكون المعصية منهم ولا يترك الفرض لمعصية غيره وهذا التفصيل حسن خلافا لمن اطلق جوز اعطائه للضرورة ولمن اسقط الحج ووجوبه اذ كان فى الطريق يؤخذ من ماله ظلما وفى الاحياء ولا تعاون اعداء الله بتسليم المكس وهم القاعدون عن المسجد الحرام من امراء مكة والاعراب المترصدين فى الطرق والابواب فان فى تسليم المال اليهم تيسير الاسباب الظلم عليهم (ويمشى راجلا) اى ويذهب فى طريق الحج ماشيا (ان قدر) على المشى فانه افضل قال تعالى * واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا * اى مشاة فقد منهم سبحانه على قوله وعلى كل ضامر اى وركبانا على بعير مهزول وقال مجاهد وغيره من العلماء ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا واوصى عبدالله بن عباس بنيه عند موته فقال يابنى حجوا مشاة فان للحاج الماشى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف (والا) اى وان لم يقدر على المشى او بشئ خلقه به اولم يبق له حضور الذكر بسببه (فاركوب) فى حقه (افضل) بل هو متعين فتأمل (وقيل هو الافضل) اى مطلقا لفعله عليه السلام واصحابه الكرام ويجاب عن اختيارهم الركوب الشفقة على ضعفاء الامة فذهبوا مذهب اضعف القوم فى الهمة كما هو شان الائمة (ففيه مؤنة الانفاق) اى زيادته وفيه انه يمكن للماشى ان ينفقه فى سبيل الله ومرضاته فقد سئل بعض العلماء عن العمرة المشى فيها افضل او يكترى حمارا فقال ان كان وزن الدرهم اشد عليه فالكراء افضل من المشى وان كان المشى اشد عليه كالاغنياء فالمشى افضل وكأنه ذهب فيه الى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن ماقدمناه اولى فى مقام الجمع كما لايخفى (والبعد عن تشويش الهموم) اى غموم الخواطر الردية الناشئة من اتعاب الاعضاء البدنية (والقرب من السلامة) من غير الملامة (والاتمام) لخطر الماشى اى بمنعه مانع عن تحصيل المرام ولهذا كان بعض الكرام يمشون وتقاد دوابهم مع الخدام (ويمشى اشعث اغبر) اى ويذهب حال كونه اشعث الشعر اغبر البدن لكنهما مختصان بحال الاحرام لما ورد انه عليه السلام سئل اى الحج افضل فقال الشعث التفل مع ان المسافر لايخلو عن نوع شعث شعر وغبار بدن خصوصا اذا كان من الفقراء فورد رب اشعث اغبر ذى طمرين لايؤبه لو اقسم على الله لابره (غير متزين) فى نفسه ولا فى دابته (ولا مائل التكاثر) اى فى نعمته والتفاخر فى حشمته لخادمته (فهو عليه السلام فعل كذلك) اى ترك الزينة فانه عليه السلام حج على راحلته وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وكان عليه السلام فى سفر فنزل اصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى اكسية حمر على الاقتاب فقال ارى هذه الحمرة قد غلبت عليكم قالوا فقمنا اليها فنزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل ابوداود من حديث رافع بن خديج وفيه رجل لم يسم (والخبر) اى النبى عليه السلام (عن مباهاته تعالى به) اى بالحاج الشعث الاغبر فى الحديث انما الحاج الشعث التفل يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتى قد جاؤنى شعثا غبرا من كل فج عميق الترمذى وابن ماجة من حديث ابن عمر (ويتقرب باراقة دم وان لم يجب) اى وان لم يكن واجبا عليه (فورد

ومن يعظم شعائر الله) اى الهدايا التى تذبح فى الحرم وهى جمع شعيرة وهى مايشعر به تعظيم بيت الله و يعلم به تكريم حرم الله (الآية) اى فانها من تقوى القلوب * وفسر تعظيمها بتحسين البدنة وتسمينها وسئل عليه السلام ما بر الحج فقال العج والثج والعج وهو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن الترمذى واستغربه وابن ماجة والحاكم وصححه والبزار واللفظ له من حديث ابى بكر وقال الباقون اى الحج افضل وعن عائشة انه عليه السلام قال ما عمل ابن آدم يوم النحر احب الى الله سبحانه من اهراقه دما وانها لتأتى يوم القيمة بقرونها واظلافها فان الدم تقع من الله عز وجل بمكان قبل ان تقع فى الارض فطيبوا بها نفسا الترمذى وحسنه وابن ماجة وابن حبان وابن خزيمة وفى الخبر لكم بكل صوفه من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع فى الميزان فابشروا ابن ماجة والحاكم وصححه والبيهقى من حديث زيد ارقم وروى ابو الشيخ فى كتاب الضحايا عن على امانها يجاء بها يوم القيمة بلحومها ودمائها حتى توضع فى ميزانك بقوله عليه السلام لفاطمة وفى رواية من حديث ابى سعيد قال لك باول قطرة تقطر من دمها ان يغفر لك ماسلف من ذنوبك يقوله لفاطمة (ولايماكس) اى لايضايق بل يسامح (فى شراء الهدى والاضحية) ونحوهما ممايكون فى التقرب اليه صحة النية فقد كان السلف لايغالون فى ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدى والاضحية والرقبة فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند الله يمنا وروى ابن عمر ان عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها اخرجه ابو داود وقال انحرها وذلك لان القليل الجيد خير من الكثير الدون وفى ثلاثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيه تكثير اللحم وليس هو المراد (فالمقصود) الاصلى من الذبح (هو تزكية النفس) اى تطهيرها (وتخليتها) عن رذيلة البخل (وتحليتها) بالحاء المهملة ويحتمل الجيم اى تصفيتها تزينها بتعظيم تعالى) فانه الفضل فى مقام الفصل (فورد لن ينال الله لحومها ولا دماؤها الآية) اى ولكن ينله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة فى القيمة كثرة العدد ام قل فتأمل (وينوى فى الذبح) اى اذا كان تطوعا (فداء نفسه اقتداء بالذبيح عليه السلام) وهو اسمعيل او اسحاق على خلاف طويل بين الاعلام قال تعالى * وفديناه بذبح عظيم * (وينفق فى الطريق) اى طريق الحج (ومكة) اى وفى مكة مدة الاقامة (ما استطاع) ويكون طيب النفس بما انفقه وبما اصابه من خسارة ومصيبة ان اصابه ذلك من باب الضيافة من الله لعبده حال الزيارة وان ذلك من دلائل قبول حجه هنالك (فمن علامات القبول) اى قبول الحج وبره (طيب الكلام) اى واطعام الطعام وكتمان طاعته عن الانام (وعدم الاغتمام به) اى بالانفاق فى ذلك المرام (وبما اصيب)من ضياع وسرقة (فى المال) وكذا المصيبة فى البدن وباقى الحال (فدرهم منه) اى من مال المصاب او من الانفاق فى الحج للاحتساب (يعدل سبعمائة ينفق فى سبيله) والله سبحانه يضاعف لمن يشاء من فضله (وترك معاص كان يرتكبها) قبل حجه (وتبديل اخاء الفساق) اى مواخاة السفهاء والجهلاء (بالصلحاء) من العلماء والاولياء (ومجالس اللهو) اى وتبديلها (بالذكر) اى بمجالس الذكر ومحافل اهل اليقظة والفكر (و يلازم الخشوع) وهو غاية الخضوع (فى اداء المناسك) فانه من ادب

لسالك (فهو الاصل) اى المدار عليه فى جميع المسالك (لاسيما فى الطواف) فانه بمنزلة الصلاة
هنالك (والوقوف) بعرفات بمنزلة الوقوف بين يدى رب العالمين يوم اجتماع خلق الاولين
والآخرين (فهمار كناه) اى الحج باتفاق المجتهدين (و يشرب من ماء زمزم) فقد ورد دماء
زمزم لما شرب له ابن ماجة باسناد جيد من حديث جابر مرفوعا والحاكم و صححه وقد بسطنا
الكلام عليه فى فضائل المشاعر الحرام وكذا فى الحرز الثمين شرح حصن الحصين (مستشفيا به)
اى طالبا شفاء ظاهرا و باطنا قائلا اللهم انى اسألك رزقا واسعا و علما نافعا وشفاء من كل داء
و سقم فقد ورد آية مابيننا و بين المنافقين انهم لا يتضلعون من ماء زمزم البخارى فى تاريخه
وابن ماجة والحاكم عن ابن عباس و يستقى بيده و يشرب من مائه فقد قال عليه السلام لولا ان
تغلبوا لنزعت معكم (و يصبه على رأسه وجسده متبركا به) وقد ثبت مثل هذا عن فعله
عليه السلام (ومستجيبا اوطاره) اى قاضيا حاجاته (و يغتنم الموت فى طريقه فيكتب له اجره)
اى ثواب الحج على تلك الطاعة (اى قيام الساعة) قال تعالى * ومن يخرج من بيته مهاجرا
الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله * وورد من خرج من بيته حاجا او
معتمرا اجرى له اجر الحاج المعتمر الى يوم القيمة البيهقى فى الشعب من حديث ابى هريرة ومن
مات محرما حشر ملبيا الخطيب عن ابن عباس ومن مات فى احد الحرمين استوجب شفاعتى
وكان يوم القيمة من الآمنين الطبرانى و البيهقى عن سلمان وفى رواية لهما من حديث عائشة
من مات فى احد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة (و يتلقى الحاج بالترحيب)
اى بالتعظيم و التكريم مع التسليم المقرون بقوله مرحبا بمن جاء من زيارة بيت الله العظيم و نبيه
الكريم (ويصافحهم متبركا) اى بأكفهم التى اصابت المنازل الشريفة والمحافل المنيفة منها
الحجر الاسود الذى فى حقه ورد انه يمين الله فى ارضه يصافح بها عباده فهذه المصافحة
الثابتة واما المصافحة التى يذكرها بعض عن مشايخهم بطريق التسلسل اليه صلى الله تعالى
عليه وسلم فلا اصل له ولا فى الكيفية التى ذكرها بعض الصوفية ثم ورد فى فضل المصافحة
عند الملاقات اخبار كثيرة وآثار شهيرة ليس هذا المقام موضع بسط الكلام (و يروح الى المدينة)
اى الطيبة السكينة قبل دخول مكة الامنة او بعد وصولها وكمال حصولها (مكثرا) اى
فى طريقه (بالصلوة عليه عليه السلام) فانه كلما كان اقرب اليه كان بالاجابة انسب لديه
(و يزور قبره عليه السلام) فانه من شعائر الاسلام بل هو من واجبات الاحكام وقد تقدم
فى فضله بعض الكلام وقد ورد عنه عليه السلام ان لله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام
من سلم عليه من امته هذا فى حق من لم يحضر قبره فكيف من فارق اهله ووطنه وقطع البوادى
شوقا الى لقائه واكتفى بمشاهدة مشاهده الكريمة اذا فانه مشاهدة طلعته العظيمة
وقد قال تعالى * ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفر والله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله
توابا رحيما * وروى ان من توضأ فى الروضة وصلى فى القبر الشريف وقال اللهم انى اسألك
واتوجه اليك بنبينا محمد نبى الرحمة يا محمد انى توجهت بك الى ربى فى حاجتى لتقضى لى اللهم
فشفعه فى وسأل حاجته قضيت باذن الله كذا فى الحصن (وقبور الصحابة) لاسيما الشيخين
الضجيعين (واهل البيت) كفاطمة وعائشة وسائر ازواجه امهات المؤمنين وصفية عمته

واولاده وبناته اخوات المسلمين وعمه العباس والحسن بن علي وعلي بن الحسين ومحمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق في القبة الشريفة والمنزلة المنيفة (وسائر مشاهدها) من سائر اهل البقيع واجلهم عثمان بن عفان (رضي الله عنهم اجمعين) ويزور سيد الشهداء حمزة ومن معه وورد احد جبل يحبنا ونحبه البخاري عن انس وغيره عن جماعة وفي رواية زيادة فاذا جئتموه فكلوا من شجره ولو من عضاهه (ويصلي في مساجدها) واجلها المسجد النبوي مع مافيه من الروضة والمنبر واسطوانا تهائم فورد مابين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي متفق عليه من حديث ابي هريرة وعبد الله ابن زيد ثم مسجد قبا ومسجد الجمعة وذي القبلتين والمساجد الاربع ونحوها وقد ورد انه عليه السلام كان يأتي مسجد قبا كل سبت ماشيا وراكبا وقال من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قبا وصلى فيه كان كعدل عمرة النسائي وابن ماجة في حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح وقد ذكرنا آداب الزيارة في رسالة مستقلة وسائر مافيها من اسباب الفضيلة (ويتبرك بابارها) اي التي كان عليه السلام يتوضأ ويغتسل ويشرب منها وهي سبعة آبار مشهورة بئر اريس وبئر حاء وبئر رومة وبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقيا اوالعهن او بئر جمل ولله در ناظمها في قوله

(شعر)

* اذا رمت آبار النبي بطيبة * فعدتها سبع مقالا بلاوهن *

* اريس وغرس ورومة بضاعة * كذا بصة قل بئر حاء مع العهن *

ومواضعها معروفة وعند اهل المدينة مكشوفة فحديث بئر اريس يفتح فكسر رواه مسلم من حديث ابي موسى الاشعري في حديثه منه حتى دخل بئر اريس قال فجلست عند بابها و بابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ منها وحديث بئر حاء متفق عليه من حديث انس قال ابو طلحة اكثر الانصار بالمدينة نخلا وكان احب اموله اليه بئر حاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب الحديث وحديث بئر رومة بضم الراء رواه الترمذي والنسائي من حديث عثمان انه قال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين الحديث قال الترمذي حديث حسن وفي رواية من يشتريها لشرب رواه في الجنة وفي رواية لها هل تعلمون ان رومة لم يكن يشرب منها احد الا بثمن فابتعتها فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل الحديث وقال حسن صحيح وروى البغوي والطبراني من حديث بشير الاسلمي قال لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القربة بمد الحديث قيل انه اشتراها بمائة بكرة ثم تعطلت منافع النصف الثاني على صاحبها فباعه ايضا من عثمان بثمن يسير لانه كان ينبع ماءها فاستكفى الناس بوقف عثمان وهي قديمة قيل شرب منها تبع وجددت سنة سبع مائة وخمسين وحديث بئر غرس بضم المعجمة رواه ابن حبان في الثقات من حديث انس انه قال ائتوني بماء من بئر غرس فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ ولابن ماجة باسناد جيد من حديث علي مرفوعا اذا انا مت فاغسلوني بسبع قرب

من بئرى بئر غرس وفى تاريخ المدينة لابن النجار انه عليه السلام توضأ منها وبزق فيها وغسل منها حين توفى وفى رواية شرب منها وتوضأ وكب فيها بقية الدلو واهدى له عسل فصبه فيها وقال انى رأيت الليلة انى اصبحت على بئر من الجنة فاصبح عليها وقال ياعلى اذا انامت فاغسلنى من بئرى بئر غرس بسبع قرب لم تحلل اوكيتهن ففعل كذلك جددت سنة خمس وخمسين وسبعمائة وحديث بئر بضاعة بضم الموحدة رواه اصحاب السنن من حديث ابى سعيد الخدرى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انتوضأ من بئر بضاعة وفى رواية انه نستقى لك من بئر بضاعة فقال خلق الله الماء طهورا لاينجسه الا ما غير طعمه اولونه اوريحه الحديث قال يحيى بن معين اسناده جيد وقال الترمذى حسن وللطبرانى من حديث ابى اسيد بصق النبى صلى الله عليه وسلم فى بئر بضاعة وفى رواية شرب منها وبصق فيها وبرك ودعالها وكان اذا مرض المريض غسلوه بماء منها فكانما نشط من عقال وحديث بئر البصة بضم الموحدة وتشديد المهملة رواه ابن عدى من حديث ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه يوما فقال هل عندكم من سدرا غسل به رأسى فان اليوم الجمعة قال نعم فاخرج له سدرا وخرج معه الى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة رأسه ومراقة شعره فى البصة وحديث بئر السقياء رواه ابوداود من حديث عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يستعذب السقياء زاد البزار فى مسنده اومن بئر السقياء واحمد من حديث على خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بالسقياء التى كانت لسعد بن ابى وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتونى بوضوء فلما توضأ قام الحديث واما بئر جمل ففى الصحيحين من حديث ابى الجهم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بئر الجمل الحديث وصله البخارى وعلقه مسلم قيل وهى بئر العهن بالعالية وروى انها البسيرة سماها عليه السلام بعدان كان اسمها العسيرة توضأ منها وبصق فيها وبرك ودعالها والمشهور ان آبار المدينة سبعة وقيل عشرون وقد روى الدارمى من حديث عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه صبوا على من سبع قرب من آبار شتى الحديث (وتصدق) بالمدينة على سكانها و يعظم جيرانها (ويستحب الاقامة بمكة) حال كونها (مراعيا حقوقها) من القيام بالجماعة والجمعة وملازمة الطواف ومداومة الحرمة وعدم الملالة والسآمة مع السلامة من اكل الحرام والشبهة والا فالاقامة بها حرام اومكروه (فورد ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة) اى من رحمته الخاصة (ستون للطائفين) لزيادة طوافهم على المصلين والناظرين (واربعون للمصلين) لاشتمال صلاتهم على حال الناظرين (وعشرون للناظرين) اى المكتفين بالنظر حوله من المعتكفين العاجزين الواقفين فى مقام الشهود وقد قال تعالى ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود ففى تقديم الطائفين ايماء الى ماتقدم واشعار الى ان الطواف تحية هذا المسجد المحترم والله سبحانه اعلم والحديث رواه ابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس باسناد حسن وله شواهد (وانك) بامكة (لخير ارض الله) لكونها منشأ حبيبه وفيها قبلة خلقه قريبه وبعيده (واحب بلاده الى) لكونها مهبط وحيه ومربط وصله واما حديث حب الوطن من الايمان فلا اصل له (ولولا انى اخرجت منك) اى امرت بالخروج والهجرة عنك (لما خرجت) باختيارى فان الخروج

منها شقاوة والدخول فيها سعادة حيث تضاعف فيها العبادة وتضعف فيها للنفس الشهوة والارادة والحديث رواه الترمذي وصححه النسائي في الكبرى وابن ماجة من حديث عبدالله بن عدي بن الحمراء بلفظ انك لخير ارض الله واحب بلاد الله الى الله ولولى انى اخرجت منك ما خرجت وقدورد من صبر على حرمكة ساعة تباعد من نار جهنم مائتى سنة اخرجه العقيلي في الضعفاء عن ابن عباس (وبالمدينه) ايضا ويستحب ايضا الاقامة بها مع القيام باداتها (فورد في الصبر على لاوائها) اى شدة عنائها ومشقة بلائها (وفي الموت بها شفاعته عليه الصلاة والسلام) الخاصة باهل الاسلام (وشهادته يوم القيمة) اى بانه من اهل الاكرام فورد لايصبر على لاوائها وشدتها احدا لا كنت له شفيعا يوم القيمة مسلم من حديث ابى هريرة وابن عمر وابى سعيد ومن استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فانه لايموت بها احدا الا كنت له شفيعا اوشهيدا يوم القيمة الترمذي وابن ماجة من حديث ابن عمر وقال الترمذي حسن صحيح (وماقيل من ارجاع عمر رضى الله عنه) اى رده اوامره بالرجوع (الحجيج بعد الفراغ) من الحج والزيارة (الى المساكن) اى مساكنهم الاصلية حيث كان يقول لهم ياهل اليمن يمنكم وياهل الشام شامكم وياهل العراق عراقكم (تحاميا) اى للاحتراز والاحتراس (عن المسامحة) او الملالة في الاقامة (وارتكاب الذنب) لمن لم يكن من اهل الاستقامة (فالائم فيه) اى في حرم مكة (متضاعف) اى في العقاب كيفية لاكمية لئلا يناقض اطلاق قوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها (تضاعف الثواب) اى كتضاعفه في الكمية والكيفية للفضل في هذا الباب والعمل على مافي الكتاب وانما يضاعف العذاب او العقاب (حيث علق العذاب بمجرد القصد) في الذنب في ذلك الجناب (فيما ورد) في نص الكتاب (ومن يرد فيه بالحاد) اى يمل عن الجادة في العصيان والباء صلة في مقام البيان (الآية) تمامها بظلم اى عدوان بدل تفسير وبيان بذلك من عذاب اليم اى مؤلم في تمام التحريم ان (حتى قيل منه الاحتكار) اى قصد حبس الطعام ليقل فيبيع غاليا ويتضرر به الانام (وقيل الكذب) اى قصده الحاد ايضا (وقيل شتم الخادم) والحاصل ان ما كون صغيرة في غيره تصير كبيرة في حرمه لكمال تقصير المجاور وجريمه وعدم العمل بعلمه (وجديد الاشتياق عطف على تحاميا اى ولتحصيل حدة الشوق وشدة الذوق الى وصال الحرمين بعد مرارة حرارة الفراق (والاولى الاستقاء من القلب) في اقامته ورحلته (والتوطن في موضع اقرب من الحصول) فانه انسب لحصول الوصول وفيه الراحة من مصاحبة اهل الفضول وابعد من الشهرة فان فيها الافات بكثرة (وسلامة الدين) لانها لم توجد مع مسالمة اهل الدنيا فقل كن وسطا وامش جانبا (وفراغ القلب) اى للذكر والحضور مع الرب (ويسر العبادة) اى سهولته لاهل الارادة قال تعالى ياعبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون (فورد البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فاى موضع رأيت فيه رفقا) اى مصلحة وسهولة للعبادة فانه مقام السعادة (فالزمه) اى فاختر للاقامة فيها (واحمد الله تعالى) على ثبوتك عليها والحديث رواه احمد والطبراني من حديث ابن الزبير (وحق الجهاد) اى القتال مع الكفار (ان ينوى نصرة الدين ومعاونة الابرار قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم (وبذل النفس في رضائه تعالى قال عزوعلا ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الآية (فورد

افضل الجهاد ان يعقر جوادك) ى يقتل فرسك اويهلك (و يهرق دمك) اى يصب و يخرج روحك الطبرانى واحمد وجماعة عن جابر و الطبرانى عن ابى امامة افضل الشهداء من سفك دمه وعقر جواده وهو فرض عين ان هجم الكفار فيخرج المرأة والعبد بلا اذن وفرض كفاية بدأ (و يخرج له) اى للجهاد (يوم الخميس) روى كعب بن مالك انه عليه السلام كان يحب ان يخرج اذا غزا يوم الخميس احمد والبخارى (ولايغتم بما يصيب) اى فى طريق الجهاد من نفس فى ماله او جرح فى جسده اوفزع فى قلبه وتشويش فى حاله (فنى الكل اجر عظيم) وثواب جسيم وقد قال تعالى * ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال * الآية وورد اذا رجف قلب المؤمن فى سبيل الله تحاتت خطاياه كما تحاتت عذق النخلة الطبرانى وابونعيم فى الحلية عن سلمان ومن راح روحة فى سبيل الله كان له بمثل ما اصاب به من الغبار مسكا يوم القيمة ابن ماجة و الضياء عن انس وما من مجروح يجرح فى سبيل الله والله اعلم بمن يجرح فى سبيل الله الا جاء يوم القيمة وجرحه كهيئته يوم جرح اللون لون الدم والريح ريح المسك ابن ماجة عن ابى هريرة (حتى يكون علف دابته وروثها و بولها ونوره و يقظته فى ميزان حسناته) فى مسند احمد وصحيح البخارى وسنن النسائى عن ابى هريرة مرفوعا من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده كان شبعه وريه وروثه و بوله حسنات فى ميزانه وفى رواية لابن ماجة وابن حبان عن تميم الدارى من ارتبط فرسا فى سبيل الله ثم عالج علفه بيده كان له بكل حبة حسنة (و يجتنب فرسا يخالف احد قوائمه الثلاثة) من القوائم الاربعة فقد روى احمد ومسلم والاربعة عن ابى هريرة انه عليه السلام كان يكره الشكال قال ابوداود والترمذى اى محجل الرجل اليمنى و لرجل اليسرى اوالعكس وقال النسائى محجل ثلثة قوائم مطلق واحدة او العكس وليس الشكال الا فى الرجل ويؤيده مارواه الحاكم والطبرانى والبيهقى عن عقبة بن عامر اذا اردت ان تغزوا فاشتر فرسا اغر محجلا مطلق اليد اليمنى فانك تسلم وتغنم وفى رواية احمد والترمذى وابن ماجة والحاكم عن ابى قتادة خير خيلكم الادهم الاقرح الارثم المحجل ثلاث مطلق اليمنى فان لم يكن ادهم فكميت على هذه الشية وفى النهاية ان الادهم الاسود الاقرح بالقاف الذى فى جبهته بياض يسير دون الغرة والارثم الذى انفه ابيض وشفته العليا والمحجل الذى يرتفع البياض فى قوائمه فى موضع القيد و يجاوز الارساغ ولايجاوز الركبتين لانهما مواضع الاحجال وهى الخلاخيل والقيود والكميت بضم الكاف هو الذى لونه بين السواد والحمرة يستوى فيه الذكر والانثى (ولاتغزه) اى الجهاد فالعافية اوسع لاكثر العباد (و يسأله الثبات عنده) اى عند وجوبه ووجوده (فورد لاتمنوا لقاء العدو) وفى رواية زيادة وسلوا الله العافية وفى اخرى فانكم لاتدرون مايبتلون به وقال عز وعلا فى مقام التوبيخ * ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون (فان لقيتموه فاثبتوا) وفى رواية زيادة واكثروا ذكر الله وفى اخرى زيادة فان اجلبوا وضجوا فعليكم بالصمت النسائى والحاكم والطبرانى عن ابن عمر وفى رواية للحاكم عن جابر فاذا لقيتموهم فقولوا اللهم انت ربنا و ربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما تفشلهم انت ثم الزموا الارض جلوسا فاذا غشوكم فانهضوا وكبروا (و يكثر ذكره تعالى) لقوله سبحانه وتعالى * يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم

تفلحون * وقال تعالى فى الحديث القدسى ان عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو ملاق قرنه (و يكف عن ذكر النساء) اى و يمتنع عن تذكرهن (والاولاد والاموال والاوطان) وسائر تدبرهن وتفكرهن (فهو يفتره) اى يجبنه و يضعف همته عما هو بصدده ومن هنا ورد الولد مجبنة (و يغتنم الشهادة فى سبيل الله) فانه من اكبر السعادة عند مولاه (فورد ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا الآية) اى * بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم الله من فضله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين (ان ارواح الشهداء فى حواصل طير) اى اجواف طيور (خضر تسرح) اى تسير (وتأكل من الجنة حيث تشاء) من غير منع لها (وتأوى الى قناديل معلقة من العرش) ومع هذا لها تعلق بجسدها فى القبر وامور الآخرة كلها مبنية على خرق العادة فلا ينبغى ان يستغر بها اهل الارادة والحديث رواه مسلم والترمذى عن ابن مسعود بزيادة فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا قالوا اى شئ نشتهى ونحن نسرح فى الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا انهم لم يتركوا اى يسألوا قالوا يارب نريد ان ترد ارواحنا فى اجسادنا حتى نرجع الى الدنيا فنقتل فى سبيلك مرة اخرى فلما رأوا ان ليس لهم حاجة تركوا وهذا معنى قوله (و يودون الرجوع) اى يتمنون العود الى الدنيا للاستشهاد) اى مرة بعد اخرى وورد ما من احد يدخل الجنة يحب ان يرجع الى الدنيا الا الشهيد فانه يحب ان يقتل مرة اخرى ابن حبان عن انس وفى رواية له عنه فانه يتمنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة (و يتمناها) اى يتمنى السالك الشهادة ولو كان فى موطن العبادة (فهو سبب نيل منزلتهم) اى حصول مرتبتهم (وان مات) اى المتمنى (على الفراش) لان نية المؤمن خير من عمله فمن معاذ من سأل الله الشهادة مخلصا اعطاه الله اجر شهيد وان مات على فراشه (ولا يخرج المشتغل بتعهد الاهل) اى العيال لاشتغال البال فلا يحصل معه الكمال فى الحال ولضرورة معيشة الاهل من تحصيل المال وقد ورد اذا حرم احدكم الزوجة والولد فعليه بالجهاد الطبرانى عن محمد بن حاطب وعن ابن المبارك وهو مع اخوانه فى الغزو اتعلمون عملا افضل مما نحن فيه قالوا لا نعلم ذلك قال انا اعلم ذلك رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فنظر الى صبيانه نياما منكشفين فسترهم وغطاهم فعمله افضل مما نحن فيه (وخدمة الابوين فهو مقدم) اى على الجهاد اذا لم يكن فرض عين فعن ابن عمر اذا كان الجهاد على باب احدكم فلا تخرج الا باذن ابويه رواه ابن عدى (و يخدم الغزاة) اى يطبخ طعامهم وغسل ثيابهم وخدمة دوابهم (ولو كلبهم) وهذا صادق على من يخدمهم وهو معهم كما ورد سيد القوم خادمهم ابن ماجة عن ابى قتادة والخطيب عن ابن عباس وروى الحاكم فى تاريخه والبيهقى عن سهل بن سعد ولفظه سيد القوم فى السفر خادمهم فمن سبقهم بخدمة لم يسبقوه بعمل الا الشهادة وفى رواية الطبرانى عن ابى هريرة افضل الغزاة فى سبيل الله خادمهم الذى يأتيهم بالاخبار واخصهم عند الله منزلة الصائم او يخلفهم و يخدم اهلهم ففى صحيح مسلم وابى داود عن ابى سعيد ايكم خلف الخارج فى اهله وماله بخير كان له مثل نصف اجر الخارج (ويجهزهم) اى يهيئ اسباب سفرهم فورد من جهز غازيا حتى يستقل كان له مثل اجره حتى يموت او يرجع

ابن ماجة عن عمر (ويعظم افراسهم) جمع فرس فقد ورد الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة الاجر والمغنم احمد والشيخان وغيرهما مما كاد ان يكون متواترا وفى رواية لاحمد عن جابر زيادة واهلها معانون عليها فامسحو بنواصيها وادعوا لها بالبركة وتلسوها ولا تقلدوها الاوتار (وبعدها) بضم فكسر فشد اى ربطها (ليوم اللقاء) اى لوقت ملاقاة الاعداء قال تعالى * واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم * الآية (ففى الكل فضائل) لارباب الشمائل (وتعلم الفروسية والمسابقة لامتحان الكرم) اى الطبع المكرم فى المجاهدة والملاحقة فقد ورد احب اللهو الى الله تعالى اجراء الخيل والرمى ابن عدى عن ابن عمرو قيل المراد بالكرم كرم الفرس بان يكون كريم الطرفين اركبوا وانتصلوا وان تنتصلوا احب الى الحديث الطبرانى فى الاوسط عن ابى هريرة لاسبق الا فى خف اوحافر اونصل احمد والاربعة عن ابى هريرة فالمراد بالخف الابل وبالحافر الفرس والبغل والحمار وبالنصل الرمى وفى رواية كانت المسابقة بين الصحابة فى الخيل والابل والرجل (والرمى) اى وتعلمه (فهو سنة) فعن عقبة بن عامر مرفوعا الا ان القوة الرمى الا ان القوة الرمى الا ان القوة الرمى احمد ومسلم وابو داود وابن ماجة ان الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب فى صنعته الخير والرامى به ومنبله احمد والثلاثة عن عقبة بن عامر من رمى بسهم فى سبيل الله كان كمن اعتق رقبة ابن حبان عن كعب بن مرة وفى رواية النسائى عنه من بلغ العدو سهمه رفعه الله بها درجة اما انها ليست كعتبة امك ولكن مابين الدرجتين مائة عام (ولايتركه) اى الرمى لئلا ينسى (فورد من ترك الرمى بعدما علمه) اى رغبة عنه كما فى رواية (فانما هى نعمة كفرها) الطبرانى وجماعة عن عقبة بن عامر وفى رواية ابن ماجة عنه فقد عصانى وفى رواية مسلم عنه فليس منا وفى رواية احمد والترمذى والبيهقى عنه فقد كفر الذى علمه وعن ابى هريرة من تعلم الرمى ثم نسيه فهى نعمة جحدها ابن النجار

﴿ الباب الخامس فى التزوج والتخلى ﴾

اى التجرد عنه والتبرى منه اختيار للتخلى واستيثارا للتجلى اعلم ان العلماء اختلفوا فى فضل النكاح فبعضهم بالغ فيه حتى زعم انه افضل من التخلى لعبادة الله تعالى وعكس جماعة وقال آخرون الافضل تركه فى زماننا وقال بعضهم افضل من الجهاد لان الجهاد سبب اعدام الكافر والتزوج موجب ايجاد المؤمن وهذا كله اذا لم يكن هناك توقان للنفس بشوش الحال واما اذا كان فيتعين تحمل العيال والتوكل على الله المتعال فى الاستقبال (بسم الله الرحمن الرحيم) الذى رحمته شاملة للتخصيص والتعميم (فى النكاح فوائد) كثيرة ومنافع شهيرة ذكر منها احدى عشرة (حفظ النفس من الشيطان) اى صيانتها عن وسوسته واغوائه (فورد من تزوج فقد احرز شطر دينه) تمامه فليتق الله فى الشطر الثانى وفى رواية فى الشطر الآخر ابن الجوزى فى العلل من حديث انس بسند ضعيف وهو عند الطبرانى بلفظ استكمل نصف الايمان وفى المستدرك وصحح اسناده بلفظ من رزقه الله امرأة صالحة فقد اعانه على شطر دينه وهذا لان حفظ اصل الدين غالبا يتعلق نصفه بقضاء شهوة البطن ونصفه بقضاء شهوة الفرج وقال ابن عباس لايتم نسك الناسك حتى يتزوج وكان ابن مسعود يقول لولم يبق من عمرى الا عشرة ايام

لاحببت ان اتزوج لكيلا القى الله عز باوماتت امرأتان لمعاذ بن جبل فى الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجونى فانى اكره ان القى الله عز باوعن ابى هريرة مرفوعا شراركم عزابكم وركعتان من متأهل خير من سبعين ركعة من غير متأهل ابن عدى ورواه احمد عن ابى ذر شراركم عزابكم واراذلكم موتاكم عزابكم وقد تزوج يحيى ولم يجامع قيل انما فعل ذلك لينال الفضيلة من اقامة السنة وقيل لغض البصر وخوف العنت واما عيسى فانه سينكح اذا نزل الى الارض ويولدله كذا فى الاحياء والحاصل ان غلبة الشهوة محنة عامة قل ان يخلص منها احد قال قتادة فى قوله تعالى * ولاتحملنا مالا طاقة لنا به ان ذلك هو الغلمة وهى غلبة الشهوة وعن عكرمة ومجاهد نحوهما قالا فى معنى قوله ﴿ وخلق انسان ضعيفا ﴾ انه لايصبر عن النساء ابسر من الصبر عليهن والصبر عليهن ايسر من الصبر على النار وقال ابن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وفى نوادر التفسير عن ابن عباس ﴿ ومن شر غاسق اذا وقب ﴾ قال قيام الذكر وفى دعائه عليه السلام اللهم انى اعوذبك من شر سمعى وبصرى وقلبى ومنيتى ابو داود والنسائى والترمذى وحسنه والحاكم وصححه من حديث شكل بن حميد وقال اسألك ان تطهر قلبى وتحفظ فرجى البيهقى فى الدعوات من حديث ام سلمة وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امرأة فاتت اليها نفسه ان يجامع اهله لان ذلك يدفع الوسواس عنه رواه احمد من حديث ابى كبشة الانصارى حين مرت به امرأة فوقع فى قلبه شهوة النساء فدخل فاتى بعض ازواجه وقال وكذلك فافعلوا فانه من امائل اعمالكم اتيان الحلال واسناده جيد فروى جابر انه عليه السلام رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال ان المرأة اذا قبلت اقبلت فى صورة شيطان واذا ادبرت ادبرت فى صورة شيطان فاذا رأى احدكم امرأة فاعجبته فليأت اهله فان معها مثل الذى معها رواه مسلم والترمذى واللفظ له وقال حسن صحيح وروى انه انصرف الناس يوما عن مجلس ابن عباس و بقى شاب لم يبرح فقال هل لك من حاجة قال نعم اردت ان اسأل عن مسألة فاستحييت من الناس وانا الآن اهابك واجلك فقال ابن عباس ان العالم بمنزلة الاب فما افضيت به الى ابيك فافض به الى فقال انى شاب لازوجة لى وربما خشيت العنت على نفسى فربما استمنيت بيدى فهل فى ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس ثم قال اف وتف نكاح الامة خير منه وهو خير من الزنا (و يزيد) النساء (الى الاربع ان لم يعتصم بواحدة) وكان الاولى ان يقول ان لم يعتصم بالاقل وهذا لقوله تعالى * فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع * والواو بمعنى اوای اثنتين اثنتين اوثلاثة ثلاثة اوار بعا ار بعا وعن ابن عباس خير هذه الامة اكثرها نساء يعنى النبى صلى الله عليه وسلم رواه البخارى وقال سفيان بن عيينة كثرة النساء ليست من الدنيا لان عليا رضى الله عنه كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له اربع نسوة وسبع عشر سرية وقد نكح بعد فاطمة بسبع ليال و يحكى عن ابن عمر وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم انه يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل وربما جامع قبل ان يصلى المغرب ثم يغتسل و يصلى وروى انه جامع ثلاثا من جواريه قبل العشاء فى رمضان قبل العشاء الاخيرة (و يبدأ باخرى ان تغر الطبع) فان المقصود هو الاعتصام بالشرع و يقال ان الحسن

بن على كان منكاحا فنكح زيادة على مائتى امرأة وكان ربما عقد على اربع فى عقد وربما طلق اربعا فى وقت واحد واستبدل بهن (وزيادة الرغبة فى لذات الجنة فلذة الدنيا انموذج) بضم الهمزة والميم معرب نمونه اى عينة تدل على صفة بينة وقد اكثر الله سبحانه فى كتابه مدح الحور العين والازواج المطهرة فى ذلك المكان الامين (وقطع الملالة الحاصلة من دوام العبادة) وذلك بتزويج النفس وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة والموانسة ولذا قال تعالى* ليسكن اليها* فالنفس اذا كلفت المداومة بالاكراه على المخالفة جمحت وتأبت واذا روحت باللذات فى بعض الاوقات قويت ونشطت ومنه كلمنى ياحميراء وعن على روحوا القلوب عن الذكر فانها اذا كرهت عميت فنى الاستيناس بالنساء من بين الناس من الاستراحة عن الوسواس مايزيل الكرب ويفرج القلب وينشط لذكر الرب فينبغى ان يكون لنفوس ارباب العبادات استراحات الى المباحات وفى الخبر على العاقل ان يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها لمطعمه ومشربه اى ومايقتضى انسه والحديث رواه ابن حبان من حديث ابى ذر فى حديث طويل ان ذلك فى صحف ابراهيم وفى لفظ آخر لايكون العاقل العامل ظاعنا الافى ثلاث تزود لمعاد اومرمة لمعاش اولذة فى غير محرم رواه ابن حبان فى حديث ابى ذر الطويل ان ذلك فى صحف ابراهيم (فورد لكل شره) بكسر معجمة وتشديد راء اى كدوجد فى طاعة ونشاط ورغبة فى حاجة (فترة) اى كسل وملالة وغفلة وفترة ووقفة للاستراحة (فمن كان فترته (الى سنتى فقد اهتدى) احمد والطبرانى من حديث عبدالله بن عمر رواه البيهقى ومن كانت الى غير ذلك فقد هلك والترمذى نحوه من حديث ابى هريرة وقال حسن صحيح ولفظه لكل عامل شره ولكل شره فترة الحديث وللترمذى عن ابى هريرة ان لكل شئ شره ولكل شره فترة فان صاحبها سدد وقارب فارجوه وان اشير اليه بالاصابع فلا تعدوه والحاصل ان لكل نشاط فى العبادة ابتداء يكون كسلا فيها انتهاء اوانناء فينبغى للسالك ان يصرف تلك الفترة الى عبادة اخرى اوشهوة مباحة موافقة للسنة من النساء وغيرها ولذا قال (وهو) اى قطع الملالة بمصاحبة النساء (لايعم) جميع السالكين (لانقطاعها) اى الملالة (لبعض) اى بعض العاملين (بالماء) اى الجارى (والبستان) اى المشتمل على الخضرة فعن ابن عمر مرفوعا ثلاث تجلين البصر النظر الى الخضرة والى الماء الجارى والى الوجه الحسن اخرجه الديلمى وعن على ايضا بمعناه وعن ابن عباس انه عليه السلام كان يعجبه النظر الى الخضرة والماء الجارى ابو نعيم وابن السنى وفى روايتهما عن على كان يعجبه النظر الى الاترج والى الحمام الاحمر وللترمذى عن معاذ انه عليه السلام كان يستحب الصلوة فى الحيطان اى البساتين المشيرة الى الجنان (وفراغ القلب) اى لذكر الرب (من تدبير البيت للعبادة) كما هو جار فى العادة من شغل الطبخ والكنس والفرش للمبانى وتنظيف الاوانى وتهيئة اسباب المعيشة المعينة للمعانى وفى الحديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقد فسر قوله تعالى * آتنا فى الدنيا حسنة* بالمرأة الصالحة ۞ وفى الآخرة حسنة ۞ من حور العين ۞ وقنا عذاب النار* بالمرأة السليطة وقيل فى تفسير قوله تعالى ۞ فلنحيينه حيوة طيبة ۞ اى زوجه صالحة وعنه عليه السلام ليتخذ احدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة

صالحة تعين على آخرته الترمذى وحسنه وابن ماجة من حديث ثوبان (فورد زوجاتى اعوانى على الطاعة) الخطيب فى التاريخ من حديث ابن عمر ولفظه فضلت على آدم بخصلتين كانت زوجته عونا له على المعصية وازواجى اعوان لى على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطانى مسلم لايأمر الابخير (وهو) اى الفراغ المذكور (يخص لمن لابد برفيه) اى فى البيت بنفسه لعجزه (ولايشوشه حق الزوجية فى امره وكثرة العشيرة ليدفع بهم الشر) اى ضرر اهل الفساد ومنازعة اهل العناد (فيسلم) اى فارغ القلب فى طلب الخير ولذا قيل ذل من لانا صرله (والرياضة) اى تهذيب النفس (بالقيام بحقوقهن) من نفقتهن) وكسوتهن (واحتمال جفائهن) من اذائهن وبلائهن والصبر على سوء اخلاقهن والسعى فى اصلاح احوالهن وارشادهن الى طريق الدين واكمالهن والقيام بتربية الاولاد وصيانتهم عن الفساد وفى كل هذه الاحوال فضائل عظيمة وشمائل وسيمة فانها رعاية وولاية وحماية وقدورد كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته متفق عليه من حديث ابن عمر ويوم من وال عادل افضل من عبادة سبعين سنة الطبرانى والبيهقى من حديث ابن عباس (فوردفيمن احتملها كان معى فى الجنة) لم ار مخرجه وفى بعض الحواشى من تحمل كلمات جفاء اهله فله ثواب سبعين شهيدا وفى رواية من تحمل من امرأته كلمة واحدة اعطاه الله ثواب الف شهيد ودفع عنه ظلمة قبره وضيقه وذكر فى الاحياء ان فى اخبار الانبياء ان قوما دخلوا على يونس فاضافهم فكان يدخل فى منزله ويخرج فتؤذيه امرأته فتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لاتعجبوا فانى سألت الله فقلت ماانت معاقبى فى الاخرة فعجله فى الدنيا فقيل ان عقوبتك بنت فلان فتزوجت بها وانا صابر على ماترون منها (وهو) اى الارتياض (يخص بالمبتدئ لاحتياجه الى الرياضة) اى تهذيب النفس عن الاخلاق الذميمة (وبظاهر العمل) اى ويخص ايضا بالذى من اهل العمل الظاهر (فالانفاق اولى) اى فى حقه (لانه متعد) اى نفعه والعمل الظاهر نفعه قاصر ومن هنا قال عليه السلام ما انفق الرجل على اهله فهو صدقة الشيخان عن ابن مسعود وان الرجل ليوجر فى رفع اللقمة الى فى امرأته الشيخان عن سعد بن ابى وقاص (بخلاف صاحب الباطن فعمله اشرف) لانه علم ومعرفة وحال وحضور مع الرب وهو مقام عال ولكنه نادر بين الرجال ولذا ورد اكثر الاحاديث فى مدح الاعمال منها قوله عليه السلام ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال ابن ماجة من حديث عمران بن حصين وقوله اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله الحزن ليكفرها احمد من حديث عائشة وقوله من الذنوب ذنوب لايكفرها الا الهم بطلب المعيشة الطبرانى فى الاوسط وابو نعيم فى الحلية من حديث ابى هريرة وقال بعض العلماء عمل الابدان كسب الحلال والنفقة على العيال (والولد وهو المقصود الاصلى) من هذا الحكم الفرعى (فقيه) اى فى تحصيل الولد بالنكاح اربعة امور (محبته تعالى) اى اثر محبته (بتحصيل حكمته تعالى وهى بقاء جنس الانس) فى مملكته وفق ارادته (والتحرز عن تعطيل الاعضاء من المقاصد) التى خلقت لتلك الاشياء فكل عضو من بنى آدم صلح لطاعته فاللسان للذكر والقلب للفكر والاذن للاستماع والعين للنظر واليد للبطش والرجل للسعى وفى الاحياء هذا ادق الوجوه وابعدها عن افهام الجماهير واقواها عند ذوى البصائر النافذة فى عجائب صنع الله تعالى ومجارى حكمته وبيانه

ان السيد اذا سلم الى عبده البذر وآلات الحرث وهيأ له ارضا مهيأة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليه فان تكاسل العبد وعطل آلة الحرث وترك البذر ضايعا حتى فسد ودفع المؤكل عن نفسه بنوع من الحيل كان مستحقا للمقت والعقاب عن سيده فالله سبحانه خلق الزوجين وخلق النطفة في القرار وهيأ له في الانثيين عروقا ومجارى وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط تقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والانثى فهذه الافعال والآلات شهدت بلسان ذلق في الاعراب عن مراد خالقها وتنادى ارباب الالباب بتعريف ما اعدت له هذه الاسباب هذا ان لو لم يصرح الخالق على لسان رسوله عليه السلام بالمراد فكيف وقد صرح بالامر فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر ومعطل لما خلق الله من الآلة المعدة وخان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الاعضاء بخط الهى ليس برقم حروف واصوات يقرؤها كل من له بصيرة ربانية نافذة في ادراك دقائق الحكمة الازلية انتهى ولا يخفى ما ورد من امر الشارع حيث قال تعالى * وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم * وورد من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لا فليصم فان الصوم له وجاء متفق عليه من حديث ابن مسعود من كان ذا طول فليتزوج ابن ماجة من حديث عائشة من ترك التزوج مخافة العيلة فليس منا الديلمى من حديث ابى سعيد والدارمى في مسنده والبغوى في معجمه ولعله مقتبس من قوله تعالى * ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم * وقد ورد التمسوا الرزق بالنكاح الديلمى وغيره عن ابن عباس مرفوعا وللثعلبى عن ابن عجلان ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فشكى اليه الحاجة والفقر فقال له عليك بالباءة اى النكاح والله تعالى يقول في كتابه * ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله * واما الذى يدور على السنة العوام تزوجوا فقراء يغنكم الله فانما هو معناه وروى الديلمى والبزار والدارقطنى في العلل والحاكم وابن مردويه من حديث عائشة تزوجوا النساء فانهن يأتين بالمال وعن الحسن بن على رأيت الغنى في النكاح والطلاق اما النكاح فقوله سبحانه ان يكونوا فقراء يغنهم الله واما الطلاق فقوله تعالى * وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته * وقد قيل في حق بشرا انه تارك للسنة فقال انا مشغول بالفرض عن السنة فعوتب مرة اخرى فقال ما يمنعنى من التزوج الا قوله تعالى * ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف (ومحبته عليه الصلاة والسلام بالاستنان) اى بالعمل للسنة (فورد النكاح سنتى) تمامه فمن احب فطرتى فليستن بسنتى ابو يعلى من حديث ابن عباس بسند حسن وفى رواية الشيخين عن انس فمن رغب عن سنتى فليس منى (وتكثير الامة) اى التى اكثر فيهم الائمة (فوردتناكحوا تكثروا فانى اباهى بكم الامم) اى في الكثرة (يوم القيمة) ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عمر وعبد الرزاق في جامعه عن سعيد بن ابى بلال مرسلا وفى رواية تناكحوا تناسلوا اباهى بكم يوم القيمة وفى رواية ابى داود والنسائى والبيهقى وغيرهم من حديث معقل ابن يسار مرفوعا تزوجوا الودود فانى مكاثر بكم الامم ولاحمد والبيهقى وصححه ابن حبان والحاكم عن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهيا شديدا ويقول تزوجوا الولود الودود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيمة (ولو بالسقط) وهو الولد الذى خلق

بعضه وقد ذكر البيهقي هذه الزيادة في المعرفة عن الشافعي انه بلغه (وبركة الدعاء ان بقي) اى الولد (بعده) اى بعد والده (فعده عليه السلام من العمل الباقي بعد الموت) اى حيث قال كل عمل ابن آدم ينقطع الا ثلاثة فذكر فيه ولد صالح يدعو له رواه مسلم من حديث ابي هريرة (والشفاعة) اى وبركة الشفاعة (ان مات) الولد (قبله) اى قبل والده فقد قيل نعم الولد ان عاش نفع وان مات شفع (فورد ان الطفل يجر ابويه الى الجنة) ابن ماجة من حديث علي وقال السقط يدلي الطفل بحبل امه بسر الى الجنة وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة يأخذ بثوبه كما انا الآن آخذ بثوبك وورد ايضا المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محنطئا اى متململا غيظا وغضبا ويقول لا ادخل الجنة الا وابواى معي فيقال ادخلوا ابويه معه الجنة ابن حبان في الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن ابيه عن جده وللنسائي من حديث ابي هريرة يقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتى يدخل آباؤها فيقال ادخلوا الجنة انتم وآباؤكم واسناده جيد وقد قيل في تفسير قوله تعالى * نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم تقديم الاطفال للآخرة (وآفات) اى كثيرة ذكر منها ثلاث (وهي كسب الحرام فالعيل يضطر اليه) اى الى كسبه او اكله (للتوسع) في الطعام (وورد فيه) اى في حق من كسب الحرام لعياله (انه هو الذي اكل عياله حسناته) قال في الاحياء في الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله الحسنات امثال الجبال فيسأل عن رعاية عياله والقيام بهم وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه حتى يستفرغ بتلك المطالبات كل اعماله فلا يبقى له حسنة فتنادي الملائكة هذا الذي اكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم بعمله قال العراقي لم اقف له على اصل وقال بعض السلف اذا اراد الله بعبد شرا سلط عليه في الدنيا ابابا تنهشه يعني العيال (وفوات الحقوق) اى الزوجية بالقصور عن القيام بحقوقهن وعدم الصبر على اخلاقهن وعدم احتمال الاذى عنهن (فورد كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول) ابو داود والنسائي بلفظ من يقوت وهو عند مسلم بلفظ آخر وروى ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الآبق لا يقبل الله له صلاة ولا صياما حتى يرجع اليهم ويقصر عن القيام بحقهن وان كان حاضرا فهو هارب عنهن وقال تعالى * قوا انفسكم واهليكم نارا * امرنا ان نقيهم النار كما نقي انفسنا والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه فاذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضاف اليه نفس اخرى والنفس امارة بالسوء واذا كثرت كثر السوء غالبا وبذلك اعتذر بعضهم عن التزوج وقال انا مبتلى بنفسي فكيف اضيف اليها نفسا اخرى لم تسع القارة في حجرها علقت المكنس في دبرها وكان سفيان يقول ياحبذا العزبة والمتاح ومسكن تحرقه الرياح لاضخب فيه ولاصياح (والشغل عنه تعالى بتدبير المعيشة) منه قوله تعالى * شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا * (وجمع المال) في الحال (والادخار) للاستقبال (والتفاخر) بالتكاثر بالاموال والاولاد بين الرجال وكل ما شغل عن الله فهو مذموم في الحال والمآل ومن هنا قال بعض الفضلاء ضاع العلم في افخاذ النساء وقال ابن ادهم من تعود افخاذ النساء لم يجئ منه شئ اى من مقامات الاولياء وقال ابو سليمان من تزوج ركن الى الدنيا اى واشتغل عن المولى وعن زاد العقبى (والاستغراق بالتمتع) اى الانتفاع بالنساء (والمؤانسة اى بالاجتماع معهن في المكالمة والمجالسة اذا عرفت ذلك وميزت بين الفوائد والآفات هنالك

(فان تحققت الفائدة) بجمع افرادها (وانتفت الآفة) بتمام موادها (يتعين النكاح) لمن قدر عليه بان كان له مال حلال وخلق حسن وجد فى الدين بان لايشغله النكاح عن الله وهو مع ذلك شاب محتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد محتاج الى تدبير المنزل والمعيشة (وان انعكس) بان انتفت الفائدة وتحققت الآفة (يتعين التجرد) فلا يميل اليه (وان تقابلا) اى الجنسان من الفوائد والآفات (يأخذ بالراجح) من الحالات (فقوات الشغل به تعالى وطيب اللقمة افحش من فوات الولد) بترك النكاح وصورته ان شخصا اذا تزوج يفوته الشغل بالمولى يقع فى لقمة الحرام من كسب الدنيا لكن يحتمل انه يحصل الولد له فينفعه فى العقبى فالراجح عدم التزوج (لانه) اى وجود الولد على الفرض والتقدير (لايجبرهما) اى لايفى بمقابلة فوت الشغل وطيب اللقمة (ولانه) اى الولد (موهوم) وجوده (وهما) اى فوتهما (ناجزان) اى ناقد كل واحد فى مرتبة شهوده (وكذا الزنا) اى وقوعه (افحش كسب الحرام) وصورته ان شخصا اذا تزوج وقع فى كسب الحرام واذا لم يتزوج وقع فى الزنا فالراجح التزوج (لانه) اى الزنا (قتل حكمى بتحصيل ولد ليس به من يقوم بحقه) لان ولد الزنا كل احد يكرهه ولا اعتبار لنسبه وحسبه (ولانه) اى الزنا (حرام لعينه) اى لذاته مع عد ملاحظة سائر جهاته (والكسب) اى لان كسب مال الحرام حرام (لغيره) اى لا لذاته بل لاجل انه تعلق به حق غيره والحاصل ان كسب الحرام اهون الشرين فى هذا المقام (بخلاف النظر وانهم) اى القصد بفعل الزنا وصورته ان شخصا اذا تزوج وقع فى كسب الحرام واذا تزوج وقع فى النظر والهم فالراجح عدم التزوج فيهما ليسا بافحش من كسب الحرام بل هو افحش منهما (لدوام الكسب) اى ودور النظر والهم ولان كسب الحرام كثيرة وكل من النظر والهم صغيرة (وسراية شره) اى شر كسب الحرم (الى الغير) من الزوجة والولد ونحوهما وايضا النظر زنا العين ولكن اذا لم يصدقه الفرج فهو اقرب الى العفو من اكل الحرام الا ان يخاف من افضاء النظر الى معصية الفرج فيرجع ذلك الى خوف العنت بخلاف النظر والهم من حيث لايتعدى شرهما الى الغير فاذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهى ان يقوى على غض البصر لكن لايقوى على دفع الافكار الشاغلة للقلب فالاولى ترك النكاح لان عمل القلب الى العفو اقرب فانما يراد فراغ القلب لعبادة الرب ولاتتم العبادة مع كسب الحرام واكله واطعامه فى العادة (وعند الامن) من الآفات (فالاولى الجمع بينه) اى بين التزوج (و بين العبادة) فانه اكمل الحالات وافضل المقامات (وهو) اى الجمع (عند عظم القوة) فى الدين كقوة النبوة والولاية فمن قويت شوكة همته وعلت صولة نهمته فلايشغله شاغل عن ذكر الرب والتوجه الى حضرته (كما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم) وصحابته (وان لم يقدر) اى على الجمع بينهما (فالنكاح لصاحب الظاهر) اى لمن يشتغل بالعمل الظاهر اولى ومنهم ارباب العبادة (والعزوبة لصاحب الباطن) اى عمله ومنهم اصحاب المعرفة اقوى (كالمسيح عليه السلام) وتحقيقه ماقاله حجة الاسلام ان نبينا عليه الصلوة والسلام مع تسع من النسوة كان متخليا للعبادة ومتجليا لتجلى الحضرة فكان قضاء الوطر بالنكاح فى حقه عليه السلام غير مانع له من المرام كما لايكون قضاء الحاجة فى حق العوام من المشغولين بتدبيرات

الدنيا مانعا لهم من تدبيرهم حتى انهم يشتغلون فى الظاهر بقضاء حاجاتهم وقلوبهم مستغرقة بهم غير غافلة عن مهماتهم فكان عليه السلام لعلو ماله من الدرجة فى المقام لا يمنعه امر هذا العالم عن حضور القلب مع الرب فكان ينزل عليه الوحى وهو فى فراش امرأته ومتى يسلم مثل هذا هذا المنصب لغيره فى حالته فلا ينبغى ان يقاس عليه من لا مناسبة له اليه واما عيسى عليه السلام فانه اخذ بالحزم فى طاعته لا بالقوة فى حالته ولعل كانت حاله توثر فيها الاشتغال بالاهل والعيال او يتعذر معهم طلب الحال اولا يتيسر له الجمع بين النكاح والتخلى للعبادة على وجه الكمال فآثر التخلى للعبادة فى عموم الاحوال وهم اعلم باسرار احوالهم واحكام اعصارهم فى مطالب اللوازم وسبحان من اقام العباد فيما اراد (ثم الاصل) اى الذى عليه مدار العمل فى النكاح والعزوبة ونحوهما (ترك الشاغل عنه تعالى) فقد قال عز وعلا * يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون * (فينظر) اى يتفكر ويتأمل (ويختار) ماهو الاولى من النكاح وتركه (بحسب الباطن) اى صفائه (وصلاح القلب) اى وضيائه (ويجتهد المتخلى) اى المتجرد للعبادة باختيار العزوبة (فى ترك اغذية) جمع غذاء وهو ما يتغذى به من غذاء وعشاء (تحرك الشهوة) اى تقويها من هريسة ونحوها (وقطعها بالصوم الدائم) فانه لها وجاء اى رياء كما تقدم واصل الوجاء رض الخصيتين (والاقتصار) اى بالاختصار (عند الافطار) على التوسط فى الاكل (وغض البصر) من المحرمات (وهو بالاعتزال يحصل على وجه الكمال والا فيتعسر فى جميع الاحوال (ووردقل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم) تمامه * ويحفظوا فروجهم وفى عطف الجملة الثانية اشارة الى ان مدارها على الاول فى المحافظة (وجعل عليه السلام لكل عضو زنا) فعن ابن مسعود العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزنى احمد والطبرانى هذا (اى خذ هذا او هذا مضى (والنظر يهيج الوساوس) اى يبعثها ويحرك الهواجس (وربما يتعلق القلب) بالمنظور اليه (ويتعذر الوصول) بما لديه (فيفضى) ذلك التعلق (الى التعب الشديد بما يستوفى القلب) من التعلق بالمطلب ويمنعه بالكلية عن ذكر الرب فعن عيسى عليه السلام انه قال اياكم والنظرة فانها تزرع فى القلب الشهوة كفى بها لصاحبها فتنة ولقد احسن القائل من اهل الفضائل حيث قال

(شعر)

* وانت اذا ارسلت طرفك رائد ❁ لقلبك يوما اتعبتك المناظر *
* رأيت الذى لا كله انت قادر ❁ عليه ولا عن بعضه انت صابر *

(وايضا كل عضو يصلح لنعمة اخروية) فالرجل للمشى فى رياض الجنة وقصورها واليد لكأس الشراب من طهورها وتناول ثمارها وحورها (فالعين للقائه تعالى فحقيق ان تصان) اى تحفظ عما ليس فى رضائه والله در القائل

(شعر)

* وكيف ترى ليلى بعين ترى بها * سواها وما طهرتها بالمدامع *
* وتظفر منها بالكلام وقد جرى * حديث سواها فى حروف المسامع *

(ثم الصواب) اى الطريق العدل للمتخلى (فى الكف) اى كف النظر وامتناع البصر (ان قدر)

على ذلك (والا فالنجاء) اى الفرار عما هنالك (ولا اثم ان فقد القصد) فى النظر (فورد) اى انه عليه السلام قال لعلى (لك الاولى وعليك الثانية) اى لك النظرة الاولى مباحة من غير قصد وعليك ضرر الثانية اذا كانت عن قصد (والضرر) اى ضرر النظر (فى الامرد اشد) اى اقوى من المرأة (لامتناع الوصول فى الشرع) وزيادة القبح فى الوصف والفرع (ويراعى المزوج الاعتدال فى الوقاع) اى الجماع وهو فى كل اربع من الايام والليالى كما سيأتى (فالافراط فى الجماع يقهر العقل) اى يغلبه (بصرف الهمة) اى تمامها (الى التمتع) بالشهوة ونظامها (ويحرم عن المقصود) الذى هو القيام بالعبادة (ويفضى الى تناول الاشياء المقوية للشهوة) من المعاجين والادوية والمركبة والمفردة (وهو) اى تناولها (كتنبيه السبع الضارى) اى الصائل على من يقربه والراحة فى العبد عنه او القرب اليه مع نومه (والعشق) اى ويفضى اليه (وهو) اى العشق المعبر عنه بفرط المحبة (يجعله اضل من الانعام حيث لا يفرق بين الحلال والحرام وربما يصير مجنونا فيما بين الانام وانما قال اضل منها لانها ترضى بقضاء شهوتها فى اى محل كان من نهمتها وهذا لضيق عقله لا يرضى الا فى غير محله ويحصر موضع قصده ولا يميل ابدا الى غيره (ويبلغ) عطف على يراعى اى ويوصل (الخطبة) بالكسر اى الرسالة باظهار الرغبة لكن لا فى حالة عدة المرأة ولا فى حال سبق غيره بالخطبة اذ نهى عن الخطبة على الخطبة ففى الصحيحين من حديث ابن عمر ولا يخطب على خطبة اخيه حتى يترك الخاطب قبله او يأذن له (وان كان تزويجها للولى) بان كانت صغيرة (وينظرها) اى ويرى وجه المخطوبة (قبله) اى قبل العقد (تقريبا للالفة) فيستحب النظر اليها فانه احرى ان يؤلف بينهما ففى الخبر اذا اوقع الله فى نفس احدكم من امرأة فلينظر اليها ابن ماجة بسند ضعيف من حديث محمد بن مسلمة والترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجة من حديث المغيرة بن شعبة انه خطب امرة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما وفى صحيح مسلم من حديث ابى هريرة ان فى اعين الانصار شيئا فاذا اراد احدكم ان يتزوج منهن فلينظر اليهن قيل كان فى اعينهن عمش وقيل صغر او صفر وكان من الورعين من لا ينكح كريمته الا بعد النظر احترازا من الغرر وعملا بالخبر وقال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم ولعل وجه الاكتفاء بالنظر لان الغالب اجتماع حسن الخلق والخلق فان الظاهر عنوان الباطن وللنسائى من حديث ابى هريرة بسند صحيح خير نسائكم التى اذا نظر اليها زوجها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته فى نفسه وماله وفى رواية ولا تخالفها فى نفسها ولا مالها (ويعقد فى المسجد) مع احضار جمع من اهل الصلاح فى المشهد (فورد اجعلوه) اى عقد النكاح (فى المساجد) رواه ابن ماجة عن عائشة مرفوعا بسند حسن وابن حبان من حديث عمرو بن امية الضمرى بلفظ اعلنوا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدف (وفى شوال) قد يتبادر من قوله فى شوال انه عطف على فى المساجد فيكون الامر به وارد اوليس كذلك بل هو عطف على فى المسجد اى ويعقد فى شوال ردا على من كره العقد بين العيدين (فيه) اى فى شوال (كان نكاح عائشة رضى الله عنها) اى عقدها (وزفافها) اى وصولها فى صحيح مسلم عن عائشة تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال وبنى بى فى شوال (وتقدم الخطبة) بالضم يعنى المعروفة فى السنة

وهى الحمدالله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذبالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل فلاهادى له واشهدان لااله الاالله وحده لاشريك له واشهدان محمدا عبده ورسوله ياايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا ياايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن الا وانتم مسلمون يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم و يغفرلكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما * رواه الاربعة والحاكم وابوعوانة عن ابن مسعود (والتحميدوالصلوة) اى على النبى عليه السلام (فكل من الايجاب والقبول) فيقول المزوج الحمدلله وصلوة على رسول الله زوجتك ابنتى فلانة على صداق كذا فيقول الزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله قبلت نكاحها لنفسى على هذا الصداق (ولايتزوج) اى امرأة (لعزها) اى جاهها (ومالها وجمالها) فورد وتنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين متفق عليه من حديث ابى هريرة (فقيه وعيد) وهومن نكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها كذا فى الاحياء ورواه الطبرانى فى الاوسط من حديث انس من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله الا ذلا ومن تزوجها لمالها لم يزده الله الافقرا ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله الادناءة ومن تزوج امرأة لم يزدبها الاان يغض بصره و يحصن فرجه او يصل رحمه بارك الله له فيها و بارك لها فيه ورواه ابن حبان فى الضعفاء لاتنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها ابن ماجة من حديث عبدالله بن عمر و بسند ضعيف (و يختار المدينة لئلا تفسد الدين) على زوجها (فورد عليك بذات الدين) كماتقدم (والحسنة الخلق) بالضم اى السيرة فانها احسن من الحسنة الخلق بالفتح وهو الصورة (ليحصل الفراغ) اى فراغ الخاطر وهذا اصل مهم فى الدين والدنيا بحسب الباطن والظاهر (والجميلة) اى الحسنة الصورة (فالصيانة فيه) اى فى هذا النوع (اكثر) والقناعة فيه اظهر وقد اخرج الحكيم الترمذى فى نوادره ان زكريا عليه السلام تزوج فتاة جميلة رابعة قد اشرق لها البيت حسنا فقيل له فى ذلك فقال اكف بها بصرى واحفظ بها فرجى (والممنوع) على ماتقدم (هوالاكتفاء بالجمال) مع قطع النظر عن صلاح الدين والكمال (الاان يكون) استثناء من قوله ويختار الجميلة (زاهدا) اى غير راغب فى لذات الدنيا (فيعرض عنه لانه من الدنيا) بل اكبر لهواتها واعظم شهواتها ولانه يقل مؤنة غير الجميلة وآفاتها وكان مالك بن دينار يقول يترك احدكم ان يتزوج يتيمة فقيرة فيوجر فيهاان اطعمها وكساها وتكون خفيفة المؤنة ترضى باليسيرو يتزوج بنت فلان وفلان يعنى ابناء الدنيا فتشتهى عليه الشهوات فتقول اكسنى كذا وكذا وقال ابوسليمان الدارانى الزهد فى كل شئ حتى فى المرأة تزوج الرجل بجوز ايثارا الزهد فى الدنيا واختار احمد بن حنبل عوراء على اختها وكانت اختها جميلة فسأل عن اعقلهما فقيل العوراء فقال زوجونى اياها (وقليلة المهر فورد خيرالنساء ارخصهن مهورا) ابن حبان من حديث ابن عباس ولفظه خيرهن ايسرهن صداقا (يمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها) ابن حبان من حديث عائشة من يمن المرأة تسهيل امرها وقلة صداقها اى مهرها

وقد جعل صداق فاطمة اربعمائة درهم وهى افضل النساء من جهة النسب والحسب اجماعا
(وحسن خلقها) يحتمل الضم والفتح وهو اظهر لما روى ابو عمر النوقانى ان اعظم النساء
بركة اصبحهن وجوها واقلهن مهورا ولفظ الاحياء ارخصهن مهورا واحسنهن وجوها ولا
حمد والبيهقى ان اعظم النساء بركة ايسرهن صداقا واسناده جيد وفى لفظ لهما من حديث عائشة
من يمن المرأة ان تيسر خطبتها وان تيسر صداقها وان تيسر رحمها قال عروة يعنى الولادة اسناد
جيد ووردانه عليه السلام تزوج بعض نسائه على عشرة دراهم واثاث بيت وكان رحى يد
وجرة ووسادة من ادم حشوها ليف كذا فى الاحياء وقال العراقى رواه ابو داود والطيالسى
والبزار من حديث انس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم على متاع قيمته عشرة دراهم قال
البزار روايته فى موضع آخر تزوجها على متاع بيت ورحى قيمتها اربعون درهما رواه الطبرانى
فى الاوسط ولاحمد من حديث على لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة ادم حشوها ليف
ورحائين وسقاء وجرتين ورواه ابن حبان والحاكم وصحح اسناده وابن حبان مختصرا وكان عمر
ينهى عن المغالات ويقول ما تزوج صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته باكثر من اربعمائة درهم
رواه اصحاب السنن الاربعة وصححه الترمذى وقد تزوج عبد الرحمن بن عوف على وزن نواة
من ذهب وتقويمها بخمسة دراهم واصل الحديث متفق عليه من حديث انس وزوج سعيد بن
المسيب ابنته من عبد الله بن وداعة على درهمين ثم جلها هو اليه ليلا فادخلها من الباب انصرف
فجاءها بعد سبعة ايام يسلم عليها (والولود لان الولد هو المقصود) اى الاعظم من النكاح
وهو التناسل كما تقدم (وورد عليكم بالولود) ابو داود والنسائى من حديث معقل بن يسار
تزوجوا الودود الولود واسناده صحيح وللبيهقى باسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسلا خير
نسائكم الولود الودود ولابن حبان من حديث بهز بن حكيم سوداء ولود خير من حسناء لا تلد
وعن عمر الحصير فى ناحية البيت خير من امرأة لم تلد (والبكر فورد هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك
متفق عليه من حديث جابر وقد نكح ثيبا (وفيها شدة المحبة والالفة) لما فيها من عدم الخلطة
والكلفة (والثيب تبغض صفات) فى الزوج الثانى (تخالف ما الوفتها) وتباين ما كانت
تلقى فى ازواجها من معروفاتها (ويميل طبعها الى الاول) كما قيل * ما الحب الا للحبيب الاول
ولذا قيل المرأة التى تزوجت بمتعدد تكون فى الجنة مع الاول وقيل مع الثانى وقيل مع احسنهم
خلقا وهو اظهر (وينفر الزوج الثانى لو ذكرته) اى الزوج الاول ببعض محاسنه كما فى العكس
(والنسيبة) الكائنة (من اهل الدين) كبنات العلماء والاشراف والصلحاء دون الظلمة
والامراء وسائر الاغنياء (ليسرى الصلاح الى الولد) فان الولد سرابيه (فورد اياكم
وخضراء الدمن) تمامه قيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء الدار قطنى
فى الافراد من حديث ابى سعيد الخدرى فقوله (اى الحسناء من منبت السوء) من اصل الحديث
لا من تفسير المصنف وذكر صاحب تحفة العروس عن عمر موقوفا ولفظه اياكم وخضراء الدمن
فانها تلد مثل اصلها وعليكم بذات الاعراق فانها تلد مثل ابيها وعمها واخيها والدمن جمع دمنة
بكسر الدال المهملة وهى البعر شبهت المرأة الحسناء الفاسدة بالنبات ينبت على البعر فى الموضع
الخبيث فان ظاهره حسن وباطنه فاسد والاعراق جمع عرق والمراد به الاصل وقد ورد

تخيروا لنطفكم ابن ماجة من حديث عائشة مختصرا والديلمي في مسند الفردوس من حديث انس تزوجوا في الحجر الصالح فان العرق دساس (وغير القرابة القريبة فهي تنقص الشهوة) لان ميل النفس غالبا الى القريبة ولذا تضعف الشهوة بالنسبة الى العتيقة وتقوى عند رؤية الجديدة فضعف الشهوة يستلزم الهزال في الولد وهذا معنى قوله (ونهى عنه معللا بان الولد خلق مهزولا) فعن عمر انه قال لآل السائب قد اضويتم فانكحوا في الترابع رواه ابراهيم الحربي في غريب الحديث وقال معناه تزوجوا الغرائب ويقال اغتربوا لا تضووا وللطبراني من طلحة بن عبيد الله الناكح في قومه كالمعشب في داره وفي اسناده سليمان بن ايوب بن سليمان الطلحي قال ابن عدي عامة احاديثه لا يتابع عليه احد ورواه يعقوب بن شيبة في مسنده وقال احاديثه عند صحاح ورجحها الضياء المقدسي في المختارة (وجاء الاجتناب عن الطويلة المهزولة والقصيرة الدميمة) بالمهملة اي القبيحة وبالمعجمة اي المذمومة (والمسنة) اي العجوز الكبيرة (والمكثارة) اي الكثيرة الكلام (وذات ولد) اي من غيره ففي مسند الامام ابي حنيفة عن حماد عن ابراهيم قال اخبرني شيخ من اهل المدينة عن زيد بن ثابت انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تزوجت يا زيد قال لا قال تزوج تستعف مع عفتك ولا تتزوجن خمسا قال ما هن قال لا تتزوجن شهبرة ولا نهبرة ولا لهبرة ولا هيدرة ولا لغوتا قال زيد يا رسول الله لا اعرف شيئا مما قلت قال بلى اما الشهبرة فالزرقاء البدنة واما النهبرة فالطويلة المهزولة واما اللهبرة فالعجوز المدبرة واما الهيدرة فالقصيرة الدميمة واما اللغوت فذات الولد من غيرك قال الشيباني ضحك ابو حنيفة من هذا الحديث طويلا قلت والحديث رواه الديلمي عن ابي هريرة وقال بعض العرب لا تنكح من النساء استانانة ولا منانة ولا حنانة ولا براقة ولا حداقة ولا شداقة فالاتانة التي تكثر الانين والمنانة التي تمن على زوجها بخدمتها اومالها والحنانة التي تحن الى زوج آخر اولها ولد من زوج آخر والحداقة التي ترمي كل شيء لحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج بشرائه مما لا طاقة له فيه والبراقة التي تكون طول نهاره في تصقيل وجهها وتزيين بدنها والشداقة المشدقة الكثيرة الكلام ويحكى ان السائح الازدي لقي الياس عليه السلام في سياحته فامره بالتزوج ونهاه عن التبتل وقال لا تنكح اربعا المختلفة والمبارية والعاهرة والناشزة فالمختلعة هي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب وعلة والمبارية الماهية لعزها المفاخرة بمالها والعاهرة الفاسقة والناشزة المرتفعة بنفسها على زوجها والمخالفة في امرها ونهيها (ثم رعاية تلك الاوصاف في الزوج اولى) فان الطلاق بيد من له الساق فالوقوع في تصرفه اقوى كما لا يخفى وعن عائشة واسما بنتي الصديق النكاح رق فلينظر احدكم ابن يضع كريمته قال البيهقي روى ذلك مرفوعا والموقوف اصح ورد من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها ابن حبان في الضعفاء من حديث انس ورواه الثقات من قول الشعبي باسناد صحيح وروى ان بلالا وصهيبا اتيا اهل بيت من العرب فخطبا اليهم فقيل لهما من انتما فقال بلال انا بلال وهذا اخي صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فاعتقنا الله وكنا عائلين فاغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان ترودتمونا فسبحان الله فقالوا بل تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله عليه وسلم فقال اسكت فقد صدقت فانكحك الصدق وكما تكره المغالاة في المهر من جهة المرأة يكره سؤال الرجل ايضا عن مالها قال

الثورى اذا تزوج الرجل وقال اى شئ للمرأة فاعلم انه لص وقال رجل للحسن قد خطب ابنتى جماعة فمن ازوجها قال ممن يتقى الله فانه ان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها وعن على شر خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المرأة اذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت مزهوة استنكفت ان تتكلم كل احد بكلام لين مريب فى حقها وان كانت جبانة فرقت من كل شئ فلم تخرج من بيتها قيل واذا كانت المرأة حسناء خيرة الاخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهى على صورة الحور العين فان الله عز وجل وصف نساء الجنة بهذه الصفات فى قوله * خيرات حسان * اراد بالخيرات حسن الاخلاق وفى قوله ۞ قاصرات الطرف * وفى قوله * عربا اترابا ۞ بالعروب هى العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبذلك تتم اللذة والحور البيض والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها فى سواد الشعر والعيناء الواسعة العين هذا وفى الحديث لاتزوجن عجوزا ولاعاقرا فانى مكاثر بكم الامم الطبرانى والحاكم عن عياض بن غنم وللشيرازى عليكم بشواب النساء فانهن اطيب افواها وانتق بطونا اى ارحاما وامخن اقبالا (وبهادى) اى كل منهما صاحبه قبل التزوج او الرجل لانه اولى ان يكون فى هذا الفعل هو البادى (فورد تهادوا تحابوا) لبخارى فى كتاب الادب المفرد والبيهقى من حديث ابى هريرة بسند جيد واذا اهدى شيئا فلا ينبغى ان يهدى ليضطرهم الى المقابلة باكثر منه وكذا اهدوا اليه فنية طلب الزيادة فاسدة كما يشير اليه قوله تعالى ۞ ولاتمنن تستكثر ۞ اى لاتعط لتطلب اكثر (ويؤلم) اى يصنع الوليمة وهى طعام العرس للمرأة الكريمة (فهو مروى عنه عليه السلام قولا) وهو قوله عليه السلام لابن عوف اولم ولو بشاة مالك والجماعة عن انس والبخارى عن ابن عوف (وفعلا) فى البخارى من حديث عائشة اولم على بعض نسائه بمدين من شعير وفى السنن الاربعة من حديث انس اولم على صفية بسويق وتمر ولمسلم فجعل الرجل يجئ بفضل التمر وفضل السويق وفى الصحيحين والتمر والاقط والسمن (ويعجل بها فهى فى اليوم الاول سنة) اى مؤكدة قريبة الى الواجب (وفى الثانى متعارف) اى استحبابه (وفى الثالث رياء) اى وسمعة فى بابه فعن ابن مسعود مرفوعا طعام اول يوم حق وطعام الثانى سنة وطعام الثالث سمعة الترمذى والمعنى اذا احدث الله تعالى نعمة لعبد حق له ان يحدث شكرا واستحب ذلك فى الثانى جبرا لما يقع من النقصان فى اليوم فان السنة مكملة للواجب واما اليوم الثالث فليس الا رياء وسمعة ومن هنا قالوا تجب الاجابة على المدعو فى الاول ويستحب فى الثانى ويحرم فى الثالث ثم يستحب التهنية له بان يقال له بارك الله لك وعليك وجمع بينكما فى خير كما رواه ابوداود والترمذى وصححه وابن ماجة عن ابى هريرة (ولايخطب على خطبة اخيه) وقد تقدم ماورد من نهيه عليه السلام (فهو ايذاء) اى للمؤمن وهو حرام قال تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا وورد من آذى مسلما فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله الطبرانى فى الاوسط عن انس (ويعلن) اى خطبة النكاح فان الخطبة يستحب اسرارها (فورد اعلنوا النكاح) تمامه واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدف الترمذى من حديث عائشة وحسنه وفى صحيح البخارى عن الربيع بنت معوذ جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم فدخل على غداة ليلة بنى بى فجلس على فراشى وجويريات لنا يضربن بدفوفهن ويندبن من آبائى الى ان قالت احديهن وفينا نبى يعلم مافى غد فقال لها اسكتى عن هذا قولى ماكنت تقولين قبلها وللترمذى وحسنه وابن ماجة من حديث محمد بن حاطب فصل مابين الحلال والحرام الدف والصوت اى فرق مابينهما بحسب الظواهر عندالعامة فان العقد بحضرة الشهود غالبا يكون فى السرائر مع الخاصة وقال الفقهاء المراد بالدف مالاجلاجل اذوقع على خلاف القياس فيقتصر على مورده اذلم يكن فى دف زمانه عليه السلام جلاجل وايضا فهى زيادة مستغنى عنها بحصول المقصود بدونها (وينثر السكر واللوز على رأسها و ينتهب القوم فهو سنة) فقد اخرج ابو جعفر الطحاوى بسنده وكذا البيهقى عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حضر ملاك رجل من الانصار فجاءت الجوارى معهن الاطباق عليها اللوز والسكر فامسك القوم ايديهم فقال عليه السلام لم لاتنتهبون قالوا انك نهيت عن النهبة قال اما العرسان فلا قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاذبهم ويجاذبونه واحتج به الطحاوى على ان النثار غير مكروه كما ذهب اليه ابو حنيفة وخص به عليٌّ احاديث التى فيها النهى عن النهبة (و يغسل الزوج رجليها و يرمى الماء فى زوايا البيت ليدخله البركة) لم اجد له اصلا وانما اخرج احمد فى المناقب من حديث ابى يزيد المدنى وقال فارسل النبى الى على اى بعد عقد فاطمة لاتقرب حتى آتيك فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فدعا بماء فقال ماشاء الله ان يقول ثم تضمخ منه على وجهه ثم دعا فاطمة فقامت اليه تعثر فى ثوبها ورمى ما قال فى مرطها من الحياء فنضح عليها ايضا وفى رواية ابن حبان عن انس انه عليه السلام لما زوج عليا فاطمة دخل البيت فقال لفاطمة آتينى بماء فقامت الى قعب فى البيت فاتت فيه بماء فاخذه ومج فيه ثم قال لها تقدمى فتقدمت فنضح بين ندييها وعلى رأسها وقال * اللهم انى اعيذها بك وذريته من الشيطان الرجيم ثم قال ادبرى فادبرت فصب بين كتفيه ودعا بما تقدم ثم قال له ادخل باهلك بسم الله والبركة (و ينوى فى المباشرة) اى المجامعة (تحصين الفرج) وكذا العين لقوله سبحانه * قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم و يحفظوا فروجهم * (وتفريغ القلب) اى عما يشغله عن ذكر الرب (ويسمى فى ابتداء الوقاع) اى قبل الجماع (و يقرأ الفاتحة) لم اجده الا فى الاحياء من غير بيان الانباء (و يسأله تعالى الذرية الطيبة) اقتداء بزكريا عليه السلام حيث قال * قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء (ومجانبة الشيطان فهو مأمور به) فروى الجماعة عن ابن عباس انه اذا اراد الجماع قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فانه لوقضى بينهما ولد لم يضره وفى رواية للبخارى لم يضره شيطان ابدا ولابن ابى شيبة عن ابن مسعود موقوفا قال واذا انزل قال اللهم لاتجعل للشيطان فيما رزقتنى سبيلا ومن آدابه ان ينحرف عن القبلة اكراما لها و يغطى نفسه واهله ثوب فقد قال عليه السلام اذا جامع احدكم امرأته فلايتجردا تجرد البعيرين ابن ماجة من حديث عتبة بن عبد بسند ضعيف وتقدم المكالمة والملاعبة والقبلة فللديلمى فى مسند الفردوس من حديث انس لايقعن احدكم على امرأته كما يقع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل وما الرسول يارسول الله قال القبلة والكلام (و يجتنب الليل الاول من الشهر والآخر والوسط فهو) وفى نسخة فهى (اوقات حضور الشيطان) و يقال

ان الشياطين يحضرون الجماع فى هذه الليالى و يقال ان الشياطين يجامعون فيها وروى كراهية ذلك عن على ومعاوية وابى هريرة كذا فى الاحيا (واول الليلة) اى و يجتنب اول كل ليلة (ليكون النوم على الطهارة) فانه اولى من ان يكون نومه على جنابة وان جامع فيها فيستحب ان يغتسل او يتوضأ او يتيمم ثم يرقد فى حديث عمر قلت للنبى صلى الله عليه وسلم اينام احدنا وهو جنب قال نعم اذا توضأ متفق عليه وعن عائشة كان ينام جنبا لم يمس ماء ابوداود والترمذى وابن ماجة (و يلبث بعد الفراغ) اى و يمكث الرجل بعد فراغ منيه (للفرغ) اى المرأة من انزال منيها فان انزالها ربما يتأخر فيتهيج شهوتها ثم القعود عنها يكون ايذاء لها (و يباشر كل اربع ليال فهو الاعتدال استدلالا باباحة الاربع) فقد روى ان امرأة جاءت الى عمر رضى الله عنه وعنده كعب بن سؤر فقالت يا امير المؤمنين ان زوجى يصوم النهار و يقوم الليل وانا اكره ان اشكوه فقال عمر نعم الرجل زوجك فرددت كلامها وعمر لا يزيدها على ذلك فقال كعب يا امير المؤمنين انها تشكو زوجها فى هجرة فراشها فقال له عمر فكما فهمت اشارتها فاحكم بينهما فارسل الى زوجها فجاء فقال لها كعب ماتقولين فقالت

(شعر)

* يا ايها القاضى الحكيم ارشده * الهى خليلى عن فراشى مسجده *
* زهده فى مضجعى تعبده * نهارة و ليله ما يرقده *
* ولست فى امر النساء احده * فقال لزوجها ماتقول فقال
* زهد فى فراشها وفى الكلل * انى امرؤ اذهلنى ماقد نزل *
* فى سورة النجم وفى السبع الطول * فقال له كعب
* ان لها عليك حقا يا رجل * نصيبها فى اربع لمن عقل *
* فاعطها ذاك ودع عنك العلل *

فقال له عمر من اين لك هذا قال لان الله تعالى اباح للحر اربع زوجات فلكل واحدة يوم وليلة فاعجب ذلك عمر وجعله قاضى البصرة كذا فى الشمنى شرح النقاية مختصر الوقاية وهو ولى الهداية فى البداية والنهاية (و يزيد لحاجتها) وكذا لحاجته (فتحصينها واجب) وكذا تحصينه بل اوجب فى مقام دينه وحال يقينه (و يتخذ كل منهما خرقة) اى نظيفة (لازلة الاذى) وهو المنى لانه نجس عندنا وعلى القول بطهارته كما هو فى مذهب الشافعى فلا يخلو عن كراهة الطبيعة مع ان الخروج عن الخلاف مستحب باجماع علماء الشريعة (و يضاجع الحائض) اى و يرقد معها ولا يجتنب عن ان يعانقها (و يواكلها و يشاربها مخالفة للمجوس) واخوانهم من الروافض المنحوس (ولا يأتيها جانب الدبر فهو) وفى نسخة فهى (المواطة الصغرى) ولو جانب لفظ الجانب لكان احسن فى تعيين المراتب فانه تعالى قال * نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انا شئتم اى مقبلات ومدبرات ومستقليات والترمذى عن ابن عباس وقال حسن صحيح ان عمر جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هلكت قال وما الذى اهلكك قال حولت رحلى البارحة فلم يرد عليه شيئا واوحى اليه * نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم * يقول اقبل وادبر واتق الدبر والحيضة كذا فى المعالم وفى الصحيحين ان قوله نساؤكم حرث لكم

الآية نزلت ردا لليهود كانت تقول فى الذى يأتى المرأة من دبرها فى قبلها ان يكون الولد احول ثم المراد بالحرث موضع الزراعة ومنبت الولد واما الدبر فهو محل الروث والفرث وانما قال اللواطة الصغرى فان الكبرى انما هى مع الرجال ولا خلاف بين السلف والخلف ان غشيان المرأة والجارية فى دبرها ملعون فاعله ونص مالك بحرمته فما نقل عنه افتراء ليس فيه امتراء كيف وغشيان الحائض حرام لكونه اذا واذى الدبر اشد واقوى وقد ورد عن احمد فى المسند وابى داود عن ابى هريرة مرفوعا الملعون من اتى امرأة فى دبرها وفى رواية لاحمد واصحاب السنن الاربعة عنه ايضا من اتى كاهنا فصدقه بما يقول او اتى امرأة حائضا او اتى امرأة فى دبرها فقد برئ مما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم (ولا يدوم على ترك الوطئ فهو يضعف القوة) اى على قواعد اهل الحكمة ولعل هذا بالنسبة الى كثير الشهوة (ولا يباشر بعد مباشرة او احتلام الا ان يغسل نفسه) اى ذكره (او يبول) فانهما يقطعان المنى فاذا خرج بعدهما شئ يكون مذيا (ولا يعزل) والمعتمد ان ان يستأمر الحرة فى العزل دون الامة وكره جماعة العزل مطلقا لما ورد من قوله عليه السلام هو الوأد الخفى كما فى مسلم من حديث جذامة بنت وهب فانه القتل الحكمى (فهو) اى العزل (كالجلوس فى المسجد بلا عبادة) لان طاعة فى موضع ليس فيه اثر فائدة سعادة (والاقامة بمكة بلا حج) اى فى كل سنة وكذا بلا طواف فى كل يوم وليلة فالمراد بالكراهة ترك الاولى والفضيلة ويغاير العزل الوأد الجلى بان الثانى جناية على موجود او مشهود ولذا قال على كرم الله وجهه لا يكون موؤدة الا بعد سبع اى سبعة اطوار وتلا الآية الواردة فى اطوار الخلقة وهى قوله تعالى ۞ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين * الى قوله * ثم انشأناه خلقا آخر * اى نفخنا فيه الروح (ولا يأبه) اى بالعزل (ان نوى استبقاء الملك فى الجارية) بترك الاعتاق ثم اذ قطع اسبابه ليس بمنهى عنه (والحسن والسمانة للتمتع) اى واستبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع بها (والحياة) اى واستبقاء الحيوة (بالحرز عن المخاض) وهو وجع النفاس حال الطلق وهذا ايضا ليس منهيا عنه (والخوف) اى وان نوى المخافة (من الافضاء الى كسب الحرام) بسبب كثرة الاولاد وما يترتب عليه من كثرة الخروج فى البلاد ودخول مداخل السوق ومحافل الفساد ومشاركة اهل العناد ومباعدة الزهاد والعباد وهذا ايضا ليس بمنهى عنه (فكانوا) اى الصحابة (يعزلون ومانهوا عنه) فى الصحيحين عن جابر كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل زاد مسلم فلبغ ذلك نبى الله فلم ينهنا وفى رواية لمسلم من حديث ابى سعيد انهم سألوه عن العزل فقال لا عليكم ان لا تفعلوا ورواه النسائى من حديث ابى صرمة وفى صحيح مسلم عن جابر ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان لى جارية وهى خادمنا وسانيتنا فى النخل وانا اطوف عليها واكره ان تحمل فقال اعزل عنها ان شئت فانه سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ثم اتاه فقال ان الجارية قد حبلت فقال قد اخبرتك انه سيأتيها ما قدر لها وفى الصحيحين من حديث ابى سعيد ما من نسمة قدر كونها الا وهى كائنة (وان كان فيه) اى ولو فى العزل خوفا من الافضاء الى كسب الحرام (ترك الفضيلة وهو التوكل) والضمان بثقة الله عز وجل حيث قال * وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها (فورد من ترك النكاح مخافة العيلة فليس منا) اى من اخلاقنا وقد سبق الكلام عليه (ويأثم ان خاف ولادة البنت) لما فى

تزويجهن من المعرة (فهو) اى خوفها (عادة الجاهلية) فى قتلهم البنات ووأدهن فى حال الحيوة كما اخبر الله سبحانه عنهم فى الكتاب * واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء مابشر به ايمسكه على هون ام يدسه فى التراب * (اوارادبه المبالغة فى النظافة) يتعززها وكمال تحرزها من الطلق والنفاس والرضاع وما تبعها فيأثم بالعزل اذا نواها (فهو) اى العزل بهذا القصد (بدعة) لانها عادة الجوارح لمبالغتهن فى استعمال المياه حتى كن يقضين صلوة ايام الحيض ولايدخلن الحلاء الا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهى نية فاسدة وقد استأذنت واحدة منهن على عائشة لما قدمت البصرة فلم تأذن لها (ويفرح بالمولود) غائه المقصود فى ميدان الوجود وايوان الشهود (فوردانه نور) اى للعين (فى الدنيا وسرور) اى للقلب (فى الآخرة) اى عند شفاعته فى العقبى ولم اجد له اصلا وقد قيل الولد اذا عاش نفع واذا مات شفع وقد ورد الولد ثمر القلب وانه مجبنة محزنة مبخلة ابو يعلى الموصلى عن ابى سعيد وفى رواية الحكيم عن خولة بنت حكيم الولد من ريحان الجنة وفى الجملة هو هبة من الله كما يشير اليه قوله سبحانه * يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور (ولايغتم بالبنت لان اصلاح مستور) اذقد يكون الابن صالحا والبنت بخلافه وقد يكون الامر بالعكس او يراد بالصلاح النفع والنجاح وهو ايضا مبهم كما يشير اليه قوله تعالى * آباؤكم وابناؤكم لاتدرون ايهم اقرب لكم نفعا (ويزداد فرحا) اى لولادة البنت بالتكلف فيه باظهاره (مخالفة للجاهلية) حيث قال تعالى * واذا بشر احدهم بماضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم وورد من خرج الى سوق من اسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه الحرائطى بسند ضعيف وفى رواية له فبدأ بالاناث قبل الذكور (وورد بركة لمرأة تبكيرها) اى اول ولادتها (بالبنات) الديلمى عن عائشة وواثلة كلاهما مرفوعا بلفظ من بركة المرأة تبكيرها بالاناث وحكاه ابن عطية عن الثعلبى موقوفا على واثلة بلفظ من يمن المرأة تبكيرها بالانثى قبل الذكر لان الله تعالى بدأ بالاناث يعنى قوله تعالى * يهب لمن يشاء اناثا * وعن ابن عباس ان رجلا دعا على بناته بالموت فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاتدع فان البركة فى البنات ذكره السخاوى (من ابتلى منهن) اى بالبنات (بشئ) اى قل لا او كثيرا (فاحسن اليهن) بالتربية (كن له سترا من النار) اى حجابا احمد والشيخان والترمذى عن عائشة بلفظ من ابتلى من هذه البنات الحديث وعن ابن عباس مامن احد يدرك ابنتين فيحسن اليهما ماصحبتاه الا ادخلتاه الجنة ابن ماجة والحاكم وقال صحيح الاسناد وعن انس من كان له ابنتان او اختان فاحسن اليهما صحبتا كنت انا وهو فى الجنة كهاتين الحرائطى فى مكارم الاخلاق بسند ضعيف ورواه الترمذى بلفظ عال جاريتين وقال حديث حسن غريب وعن ابن مسعود من كانت له ابنة فادبها فاحسن ادبها وغذاها فاحسن غذاءها واسبغ عليها من النعم التى اسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة الطبرانى فى الكبير والحرائطى فى مكارم الاخلاق وعن ابى هريرة كانت له ثلاث بنات او اخوات فصبر على لاوائهن وضرائهن ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهن فقال رجل واثنتان يارسول الله قال واثنتان فقال رجل او واحدة قال او واحدة الحرائطى واللفظ له والحاكم ولم يقل او اخوات وقال صحيح الاسناد (ويؤذن فى اذنه اليمنى) اى فى اول مايولد ليكون اول مايقرع

سمعه ذكر الله عزوجل ودعوة الداعي الى طاعته وعبادته (ويقيم في ليسرى) فيكون سببا لحضوره في المسجد واداء الصلوة بجماعة وعن ابي رافع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن في اذن الحسين حين ولدته فاطمة احمد واللفظ له وابوداود والترمذي وصححه الا انهما قالا الحسن مكبرا (فورد فيه) اى فيما ذكر من الاذان والاقامة او في جمعهما (دفعت عنه ام الصبيان) فانها من جنس الشيطان وهم يبعدون عن الاذان لكمال العدوان وعن الحسين بن علي من ولد له مولود فاذن في اذنه اليمنى و قام في اذنه اليسرى دفعت عنه ام الصبيان ابو يعلى الموصلي وابن السني في اليوم والليلة والبيهقي في شعب الايمان (ويقطع سرته ويميط الاذى) اى يزيله وهو الدم ونحوه عن بدنه الشريف (وترضعه الام) اى ولو مرة فانه اول تربية فيختص باشفق الناس وارحمها وليصدق على امه ماقال تعالى * حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا * والتخرج عن عهدة ظاهر الامر في قوله سبحانه * والوالدات يرضعن اولادهن الآية وقوله (فهو سنة) لم اجد لها اصلا (ولا تسأم) اى لا تمل الام وفي نسخة ولا تتسام بصيغة المعلوم للمؤنث او المجهول للذكر (ولا يتبرم ولا يتضجر احد ببكائه فهو ذكر كما ورد) عن ابن عمر مرفوعا بكاء الصبي الى شهرين شهادة ان لا اله الا الله والى اربعة اشهر الثقة بالله والى ثمانية اشهر الصلوة على النبي عليه السلام ولسنتين استغفار لوالديه اخرجه الديلمي بسند ضعيف وفي لفظ لغيره بكاء الصبي في المهد اربعة اشهر توحيد واربعة اشهر صلوة على نبيكم واربعة اشهر استغفار لوالديه ذكره السخاوي في القول البديع (وجاء الاختتان في اليوم السابع) فانه مهما كان صغيرا يبقى القطع يسيرا وقد روى الطبراني في الصغير حديث جابر بسند ضعيف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة ايام ورواه الحاكم وصحح اسناده والبيهقي من حديث عائشة (وقبل يؤخر عنه) اى حتى يصير كبيرا (مخالفة لليهود) فانهم يعجلون في هذا الامر (وتحاميا عن الخطر) اى خطر المولود عن الموت فان الخطر في حال الصغر اكثر من زمان الكبر (ووقته) اى وقت غاية تأخير (سبع سنين) او عشر سنين او مايطاق الم فيه وقد اختتن ابراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين وذلك لانه امر حينئذ فهو اول من اختتن وترك لو ولد شبيها بالمختونين (وتختن الانثى) اى البنت (فورد انه مكرمة) اى سبب كرامة عند ازواجهن عن ابن عباس الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء الطبراني (وهو) اى اى ختان الانثى (ينضر الوجه) اى يحسنه (ويقلل الشهوة) اى يسكنها (ويلذ الوقاع) اى الجماع (ويحبب الى الزوج) وهو سبب محبة الزوجة (ولا يبالغ) بصيغة المجهول (فيه) اى في الختان او في ختانها بالخصوص (ويحسن الاسم) اى اسم ولده فانه من جملة حقوقه على والده (فورد حسنوا اسماء اولادكم) ابو داود من حديث ابي الدرداء قال النووي باسناد جيد وقال البيهقي انه مرسل ولفظه انكم تدعون يوم القيمة باسمائكم واسماء آبائكم فاحسنوا اسماءكم وورد حق الولد على والده ان يحسن اسمه و يزوجه اذا ادرك و يعلمه الكتابة ابو نعيم والديلمي عن ابي هريرة وفي رواية زيادة والسباحة والرماية (والتعبيد) اضافة العبد الى اسماء الرب (احب) اى افضل (فورد اذا سميتم) اى اردتم ان تسموا اولادكم (فعبدوا) الطبراني من حديث عبد الملك بن زهير عن ابيه

(واحب الاسماء الى الله عبدالله وعبدالرحمن) مسلم من حديث ابن عمر (ولايجمع بين اسمه عليه السلام وكنيته فهو) اى الجمع بينهما (منهى عنه) لحديث سموا باسمى ولاتكنوا بكنيتى متفق عليه من حديث جابر وفى لفظ تسموا فقيل النهى عن التكنية وحدها وكان هذا المنع فى عصره اذا كان ينادى بابا القاسم فلابأس بعده نعم لايجمع بين اسمه وكنيته لما رواه احمد وابن حبان من حديث ابى هريرة ولابى داود والترمذى وحسنه وابن حبان من حديث جابر من تسمى باسمى فلايكتنى بكنيتى ومن تكنى بكنيتى فلايتسمى باسمى (وقيل كان ذلك) اى النهى عن الجمع بينهما (فى عهده عليه السلام) اى فى زمانه لعلة الالتباس واما اليوم فلا (و يبدل الاسم السئ) اى يغيره بغيره من الاسم الحسن (فبدل عليه السلام اسم العاص بعبدالله و برة) بفتح الموحدة (بزينب وقال) باستفهام مقدار انكارا لها (تزكى نفسها) فان برة مبالغة بارة وهى عاملة البر بالكسر رواه الشيخان عن ابى هريرة نحوه (ونهى) اى عليه السلام (عن افلح) اى عن التسمية بافلح (ونافع و بركة) رواه مسلم من حديث سمرة بن جندب الا انه جعل مكان بركة رباحا (تحاميا عما قيل) اى يقال (ليس فى الدار بركة) يعنى اونافع اوافلح وامثال ذلك (و يسمى السقط وان جهل صفته) اى من الذكورة والانوثة (فيما) اى فيسمى باسم (يصلح للذكر والانثى) بان يكون فى آخره تاء (كحمزة وطلحة) فعن عبد الرحمن ابن يزيد بن معاوية قال بلغنى ان السقط يوم القيمة وراء والديه يقول انت ضيعتنى انت تركتنى لااسم لى فقال عمر بن عبدالعزيز كيف وقد لايرى انه غلام اوجارية فقال عبدالرحمن من الاسماء مايجمعهما كحمزة وعمارة وطلحة وعتبة وعنبسة (ولايكنى بابى عيسى اذلاب له) اى لعيسى عليه السلام (ونهى عنه) اى عن التكنى المذكور لما يوهم من خلاف المرام فى سمع العوام ففى الاحياء سمى رجل ابا عيسى فقال عليه السلام ان عيسى لاب له فكره ذلك انتهى ولم يتعرض له مخرجه (و يعق عن الابن بشاتين وعن البنت بشاة) ولابأس بالشاة ذكرا كان اوانثى (فى اليوم السابع) من الولادة (فهو مأمور به) لروت عائشة انه عليه السلام امر فى الغلام بشاتين مكافيتين وفى الجارية بشاة الترمذى وصححه (وعق عن الحسن بشاة) واحدة وهذا رخصة فى الاقتصار على شاة واحدة والحديث رواه الترمذى من حديث على وقال ليس اسناده بمتصل ووصله الحاكم وصححه الا انه قال حسين ورواه ابوداود من حديث ابن عباس الا انه قال كبشا وللبخارى من حديث سلمان ابن عامر الضبى مع الغلام عقيقته فاهر يقوا عنه دما وامیطوا عنه الاذى وعن عائشة لايكسر للعقيقة عظم كذا فى الاحياء ولعل وجهه تفاؤلا بصحة الاعضاء وقال قتادة اذا ذبحت العقيقة اخذت صوفة منها فاستقبل بها او داجها ثم توضع على يافوخ الصبى حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل رأسه و يحلق بعده كذا فى الاحياء (و يحلق رأسه) اى فى السابع لماسيأتى اوفى الاربعين كما عليه عمل اهل الحرمين (يتصدق على وزن شعره ذهبا اوفضة) وهى المعروف كماسيأتى (فامرت به فاطمة فى الحسين فى اليوم السابع) قال العراقى حديث امر فاطمة يوم سابع حسين ان يحلق شعره و يتصدق بزنة شعره فضة الحاكم وصححه من حديث على وهو عند الترمذى منقطع بلفظ حسن ورواه احمد من حديث ابى رافع (و يطلى السكر) اى يلطخه ان تيسر اوالعسل (اوالتمر الممضوغ فى لهاته) بفتح

اللام اى اقصى حلقه من حنكه (فعله عليه السلام لعبدالله بن الزبير حين جاءت به امه اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنهم) ففى الصحيحين عن اسماء ولدت عبدالله بن الزبير بقبا ثم اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه فى حجره ثم دعا بتمرة فضغها ثم تفل فى فيه فكان اول شىء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا له و برك عليه وكان اول مولود ولد فى الاسلام ففرحوا به فرحا شديدا لانهم قيل لهم ان اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم وبقية حقوق الولد ذكرت فى باب الصحبة

﴿ الباب السادس فى الكسب والورع ﴾

اى المترتب عليه قطع الطمع ولبعض الاكابر قوام الدنيا والدين العلم والكسب فمن رفضهما وقال ابتغى الزهد لا العلم والتوكل لا الكسب وقع فى الجهل والطمع كذا فى ربيع الابرار للزمخشرى (بسم الله الرحمن الرحيم) و به استعين فى كل امر كريم قال تعالى *وجعلنا الليل معاشا* وابتغوا من فضل الله * اى رزقه * وانفقوا من طيبات ما كسبتم * الآية (ورد من طلب الدنيا حلالا) اى حال كون المطلوب حلالا (تعففا عن المسألة) اى لاجل عفة نفسه عن سؤال مخلوق (وسعيا على عياله) من زوجته واطفاله (وتعطفا) اى ترحما وتلطفا (على جاره) من الفقراء فى تحسين حاله وتزيين باله (لقى الله) اى يوم القيمة فى مأكه (ووجهه كالقمر ليلة البدر) من حسن جماله وكمال منواله (ومن طلب الدنيا تفاخرا) اى حال كونه متفاخرا بتحصيل ماله (مكاثرا) على اقرانه وامثاله (لقى الله وهو عليه غضبان) والله المستعان والحديث رواه ابو الشيخ فى كتاب الثواب وابو نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الايمان من حديث ابى هريرة ومن الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم فى طلب المعيشة الطبرانى فى الاوسط وابو نعيم فى الحلية وعن لقمان الحكيم لابنه استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا اصابه ثلاث خصال رقة فى دينه وضعف فى عقله وذهاب لمروءته واعظم هذه الثلاث استخفاف الناس به وكان عمر يقول لا يقعد احدكم عن طلب الرزق و يقول اللهم ارزقنى فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وكان زيد بن سلمة بغرس فى ارضه فقال عمر اصبت استغن عن الناس تكن اصون لدينك واكرم لوجهك كيف قال صاحبك اجيحة

(شعر)

* فلن ازال على الزوراء اعمرها * ان الكريم على الاخوان ذو المال *

(فالكسب سنة الانبياء) منهم داود عليه السلام لقوله تعالى * وعلمناه صنعة لبوس لكم * واول من زرع آدم عليه السلام (والاولياء) ومنهم اكثر الصلحاء (وفيه) اى فى الكسب (ستر الحال) اى مما فيه من العلم والاعمال فيكون من الاتقياء الاصفياء وممن قال عز وجل فيهم * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله * الآية (وهو) اى الكسب (اولى لظاهر العمل) اى اى للمشتغل بالاعمال الظاهرة من التلاوة والعبادة فالكسب فى حقه احرى (من الاخذ بالسؤال و بغيره) كالطمع فى اموال الرجال (فالفارغ) من الكسب لتحصيل الحلال (سائل بلسان الحال) ان لم يكن سائلا ببيان المقال و ربما لسان الحال اكشف فى تحصيل المآل ومن هنا ورد ان الله

يحب ان يرى عبده تعبا فى طلب الحلال الديلمى عن على وفى رواية ابن عدى عن ابن عمر ان الله يحب المؤمن المحترف وورد من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر الترمذى من حديث ابى كبشة الانمارى وقال حسن صحيح وعن ابن مسعود انى لاكره ان ارى الرجل فارغا لافى امر دنياه وجاءت ريح عاصف فى البحر فقال اهل السفينة لابراهيم بن ادهم اما ترى هذه الشدة فقال ماهذه شدة انما الشدة الحاجة الى الناس وقيل لاحمد ماتقول فيمن جلس فى بيته اومسجده وقال لااعمل شيئا حتى يأتينى رزقى فقال احمد هذا رجل جهل العلم اما سمع قوله عليه السلام ان الله جعل رزقى تحت رمحى وفى مسند احمد من حديث ابن عمر جعل رزقى تحت ظل رمحى واسناده صحيح واما سمع قوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال تغدو خماصا وتروح بطانا فذكر انها تغدو فى طلب الرزق وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون فى البر والبحر ويعملون فى نخيلهم ثم قال احمد والدوة بهم والحديث الثانى رواه الترمذى وابن ماجة من حديث ابن عمر وقال الترمذى حسن صحيح (واما صاحب الباطن) وهو العارف بالله المراقب لفيض مولاه المعرض عما سواه (والعالم النافع للناس) افتاء وتصنيفا وتدريسا (والمشتغل بمصالحهم كالقاضى) وفى معناه الخليفة والمؤذن والامام وفقيه الايتام (فاعطوا الكفاية من بيت المال) اى من وجه الحلال اومن ايدى الناس من الصدقات خذوها واشتغلوا بما هو افضل فى حقهم من الاشتغال بكسب المال فهو غاية الكمال (والا) اى وان لم يعطوا (يقابل) كل منهم (فضائل الكسب) اى الاحاديث التى وردت فى فضائله (بما فيه) اى من فضائل العلم والحكومة ومنافع الرجال (ممنا) اى حال كونه مبالغا فى تمييز ما فيه الفلاح (ويعمل بحسب الصلاح) فان فيه النجاح وقد اشار الصحابة على ابى بكر بترك التجارة لما ولى الخلافة اذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان يأخذ كفايته من مال المصالح ورأى ذلك اولى نعم لما توفى اوصى برده الى بيت المال والحاصل انه ان كان الصلاح فى الكسب اختاره وترك هو فيه لغيره وان كان الصلاح فيما هو فيه من الامر المهم اشتغل به وتوكل على الله فى امر رزقه (وحقه) اى حق الكسب على ماذكره ثلاثون (ان ينوى التعفف) اى عفة نفسه المسألة (والتعطف) اى الترحم على غيره بزيادة النفقة لما تقدم ولما روى ان عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال ماتصنع فقال اتعبد فمن يعولك قال اخ لى قال اخوك اعبد منك (واقامة فرض الكفاية) اى ينويها (فى صناعة يتوقف عليها العيش) اى المعيشة كالزراعة والتجارة والخياطة والتجارة ففى الخبر تسعة اعشار الرزق فى التجارة الحربى فى الغريب من حديث نعيم بن عبد الرحمن وتقدم نفع الزراعة وروى احمد من حديث ابى هريرة خير الكسب كسب العامل اذا نصح واسناده حسن (ويباكر) اى يسعى فى اول النهار (فوردان فى الغدو بركة ونجاحا) اى فوزا وفلاحا وظفرا بالمراد وصلاحا والحديث رواه الطبرانى فى الاوسط وابن عدى عن عائشة باكروا فى طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح وقد ورد اللهم بارك لامتى فى بكورها وروى الطبرانى فى معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة انه عليه السلام كان جالسا مع اصحابه ذات يوم فنظر الى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان جلده فى سبيل الله فقال عليه السلام لاتقولوا هذا فانه ان كان يسعى على ابوين ضعيفين او ذرية ضعاف ليغنيهم

ويبلغهم فهو فى سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو فى سبيل الشيطان (ويجتنب) اى من الصنائع (مايضر الناس كالاحتكار) فبائع الطعام يدخره منتظرا غلاء السعر وهو ظلم عام وصاحبه مذموم شرعا وعرفا فورد الجالب مرزوق والمحتكر ملعون الحاكم فى صحيحه وابن ماجة فى سننه عن ابن عمر ومن احتكر الطعام اربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على والخطيب فى التاريخ من حديث انس وروى احمد والحاكم بسند جيد من حديث ابن عمر من احتكر الطعام اربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه وعلى انه احرق طعام محتكر بالنار وكذا فى الاحياء وفى حديث مسلم لا يحتكر الا خاطئ ولابن ماجة الجالب مرزوق والمحتكر ملعون قيل ومدته اربعون لما رواه عساكر عن معاذ من احتكر طعاما على امتى اربعين يوما وتصدق به لم تقبل منه وفى رواية لاحمد وابن ماجة عن عمر من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس وفى رواية له وللحاكم عن ابى هريرة من احتكر حكرة يريدان يغلى بها على المسلمين فهو خاطئ وقد برئت منه ذمة الله ورسوله وقوله خاطئ بالهمز وفى رواية فهو ملعون واستدل به مالك بعموم الحديث على ان الاحتكار حرام فى المطعوم وغيره وهو رواية عن ابى يوسف والجمهور على ان الاحتكار مختص بالاقوات وحملوا الحديث عليها والله اعلم وروى ابن مردوية فى تفسيره من حديث ابن مسعود ما من جالب يجلب طعاما الى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد وبالجملة التجارة فى الاقوات مما لا يستحب ولذا اوصى بعض التابعين رجلا وقال لا تسلم ولدك فى بيعتين ولا فى صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء وموت الناس واما الصنعتان فان يكون جزارا فانها صنعة تقسى القلب او صواغا فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة وهذا معنى قوله (ويلوث الباطن) اى ويجتنب ما يلوث باطنه ولو لم يلوث ظاهره (كالجزر) وهو صنعة الجزار ويقال القصاب (فهو يقسى القلب والصياغة فهو يزين الدنيا) وهى مبغوضة الرب وايضا يكره كسر الدرهم الصحيح والدينار الا عند شك فى جودته او حال ضرورته فقد قال احمد بن حنبل ورد نهى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فى الصياغة انا اكره الكسر وقال يشترى بالدنانير بالدراهم ذهبا ويصوغه اى خروجا عن الربوا وحديث النهى عن كسر الدينار والدرهم رواه ابو داود والترمذى وابن ماجة والحاكم من رواية علقمة بن عبد الله عن ابيه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم الا من بأس زاد الحاكم ان يكسر الدرهم فيجعل فضة ويكسر الدينار فيجعل ذهبا وضعفه ابن حبان (والظاهر) اى ويجتنب ما يلوث ظاهره ولو لم يلوث باطنه (كالحجامة والدباغة) وفى معناهما الكناسة فان تلوث الظاهر يؤدى الى تلوث الباطن كما ان طهارة الظاهر تورث طهارة البدن وقد نهى عليه السلام عن كسب الحجام رواه ابن ماجة بسند حسن عن ابن مسعود ويحمل على نهى التنزيه لانه عليه السلام احتجم واعطى الحجام اجرته ولو كان حراما لما اعطاه وكيف لا والحجامة من الصنائع التى عدد من فروض الكفاية فلابد من قيام بعض بهذه الصناعة لئلا يقع الناس فى ضياعة اذ لو تركت التجارات والصناعات لبطلت المعاش وصناعة الحالات فانتظام امر الكل بمعاونة الكل وتكفل كل فريق بعمل له يليق ولو اقبلوا كلهم على صنعة لتعطلت

البواقى بمرة وعلى هذا حمل بعضهم قوله عليه السلام اختلاف امتى رحمة اى اختلاف همم فى الصناعات وسبحان من اقام العباد فيما اراد وكل حزب بما لديهم فرحون وقال تعالى * نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون * ولله در القائل

(شعر)

* رضينا قسمة الجبار فينا * لنا علم وللاعداء مال *

* فان المال يفنى عن قريب * وان العلم يبقى لا يزال *

(ومايعسر) اى ويجتنب مايصعب (فيه رعاية الاحتياط كالصرف) لان الاحتراز فيه عن دقائق الربا عسير علما وعملا ولانه طلب لدقايق الصفات فيما لايقصد من اعيانها وانما يقصد رواجها وقل مايتم للصيرفى ربح لا باعتبار جهالة معا مليه بدقايق النقد فقل مايسلم الصيرفى من الربا وان راعى غاية الاحتياط وفى الجملة يجب على الصيرفى ان يجتنب من الفضل فى المتجانسين ومن النسئة مطلقا وورد لو اتجر اهل الجنة لاتجروا فى البز ولو اتجر اهل النار لاتجروا فى الصرف الدطى من حديث ابى سعيد وابو يعلى الشطر الاول من حديث ابى بكر (والدلالة) بالفتح ويكسر وقد كره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة اجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب فقد قيل رأس مال الدلال الكذب والافراط فى الثناء على السلعة لترويجها ولان العمل لايتقدر فقد يقل ويكثر ولاينظر فى مقدار الاجرة الى عمل بل الى قيمة قدر الثوب وهذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغى ان ينظر الى قدر التعب فان الاجر على قدر المشقة كذا فى الاحياء (ومايكره) اى ويجتنب مايكره (فيه قضاؤه تعالى كشراء الحيوان) اى العبيد ونحوه لاجل التجارة فان المشترى يكره قضاء الله تعالى فيه وهو الموت الذى بصدده ولامحالة خلق لاجله (وسلامة الناس) اى ويجتنب مايكره فيه عافية الناس (كبيع الكفن) على ماتقدم وفى معناه حفر القبر وغسل الموتى وحملهم بالاجرة وتشييع الفقراء واعلامهم واذكارهم من غير اذكارهم (ومايحرم) اى ويجتنب مايحرم (استعماله كقباء الابريسم) اى الحرير وهو ثوب الرجال دون النساء وفى الخبر من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الاخرة رواه الشيخان وغيرهما عن انس وفى رواية احمد عن جويرية من لبس الحرير فى الدنيا البسه الله يوم القيمة ثوبا من النار (وآنية الذهب والفضة) فانهما تحرم مطلقا وفى الخبران الذى يأكل اويشرب فى آنية الفضة انما يجر جر فى بطنه نار جهنم رواه مسلم عن ام سلمة زاد الطبرانى الا ان يتوب (والمزمار) فانه حرام باتفاق الاربعة كسائر الاوتار وانما خالف الرافعى من الشافعية فى القضب (ورفع البناء) اى زيادته على قدر الحاجة فانه يقال له الى اين ياافسق الفاسقين وذلك لانه عمل شداد فى بناء قصره وعمل فرعون فى بناء صرحه (وتزيينه بالجص) وكذا بالنورة والطين فانهما مكروهان اوحرامان لاسراف المال وتضييع الحال وروى الدارقطنى عن ابى الدرداء انه عليه السلام سئل ان يكحل المسجد اى بالنورة وغيرها فقال لاعرش كعرش موسى (ويعامل) عطف على يجتنب (متدينا لايستر حاله) اى فى التدين فيكون ظاهر الديانة (اعانة على البر لافاسقا) وكذا لاظالما ولا احدا من اعوانه (لئلا يعين على الاثم) فقد قال تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم

والعدوان * وقد دخل سفيان الثورى على المهدى وبيده درج ابيض فقال ياسفيان اعطنى الدواة حتى اكتب فقال اخبرنى اى شئ تكتب فان حقا اعطيتك (ولايبالغ فى مدح المبيع) اى ان كان بايعا (وذم المشترى) اى المشترى ان كان مشتريا (وان صدق) اى ولو كان صادقا فى مدحه وذمه فالمبالغة فيهما مذموم لانه بما لايعنيه فهو به ملوم ومذؤم وقد قال تعالى * مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد * وقال عز وعلا * والذين هم عن اللغو معرضون * وورد من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه (ولايحلف) ولو كان صادقا فى يمينه من غير ضرورة فى امر دينه (فهو جعله تعالى) اى جعل الحالف اسمه سبحانه فى هذا الحلف (عرضة للايمان) اى كالعرضة التى اعدها القصاب لازالة مايتلوث به يداه او كالهدف الذى يرمى الرامى فى كل ساعة سهمه اليه (لترويج الدنيا الخسيسة) باسمه الذى من الاشياء النفيسة واما قوله تعالى * ولاتجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس * فمعناه لاتجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى بان يدعى احدكم الى برفيقول حلفت ان لاافعله بل ينبغى ان يفعله ويكفر عن يمينه (وورد) كما فى صحيح مسلم (لاينظر الى الله لى متفق) بتشديد الفاء المكسورة (سلعته) اى مروجها (بيمينه) اى بحلفه فانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهى من الكبائر التى تترك الديار بلاقع وان كان صادقا فقد اساء فيه اذ الدنيا اخس من ان يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة وفى الخبر ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من بعد وغد كذا فى الاحياء ذكره صاحب مسند الفردوس من حديث انس بغير اسناده نحوه وفى الخبر اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب متفق عليه (ويظهر عيب المبيع) اى فى نفسه خفية وجلية (وقدره) اى ويظهر مقداره من الطول والعرض (وسعر الوقت) اى قيمة مثله فقد نهى عليه السلام عن تلقى الركبان متفق عليه من حديث ابن عباس وابى هريرة وفى رواية عن تلقى البيوع كما فى الترمذى وابن ماجة عن ابن مسعود وفى رواية ابن ماجة عن ابن عمر نهى عن تلقى الجلب وهو ان يستقبل الرفقة ويتلقى الامتعة ويكذب فى سعر الازمنة وقد ورد لاتلقوا الركبان فصاحب السلعة بالخيار بعد ان يقدم السوق (وماسومح به) اى ويظهر ماسامح بايعه الاول مع الثانى (فى الصفقة الاولى) وهى تكون فى بيع التولية وصورته ان يبيع شيئا بما قام عليه فيظهر ماسوهل به الشئ معه من تأجيل ثمنه وقبول ثمنه مع نقصان فى قدره ووصفه (فالاخفاء خيانة) كما ان الابداء ديانة فعن واثلة لايحل لاحد ان يبيع بيعا الا بين مافيه ولايحل لمن يعلم ذلك الا بينه البيهقى والحاكم وقال صحيح الاسناد (وورد من غشنا فليس منا) الترمذى عن ابى هريرة بسند صحيح وزاد الطبرانى وابو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود والمكر والخداع فى النار ومن المكر والخديعة عرض الثياب فى موضع الظلمة وفى صحيح مسلم من حديث ابى هريرة انه عليه السلام مر برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل يده فيه فرأى بللا فقال ماهذا قال اصابته السماء قال فهلا جعلته فوق الطعام ليراه الناس من غشنا فليس منا (ويل للمطففين) اى الهلاك لاهل التطفيف فى الكيل والوزن وهو النقصان الخفيف فى الميزان والمكيال فكيف الحال فى اخذ الاحمال من اموال النساء والرجال (الآية) وهى * الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم اووزنوهم يخسرون الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين * وفيه وعيد فى غاية تهديد ولقد كان بعضهم يقول

لايشترى الويل من الله بحبة فكان اذا اخذ نقص نصف حبة واذا اعطى زاد حبة ويقول ويل لمن يبيع بحبة جنة عرضها السموات والارض ويؤيده انه عليه السلام اشترى شيئا وقال الوزان زن وارجح كما رواه اصحاب السنن الاربعة وقال الترمذى حسن صحيح وقد قيل كل مكلف فهو صاحب موازين فى افعاله واقواله وخطرات احواله فويل له ان عدل عن العدل ومال مال عن الاستقامة فى مقام الفصل (ولا يروج الزيف) وهو ما لا نقرة فيه اصلا بل هو بموه عملا او مالا ذهب فيه من الدنانير اما ما فيه نقرة فان كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء فى المعاملة عليه قال الغزالى وقد رأينا الرخصة فيه اذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار النقرة اولم يعلم وان لم يكن نقد البلد لم يجز الا اذا علم قدر النقرة فان كان فى ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه ان يخبر به معامله وان لا يعامل به الامن لا يستحل الترويج فى جملة النقد بطريق التلبيس فاما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد واعانة عليه فهو كبيع العنب ممن يعلم انه يتخذ الخمر وذلك محظور وفيه اعانة على الشر (بل يلقيه فى البئر) فقد قال بعضهم انفاق درهم زايف اشد من سرقة مائة درهم لان السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وانفاق الزايف بدعة اظهرها فى الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته الى مائة سنة ومائتى سنة الى ان تفنى ذلك الدرهم ويكون عليه مافسد ونقص من اموال الناس بسببه فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه والويل كل الويل لمن يموت وتبقى ذنوبه ففى صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله مرفوعا من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شئ وبالجملة التجارة محك الرجال وبها يتبين مقام دينهم فى الاحوال وقد قال بعضهم لا يغرنك من المرء قميص رقعة او ازار فوق كعب الساق منه رفعة او جبين لاح فيه اثر قد قلفه فلذى الدرهم فانظر غيه او ورعه (ولا يخلط التراب) اى ونحوه من التبن وغير الجنس (بالطعام) اى الحبوبات (ومالا يعتاد) اى خلطه (باللحم) كالدم والغدة والجلد الرقيق وكذا لحم الماعز بالضائن والضعيف بالسمين (فهو) اى ما ذكر (وامثاله) كخلط الماء باللبن والدهن بالسمن والدبس بالعسل (حرام) لانه ظلم فى حق الانام (ولا يقدم على شئ) اى سوم شئ (لا يريد) اى لا يقصد شراءه (بما فوق ثمنه ترغيبا للمشترى) فانه النجس المنهى عنه فى المتفق عليه عن ابن عمر (والاصل ان لا يريد لغيره مالا يريد لنفسه) كما ورد لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه اخرجه الشيخان وغيرهما وفى رواية وحتى يكره لاخيه مايكره لنفسه (وهو) اى حصول هذا المقام انما يكون (باعتقاد ان الخيانة لا تزيد فى الرزق والديانة) اى الموجبة للامانة (لا تنقص) اى فى الرزق فاذن لا يريد مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة صادرة عن امانة وديانة ومن لا يعرف الزيادة والنقصان الا بالميزان فهو لم يصدق بهذا الحديث وهو فى غاية من الخسران ومن عرف ان الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان فى الدين والدنيا والالاف المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى يكون سبب هلاك مالكها فى الدنيا والاخرى صدق بقولنا ان الخيانة لا تزيد فى المال والصدقة لا تنقص منه فى المآل وقد قال تعالى * يمحق الله الربوا ويربى الصدقات * وورد الامانة تجر الرزق والخيانة تجر الفقر القضاعى عن على (وان الآخرة) اى واعتقاد ان العقبى (اولى من الدنيا)

كما قال تعالى * والآخرة خير وابقى * فيختار نفع العقبى على نفع الدنيا ايثارا لما يبقى على ما يفنى (فورد لا يزال لا اله الا الله تدفع عن الخلق سخط الله) اى آثار غضبه (مالم يؤثروا) اى مدة لم يختاروا (صفقة دنياهم على آخرتهم) اى عقدا يوجب جلب الدنيا على عقد يورث نفع العقبى والحديث رواه ابو يعلى والبيهقى فى الشعب عن انس وفى رواية للحكيم الترمذى فى النوادر حتى نزلوا بالمنزل الذى لا يبالون ما نقص من دينهم اذا سلمت لهم دنياهم وللطبرانى فى الاوسط نحوه من حديث عائشة والكل ضعيف الا انه يقوى بعضها بعض و يؤيده حديث من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال تحجزه عما حرم الله الطبرانى من حديث زيد بن ارقم باسناد حسن (و يحسن) اى البايع فى المعاملة و يعنى بالاحسان فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل فى باب العدل وترك الظلم وقد قال تعالى * ان الله يأمر بالعدل والاحسان * فالعدل سبب للنجاة والاحسان موجب لنيل الدرجات و يدرك الاحسان الكامل بستة امور (بان لا يغبن) اى المشترى غبنا (غير معتاد) سواء كان فاحشا ام لا (وان اعطى المشترى) اى ولو دفع ثمنه مع زيادة (لرغبة) اى زائدة (او حاجة) اى ملجئة لقوله تعالى * واحسن كما احسن الله اليك * وفى الاحياء قد ذهب بعض العلماء ان الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الاحسان ان يحط ذلك الغبن وفى الخبر غبن المسترسل حرام الطبرانى من حديث ابى امامة بسند ضعيف والبيهقى من حديث جابر بسند جيد وقال ربا بدل حرام وقال الزبير بن عدى ادركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم من احد يحسن يشترى لحما بدرهم فغبن هؤلاء المسترسلين حرام وعدوان وان كان من غير تلبيس فهو من ترك احسان (و يحتمله) اى و بان تحتمل الغبن (من ضعيف) بايع او مشتر بان يكون مريضا او عن الكسب عاجزا (او فقير) اى ظاهر الفقر بان لم يكن صاحب نصاب فيكون به محسنا واما ما ورد من ان الكمال ان لا يغبن فهو محمول على غير محل الاحتمال وهذا معنى وصف بعضهم عمر بانه كان اكرم من ان يخدع واعقل من ان يخدع وكان اياس بن معاوية قاضى البصرة وكان من عقلاء البايعين يقول لست بخب والخب لا يغبننى ولا يغبن ابن سيرين ولكن يغبن الحسن و يغبن ابو يعلى يعنى معاوية ابن قرة قلت ومقام الحسن ايضا حسن لقوله عليه السلام المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم ابو داود والترمذى و الحاكم عن ابى هريرة وكان الحسن والحسين وغيرهما من الصحابة يستقصون فى الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصى فى شرائك على اليسير ثم يهب الكثير فقال ان الواهب يهب فضله وان المغبون يغبن عقله وقال بعضهم انما اغبن عقلى و بصيرتى فلا امكن الغابن منه واذا وهبت فاعطى لله ولا استكثر له شيئا (فورد) فى البخارى عن جابر مرفوعا (رحم الله مرأ سهل البيع وسهل الشراء تمامه سهل القضاء سهل الاقتضاء (لا من غبن) اى لا يحتمل الغبن من غبن تاجر يطلب الربح زيادة على تجارته فاحتمال الغبن منه ليس فى محله (لانه تضييع للمال) وتأسف فى المآل (اذ لا اجر) فى العقبى (ولا حمد) فى الدنيا فقد ورد فى حديث من طريق اهل البيت ان المغبون لا محمود ولا مأجور الترمذى الحكيم فى النوادر من رواية عبد الله بن الحسن عن ابيه عن جده وابو يعلى من حديث الحسين بن على يرفعه (و يسامح فى قبض الثمن والدين) اى وفى قبضه (نقص بعضه)

من الثمن والدين (وترك طلب نقدا حسن وامهال وقبول حوالة فورد رحم الله امرأ سهل القضاء وسهل الاقتضاء) وهو تتمة الحديث المتقدم فليغتنم دعاءه عليه السلام وقد ورد ايضا فى هذا المقام اسمح تسمح لك الطبرانى من حديث ابن عباس ورجاله ثقات (من انظر معسرا) اى امهله (او ترك له) اى اسقط عنه كله او بعضه ولو حقير (حاسبه الله) يوم القيمة (حسابا يسيرا) وفى لفظ آخر اظله الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله احمد ومسلم باللفظ الثانى من حديث ابى اليسر وهو كعب بن عمرو وفى رواية الطبرانى عن ابن عباس انظره الله بدينه الى توبته وفى رواية لاحمد وابن ماجة والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين عن بريدة من انظر موسرا فله بكل يوم مثله صدقة قبل ان يحل الدين فاذا حل الدين فانظره فله بكل يوم مثلاه صدقة واصله قوله تعالى * وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا * اى بكله او بعضه * خير لكم ان كنتم تعلمون * والتصدق سنة وهذا افضل من الانظار الذى هو فرض وذكر عليه السلام رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا انى كنت رجلا اداين الناس واقول لفتيانى سامحوا الموسر وانظروا المعسر وفى لفظ آخر تجاوزوا عن المعسر فقال الله تعالى نحن احق بذلك منك فتجاوز عنه وغفر له رواه مسلم من حديث ابى مسعود الانصارى وهو متفق عليه بنحوه من حديث حذيفة (ويبادر فى اعطاء الاجرة) ففى الخبر اعطوا الاجير اجره قبل ان يجف عرقه ابن ماجة عن ابن عمر (وقضاء الدين قبل الاجل) اى قبل حلوله فانه يعد من احسان العمل و بطلان الامل (باحسن ماشرط) اى فى العقد الاول بان يؤدى الجيد وكان الشرط من يوفا فانه يوجد معروفا و يقتضى كون صاحبه مألوفا فورد خيركم احسنكم قضاء متفق عليه من حديث ابى هريرة (وينوى القضاء كذلك) اى باحسن ماشرط (ان عجز) مهما قدر (فورد ان الملائكة يدعون له) اى لمن ينوى القضاء بان يقدر الله تعالى له (حتى يقضيه) والحديث فى الاحياء بلفظ من ادان دينا وهو ينوى قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه و يدعون له حتى يقضيه ورواه احمد عن عائشة من عبد كانت نيه فى اداء دينه الا كان معه من الله عون وحافظ وفى رواية لم يزل معه من الله حارس وفى رواية للطبرانى فى الاوسط الا معه عون من الله عليه حتى يقضيه وفى الاحياء كان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر قلت وفى جواز هذا لا يخلو من النظر لما فيه من نوع الغرر وصنف الخطر اللهم الا ان يحمل على شراء شئ الى الاجل المقرر فتدبر (ويستدين) اى يستقرض ويتدين (فى ضعف قوة فى سبيله تعالى)بان يكون فى حج اوغزوة وقنى زاده اومات مركوبه (وتكفين ميت مقل) اى فقير قريبا كان اوبعيدا (ونكاح يتعفف به) اى يطلب عفة نفسه عن الزنا بسببه (عليه تعالى) اى متوكلا عليه ومستندا اليه تحسينا للظن لديه ان يرزقه مايقضيه (فهو يقضيها) اى جميع ماعليه من الديون الثلاثة بكرمه امافى الدنيا واما يرضى صاحبه فى العقبى (ويقيل) من الاقالة اى برد البيعة (ان ندم البائع على شرائها وكذا حكم المشترى وغيره فالعبارة الحسنة الجامعة مافى الاحياء ويقيل من يستقيله فانه لا يستقيل الا متندم يستضر بالبيع ونحوه فلا ينبغى ان يرضى لنفسه ان يكون سبب استضرار غيره (فوعد عليه) اى على اقالته النادم (اقالته تعالى) اى عفوه (يوم القيمة عثرته) اى ذنوبه وزلته وكان الاولى ان يقول فورد من اقال نادما صفقته اقال الله عثرته يوم القيمة ابوداود

والحاكم من حديث ابى هريرة وقال صحيح على شرط مسلم (ويعامل الفقير نسئة) اى صبرا عليه (على عزم الترك) اى ترك المطالبة او الاخذ (ان لم يظهر غناه) بان يحقق فقره اليه فيكون فى هذا محسنا اليه فانه لا ينبغى للتاجر ان يشغله معاشه عن زاد معاده فيكون عمره ضايعا وصفقته خاسرة اذ ما يفوته من الربح فى العقبى لا يفى به ما يناله فى الدنيا فيكون ممن اشترى الحيوة الدنيا بالاخرى بل العاقل ينبغى ان يشفق على نفسه وغيره وشفقته على نفسه بحفظ رأس ماله وصلاح شانه وحاله ورأس ماله حفظ دينه وتجارته فيه صدق يقينه قال بعض السلف اولى الاشياء بالعاقل احوجه اليه فى العاجل واحوج شئ اليه فى العاجل احمده عاقبة فى الآجل وقد قال تعالى * ولا تنس نصيبك من الدنيا * اى لا تنس نصيبك فى الدنيا نصيبك منها للعقبى فان الدنيا مزرعة الآخرة والآخرة مخزنة الذخيرة (ويكيل الطعام) اى الحبوب (اخذا واعطاء) اى حال اخذ وحال عطاء (فيه البركة) وفى الخبر كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه احمد والبخارى عن المقدام وفى رواية ابن النجار عن على كيلوا طعامكم فان البركة فى الطعام المكيل وروى البزار عن ابى هريرة عليه السلام نهى عن بيع الطعام حتى يجرى فيه صاعان صاع البائع وصاع المشترى فيكون لصاحبه الزيادة وعليه النقصان وتحقيق هذه المسألة ومافيها من الرعاية فى شرحنا للنقاية فى شرحنا للنقاية مختصر الوقاية والله ولى الهداية (وبخار حرف السلف) مكان غالب اعمال الاخبار من السلف عشر صنع الخرز والتجارة والحمل والخياطة والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة (كالحرث) وهى الزراعة وهى صنعة آدم اولا وقد قال عليه السلام التمسوا الرزق فى خبايا الارض والمراد الزرع وانشدوا

(شعر)

* تتبع خبايا الارض وادع مليكها * لعلك يوما ان تجاب وترزقا *

ويشير الى هذا المعنى قوله تعالى * هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور * ولا يبعد ان يراد بالاية والحديث المعنى الاعم الشامل للزراعة والتجارة والله سبحانه اعلم (والحمل) اى حمل الامتعة من محل الى محل باجرة معينة وبنان الحمال كان من اهل الكمال (والنجر) اى النجارة وفى مسند احمد وصحيح مسلم عن ابى هريرة كان زكريا نجارا (والخياطة) قيل انه من صنعة ادريس (والقصر) وهو غسل الثياب ومنه الحواريون والقصف) اى خرز النعل والقربة ونحوهما وصح انه عليه السلام كان يخصف نعله (والرعى) اى رعى الغنم والابل ونحوهما وهو من صنعة الانبياء والاولياء (والكتابة) فهى حرفة العلماء والمشايخ الاصفياء لا سيما كتابة المصحف القديم وحديث النبى الكريم فبهما بقاء الدين القويم والمنهج المستقيم قال عبد الوهاب الوراق قال لى احمد بن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة قال كسب طيب لو كنت صانعا بيدى لصنعت صنعتك وهو يحتمل ان يكون معناها الكتابة او صنعة الورق بمعنى الكاغد الذى تتوقف عليه صنعة الكتابة كشغل المداد فانه آلة الكتابة وقد ورد بوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء (فورد خير تجاراتكم البزوخير صناعاتكم الخرز) الديلمى عن على تعليقا ويقال اربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف

الرأى الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلمون ولعل ذلك لان اكثر مخالطتهم مع النسوان والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول يضعف العقل كما ان مخالطة العقلاء يزيد فى العقل فان الصحبة تؤثر فورد المرء على دين خليله فلينظر بمن يخالل وعن مجاهد ان مريم عليها السلام مرت فى طلبها لعيسى عليه السلام بحاكة فطلبت الطريق فأرشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وامتهم فقراء وحقرهم فى اعين الناس فاستجيب دعاؤها وكره السلف اخذ الاجرة على كل ماهو من قبيل العبادات فى فروض الكفايات كغسل الاموات وحفر القبور ودفنهم وكذا الاذان والاقامة وتعليم القرآن والفقه وان حكم المتأخرون بجواز ذلك اذ لم يروا من يقوم بهذه الامور احتسابا هنالك (ويلزم مارزق فيه) اى من انواع الصناعة واصناف التجارة فلا ينتقل منها الى غيرها ففى الخبر من رزق فى شئ فليلزمه البيهقى عن انس وفى رواية ابن ماجة من حديث انس وعائشة من بورك له فى شئ فليلزمه وفى رواية له عن انس بلفظ من اصاب من شئ فليلزمه (ويترك ماانجر فيه ثلاثا) اى ثلاث مرات (فلم يرزق) اى لم يربح فيه فان علامة الاجازة تيسير وتعسيرها وفى الخبر اليسر يمن والعسر شوم الديلمى عن رجل و ينتقل الى غيره فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وفى الخبر لن يغلب عسر يسرين وفيه تحقيق و تحقيق و تدقيق ليس هذا محله الذى ذكره يليق (وينجد الغنم) ففى مسند الفردوس للديلمى عن ابى هريرة الغنم اموال الانبياء وفى رواية الخطيب عن ابى هريرة الغنم من دواب الجنة فامسحوا رغامها وصلوا فى مرابضها وفى رواية ابى يعلى عن البراء الغنم بركة (والدجاج ونحوها) كالناقة والبقر والفرس والبط والحمام (للدر) اى اللبن (والنسل) اى النتاج (ففيها عشر الرزق) اى ويسر الرفق وروى وفى التجارة تسعة اعشار الرزق وفى سنن ابن ماجة ان النبى صلى الله عليه وسلم امر الاغنياء باتخاذ الغنم وامر الفقراء باتخاذ الدجاج وقال عند اتخاذ الاغنياء الدجاج يأذن الله بهلاك القرى وقد بينا وجهه فى بهجة الانسان فى بهجة الحيوان (فكان له عليه السلام بعران) بضم اوله جمع بعير (وغنم من لبنها قوت اهله) وفى المواهب اللدنية كانت له خمسة واربعون لقحة ارسل بها اليه سعد بن عبادة وكانت له مائة شاة وكانت له سبعة اعنز متايح ترعاها ام ايمن وورد خذا الحبة من الحب والشاة من الغنم والبعير من الابل والبقرة من البقر ابو داود وابن ماجة والحاكم عن معاذ (و يختار) اى من الغنم (صنفا) اى نوعا مجتمعا فيه (السود والبيض) كما حكى فى غنم شعيب عليه السلام ورعى الكليم فى ذلك المقام (ولايحرص) على تحصيل الدنيا وتعطيل العقبى فلا يباكر بالسوق ونحوها (فورد شر البقاع السوق) لانه محل الغفلة والعصيان ولو بالخطأ والنسيان وموضع راية الشيطان وجوده اعداء الانسان (وشر اهلها اولهم دخولا وآخرهم خروجا) رواه ابو نعيم من حديث ابن عباس بلفظ ابغض البقاع الى الله الاسواق وابغض اهلها الى الله اولهم دخولا وآخرهم خروجا وقد تقدم حديث شر البقاع الاسواق وخير البقاع المساجد فينبغى ان لايمنعه سوق الدنيا عن سوق العقبى واسواق الآخرة المساجد ونحوها من المدارس والمعابد و المشاهد وكان عمر يقول للتجار اجعلوا اول نهاركم لآخرتكم ومابعده لدنياكم وكان صالحوا السلف يجعلون اول النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة فلم يكن يبيع الهريسة والرؤس بكرة الا الصبيان واهل الذمة لانهم كانوا فى المساجد بعد وفى الخبر ان الملائكة اذا صعدت بصحيفة العبد فى اول

النهار وآخره ذكر وخير كفر الله مابينهما من سيء الاعمال ابو يعلى من حديث انس بسند ضعيف ويقويه قوله تعالى * وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار * ويؤيده حديث تلتقي ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله وهو اعلم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم يصلون وجئناهم وهم يصلون فيقول الله اشهدكم اني غفرت لهم متفق عليه من حديث ابي هريرة وقد جاء في تفسير قوله تعالى * رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله * انهم كانوا حدادين وخراز ين فكان احدهم اذا رفع المطرقة او غرز الاشفار فسمع الاذان لم يخرج الاشفار المغروز ولم يوقع المطرقة ورمى بها وقام الى الصلوة وقد قيل من احب الآخرة عاش ومن احب الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لاش والعاقل في دينه قاش (ولا يركب البحر الا لحج او عمرة او غزوة) رواه ابو داود من حديث عبد الله بن عمرو فكان حقه ان يقول ورد ويقال من ركب البحر للتجارة فقد استقصى في طلب الرزق والمعنى انه يدل على كمال حرصه وعدم القناعة في امره فكان من السلف من اذا ربح دانقا انصرف قناعة به وكان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم من لا يعمل في الاسبوع الا يوما او يومين (ويتورع) اي عن الشبهات ولا يكتفي بالتحرز عن المحرمات وقد حمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبن فقال من اين لكم هذا فقيل من هذه الشاة فقال ومن اين لكم هذه الشاة فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال انا معاشر الانبياء امرنا ان لا نأكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا الطبراني من حديث ام عبد الله اخت شداد بن اوس بسند ضعيف ويقويه قوله تعالى * يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا * ويؤيده قوله عليه السلام ان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال * يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم * وعن ابي هريرة كان اذا اتي بطعام من غير اهله سأل عنه الحديث رواه احمد من حديث ابي هريرة باسناد جيد وله من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مروا بامرأة فذبحت لهم شاة الحديث وفيه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة فلم يستطع ان يسيغها فقال هذه شاة ذبحت بغير اذن اهلها الحديث واسناده جيد والحاصل انه عليه السلام كان لا يسأل عن كل ما حمل اليه الا اذا ظهر له مايدل على ريبة لديه وفي البخاري من حديث عائشة كان لابي بكر غلام يخرج له الخراج وكان يأكل ابو بكر من خراجه فجاء يوما بشيء فاكل منه ابو بكر فقال الغلام اتدري ما هذا فقال وما هو قال كنت تكهنت لانا س في الجاهلية فاعطوني فادخل اصبعه في فيه وجعل يقيء وفي بعض الاخبار انه عليه السلام لما اخبر ذلك قال اوما علمتم ان الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا فمعنى قوله ويتورع اي يطلب الورع من نفسه ويبالغ في تركه حظه فان الورع اصل الدين كما ان الطمع فساده في مقام المجتهدين (فورد اما الورعون فانى استحيي ان احاسبهم) اي فانهم حاسبوا انفسهم قبل ان يحاسبوا الحديث لم اعرفه (وادنى رتبه) اي مراتب التورع (الاحتراز عن الحرام وهو الورع) المخصوص به في عرف الاعلام (ثم عن الشهوة) اي شهوة النفس وهواها وكان الظاهر ان يقول ثم عن الشبهة ولعله سهو في النسخة (وهو التقوى) اي كمالها وجمالها (فوردع ما يريبك) اي مايوقعك في الريبة والشبهة (الى مالا يريبك) النسائي والترمذي الحاكم وصححاه من حديث الحسن بن

على (وهو) اى المريب (كل ما) وفى نسخة كما (اختلف فيه) عند العلماء بالحل والحرمة والكراهة
او الخلو عنها كاكل الضب ونحوها (والاخذ) بالرفع او الخفض اى ثم الورع عن الاخذ او المريب
كالاخذ ممن علم) اى ظن ظنا غالبا (ان فى ماله حراما) بان يكون اكثره حراما (او عليه) اى او ان
على نفسه (علامة عدم المبالاة) فى المعاملات فكل منسوب الى ظلم او خيانة او سرقة او ربوا
فلا تعامله وكذا الاجناد والفطلة من الامراء والوزراء واصحابهم واعوانهم من العلماء وفى الخبر
من لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله عز وجل من اين ادخله النار الدبلى عن انس
(وصلة السلطان) اى ثم الورع عن اخذها او كصلته واعطائه (ان اشتبه بيت المال) اى التبس
مال الحرام بالحلال واستحقاق الاخذ) اى اخذه فى تلك الحال وهو يحتمل المصدر واسم الفاعل
ويؤيد الاول قوله (او قدره) اى من جملة المال (والاول فى مثله) اى فى مثل ماذكر من مواضع
الاشتباه (السؤال عن الغير) اى من اهل الانتباه فان رأى العليل عليل والنفس بالطبع الى هوسها
وهواها تميل (والتعلل) اى والاولى فى مثله حال الامتناع اظهار الاعتذار (كيلا يتأذى)
اى صاحبه فى الاسرار (فاسرار المؤمن) اى ادخال السرور فى قلبه بقبول ماله
ولو بشبهة فى حاله (اهم من الورع فى اظهار فعاله فعن ابن عمر ما من شئ احب الى الله من ادخال
السرور على اخيك المسلم ان النجار (اما الوهم الغير الناشئ عن دليل) اى عما يشعر بعلة
شهة وريبة (كالاحتراز عن الصيد) اى مطلقا (لاحتمال كونه ملكا للغير) اى مسيبا (لولا اثر
عليه) اى على الصيد من علامة دالة على انه للغير (فوسوسة) ويسمى شهة الشهة (وبنى)
اى امر الورع (فيه على ظاهر الحال) اى حال المسلم لما ورد نحن نحكم بالظاهر والله يتولى
السرائر وهو اعلم بالضمائر (تحسينا للظن) اى باخيه المؤمن (فورد ان بعض الظن اثم) وهو
الذى لاعلامة فيه مما يوافقه او ينافيه واما ماورد من ان الحزم سوء الظن فمحمول على ما يوجد
فيه امارة وفى الآية ايضا الى هذا المفهوم اشارة وعن سلمان اذا كان لك صديق عامل او تاجر
تعارف الربوا فدعاك الى طعام او نحوه او اعطاك شيئا فاقبل فان الهنالك وعليه الوزر فاذا
ثبت هذا فى المرابى فالظالم فى معناه (ثم) اى ثم الورع (عما لا بأس به مخافة ما به بأس) ففى سنن
ابن ماجة لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة به بأس (وهو الصدق
فى التقوى) اى المسمى به ومنه انه عليه السلام ارق ليلة فقال له بعض نسائه ارقت يا رسول الله
فقال اجل وجدت تمرة فاكلتها فخشيت ان تكون من الصدقة احمد من رواية عمر وابن شعيب
عن ابيه عن جده باسناد حسن (كترك العزب الشبع) اى المفرط (والعطر) اى الطيب الكثير
وهما مما لا بأس بهما (لتحريكهما الشهوة) التى بها بأس فتكون باعثة له على الريبة والشبهة
(ثم) اى ثم الورع (عما ليس له تعالى) اى خالصا لوجهه وان كان مباحا فى اصل امره (وهو الصدق
المطلق) وصاحبه الصديق المحقق (كترك خطوة او لقمة) وكذا ترك نظرة وخطرة وسكون
وحركة (ليس فيهما وفى مثالهما (نية عبادة) وقصد سعادة (فهم) اى اهل هذا المقام وهم
الصديقون (كانوا يقتصرون على لقيمات يقوين على العبادة) ابد نهم وروى عن عمر انه كان
يأكل سبع لقم اوتسعا وقد اشير اليه بقوله لقيمات فانه اقل جمع القلة وهو مادون العشرة وفى هذا
بيان الكمية وفى تصغيرها ايماء الى تقليلها فى الكيفية (والتحقق انه كلما تشدد فى الاحتياط يكون

سببا للتخفيف) اى التخفيف الحساب وتقليل العذاب (والاصل الاستفتاء من القلب) والاستخارة في كل امر من الرب فورد استفت قلبك وان افتاك المفتون وما خاب من استخار ❊ ثم اعلم ان اغلب اموال السلاطين حرام في هذه الاعصار والحلال في ايديهم معدوم او عزيز في الديار وقد اختلف الناس في هذا فقال قوم كل مالا يتيقن انه حرام فله ان يأخذه وقال آخرون لا يحل ان يؤخذ مالا يتيقن انه حلال فلا يحل شبهة اصلا والاعدل ان الحكم للاغلب فاذا كان حراما حرم واذا كان حلالا يفتى بحله وحكم الورع بتركه الا ان هذا الزمان لم يوجد الا الشبهات لفقد الخالص من الحلالات الطيبات ولقد احتج من جوز اخذ اموال السلاطين اذا كان فيه حلال وحرام مع عدم تحقق ان عين المأخوذ حرام بما روى عن جماعة من الصحابة انهم ادركوا ايام الائمة الظلمة واخذوا الاموال منهم كابي هريرة وابي سعيد الخدري وزيد بن ثابت وابي ايوب الانصاري وجرير بن عبدالله وجابر وانس والمسور بن مخرمة فاخذ ابو سعيد وابو هريرة من مروان ويزيد بن عبدالملك واخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج واخذ كثير من التابعين منهم كالشعبي وابراهيم والحسن وابن ابي ليلى واخذ الشافعي من هارون الرشيد الف دينار في دفعة واخذ مالك من الخلفاء اموالا جمة وقال علي كرم الله وجهه خذ ما اعطاك السلطان فان ما يعطيك من الحلال وما يأخذه من الحلال اكثر وانما ترك منهم العطاء تورعا الا ترى الى قول ابي ذر للاحنف بن قيس خذ العطاء ما كان محلة فاذا كان اثمانا دينكم فدعوه وقال ابو هريرة اذا اعطينا قبلنا واذا منعنا لم نسأل وعن سعيد ابن المسيب عن ابي هريرة انه كان اذا اعطاه معاوية سكت وان منعه وقع فيه وروى نافع عن ابن عمر ان المختار كان يبعث اليه المال فيقبله ثم يقول لا اسأل احدا ولا ارد ما رزقنيه الله وعن نافع انه بعث ابن معمر الى ابن عمر سبعين الفا فقسمها على الناس ثم جاء سائل فاستقرض من بعض ما اعطاه وعطى السائل ولما قدم الحسن بن علي على معاوية فقال الا اجيزك بجائزة لم اجزها احدا من العرب قبلك ولا اجيزها احدا بعدك من العرب قال فاعطاه اربعمائة الف فاخذها وعن جعفر عن ابيه ان الحسن والحسين كانا يقبلان جوائز معاوية وقال حكيم بن جبير مررنا على سعيد بن جبير وقد جعل عاشرا من اسفل الفرات فارسل الى العشارين اطعمونا مما عندكم فارسلوا بطعام فاكل منه واكلنا معه وزعمت هذه الفرقة ان ما ينقل من امتناع جماعة من السلف العطاء لا يدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين وابي ذر وغيرهم من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا والحلال الذي يخاف فضاؤه الى محذور ورعا ونقل عن سعيد بن المسيب انه ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع نيفا وثلاثين الفا وما نقل عن الحسن انه قال لا اتوضأ من ماء صير في وان ضاق وقت الصلوة لاني لا ادري اصل ماله كله ذلك ورع لا ينكر ومن هذا القبيل ان ابابكر حسب جميع ما كان اخذه من بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم فغرقها لبيت المال وان عمر كان يقسم مال بيت المال فدخلت ابنة له واخذت درهما من المال فنهض عمر في طلبها حتى سقطت الملحفة عن احد منكبيه ودخلت الصبية الى بيت اهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فادخل عمر اصبعه فاخرج ما فيها وطرحه على الخراج وقال ايها الناس ليس لعمر ولا لال عمر الا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم وكتب ابو موسى الاشعري بيت المال فوجد درهما فمر بني لعمر فاعطاه اياه فرآه عمر في يد الغلام فقال اعطانيه

ابو موسى فقال يا ابا موسى ما كان فى اهل المدينة بيت اهون عليك من آل عمر اردت ان لا يبقى من امة محمد صلى الله عليه وسلم احد الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم الى بيت المال وقال عمر انى لم اجد نفسى فى مال بيت المال الا كوالى مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف وعن عمر انه قال فى ايام الحجاج ما شبعت من الطعام منذ انتهبت الدار يومى هذا وروى عن على كرم الله وجهه انه كان له سويق فى اناء مختوم يشرب منه فقيل له افعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه فقال اما انى لا اختمه بخلافه ولكنى اكره ان يجعل فيه ما ليس منه فاكره ان يدخل بطنى غير طيب وعن ابن المبارك الذين يأخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة ما يقتدون بهما لان كلا منهما كان يفرق ما يأخذه فى مجلسه وكذا جابر بن زيد وقيل يتصدق به وكان يقول رأيت ان آخذ منهم واتصدق احب الى من ان ادعها فى ايديهم وهكذا فعل الشافعى بما قبله من هارون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة فمن استجرأ على اموالهم شبه نفسه بالصحابة والتابعين والائمة المجتهدين فقد قاس الملوك بالحدادين (ثم اعلم) ان الغنى الذى لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال اليه هذا هو الصحيح وان كان العلماء قد اختلفوا فيه وفى كلام عمر ما يقول على ان لكل مسلم حقا فى مال بيت المال لكونه مسلما مكثرا جمع المسلمين ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فاذا ثبت هذا فكل يتولى امرا يقوم به و يتعدى مصلحته الى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله فى بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم اعنى العلوم التى يتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون وكذا طلبة هذه العلوم فيه يدخلون ويدخل فيه العمال الذين تترتب مصالح الدنيا باعمالهم وهم الاجناد والمرتزقة الذين يحرسون المملكة بالسيوف والسهام من اعداء الاسلام و يدخل فيهم الكتاب والحساب والعمال على اموال الحلال وليس يشترط فى هؤلاء الحاجة بل يجوز ان يعطوا مع وجود الغنى فان الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والانصار ولم يعرفوا بالحاجة والافتقار وليس يتقدر ايضا بالمقدار بل هو الى اجتهاد الامام فى الاختيار فله ان يوسع بالعناية ويقتصر على الكفاية بحسب ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد كان عمر رضى الله عنه يعطى الجماعة لكل واحد اثنى عشر الف نفرة فى السنة واثبت لعائشة وجماعة فى هذه الجريدة لكل واحد عشرة آلاف ولجماعة ستة آلاف وهكذا واعطى عائشة فى جريدة اخرى اثنى عشر الفا وزينب عشرة آلاف وجويرية ستة آلاف وكذا صفية وسوى ابو بكر رضى الله عنه فى زمانه فراجعه عمر فقال انما فضلهم عند الله وانما الدنيا بلاغ فالسلطان اذا لم يعم بالعطاء كل مستحق كما فى زماننا فهل يجوز للواحد ان يأخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على اربع مراتب فعلا بعضهم وقال كل ما يأخذه فالمسلمون فيه شركاء ولا يدرى ان حصته منه درهم او دانق او حبة فليترك الكل وقيل له ان يأخذ قوت يومه فقط فان هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين وقيل له ان يأخذ قوت سنة فان اخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق فى هذا المال فكيف يتركه وقيل انه يأخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لان المال ليس مشتركا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الاقربين لان ذلك صار ملكا لهم وهذا لم ينفق قسمة حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم

الميراث بل هذا الحق غير متعين وانما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما اعطى الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكالهم ولم يمتنع لظلم المالك بقية الاصناف لمنع حقهم وقع الاطناب فى هذا الباب لانه مهم لذوى الالباب فى معرفة الخطاء والصواب

﴿ الباب السابع فى الاتباع فى المعيشة ﴾

اى لاجل المعاش فى امر الدنيا واخذ زاد المعاد فى العقبى وهذا الباب مشتمل على انواع من الادب كالاكل والشرب واللبس والمنام والكلام وما لايستغنى عنه الانام (بسم الله الرحمن الرحيم) مفتاح كل كتاب كريم (ورد قل ان كنتم تحبون الله) اى وتبتغون رضاه (فاتبعونى) فى كل ماقدره وقضاه وامره ونهاه تماه * يحببكم الله * اى يثبكم فى ماخلقه من دنياه واخراه * ويغفر لكم ذنوبكم * فى عقباه * والله غفور رحيم * لمن عصاه ثم اتقاه (وماآتيكم الرسول فخذوه) اى من اوامره تمامه * ومانهاكم عنه فانتهوا * من زواجره (فالاصل) اى الذى عليه نظام الاحكام (اتباعه عليه السلام فى جميع الامور) من احوال الانام (لانه) اى اتباعه (يصير العادة وينور الباطن) ونوره يوجب سعادة (ويذكر العبودية) اى التى هى القيام بحقوق الربوبية (ويقرب الى الارتياض) اى تهذيب الاخلاق عن الاوصاف الذمائم (فالمسترسل فى اتباع الهوى يشبه البهائم) كما اشار اليه قوله تعالى * اولئك كالانعام بل هم اضل * لانها ليس لها استعداد الانام ويأكلون كما تأكل الانعام حيث لم يفرقوا بين الحلال والحرام (هذا) اى خذ هذا الكلام (وانما عدل عليه السلام من مباح الى آخر لاطلاعه بنور النبوة على فائدة فيه) دون الآخر انتقالا وفق انتفاع الهدى لا استرسالا فى اتباع الهوى (فتركه) اى ترك الاتباع (للتكذيب كفر) بالاجماع (ودونه) اى وتركه بدون التكذيب (حمق) اى جهالة وضلالة من غير النزاع (وحقه) اى وحق اتباعه عليه السلام فى انتفاعه بالطعام الذى هو اصل معاش الانام (ان يغسل اليدين) الى الرسغين فغسل اليد الواحدة او الاصابع غير كاف للقيام بالسنة كما هو مصرح فى العوارف والغنية (قبل الاكل وبعده) فهما سنتان كما فى السراجية ولو غسل يده للطعام او عنه يصير الماء مستعملا لاقامة السنة بخلاف مالو قصد غسلهما من الوسخ كما فى الجامع الصغير الخانى (تنظيفا) اى تطهيرا عن التلوث نظرا الى الثانى (وتعظيما) للنعمة نظرا الى الاول ففى الكلام لف ونشر مشوش (وورد الوضوء) المراد به اللغوى وقيل الشرعى (قبل الطعام ينفى الفقر) لاستقبال النعمة بالطهارة والنظافة (و بعده ينفى الهم) اى اصابة الجنون من فتور العقل وظهور الغم او اصابة لحس ذوات السم وقيل صغائر الذنوب ومنه قوله تعالى * الا اللمم * وقوله عليه السلام * ان تغفر اللهم فاغفر جما واى عبدلك لاالما * وفى نسخة من الاحياء ينفى الهم قال وفى رواية ينفى الفقر قبل الطعام وبعده قال مخرجه رواه القضاعى فى مسند الشهاب من رواية موسى الرضا عن آبائه متصلا باللفظ الاول والطبرانى فى الاوسط من حديث ابن عباس الوضوء قبل الطعام وبعده مما ينفى الفقر وهو من سنن المرسلين ولابى داود والترمذى من حديث سلمان بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده انتهى ورواه احمد والحاكم فى مستدركه وفى رواية الحاكم فى تاريخه عن عائشة الوضوء قبل الطعام حسنة و بعده حسنتان واغرب

سفيان الثورى فى قوله يكره غسل اليدين قبل الطعام ولعله محمول على انها اذا كانت نظيفة بلا ريبة ولذا قيل يد المصلى طاهرة فحينئذ غسلها اسراف ولا يبعد ان يكون مأخذه ما رواه الترمذى فى الشمائل عن ابن عباس انه عليه السلام خرج من الخلاء فقرب اليه الطعام فقالوا الا نأتيك بوضوء فقال انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلوة وروى ايضا فيهما انه عليه السلام خرج من الغائط فاتى بطعام فقيل له الا نتوضأ فقال عليه السلام اصلى فاتوضأ فاخذ بظاهره مالك وسفيان فيكرهان الوضوء قبل الطعام والشافعى استحب تركه والتحقيق ان المراد من الوضوء المنفى هو لوضوء الشرعى فلا ينافى الوضوء اللغوى العرفى من غسل اليدين مع انه عليه السلام اراد بيان جواز تركه والتصريح بعدم وجوبه كما فى الترمذى عن سلمان قال قرأت فى التورية ان بركة الطعام الوضوء بعده فذكرت ذلك له عليه السلام واخبرته بما قرأت فى التورية فقال عليه السلام بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده انتهى فهو عليه السلام بعث لاتمام مكارم اخلاق الانام ثم مسح اليدين بعد الطعام مستحب ولا يمسح بدنه ونحوه قبل الطعام بل يتركه حتى يجف ليكون اثر الغسل قائما عند الاكل كذا فى الحلبية (ويفتتح) اى يبتدئ بعد التسمية (بالملح) اى الخالص (ويختتم به فقيد) اى فيما ذكر من الافتتاح والاختتام به (مغفرة الذنوب) اى الصغائر (ودفع سبعين بلاء) اى عن الظواهر والضمائر وهذا لم اجد له اصلا (ويأكل على السفرة) اى من الجلد او الخرقة (الموضوعة على الارض) فهو اقرب الى ادبه عليه السلام وتواضعه لمقام الانعام فورد كان اذا اتى بطعام وضعه على الارض احمد فى كتاب الزهد عن الحسن مرسلا والبزار من حديث ابى هريرة نحوه وفى البخارى عن انس ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة فقيل فعلى ماذا كنتم تأكلون قال على السفر وهى جمع السفرة الدالة على السفر المذكر لسفر الآخرة وزادتاعها الفاخرة (فالخوان) اى استعمال الموائد (والمخل والاشنان والشبع من البدع وان لم تكن) اى ولو لم تكن هذه البدع الاربع (مذمومات غير الشبع) فانه مذموم بالشرع والطبع قال بعض الحكماء ثلاثة يبغضهم الناس البخيل والمتكبر والاكول وقال ابو سليمان الدارانى من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة العبادة وقصور حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن ان الخلق كلهم شباع و يقل الطاعة وان يدور المؤمنون حول المساجد والمحافل وهو يدور حول المطاهر والمزابل ويقال فى قلة الاكل منافع كثيرة منها ان يكون اصح جسما واجود حفظا وازكى فهما واقل نوما واطيب نفسا واخف بدنا والطف حسنا وفى كثرة الاكل مضار كثيرة وهى اضداد ما تقدم و يتولد منها الامراض المختلفة ويقال اذا كانت العلة من قلة الاكل صلحت بمؤنة قليلة واذا كانت من كثرة الاكل تحتاج الى مؤنة كثيرة تدفعها ثم ليس كل ما ابتدع منهيا عنه بل المنهى عنه ابتداع بدعة تضاد سنة قال الحجة وليس فى المائدة الا رفع الطعام عن الارض ليتيسر الاكل وامثال ذلك مما لا كراهة فيه اقول وانما الكراهة من حيث انه مخالف للسنة وشعار اهل النعمة وطريق اهل الكبر والنخوة قال والاربع التى ذكرناها انها مبتدعة ليست متسابة بل الاشنان حسن لما فيه من النظافة فان الغسل مستحب والاشنان اتم فى التنظيف وكانوا لا يستعملونه لانه ربما كان لا يعتاد عندهم اولا يتيسر وكانوا يشتغلون بامور هى اهم من ذلك فى النظافة

وقد كانوا لا يغسلون الايدى ايضا وكانت مناديلهم اخص اقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا قلت ثبت الغسل بالاخبار فلا ينافى ما فعلوه احيانا فى حال الاضطرار وفى الجملة ليست المبالغة فى النظافة من عمل السلف الاخيار وفى الخانية عن ابى حنيفة وابى يوسف لا بأس بغسل اليد بعد الاكل بالخبز والدقيق فهما بمنزلة الاشنان وهو قول محمد فبالغاسول والصابون ونحوهما اولى فان النظافة بهما نقى وفى الازهار شرح المصابيح قال العلماء وردعنه عليه السلام انه غسل قبل الطعام وبعده وترك الغسل فى الحالين وورد مسح اليدين بالمنديل والحصباء الان يريد اكل شئ رطب وقد انتقض طهارته فيكره ومن هنا قيل يد المصلى طاهرة واختلاف الروايات لتفاوت الاطعمة والحالات واكثر احواله الغسل قبل الطعام وبعده او الاكتفاء بالغسل فى آخره والله اعلم قال واما المخل فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح مالم يتخذ الى التنعيم المفرط واما الشبع فهو اشد هذه الاربع فانه يدعو الى تهييج الشهوات والاهواء وتحريك الادواء فى الاعضاء (متأدبا) اى باكل حال كونه متأدبا فى هيئة جلوسه (فورد لا آكل متكئا) اى متمكنا فى مقعده سواء يكون مستندا او متكئا على احد شقيه او متربعا او مضطجعا والحديث رواه البخارى من حديث ابى جحيفة وفى السراجية لا بأس بالاكل متكئا اذا لم يكن عن تكبر وكذا فى الاختيار مثله (انما انا عبد آكل كما يأكل العبد) البزار من حديث ابن عمر وزاد احمد فى الزهد من حديث عطاء بن ابى رباح ومن حديث الحسن مرسلا واجلس كما يجلس العبد وورد بسند ضعيف انه عليه السلام زجر ان يعتمد الرجل بيده اليسرى عند الاكل (الا الفاكهة) استثناء من قوله لا آكل متكئا (على سبيل التفكه) اى التنقل من الحبوب (فيجوز متكئا ومضطجعا ويجلس على الرجل اليسرى وينصب اليمنى فهو مسنون) روى ابو الحسن المقرى فى الشمائل من حديث انس كان اذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى واقام اليمنى ثم قال انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وافعل كما يفعل العبد وفيه تنبيه نبيه على ان الاكل على المائدة كريه وربما جنا للاكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه فقد روى ابو داود من حديث عبدالله بن بسر فى اثناء حديث اتوا بثلاث القصعة فالتفوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وله وللنسائى من حديث انس رأيته يأكل وهو مقع وورد من الجوع وفى القاموس اقعى فى جلوسه تساند الى ما وراءه وروى عن على انه اكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال منبطح على بطنه والعرب قد تفعل ذلك اذا لم يكن مانع هنالك واما ما من نهيه عليه السلام عن اكل الرجل وهو منبطح على بطنه كما رواه ابو داود وابن ماجة والحاكم فهو محمول على التنزيه وكذا يكره الاكل قائما (وينوى به) اى بالاكل (القوة على الطاعة دون التلذذ) وقصد الشهوة ومن دعاء السلف بعد الاكل اللهم اجعله عونا على طاعتك ولا تجعله عونا على معصيتك ومن ضرورة هذا النية تقليل الاكل فى القضية وفى الخبر ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات تقمن صلبه فان لم يفعل فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس الترمذى وقال حسن والنسائى وابن ماجة من حديث المقدام ابن معدى كرب (ويقدمه) اى الاكل (على الصلوة ان امن فوتها) اى بخروج وقتها وانما يقدمه (لئلا يرد) اذا قعد لديه (ولا يلتفت القلب اليه) فالاكل المخلوط بالصلوة خير من الصلاة المخلوطة بالطعام

(وورد اذا حضر العشاء) بفتح العين اى طعام الليل (والعشاء) بكسره اى صلاته (فابدؤا بالعشاء) وهو يشمل العشائين وكذا اذا اتفق وقت العصر وهكذا حكم الغداء عند الظهر نظرا الى العلة وهى الشاغلة والحديث كذا فى الاحياء قال العراقى شرح الترمذى لا اصل له فى كتب الحديث بهذا اللفظ واصل الحديث فى المتفق عليه بلفظ اذا وضع العشاء واقيمت الصلوة فابدؤا بالعشاء و الجمهور على ان الامر للندب فقيل انه مقيد بمن كان محتاجا الى الاكل وهو المشهور و قيل على اطلاقه واليه ذهب ابن عمر ولقد كان ربما سمع قراءة الامام فلا يقوم عن عشائه وقيل المراد به صلوة المغرب لرواية فابدؤا به قبل ان تصلوا المغرب ولرواية اذا وضع العشاء احدكم صائم وقيل وهو الاظهر ينبغى حملها على العموم نظرا الى العلة وهى التشوق المفضى الى ترك الخشوع وذكر المغرب لايقتضى الحصر فيها لان الجائع غير الصائم قد يكون اشوق الى الاكل من الصائم ثم الحمل على العموم انما هو بالنظر الى المعنى الحاقا للجائع بالصائم لا بالنظر الى اللفظ الوارد كذا فى فتح البارى شرح البخارى (و يكثر الايدى) اى على الطعام ولو من اهله وولده والخدام (فورد اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه) بصيغة المجهول ابو داود وابن ماجة من حديث عائشة وحشى بن حرب باسناد حسن قيل الاكل مع العيال افضل من الاكل وحده والاكل مع الغير افضل من الاكل مع العيال (وكان عليه السلام لا يأكل وحده) الخبر أنظى فى مكارم الاخلاق عن انس (وفيه تقليل الاكل) اى غالبا (والانفاق) اى الايثار المحمود بالاتفاق (والجمع فى القصعة الواحدة احب الى الله تعالى) فعنه عليه السلام خير الطعام ما كثرت عليه الايدى كذا فى الاحياء وسكت عنه مخرجه وعن عمر مرفوعا كلوا جميعا ولا تفرقوا فان البركة مع الجماعة ابن ماجة (و يجتنب القصعة الصغيرة فلا بركة فيها) لعدم اتساع الايدى (ونحو السفر والنحاس) اى و يجتنب الاكل فيهما) فالمسنون الخشب والخزف) واما الصينى فهو غاية التنعم ولم يكن يستعمله السلف (و يسمى فى الابتداء) فهو سنة مؤكدة فعن عائشة اذا اكل احدكم طعاما فليذكر اسم الله فان نسى ان يذكر اسم الله فى اوله فليقل بسم الله على اوله وآخره ابو داود والنسائى والحاكم وقيل التسمية واجب ويحمد فى الانتهاء فانه مستحب (والاحب فى كل لقمة) ان يسمى فى اولها ويحمد فى آخرها وفى الاحياء يقول مع اللقمة الاولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن والثالثة بسم الله الرحمن الرحيم فعلى هذا يقول مع الاولى الحمد لله ومع الثانية زيادة رب العالمين الثالثة زيادة الرحمن الرحيم (ويجهر) اى بالتسمية (تذكير للغير) وتحريضا له على الخير (ولا يعيب ماكولا) من المباح (فهو المأثور) اى المتفق عليه من حديث ابى هريرة انه عليه السلام كان لا يعيب ماكولا ان اعجبه اكله والا تركه فذهب بعضهم الى ان العيب ان كان من جهة الخلقة يكره وان كان من جهة الصنعة فلا يكره وقال العسقلانى والذى يظهر التعميم فان فيه كسر قلب الصانع قلت لكن قد يراد به التنبيه والتعليم ومن الادب ان يأكل بيمينه (ولا يجاوز عما يليه فورد كل مما يليك) متفق عليه من حديث عمر ابن ابى سلمة وهو ربيبه عليه السلام انه قال له ادن وسم الله وكل بيمينك مما يليك (الا فى الثمار) اى الفواكه (فهو) اى استثناؤه (مروى معللا بانه ليس نوعا واحدا) اذ يوجد فيه ما هو نى ومنضوح وبين ذلك وايضا اذا كان الطبق انواع من الثمار ففى كل نوع له حق فلا يكره ان يأكل من غير ما يليه والحديث رواه الترمذى وابن

ماجة وابن حبان من حديث عكراش بن ذيب وفيه وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق فقال ياعكراش كل حيث شئت فانه غير لون واحد (ولا يأكل من ذروة القصعة) اى اعلاها (ولا من وسطها) اى ولو لم يكن مرتفعا من بل جانبها فعن ابن عباس كلوا القصعة من جوانبها ولا تأكلوا من وسطها فان البركة تنزل في وسطها احمد والبيهقي وفي رواية ابي داود وابن ماجة عن عبد الله ابن بسر كلوا من حوالتها وذروا اذروتها يبارك فيها وفي رواية لابن ماجة عن وائلة كلوا بسم الله من جوانبها واعفوا رأسها فان البركة تأتيها من فوقها (ووسط الخبز) اى ولا من وسط الخبز بل يأكل من استدارة الرغيف قياسا على القصعة الا اذا قل الخبز فيكسر الخبز (ولا باصبعين) اى الا اذا كان لا يحتاج الى ثالثة (فهو تكبر) وكذا باصبع فان الاكل بجامع انه فعل المتكبرين لا يستلذه الآكل ولا يستغرى به لضعف ما يناله منه كل مرة فهو كمن اخذ حتة حتة (ولا بأربع فهو شره) اى حرص على الطعام الا اذا احتاج به فقد قيل انه عليه السلام ربما كان يستعين في الاكل برابع اصابعه وكان لا يأكل باصبعين وقال الشيطان يأكل بهما (والسنة) اى المعروفة والعادة المألوفة له عليه السلام (بثلاث) ففي الشمائل للترمذي عن كعب بن مالك انه عليه السلام يأكل باصابعه الثلاث فقد قال العلماء يستحب الاكل بثلاث اصابع ولا يضم اليها الرابعة والخامسة الا لضرورة واما ما اخرجه سعيد بن منصور من مرسل ابن شهاب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اكل اكل بخمس فمحمول على التقليل النادر لبيان الجواز وعلى الدائم (ولا بالشمال) اى ولا يأكل بها (فان الشيطان يأكل به) اى بهذا العضو فعن جابر لا تأكلوا بالشمال فان الشيطان يأكل بالشمال ابن ماجة وعند الضرورات تباح المحظورات (ولا يقطع الخبز واللحم بالسكين فهو منهي عنه للتشبه بالعجم في الترفع) اى التكبر والتنعم في ازمنة جاهليتهم اما النهي عن قطع الخبز بالسكين فرواه ابن حبان في الضعفاء من حديث ابي هريرة واحبان من حديث ام سلمة وهو ايضا مناف لاكرامه كما سيأتي بيانه في مقامه واما حديث النهي عن قطع اللحم بالسكين فرواه ابو داود والبيهقي في شعب الايمان من حديث عائشة مرفوعا لا تقطعوا اللحم بالسكين فانه من صنيع الاعاجم وانهشوه فانه اهنأ وامرء وللترمذي واحمد والحاكم من حديث صفوان بن امية وقال انهشوا اللحم نهشا فانه اشهى واهنأ وامرأ وفيه ايماء الى جواز القطع في الشمائل عن المغيرة ابن شعبة قال صفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فاتى بجنب مشوى ثم اخذ الشفرة فجزلي بها منه وفي الصحيحين انه عليه السلام احتز من كتف شاة فدعي الى الصلوة فالقى والسكين التي يحتز بها ثم قام يصلي ولم يتوضأ وفي البيهقي ان النهي عن قطع اللحم بالسكين في لحم قد نكامل نضجه هذا وقد ورد اخلعوا نعالكم عند الطعام فانها سنة جميلة رواه الحاكم عن انس وفي رواية له ولغيره فانه اروح لاقدامكم (ويحضر البقل) اى يجعله حاضرا في السفرة (فهو يحضر الملائكة) اى اذا لم يكن له رائحة خبيثة (ويطرد الشياطين) لانهم ما يجتمعون مع الملائكة في محل واحد لكن لم اعرف له اصلا وفي الاحياء يقال ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل وفي الخبر ان المائدة التي انزلت على بني اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وكان عليها سمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة ارغفة على كل رغيف زيتون وجبن رمان وعن علي رضي

الله عنه من ابتدأ غداءه بالملح اذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن اكل كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة فى بطنه ومن اكل كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير فى جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والسفارجات اى السكريات او المهضمات من المعجونات تعظم البطن وترخى الاليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن يتداوى الناس لشئ مثل الثمن ، لن تستشفى النفساء بشئ افضل من الرطب والسمك يذيب شحم الجسد والقراءة القرآن والسواك يذهبان البلغم ومن اراد البقاء ولا بقاء فليباكر بالغداء وليقل من العشاء وليلبس الحذاء اى النعل وليقل غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين اى من الغرماء ولو كانوا من الكرماء (والخل) اى ويحضره (فهو ينفى الفقر) فقد ورد ما افقر من ادم بيت فيه خل الطبرانى وابو نعيم عن عائشة (ويغطى الخابر) اى يستره لئلا يقع فيه شئ ولا يلتفت اليه نظر (حتى يبرد) اى يسهل اكله (فهو اعظم بركة وهو السنة) اى ثابت بها لقوله عليه السلام ابردوا بالطعام فان الحار لا بركة فيه رواه الحاكم وغيره ولا ينفخ فى الطعام الحار فهو منهى عنه بل يصبر الى ان يسهل اكله والحديث عند احمد عن ابن عباس وهو عند ابى داود والترمذى وصححه وابن ماجة الا انهم قالوا فى الاناء وللترمذى وصححه من حديث ابى سعيد نهى عن النفخ فى الشراب اى لئلا ينفصل من ريقه شئ ويقع فيه فيتنفر الطبع منه (يكرم الخبز فورد اكرموا الخبز) اخرجه الحاكم فى مستدركه عن عائشة وفى رواية فان الله اكرمه ومن اكرم الخبز فقد اكرم الله وفى رواية (فان الله انزله من بركات السماء) اخرجه البغوى فى معجم الصحابة بكماله من حديث عبد الله ابن زيد مرفوعا والطبرانى من حديث ابى شيبة وفى رواية زيادة واخرجه من بركات الارض رواه الحكيم (فلا يمسح به اليد) ولا السكين لانه نوع اهانة (ولا يضع عليه القصعة) ولا الملعقة لانه قلب الموضوع (ولا ينظر الادام) لان العيش يتمام فى مقام النظام فطلب الزيادة حرص من خصال اللئام ولله در القائل من الكرام

* وما هى الاجوعة قد سددتها * وكل طعام بين جنبى واحد *

(ويكسر باليدين) لا بيد واحدة كالمتكبرين (ويقدم المكسور على الصحيح) اى فى اكله (ولا يلتفت يمينا وشمالا) لانه يوجب اختيالا (ويصغر اللقمة) ايماء الى القناعة كما يشير اليه حديث يكفى ابن آدم لقيمات بصيغة التصغير (ويجود المضغ) فانه يعين على سرعة الهضم ومالم يبتلعها فلا يمديده الى غيرها اشعارا بعدم الشره وطول الامل واحتمال قرب الاجل واما حديث الامر بتصغير اللقمة وتدقيق المضغة فقال النووى لا يصح ذكره الزركشى وكذا حديث صغروا الخبز واكثروا عدده يبارك لكم فيه ضعفه ابن حبان رواه الديلمى بسند عن عائشة مرفوعا (ويستعين باليسرى) اى من اليدين (عند الحاجة) اى الملجئة اليها فى الطبرانى عن عبد الله بن جعفر قال رأيت فى يمين النبى صلى الله عليه وسلم اقناء وفى شماله رطبا وهو يأكل من ذا مرة ومن ذا مرة (ولا يجمع بين الادامين) فانه نوع من الترفة فالنهى للتنزه وكذا ما فى تحفة الملوك من ان الجمع بين الاطعمة حرام اى ممنوع منع تنزيه عند السلف الكرام والا فقد قال تعالى ﴿ قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ وقد ورد انه جمع التمر والقثاء كما رواه النسائى واخرج ابو داود وابن ماجة قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمنا له

زيدا وتمرا وكان يحب الزبد والتمر (فالكل مأثور) وعند اهل الاثر مشهور والعامل به مأجور (و يلعق الاصابع) اى الثلاث و يبتدئ بالوسطى (فلايدرى فى اى جزء منه البركة) ففى صحيح مسلم من حديث انس وجابر ولايمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه فانه لايدرى فى اى طعامه بركة (و القصعة) اى و يلحسها (فهو كعتق رقبة) ففى الاحياء يقال من لعق القصعة وغسلها وشرب ماءها كان له كعتق رقبة ففى الطبرانى عن العرباض من لعق الصحفة ولعق اصابعه اشبعه الله فى الدنيا والآخرة (و يأكل السواقط) جمع الساقطة ومنه قولهم لكل ساقطة لاقطة (فهو مأثور) ففى صحيح مسلم اذا وقعت لقمة احدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من اذى ولايدعها للشيطان و اذا فرغوا الخبز فانه من بركات السماء والارض ومن اكل ماسقط فى السفرة غفرله الطبرانى (وورد فهو مهور الحور) ففى الاحياء يقال التقاط القثاء مهور الحور العين (وسبب سعة العيش) اى الرزق فى الدنيا حيث عظم نعمة المولى (والعافية فى الولد) اى ذريته من الفقر والبلاء ففى الاحياء من اكل مايسقط من المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده قال المخرج رواه ابو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث جابر بلفظ امن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق وفى رواية اعطى سعة من الرزق ووقى الحمق فى ولده وولد ولده (و يخلل الاسنان) اى تنظيفا (و يخرج) اى بالخلال (مابقى منه) اى ولايبلعه الا اذا تخلله بلسانه (و يمضمض) اى بعد التخلل مبالغة فى النظافة والاطافة (فالكل مأثور) و بعضه فيما قدمنا مذكور وفى الاحياء فيه اثر من اهل البيت (و يحمد الله تعالى) بان يقول الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا و يرضى والحمد لله الذى اطعمنا وسقانا وجعلنا من المسلمين والحمد لله الذى اطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولاقوة وامثال هذا مما ورد فى السنة (ان عرى) اى خلا الطعام (عن الشبهة) اى القوية (والايستغفر) و يندم (و يغتم) حزنا على ما اكل منه فورد كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به البيهقى فى شعب الايمان من حديث كعب بن عجرة (و يبكى) فليس من يأكل و يبكى كمن يأكل و يلهى (و يقول الحمد لله على كل حال و يقرأ الاخلاص) اى سورة قل هو الله احد (والقريش) صوابه قريش اى سورة ايلاف قريش كذا فى الاحياء ولعل الاولى للايماء الى توحيد الذات وتفريد الصفات لاسيما النعت الصمدى بالوصف الاحدى الابدى والثانية الاشعار الى تذكار وصفه سبحانه بنعت الاحسان والامتنان حيث قال * فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف * واقول وقراءة سورة الفاتحة المشتملة على الحمد والدعاء بالاستقامة الفاتحة كما هو المتعارف بين العامة مستحسن خلافا لمن منعه (ولايقوم) اى عن السفرة (قبل الرفع) اى للطعام الا اذا كان عادة ذلك المقام (و يدعو لصاحبه ان اكل طعام الغير) فيقول اللهم بارك له فيما رزقته واغفرله وارحمه وان افطر عندقوم قال افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة (و يقدم الافضل) اى فى السن والرتبة كالعالم والسيد (فى الغسل) اى فى غسل اليد آخرا و يؤخره اولا مراعاة لحشمته فيهما ففى السراجية ان من السنة ان يبدأ بالشباب قبل الطعام ثم بالشيوخ و بعد الطعام بالعكس (والاكل والشرب) اى و يقدمه فيهما مطلقا لقوله عليه السلام اذا وضع الطعام فليبدأ امير القوم او صاحب الطعام

اوخيرالقوم ابن عساكر عن ابى ادريس الخولانى مرسلا (ويقبل) اى الضيف (الاكرام كتقديم الطست) من المضيف اوغيره اصله الطس ابدل من احدى السينين تاء وحكى بالشين المعجمة كذا فى القاموس والظاهرانه عجمة (فالكرامة لاترد) بل تقبل وقداجتمع انس بن مالك وثابت البنانى وهو تلميذه التابعى فقدم انس الطست اليه فامتنع ثابت فقال له انس اذا اكرمك اخوك فاقبل كرامته ولاترددها فانما يكرم الله عز وجل وروى ان هارون الرشيد دعا ابا معاوية الضرير فصب الرشيد على يديه فى الطست فلما فرغ قال ياابا معاوية اتدرى من صب على يدك الماء قال لا قال صبه اميرالمؤمنين قال يا اميرالمؤمنين انما اكرمت العلم واجلالته فاجلك الله واكرمك كما اجللت العلم واهله (ولايطيل انتظار الجمع) اى اذا كان هو المتبوع والمقتدى به فحينئذ ينبغى له ان لايطول عليهم الانتظار اذا اجتمعوا للاكل وتهيئوا له (فورد فمالبث ان جاء بعجل حنيذ) اى مشوى وفيه انه لم يكن هناك من ينتظر فالاستدلال به فيه نظر (ولايسكت) اى حين الاكل (فهو سيرة العجم) من المجوس لكن لايتكلم كثيرا ايضا فانه يوجب الهم وهو سيرة البهم بل يتكلم بالمعروف ويتكلم بحكايات الصالحين فى الاطعمة وغيرها مما يناسب المقام (ويرافق الرفيق) بان يؤثره احسن الاطعمة ولايقصد ان يأكل زيادة على مايأكله فان ذلك حرام ان لم يكن موافقا لرضى رفيقه مهما كان الطعام مشتركا (ويتعهده) اى يتفقده فى الجملة (غير ملح) اى فى عزمه على الاكل فيقول له كل (ولايزيد على ثلاث) اى ثلاث مرات (فهو مروى) فقد كان عليه السلام اذا خوطب فى شئ ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث رواه احمد من حديث جابر واسناده حسن وفى البخارى من حديث انس كان يعيد الكلمة ثلاثا (ولايحلف) بتشديد اللام معلوما اومجهولا (فجاء) اى عن الحسن بن على (الطعام اهون من ان يحلف عليه) لان القسم انما يكون لامر يصعب لديه ولايهون اليه (ولايحوجه) اى رفيقه اومضيفه (الى التعهد) قال بعض الادباء احسن الآكلين اكلا من الرفقاء من لايحوج صاحبه الى تفقده فى اكله وحمل بفعله عن اخيه مؤنة قوله وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب الى اخوانه فيقول من اكل اكثر اعطيته بكل نواة درهما وكان النوى يعد فيعطى كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لزيادة النشاط فى بساط الانبساط وقال جعفر بن محمد احب اخوانى الى اكثرهم آكلا واعظمهم لقمة واثقلهم على من يحوجنى الى تعاهده فى الاكل (ويجمع ماء لكل فى طست ما امكن) اى مهما وسع (فوردا جمعوا وضوءكم) بالفتح اى ماء الوضوء وهو يشمل اللغوى والشرعى (جمع الله شملكم) اى تفرقكم والحديث رواه القضاعى من حديث ابى هريرة باسناد لابأس به وكان حق المصنف ان يأتى بهذه الجملة قريبا مما سبق ليكون متعلق غسل اليدين على طبق النسق والحاصل ان الاجتماع على غسل الايدى فى الطست الكبير لابأس به اذا كان فى حالة واحدة بل هو اقرب الى التوضع والانكسار وابعد عن طول الانتظار فان لم يفعلوا فلا ينبغى ان يصب ماء كل واحد كما يفعل بعض المتكبرين من الاعجام لما تقدم ولقول ابن مسعود اجتمعوا على غسل الايدى فى طست واحد ولاتسنوا بسنة الاعاجم وكتب عمر بن عبدالعزيز الى الامصار ولايرفع طست من بين ايدى القوم الا مملوة ولاتشبهوا بالعجم ويؤيده ماخرجه البيهقى والخطيب والديلمى عن ابن عمر مرفوعا اترعوا الطسوس وخالفوا المجوس وهو بالتاء قبل الراء اى املؤها والخادم الذى

يصب الماء على الايدى كره بعضهم ان يكون قائما واحب ان يكون جالسا اى باركا ليكون اقرب الى التواضع وكره بعضهم جلوسه واحب قيامه وفى الطست آداب وهى ان لا يبصق فيه وان يقدم فيه المتبوع وان يقبل الاكرام بالتقديم وان يدار بيمينه وان يجتمع فيه جماعة وان يجتمع الماء فيه وان يكون الخادم قائما مائلا وان يمج الماء فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى اصحابه ويصب صاحب المنزل بيده الماء على يد ضيفه كما فعل مالك بالشافعى فى اول نزوله عليه وقال لا يرعك منى ما رأيته منى فخدمة الضيف فرض قلت ولعله مأخوذ من قوله تعالى ﴿ وهل اتيك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ﴾ وقوله عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقوله اذا جاءكم الزائر فاكرموه الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث انس (ويحترز عما يكره الرفيق قولا) اى مما لا يعجبه ويكون سببا لكدورة خاطره (وفعلا كالنفخ) اى فى الطعام او الشراب لما تقدم وكذا لا يشم الطعام فانه من عمل الانعام ولا يأكل فى الظلمة فهو منهى عنه ولا قائما او ماشيا لان فيه دناءة اذا جعله عادة (والنظر الى اكله) اى فيستحيى من عمله بل يشتغل بنفسه الا اذا اكل مع اهله (ونفض اليد) اى فى القصعة (وتقريب الرأس) اى وتقديمه عند وضع اللقمة فى فمه (واخراج شئ من الفم متوجها) اى الى رفيقه او طعامه (واخذه باليمين) فينبغى ان يخرج الشئ من الفم صارفا وجهه وآخذا بيساره (وجعل اللقمة الممضوغة فى القصعة) فانه سبب تنفر الطبيعة (والدهين فى الخل) اى ولا يغمس اللقمة الدسمة بالدهن وغير فى الخل (والعكس) اى ولا الخل فى الدسم فقد يكره غيره وكذا اللقمة التى قطعها بسنه فلا يغمس بقيتها فى المرقة والخل ونحوهما (والتكلم بالفاذورات) اى الحسية والمعنوية (والاهوال) اى الاحوال من المخوفات كذكر الموت وتذكر الاموات (والاستيذان) اى طلب الاذن فى التقديم اى تقديم الطعام بل يقدمه من غير الاعلام كما يشير اليه قوله تعالى ﴿ فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين ﴾ اى ذهب الفم بخفية قال الثورى اذا زارك اخوك فلا تقل اتأكل او اقدم اليك ولكن قدم فان أكل والا فارفع (والامتناع) اى امتناع المضيف والرفيق عن الاكل (قبل امتناعه) اى امتناع صاحبه فلا يمسك قبل اخوانه اذ كانوا يحتشمون الاكل بعده بل ينبغى ان يمديده ويقبضها ويتناول قليلا قليلا الى ان يستوفوا فان كان قليل الاكل توقف فى الابتداء وقلل الاكل حتى اذا توسعوا فى الطعام اكل معهم آخرا وقد فعل ذلك كثيرا من الصحابة وان امتنع بسبب فليتعذر منهم دفعا للخجالة عنهم (والرفع) اى رفع الطعام (قبل استيفائه) اى استيفاء الضيف غرضه فى ذلك المقام بل يغتنم اطالة المجلس مع الاصحاب الكرام والاحباب الفخام فقد قال جعفر بن محمد اذا قعدتم مع الاخوان على الموائد فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من اعماركم وقال الحسن كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وابويه فمن دونهم يحاسب عليها العبد الا نفقة الرجل على اخوانه فى الطعام فان الله يستحيى ان يسأله عن ذلك ويؤيده حديث جابر عند الازدى فى الضعفاء ثلاثة لا يسألون عن النعيم الصائم والمتسحر والرجل يأكل مع ضيفه ورواه الديلمى نحوه من حديث ابى هريرة وقد ورد لا تزال الملائكة تصلى على احدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع الطبرانى فى الاوسط من حديث عائشة وفى الاحياء روى عن بعض علماء خراسان انه كان يقدم الى اخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على

اكل جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الاخوان اذا رفعوا ايديهم عن الطعام لم يحاسب من اكل فضل ذلك الطعام فانا احب ان استكثره مما اقدمه اليكم لتأخذ فضل ذلك قال العراقى لم اقف للحديث على اصل وعن على لان اجمع اخوانى على صاع من طعام احب الى من ان اعتق رقبة وقيل اجتماع الاخوان على الكفاية من الانس والالفة ليس هو الدنيا وقد وردان فى الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها هى لمن الان الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام الترمذى من حديث على وعنه عليه السلام من اطعم اخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبعة خنادق مابين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام الطبرانى من حديث ابن عمر (والتكلف) اى تكلف المضيف للضيف (كالاستقراض) فى البخارى عن عمر نهينا عن التكلف وفى رواية البيهقى عن سلمان مرفوعا لايتكلفن احد لضيفه مالايقدر عليه والمعنى انه يقدم له ماحضر من الطعام فان لم يحضره شئ ولم يملك شيئا يستقرض لاجله فيشق على نفسه وقال بعض السلف فى تفسير التكلف ان تطعم اخاك مالا تأكله انت بل تقصد زيادة عليه فى الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول انما تقاطع الناس بالتكلف يدعو احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه وقال بعضهم ماابالى من اتانى من اخوانى فانى لا اتكلف له وانما اقرب ماعندى واو تكلفت له لكرهت صحبته وملته وقال بعضهم كنت ادخل على اخ لى فيتكلف فقلت له انك لا تأكل وحدك هذا ولا انا فمابالنا اذا اجتمعنا اكلناه فاما ان تقطع هذا التكلف او اقطع المجئ فقطع التكلف ودام اجتماعها بسبب ذلك (وتقديم شئ تحتاج اليه العيال) اى بان يقدم جميع ماعنده فيجحف بعياله ويؤذى قلوبهم فى ماله وروى ان رجلا دعا عليا رضى الله عنه فقال اجيبك على ثلاث شرائط لاتدخل من السوق شيئا ولاتدخر ما فى البيت ولا تجحف بالعيال (ولاتسامح النفس به) فانه من جملة التكلف (فهو يورث الانقطاع) اى انقطاع الصحبة والالفة والاطعام والضيافة قال الثورى اذا اردت ان لاتطعم عيالك مما تأكله فلا تحدثهم به ولا يرونه منك وعن بعضهم دخلت على جابر بن عبد الله فقدم الينا خبزا وخلا ولولا انا نهينا التكلف لتكلفت لكم رواه احمد وقال بعضهم اذا قصدت للزيارة فقدم ماحضر وان استزرت فلا تبق ولا تذر * وعن سلمان امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نتكلف للضيف ماليس عندنا ان نقدم اليه ماحضرنا وروى ابو بكر بن لال فى مكارم الاخلاق من حديث سلمان لايتكلف احد لضيفه مالايقدر عليه وعن انس وغيره من الصحابة انهم كانوا يقدمون ماحضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لاندرى ايهما اعظم وزرا الذى يحقر مايقدم اليه والذى يحتقر ماعنده ان يقدم (ويقدم) اى المصنف (مايشتهى) اى مايحبه لنفسه لقوله تعالى * لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون * اومايشتهيه الضيف اذا علم من حاله فى الشمائل انه عليه السلام زار بعض اصحابه فذبح له شاة فقال علموا انا نحب اللحم ويستحسن ان يشهى المزور اخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل مايقترح قال ابو بكر الكتانى دخلت على السدى فجاء بفتيت واحد فجعل نصفه فى القدح فقلت اى شئ تعمل انا اشربه لك كله فى مرة واحدة فضحك فقال هذا افضل من حجة (فورد من صادف) اى وافق كما فى رواية (من اخيه شهوة) اى علمها وقدر عليها (فقضاها) اى فاطعمها اياه (غفر له) البزار والطبرانى من حديث

ابى الدرداء ومما ينبغى للزائران لايقترح بشئ بعينه فربما يشق على المزور فروى الاعمش عن ابى وائل انه قال مضيت مع صاحب لى نزول سلمان فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا فقال صاحبى لوكان فى الملح سعتر لكان اطيب فخرج سلمان فرهن مطهرته واخذ سعترا فلما اكلنا قال صاحبى الحمدلله الذى قنعنا بمارزقنا فقال سلمان لوقنعت بمارزقت لم تكن مطهرتى مرهونة هذا وان خيره اخوه بين طعامين فليتخير ايسرهما عليه ففى الخبر ماخير عليه السلام بين شيئين الااختار ايسرهما متفق عليه من حديث عائشة ثم اذا علم الضيف فرح المضيف باقتراحه عليه وتيسره لديه فلابأس به بل يحصل زيادة الانبساط بسببه وقدفعل ذلك الشافعى مع الزعفرانى اذاكان نار لاعليه ببغداد وكان الزعفرانى يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويسلمها الى الجارية فاخذ الشافعى الرقعة فى بعض الايام والحق فيها لونا آخر بخطه فلما رأى الزعفرانى ذلك اللون انكره وقال مامرت بهذا فعرضت عليه خط الشافعى ملحقا فى الرقعة فلما وقعت عينه على خطه فرح به واعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعى عليه وذلك لانه يدل على صداقته كمايشيراليه قوله تعالى * اوصديقكم * وقد قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر منزل ابى الهيثم بن التيهان كما فى الشمائل للترمذى وقال حسن صحيح ومنزل ابى ايوب الانصارى كماوواه الطبرانى فى المعجم الصغير عن ابن عباس بسند ضعيف لاجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا والدخول على مثل هذه الحالة اعانة لذلك المسلم عن جيازة الثواب وهى عادة السلف وكان عون بن عبدالله المسعودى له ثلاثمائة وستون صديقا يدور عليهم فى السنة ولآخر ثلاثون يدور عليهم فى الشهر ولآخر سبعة يدور عليهم فى الجمعة ثم ان دخل ولم يجد صاحب الدار وكان وثقا بصداقته عالما بفرحه من حسن حاله اذا اكل من ماله فله ان يأكل بغيراذنه اذمدار الاذن على الرضا لاسيما فى الاطعمة فامره على السعة فرب رجل يصرح بالاذن ويحلف وهو غيرراض فاكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن فاكل طعامه محبوب وقد دخل عليه السلام دار بريرة واكل طعامها وهى غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلغت الصدقة محلها وكان محمد بن واسع واصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون مايجدون بغيراذن فكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر ويقول هكذا كنا وروى عن الحسن انه كان قائما يأكل من متاع بقال يأخذ من هذه الخرقة تينة ومن هذه عنبة فقال له هشام مابالك يا ابا سعيد فى الورع تأكل متاع الرجل بغيراذنه فقال بالكع اتل على آية الاكل فتلا الى قوله اوصديقكم فقال فمن الصديق يا اباسعيد قال من استروحت اليه النفس واطمأن اليه القلب وجاء قوم الى منزل سفيان الثورى فلم يجدوه ففتحوا الباب وانزلوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثورى فجعل يقول ذكرتمونى اخلاق السلف هكذا كانوا وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده مايقدمه اليهم فذهب الى منزل بعض اخوانه فلم يصادفه فى المنزل فدخل فنظر الى قدر قد طبخها والى خبز قدخبزه وغيرذلك فحمله كله وقدمه الى اصحابه فقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل قداخذه فلان فقال قد احسن فلما التقيا قال يا اخى ان عادوا فعد هذا ومن الخصال الذميمة ان تقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فتدخل وقت اكلهم لمرامهم فان ذلك من الفجعة حال الفجأة فقد قال تعالى * يا ايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن

لكم الى طعام غيرناظرين اناه * اى غير منتظرين حينه ومتربصين نضجه وفى الخبر من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا و اكل حراما البيهقى من حديث عائشة ولابى داود من حديث ابن عمر من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا (و يضيف) اى بما قدر عليه وحضر لديه (فورد لاخير فيمن لايضيف) احمد من حديث عقبة بن عامر وقال انس كل بيت لايدخله ضيف لايدخله الملائكة ومر عليه السلام برجل له ابل كثيرة و بقرة كثيرة فلم يضفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال عليه السلام انظروا اليها انما الاخلاق بيد الله تعالى فمن شاء ان يمنحه خلقا حسنا فعل رواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق من رواية ابى المنهال مرسلا وقال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل به عليه السلام ضيف فقال قل لفلان اليهودى نزل بى ضيف فاسلفنى شيئا من الدقيق الى رجب فقال اليهودى والله لااسلفه الا برهان فاخبرته فقال عليه السلام والله انى لامين فى السماء امين فى الارض ولو اسلفنى لأديته اذهب بدرعى ارهنها عنده رواه ابن مردويه فى تفسيره واسحق بن راهويه فى مسنده فان قلت قد تقدم المنع عن الاستقراض فكيف الجمع قلت محله اذا لم يكن له مايستفكه و يخلصه فيكون تكلفا زائدا لا يحمله هذا وكان ابراهيم الخليل اذا اراد ان يأكل خرج ميلا يلتمس من يتغذى معه وكان يكنى ابا الضيفان ولصدق نيته وحسن مقصده دامت ضيافته فى مشهده الى يومنا هذا فى بلده فلا تنقضى ليلة الا و يأكل عنده جماعة من ثلاثة الى عشرة الى مائة (و يقصد به) اى باطعامه (الاتقياء) من الفقراء (اعانة على البر) وزيادة الطاعة فقد ورد فى دعائه عليه السلام اكل طعامكم الابرار وفى قوله لايأكل طعامك الاتقى وقد تقدم (دون الاغنياء) ولو كانوا من الصلحاء (فوردانه) اى عكسه (شر الطعام) يعنى به حديث شر الطعام الوليمة يدعى اليه الاغنياء دون الفقراء متفق عليه من حديث ابى هريرة (ولايهمل الاقرباء) اى لايتركهم فى الطلب لضيافة الغرباء (والاخوان) اى الاحباب من الصلحاء لقوله تعالى * الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (ولايخص بعضهم) بل يعمهم (تحاميا عن الوحشة) اى النفرة عن الصحبة (وقطع الرحم) لاسيما اذا كان المدعو ابعد فى النسبة (و ينوى) اى بالضيافة (استمالة القلوب) اى ميل قلوب الاخوان والاقارب اليه بالمحبة الدالة على محبته تعالى لديه وهو ينوى اكرام اخيه المؤمن اتباعا لقوله عليه السلام من اكرم اخاه المؤمن فكأنما يكرم الله و ينوى ادخال السرور على قلبه امتثالا لقوله عليه السلام من سر مؤمنا فقد سر الله عزوجل ابن حبان والعقيلى فى الضعفاء من حديث ابى بكر الصديق (واقامة السنة) اى الطريقة الحسنة (دون المباهاة) اى لا المفاخرة بكثرة النعمة ولا قصد الرياء والسمعة ولا ارادة العوض وجل المنة (ولايدعو من يستثقل الحضور) اى حضور مجلس الضيافة او محفل الجماعة لان الثقيل مليل كالعليل (ولا من يتأذى به الحاضرون) كالمبروص وصاحب الجذام ومن يكثر الضحك والكلام و يبحث بالشدة مع العلماء الاعلام (ولا الفاسق فانه اعانة على الاثم) بل على الآثام وقد قال تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان (ويجيب) اى دعوة الداعى الى وليمة ونحوها ان قدر (تاويا اكرام المؤمن فورد من اكرم اخاه المؤمن فانما يكرم الله) لان المؤمن مرآة المؤمن والحديث رواه الاصفهانى فى الترغيب والترهيب من حديث جابر والعقيلى من حديث ابى بكر (واسراره) اى تفريحه (فورد من سر

مؤمنا فقد سر الله) وقد تقدم (والحذر عن المعصية فورد من لم يجب الداعي فقد عصى الله) اي الله ورسوله كما في المتفق عليه من حديث ابي هريرة (واقامة السنة فهي مؤكدة) اي قريبة للوجوب او الاول دليل قولي والآخر دليل فعلي فلا يميز الغني بالاجابة عن الفقير فان ذلك هو التكبر المنهي عنه ولذلك امتنع بعضهم عن الاصل الاجابة وقال بعضهم انتظار المرقة مذلة وقال آخر اذا وضعت يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رقبتي فقيل هذا خلاف السنة ودفع بان محله اذا كان الداعي لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد بها المنة ولذا قال بعض الصوفية لا تجب الادعوة من يرى انك اكلت رزقك وانه يسلم اليك الوديعة ويرى لك في قبولها الفضل والمنة وقال السري السقطي الح على لقمة ليس على الله فيها تبعة ولا للمخلوق فيها منة (ويتعلل) اي و يتعذر ويأتي بنوع من العلة اذا لم يرد الاجابة وذلك (لاستثقال الداعي الاطعام) وانما هو حياء من بعض الانام (وقصده المباهاة) اي ولارادته المفاخرة فليس من السنة اجابة من يطعم مباهاة او تكلفا فروى ابو داود من حديث ابن عباس انه عليه السلام نهى عن طعام المتباريين اي المتباهيين كما في رواية العقيلي والمتباريان المتعارضان بفعلهما للمباهاة والرياء كما قاله ابو موسى المديني (والتهامي) اي و يتعلل ايضا للاحتراز والاحتراس (عن ارتكاب معصية) اي مما يوجد عند الداعي (ككون الشبهة) اي القوية (في الطعام والمنكر في المجلس) اي مناكر الآثام من فرش ديباج او آنية فضة او تصوير حيوان على حائط او سماع شيء من المزامير او الملاهي او تشاغل بنوع من اللهو والهزؤ واللعب فكل ذلك مما يمنع من الاجابة واستحبابها ويوجب تحريمها او كراهتها وكذلك اذا كان الداعي ظالما او مبتدعا او فاسقا او شريرا او متكلفا طالبا للمباهاة والرياء والسمعة فلا يجاب له الدعوة (فالنية) اي تصحيحها او تحسينها (انما تؤثر في المباح) فتجعله عبادة وتخرجه عن كونه عادة بخلاف المعصية فانها لا تؤثر في تغييرها النية فلا يصح له ان ينوي سرور اخوانه بمساعدتهم في شرب الخمر او سماع المزامير ونحوها) لا) اي لا يتعلله (لنقصان الجاه) اي في المدعو (ولا لفقر الداعي فهو) اي كل منهما (تكبر وكان عليه الصلوة والسلام) مع كمال عزه وكمال جاهه (يجيب دعوة العبد والفقير) وفي الاحياء المسكين بدل الفقير وكلاهما ليس في اصل الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجة من حديث انس وضعفه الترمذي وصححه الحاكم وفي ذكر العبد غنية عنه ولقد اجاب دعوة خياط كما في الشمائل ومر الحسن بن علي رضي الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق وقد نثروا كسرا على الارض وهم يأكلون وكان راكبا على بغلته فسلم عليهم فقالوا هلم الى الغدايا ابن بنت رسول الله فقال نعم ان الله لا يحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الارض واكل من طعامهم ثم سلم عليهم وركب وقال قد اجبتكم فاجيبوني فقالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا عنده فقدم اليهم فاخر الطعام وجلس يأكل معهم (ولا) اي لا يتعلل (لبعد المسافة ان اعتيدت) اي الدعوة اليه والاجابة لديه (فورد) اي في البخاري من حديث ابي هريرة (لو دعيت الى كراع الغميم لاجبت) وتمامه ولو اهدي الى ذراع لقبلت والظاهر ان المراد كراع الشاة لكن في المتن مقيد بكراع الغميم تبعا لما في الاحياء. وهو بفتح المعجمة وكسر الميم واد بين الحرمين على مرحلة من مكة وقيل اسم موضع قريب بالمدينة وانه مما يعتاد مساقها بالحضور اليها في الاجابة اوارد بذكره غاية المبالغة الا ان العراقي قال ذكر الغميم لا يعرف ويرد هذه الزيادة

مارواه الترمذى من حديث انس لواهدى الى كراع لقبلت (ولاالصوم) ولايتعلل لاجل صومه (فيفطر) ان كان نفلا (ان الخ) اى قبل الزوال (فاسرار المؤمن) اى فرحه بفطره (يعدل الصوم) مع ان الصوم له قضاء بخلاف كسر خاطر من له وفاء فانه جفاء (وورد تكلف لك اخوك) اى بطبخ الطعام (وتقول انى صائم) قاله على سبيل التوبيخ على ترك الافطار للضيف عند الالحاح والحديث رواه البيهقى من حديث ابى سعيد الخدرى صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما فاتانى هو واصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم انى صائم فقال عليه السلام دعاكم اخوكم وتكلف لكم الحديث وللدارقطنى نحوه من حديث جابر (والا) اى وان لم يفطر (فضيافته بالعطر) اى طيب المشام (وطيب الكلام والاكتحال والادهان ونحوها) من اصناف الاكرام (ويجلس حيث يجلس) فانه قد يكون رتب فى مجلسه موضع كل واحد فمخالفته لديه تشويش عليه وان اشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع اكراما فلا يرتفع (فهو تواضع) فقد ورد ان من التواضع لله الرضى بالدون من المجلس الخرائطى فى مكارم الاخلاق وابونعيم فى رياضة المتعلمين من حديث طلحة بن عبدالله بسند جيد ثم يخص من يجنبه بالسلام والكلام (ولاينظر الى جانب يأتى منه الطعام فهو مشره) اى دال على حرص فى الاكل (ولايطيل) اى الضيف (انتظار المضيف) اذا دعاه فان الانتظار اشد من الموت خصوصا عند توهم الفوت (ولايعجل) اى الضيف فى المجئ (قبل الاستعداد) اى استعداد المضيف الطعام وتهيئته المقام (ويغير منكرا رأى ان قدر) اى على تغييره بيده (والا) اى وان لم يقدر تغييره باليد (ينكر باللسان ويرجع) اى ولايقنع بانكار الجنان فان ذلك من اضعف الايمان حتى قال احمد بن حنبل اذا رأى مكحلة رأسها مفضض فينبغى ان يخرج وكذا اذا رأى على حيطان البيت ستورا من الديباج كاستر الكعبة (ويبتدئ المضيف بالغسل) اى بغسل الايدى تحاميا عن تغر السآمة (قبل الاكل لانه داع) فيكون كالمؤذن يتوضأ قبل اذانه فقد غسل مالك يده قبل الطعام وقبل القوم وقال الغسل قبل الطعام وقال الغسل قبل الطعام لرب البيت اولى لانه يدعو الناس الى كرامته انتهى ولايخفى ان هذا عيب فى عرف زماننا ان كان فى المجلس فالاولى ان يغسل قبل انعقاد المجلس له اوفى آخره تواضعا (ويتأخر) اى فى غسل اليد (بعده) اى فراغ الاكل (انتظارا للداخل) اى ممن يأكل معه (وتعظيما للضيف) اى بالتأخر لانه تواضع معه فى محله ولهذا ينبغى ان يكون آخرهم اكلا فقد كان بعض الكرام يقدم الطعام فاذا قارب القوم من التمام جثا على ركبتيه ومديده الى الطعام بين يديه واكل وقال بسم الله ساعدنى بارك الله عليكم وكان السلف يستحسنون ذلك منه (ويقدم مايكفى) اى من الطعام (فالنقص) عن قدر الكفاية (ترك المروءة) اى مع وجود القدرة (والزيادة) على قدر الحاجة (رياء الا ان يجيز الذهاب به) اى بطيب نفسه باخذ مافضل من الطعام اونوى ان يتبرك بفضلتهم وقد احضر ابراهيم بن ادهم طعاما كثيرا على مائدة فقال له سفيان يا ابا اسحاق اما تخاف ان يكون هذا سرفا قال ابراهيم ليس فى الطعام اسراف ولعل ذلك لانه ليس فى تضييع واتلاف وبويده قولهم لاخير فى سرف ولاسرف فى خير فهو من قبيل المباحات والمذموم نية المباهاة فان لم يكن نية صحيحة فالتكثير تكلف وتصنع قال ابن مسعود نهينا ان نجيب دعوة من يباهى بطعامه وكره جماعة من

الصحابة اكل طعام المباهاة وهذا من ذلك وكان لا يرفع من بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لانهم كانوا لا يقدمون الا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع بل حد الكفاية والقناعة (ويميز اولا) اى يفرز من الطعام ابتداء (نصيب العيال تحاميا عن اهتمامهم) اى لئلا تكون اعينهم طامحة الى رجوع شئ منه فلعله لا يرجع فيضيق صدورهم وتنطلق فى الضيفان السنتهم ويقوم شرورهم فيكون قد اطعم الضيفان مما يتبعه كراهة قوم وتلك خيانة فى حقهم (ولا يرفعه الضيف) اى ما بقى من الاطعمة فليس للضيفان اخذه وهو الذى تسميه الصوفية الزلة لما فيه نوع من المزلة (الا ان يعلم) اى الضيف بقرينة الحال (بسروره) اى يفرح المضيف اذا اخذه فرفعه حينئذ وان كان بنان كراهته لذلك فلا ينبغى ان يؤخذ شئ هنالك الا اذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض به واذا علم رضاه فينبغى مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا ينبغى ان يأخذ كل واحد الا ما يخصه او يرضى به رفيقه عن طوع وسخاء لا عن كراهة وحياء ويختار ايسر الطعامين اذا خير الضيف بينهما لانه عليه السلام كان اذا خير بين امرين اختار ايسرهما ولا يقترح الضيف على المضيف الا اذا علم فرحه بذلك كما فعله الشافعى فى بيت الزعفرانى (واذا بات) اى اقام الضيف عنده فى الليل (يريه القبلة) اى يعلمه المضيف جهة الكعبة (والمتوضأ) اى محل الطهارة هكذا فعل مالك بالشافعى وفيه اشارة الى قيام الليل بالتهجد ونحوه وكناية عن قضاء الحاجة فى وقته (ويكرمه) اى المضيف الضيف بما امكن من انواع الاكرام (فورد) اى عنه عليه السلام (من كان يؤمن بالله واليوم الاخر) اى بجميع ما يجب الايمان به واكتفى بطرفى المؤمن به (فليكرم ضيفه) متفق عليه من حديث ابى شريح (وهو) اى اكرامه اولا (باظهار الانبساط والسرور) اى الفرح فى مقام النشاط عند الدخول والخروج وعلى المائدة وسائر اوقات الصحبة قبل للاوزاعى ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وطيب الحديث وقال زيد بن ابى زياد ما دخلنا على عبد الرحمن بن ابى ليلى الا حدثنا حديثا حسنا واطعمنا طعاما حسنا وثانيا بتعجيل الطعام فانه يقال السلام قبل الطعام والطعام قبل الكلام وهو احد المعنيين فى قوله تعالى ۞ هل اتيك حديث ضيف ابراهيم المكرمين* انهم اكرموا بتعجيل الطعام اليهم ودل عليه قوله سبحانه۞ فما لبث ان جاء بعجل حنيذ۞ اى مشوى وقوله فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين اى ذهب بسرعة او بخفية وقد جاء بفخذ من لحم وانما سمى عجلا لانه عجله كذا فى الاحياء والاظهر ان العجل على حقيقته عبارة ويؤخذ منه العجلة اشارة وقد ورد الاناة من الله والعجلة من الشيطان كما رواه الترمذى من حديث سهل بن سعد الا ان ابا داود روى من حديث سعد بن ابى وقاص التؤدة فى كل شئ فى عمل الاخرة قال الاعمش لا اعلم الا انه رفعه (وصب الماء) اى ويكبه المضيف (على اليد) اى يد الضيف وهو احد المعنيين فى الآية السابقة وقد وفد النجاشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم بنفسه فقال اصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال انهم كانوا لاصحابى مكرمين وانا احب ان اكافيهم (والتشييع الى الباب) اى باب الدار قال عليه السلام من السنة للضيف ان يشيع الى باب الدار كذا فى الاحياء وسكت عنه مخرجه (واخذ الركاب) اى ركاب الضيف للمركوب (فالكل مأثور) والاخير مروى عن فعل ابن عباس يزيد بن ثابت (ويرجع) اى المضيف (فرحا) اى فى نفسه (وان

قصر فى حقه) اى ولوقصر المضيف فى حق الضيف (برضاء المضيف) متعلق بيرجع (فهو من حسن الخلق) فى عشرة الخلق فقدورد حديث حسن واسناده حسن عن الحسن عن ابن الحسن عن ابى الحسن عن جد الحسن ان احسن الحسن الخلق الحسن (ولايكون) اى لايثبت الضيف ولايقيم اكثر من ثلاثة ايام تحرزا عن السامة) الموجبة للملامة (وورد) فى الصحيحين من حديث ابى شريح الخزاعى (الضيافة ثلاثة ايام ومازاد فصدقة) يعنى ان شاء فعل وان شاء ترك (الاان يلح) اى يبالغ المضيف على الضيف بالقعود عنده زيادة على الثلاثة ويعرف انه من صميم قلبه وطيب نفسه (ويعد فراش الضيف) اى بهيئه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان مسلم من حديث جابر (يستأذن كل) اى من الضيف والمضيف (صاحبه فى صوم النفل فهو ماثور) ويعتذر اذا كان فرضا من قضاء اونذر وعن عائشة فى رواية الترمذى من نزل على قوم فلايصوم تطوعا الاباذنهم (ويرسل الطعام لاصحاب المصائب) اى بموت بعض الاقارب (فامر عليه السلام به) اى بارسال الطعام المسمى بالعرفة فى لسان العام (لآل حمزة) اى عمه (وجعفر) اى ابن عمه هو اخو على بن ابى طالب من ابيه وامه فى وقت شهدتهما (الاان يكون) اى هناك (منكر) كالنوح ولطم الوجه وخرق الثوب وكشف العورة (تحرزا عن الاعانة على الاثم) اى المعصية وقد قال تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان * والحديث معروف فى جعفر دون حمزة فروى ابوداود والترمذى وابن ماجة من حديث عبدالله بن جعفر بسند حسن انه لما جاء نعى جعفر ابن ابى طالب قال صلى الله عليه وسلم ان آل جعفر شغلوا بميتهم عن طعامهم فاحملوا اليهم مايأكلون (ويجتنب طعام السلطان) اى اكله فانه لابد فيه نصيب من الشيطان (ويقبل) اى طعامه (لو اكره) على قبوله واكله فقدورد رفع عن امتى الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه ابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه عن ابن عباس واذا ابتلى به فليقلل من اكله (ولايقصد الاجود) اى الاطيب من الاطعمة هضما للنفس ومخالفة للهوى ومتابعة للكفاية والقناعة لاسيما اذا كان الطعام فيه نوع من الشبهة فقدرد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها فقال رأيتك تقصد الاطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها على ذلك واجبر السلطان هذا المزكى على الاكل فقال اما آكل واخلى التزكية اوازكى ولاآكل فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه وحكى ان ذا النون المصرى حبس فلم يأكل اياما فى السجن وكانت له اخت فى الله فبعثت اليه من غزلها طعاما على يدى السجان فامتنع من اكله فعاتبته المرأة بعد ذلك فقال كان حلالا ولكنه جاءنى على طبق ظالم واشار به الى يد السجان وهذا غاية الورع (ونحو الثوم) اى ويجتنبه (والبصل والكراث) اى وسائر البقول التى لها رائحة خبيثة خصوصا اذا كان يريد دخول المسجد قبل زوال الرائحة الكريهة (لاسيما يوم الجمعة) لكثرة الجماعة (فهو منهى عنه لتنفر الملائكة والناس عن ريحه) ولذا يستحب التطيب فى حضوره (والاكل اى ويجتنبه (فى السوق) وفى معناه محضر جماعة من المسجد وغيره (فهو دناءة) اى دالة على قلة المبالاة وعدم الديانة فقد حكى عن ابراهيم النخعى انه قال الاكل فى السوق دناءة وفى الاحياء واسند الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غريب لكن قال مخرجه رواه الطبرانى من حديث

ابى امامة وهو ضعيف ورواه ابن عدى فى الكامل من حديثه وحديث ابى هريرة انتهى و تعدد طرقه يمايرتقيه الى حسنه كما لايخفى واما قوله فى الاحياء فقد نقل ضده عن ابن عمر انه قال كنا ناكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشى ونشرب ونحن قيام رواه والترمذى وصححه فلايظهر وجه التضاد اذيمكن المشى والقيام ان يكونا فى غير السوق واما قوله تعالى * مالهذا الرسول يأكل الطعام و يمشى فى الاسواق * فانكار منهم عليه بكل واحد منهما لا بالجمع بينهما فمعنى قولهم يأكل الطعام انه ليس من الملائكة وقولهم يمشى فى الاسواق لاحتياجه الى المبايعة (الابنية التواضع وهضم النفس) وفيه ان الكراهة لما فيه من الدلالة على الدناة باكله فى نظر الجماعة فكيف يرتفع كراهة القضية بهذه النية وقد صرح الائمة بقدح ذلك فى الشهادة (والاحتماء) اى و يجتنبه (فى الصحة فهو يضر) اى فى الصحة (كتركه فى المرض) فان وجوده فيه الدواء من كل الادواء وقيل من احتمى فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العوافى ومن اللطائف انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيبا يأكل تمرا واحدى عينيه رمدة فقال اتأكل التمر و انت ارمد فقال يارسول الله انما امضغ بالشق الآخر يعنى الجانب السليم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ماجة من حديث صهيب باسناد جيد (و يمقل) بضم القاف اى يغمس (الذباب الواقع) فى الشراب (ثم ينقل) اى يخرج (الذباب ففى احد جناحيه داء والآخر دواء) رواه البخارى وابن ماجة عن ابى هريرة مرفوعا اذا وقع الذباب فى شراب احدكم فليغمسه ثم ينزعه فان فى احد جناحيه داء وفى الآخر شفاء (و يذكر الجائع) حال اكله ووقت شبعه و يقول اللهم لاتؤاخذنى بحق الجايعين (وحساب يوم القيمة) فان حلال الدنيا له حساب وحرامها له عقاب يوجب الملامة والندامة (ولا يواكل الاشرار ولايشار بهم) بل ولايصاحبهم ولايقار بهم (بل الاتقياء) من الابرار (والعلماء) من الاخيار (فهو يورث الحكمة) اى وانواعا من الاسرار المنضمة الى الانوار الجمة (ولا يواظب على البر) اى اكل عيش الحنطة (ثلاثة ايام فهو المروى) اى فى الصحيحين عن ابى هريرة ماشبع آل محمد من طعام ثلاثة ايام تباعا حتى قبض (و يأكل الشعير فهو اكثر طعام الانبياء عليهم السلام) وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة واهله طاويا لايجدون عشاء وكان خبزهم الشعير رواه والترمذى وصححه (و يخلط البر به) اى بالشعير فى اكله (فهو سبب لبركة و يأكل من التمر الاوتار) اما ثلاثا واما خمسا واما سبعا (فورد من يصبح بسبع تمرات عجوة) هو جنس من تمر المدينة او غيرها (لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر) احمد والشيخان وابو داود عن سعد (ولايجمع بين التمر والنوى فى طبق) اى مشترك بينه و بين رفيقه (وكف اى ولا فى كف لتقدر صاحبه (بل يجعله) اى النوى (من الفم فى ظهر اليد) اى لا فى بطن الكف واصابعه (فيلقى) اى فى مكان يليق (وكذلك نحوه) اى نحو التمر او نواته من الخوخ والعنب وكذا فضلات التين والرطب وفى رواية عبدان عن ابى موسى انه عليه السلام نهى عن فتح التمر وقشر الرطب (ويقدم الثمار) اى كل الفاكهة الرطبة (فورد) اى فى وصف ما فى الجنة (وفاكهة مما يتخيرون) اى يختارون (ولحم طير مما يشتهون) والاستدلال به من حيث الترتيب الذكرى بينهما وهو ايضا اقرب الى قواعد الطب فانها اسرع استحالة فينبغى ان يقع فى اسفل المعدة

وفيه ايضا اشارة الى تقديم الطف الالوان من الطعام حتى يستوفى منه من يريده ولا يكثر الاكل بعده بخلاف عادة المترفين من تقديم الغليظ من الاطعمة لتستأنف حركة الشهوة لمصادفة اللطيف بعده وذلك خلاف السنة لانه حيلة فى استكثار الاكل والوسعة ثم الافضل بعدما تقدم الفاكهة اللحم والثريد وقدورد سيد الادام اللحم وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام فان جمع اليه الحلاوة فقد جمع الطيبات * وانزلنا عليكم المن والسلوى * فالمن العسل والسلوى اللحم سمى سلوى لانه يتسلى به عن جميع الادام ولا يقوم غيره مقامه فى مقام المرام قال ابو سليمان الدارانى اكل الطيبات تورث الرضاء عن الله عزوجل من جميع الجهات وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد فانه من اعظم اللذات ولذا ورد فى الدعاء النبوى اجعل حبك احب الى من الماء البارد وقال بعضهم اذا كان خبزك جيدا وخلك حامضا وماؤك باردا فهو كفاية وقال تأخير الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الالوان (ويأكل ما اصاب) اى من الثمار فى مواسمها (فهو المروى) لانه سبحانه ما خلقها فى تلك الازمنة والامكنة الا لحكمة بالغة فى منفعة الخلق بها والتلذذ بسببها والتذكر بها على فواكه الجنة وكثرة انواعها وفى الاحيا ويأكل ما وجد من الطعام الحلال ان وجد تمرا دون خبز اكله وان وجد شواء اكله وان وجد خبز براو شعيرا اكله وان وجد حلوا او عسلا اكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا اكله وان وجد رطبا اكله (ويجوع النفس) اى يرتاضها ويهذبها بتقليل الاكل لوليمة الفردوس وذلك لان تلك الوليمة للمتجردين فى الدنيا الزاهدين فيها والمرتاضين بانواع الرياضة على انفسهم منها رضاء للمولى ولله در القائل

* ويلهيك عن دار الخلود مطاعم * ولذة نفس غيها غير نافع *

فقدورد اجوعكم فى الدنيا اشبعكم فى العقبى (فكان عليه السلام يعقد الحجر) اى يربطه (على البطن) اى بطنه (من الجوع) اى من شدة ما به من الجوع وقد اشبعت الكلام عليه فى جمع الوسائل شرح الشمائل (ويجتنب الشرب فى اثناء الاكل) اى لمنع ارباب الحكمة (الا لتعلق لقمة او صدق عطش) اى لكثرة حرارة فقد يقال ان ذلك مستحب فى الطب وانه دباغ المعدة من الغش ولا يشرب على الريق واذا عطش ولم يقدر ان يصبر فليأكل لقمة ليوافق الحكمة ويشير اليه قوله تعالى * كلوا واشربوا * وان كان الواو لمطلق الجمع فان التقديم الذكرى قد قد يفيد الترتيب كما حقق فى قوله تعالى ۞ ان الصفا والمروة ۞ وقوله عليه السلام ابدؤا بما بدأ الله سبحانه (ولا يكثر) اى من الشرب بعده (فهو يقلل الهضم) لانه يبرد المعدة ويفسدها بل يصبر قدر ساعة ونحوها (ويأخذ الكوز باليمين) لما ورد من ان الشيطان يشرب بشماله كما فى مسلم وغيره (ويشرب فى ثلاث انفاس) لما فى الصحيحين وغيره عن انس انه عليه السلام كان اذا شرب تنفس ثلاثا ويقول هو اهنا وامرأ وابرأ وفى رواية الترمذى وابن ماجة عن ابن عباس كان اذا شرب تنفس مرتين فتحمل القضيتان على مرتين والاولى اكثر واظهر واشهر (مفتتحا بالتسمية) وهو القياس على الاكل وعن ابن مسعود انه عليه السلام كان اذا شرب يتنفس فى الاناء ثلثا يسمى عند كل نفس ويشكر فى آخر هن ابن السنى والطبرانى ويقول الحمد لله الذى سقانا عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا الطبرانى فى الدعاء مرسلا من رواية ابى

جعفر محمد بن علی بن الحسین (ومختتما بالتحمید فی کل) ای فی کل نفس (وهو السنة) ای کمالها والا فالسنة المعروفة هو التسمیة فی اول الشرب والتحمید فی اول الشرب والتحمید فی آخره (وورد) عن انس بروایة الدیلمی مرفوعا (مصوا الماء مصا) ای اشربوه قلیلا قلیلا یشبه مصا وفی روایة ابی داود عن عطاء بن ابی رباح اذا شربتم فاشربوه مصا (ولاتعبوه عبا) ای ولاتشربوه کثیرا یشبه صبا (فان الکباد) بالضم وهو وجع الکبد (من العب) ای من هذا النوع فی الشرب وفی روایة البیهقی عن ابن شهاب مرسلا انه علیه السلام نهی عن العب نفسا واحدا وقال ذلك شرب الشیطان (من آنیة الخزف) متعلق بیشرب ای من الکوز الفخار (ومن الخشب) وهو القدح وهو الانسب والی مشرب العرب اقرب (ثم یده) ای ثم الافضل ان یشرب بیده (فهو افضل من الکرع) ای من الشرب بفمه (وغیره) ای وغیر ماذکر کما یشرب من آنیة النحاس والصفر واما من آنیة الفضة والذهب فبالاجماع حرام علی الذکور والنساء (لاقائما) کما فی حدیث مسلم عن انس وغیره وروی عنه انه شرب قائما کما فی الصحیحین عن ابن عباس وحمل علی عذر او بیان جواز او اختصاص بماء زمزم (ولامضطجعا) لانه خلاف السنة والحکمة الالمضرورة (وینظر فیه) ای فی الماء والکوز (قبل الشرب) ای قبل ان یشرب منه حتی اذا کان فیه اذی دفعه عنه (ولاینفس فیه) ای فی داخل الاناء بل یتنفس خارجه فی الاثناء کما سبق به الایماء وورد فی الشمائل وغیره (ویحفظ اسفله) ای اسفل الکوز (عن التوضح علیه) ای علی بدنه وثوبه وغیره مما یکون مکروها لدیه (فالکل مأثور و یتبرك) ای یطلب البرکة (بسؤر المسلمین فورد سؤر المؤمن شفاء) هکذا اشتهر علی الالسنة ویستأنس له بقوله علیه السلام من التواضع ان یشرب الرجل من سؤر اخیه رواه الدارقطنی فی الافراد عن ابن عباس وقال القاضی عیاض فی شرح حدیث ام زرع و یروی عن جریر بن عبدالله انه قال لبنیه اذا شربتم فاسألوا ای اترکوا فی الاناء سؤرا وهو بقیة الشراب وفی حدیث آخر فانه اجمل ویروی عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال لاخیر فی طعام ولاشراب لیس له سؤر وفی الحلیة عن ابن عمر انه علیه السلام کان یبعث الی المطاهر ای السقایات فیؤتی بالماء فیشربه یرجو برکة ایدی المسلمین ونظره ماوقع له علیه السلام عند زمزم والله اعلم (ولایرد الماء ای ماء زمزم اومطلقا تعظیما للنعمة (ولایعرض) ای الماء علی غیره تکثیرا للمنة (ویدار الکوز) وکذا القدح والملقة فی الاکل والشرب (والطست) فی وقت غسل الید (بالایمن) فقد شرب علیه السلام لبنا و ابو بکر عن شماله واعرابی عن یمینه وعمر ناحیته فقال عمر اعط ابابکر فناول الاعرابی وقال الایمن فالایمن مالك واحمد والجماعة عن انس (ویختار الثوب الابیض) ای للبسه لاسیما یوم الجمعة واما یوم العید فیختار مافیه القیمة اکثر والزینة اظهر (فهو) ای البیاض (احب الالوان الیه صلی الله علیه وسلم) کما فی شمائل الترمذی وغیره عن سمرة بن جندب مرفوعا البسوا البیاض فانه اطهر واطیب وکفنوا فیها موتاکم وعن ابن عباس رفعه علیکم بالبیاض من الثیاب لیلبسها احیاؤکم وکفنوا فیها موتاکم فانها من خیار ثیابکم (وکان یلبس) الثوب (الاخضر) ای احیانا کما فی الشمائل والمراد به البحت لانه من ثیاب اهل الجنة اوالبرد الذی فیه خطوط خضر واما ماورد انه لبس الاحمر فمحمول علی مافیه خطوط حمر

من البرد فقد ورد عن انس كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه الحبرة وهو يوزن العنبة نوع من برود اليمن فيه خطوط حمر او خضر او زرق (والصوف) اى في بعض الاحيان باى لون كان من الالوان (وينوى فيه) اى في اللبس (ستر العورة) اى بالازار (والتزين لتودد المسلمين) اى يلبس الرداء ونحوه من العمامة والقباء والعباء وقد قال تعالى * يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد (ويبدأ بالايمن في لبس كل شئ) من نحو القميص والخف والنعل وغيرها (وبالايسر في النزع) اى نزع كل شئ كرامة لليمين فيهما فكان عليه السلام يحب التيامن ما استطاع في طهوره وتنعله وترجله وفي شانه كله رواه احمد والجماعة عن عائشة وفي الترمذى عن ابى هريرة كان اذا لبس قميصا بدأ بميامنه (ويختم) اللبس (بالتسمية ويختتم) اللبس (بالتحميد) كما هو معروف من شمائله عليه السلام ففي الشمائل عن ابى سعيد الخدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة او قميصا او رداء ثم يقول اى بعد التسمية والبسملة اللهم لك الحمد كما كسوتنيه اسألك خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له وفي رواية ابى داود وغيره من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (ويلبس السراويل) قاعدا) اى كالخف (كيلا تصيبه آفة) اى من جهة وقوعه على جانب او دابة (ولا يسبله) الاى يسدل ثوبه من القميص والسروال والازار ونحوها (الى ما تحت الكعب فقيد) اى في اسباله اليه (الوعيد بالنار) فقد ورد الاسبال في الازار والقميص والعمامة من جر منها شيئا خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيمة ابو داود والنسائى وابن ماجة عن ابن عمر بل يرفع (الى نصف الساق) فهو افضل بالاتفاق وفي رواية احمد عن انس الازار الى نصف الساق او الى الكعبين لا خير في اسفل من ذلك وفي رواية ابن سعد عن يزيد بن ابى حبيب مرسلا كان يرخي الازار من بين يديه ويرفع من ورائه وفي رواية الترمذى في الشمائل ويقول انه اتقى وانقى وابقى (ويبدأ بلبس القميص) قبل كل شئ لانه استر حيث يقوم مقام الازار والرداء فعن ام سلمة كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص رواه الترمذى في الشمائل وفيه ايضا انه كان عليه السلام كان الى الرسغ (ويلبس الخشن) اى الغليظ من الثوب ازارا ورداء وغيرهما وهو السنة اى فعلا وقولا وفي رواية الترمذى والحاكم عن معاذ بن انس من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلائق حتى يخيره من اى حلل الايمان شاء لبسها (فورد) اى عن بعض السلف (من رق ثوبه) اى لطف (رق دينه) اى ضعف فكأنهما متلازمان كما يشير اليه حديث من احب آخرته اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى وورد من لبس ثوب شهرة البسه الله ثوب مذلة يوم القيمة رواه احمد وابو داود وابن ماجة بسند حسن عن ابن عمر مرفوعا وفي رواية البيهقى عن ابى هريرة وزيد بن ثابت انه عليه السلام نهى عن الشهرتين رقة الثياب وغلظتها ولينها وحشونتها وطولها وقصرها ولكن سداد فيما بين ذلك واقتصاد (ولا ينزع) اى ثوبه (حتى يرقعه فهو السنة لانه عليه السلام كان يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتي فليس مني رواه ابن عساكر عن ابى ايوب (ويكسوا المنزوع فقيرا ليكون في حرزه تعالى) ففي رواية احمد عمر من استجد قميصا فلبسه فقال حين بلغ ترقوته

الحمد لله الذى كسانى ما اوارى به عورتى واتجمل به فى حياتى ثم عمد الى الثوب الذى اخلق فتصدق به كان فى ذمة الله وفى جوار الله وكنف الله حيا وميتا (ولا يتخذ ثوبين) اى من جنس واحد كازارين ورداءين وقميصين زهدا فى الدنيا (ويتصدق باحدهما ان اجتمعا) ميلا الى ثواب العقبى واما حديث صاحب القميصين لا يجد حلاوة الايمان فلا اصل له (ويتعمم فالعمائم تيجان العرب) اى انها بمنزلة التيجان للملوك لقلة العمائم فيهم (وفيه) اى فى لبس العمامة (الوقار) اى ظهور العظمة منهم فى الفردوس للديلمى عن ابن عباس العمائم تيجان العرب فاذا وضعوا العمائم وضعوا عزهم وفى رواية الماوردى عن ركانة العمامة على القلنسوة فصل ما بيننا وبين المشركين يعطى يوم القيمة بكل كورة يدورها على رأسه نورا (و يرسل الذيل) اى ذيل العمامة المسمى بالعذبة (بين الكتفين) وجوز فى احد الشقين مما يلى الاذنين) الى قدر الشبر وموضع القعود او نصف الظهر وهو وسط مرضى) اى عند المصنف والا فالاول اشهر واكثر واظهر (والكل مروى) وقد جمعته فى رسالة مستقلة (و يستجد) اى يلبس الجديد (ليلة الجمعة او يومها) وهو المعروف من حديث انس كان اذا استجد ثوبا لبسه يوم الجمعة رواه ابن حبان (و يلبس ما اصاب) اى وجده من جديد او غيره من غير تعلق بنوع منه او تقيد بصنف منه مالم يرد نهى عنه كالحرير ولون الاحمر والاصفر مالم يكن من احد الشهرتين فقد ورد من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة متفق عليه وفى رواية لاحمد عن جويرية البسه الله يوم القيمة ثوبا من نار وفى رواية عبد الرزاق عن الحسن مرسلا الحمرة من زينة الشيطان وفى رواية ابن ماجة عن ابى ذر من لبس ثوب شهرة اعرض الله عنه حتى يضعه متى وضعه وفى رواية ابن داود وابن ماجة بسند حسن عن ابن عمر من لبس ثوب شهرة البسه الله يوم القيمة ثوبا مثله ثم يلهب فيه النار ونهى عليه السلام عن لبستين المشهورة فى حسنها والمشهورة فى قبحها الطبرانى عن ابن عمر (و ينفض الخف قبل اللبس) اى مخافة ان يكون فيه ما يؤذيه من هامة او غيرها (يقعد فى لبسه ونزعه) خوفا من وقوعه (و يحتفى احيانا تواضعا) اى لله سبحانه لقوله تعالى* والله جعل لكم الارض بساطا * وقوله تعالى * الم نجعل الارض مهادا (فهو) الاحتفاء (ماثور) اى عن الصحابة والسلف الصالحين ومنهم بشر الحافى ومن كرامته ان الدواب فى سكك بغداد لم يكن يرمين الروث مدة حياته و بوجوده فيها استدل على مماته (و يلبس النعل الاصفر فهو يوجب السرور) كأنه اخذ من قوله تعالى * صفراء فاقع لونها تسر الناظرين وورد من لبس نعلا صفراء قل همه ذكره الكشاف عن على و يروى عن ابن عباس مرفوعا بلفظ لم يزل فى سرور مادام لابسها يدل قل همه (و يتطيب) اى و يستعمل الطيب و افضله المسك وماء الورد والعود (ولا يرد الطيب) كذا رواه احمد والبخارى والترمذى والنسائى عن انس وفى صحيح مسلم وابى داود وغيرهم من عرض عليه طيب فلا يرده فانه خفيف المحمل طيب الرائحة والترمذى عن ابن عمر مرفوعا ثلاثة لا ترد اللبن والوسادة والطيب (فهو) اى كل من التطيب وعدم رد الطيب (المروى) اى عنه عليه السلام فروى ابن سعد عن ابراهيم مرسلا انه عليه السلام كان يعرف بريح الطيب اذا اقبل يعنى سواء تطيب اولم يتطيب كما قرر فى محله وانما كان يتطيب لزيادة محبته فى الطيب كما يدل عليه حديث حبب الى من دنياكم الطيب والنساء والحديث

(والاحب) من الطيب (للرجل ماخفى لونه وظهر ريحه) كماء الورد والمسك (والمرأة مايعكس) اى ماظهر لونه وخفى ريحه كالزعفران والصندل قيل وهذا اذا اراد الخروج والا فلاحرج عليهما فى داخل بيتهما والحديث رواه الترمذى عن ابى هريرة والطبرانى والضياء عن انس مرفوعا بلفظ طيب الرجال ماظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ماظهر لونه وخفى ريحه (ويجتنب الحناء) اى الخضاب به فى يده ورجله (فهو تشبه بالنساء لانه سنتهن) اى عادتهن اولانه سنة فى حقهن فقد ورد كان يكره ان يرى المرأة ليس فى يدها اثر حناء او خضاب البيهقى عن عائشة وفى رواية احمد وابى داود والترمذى وابن ماجة عن ابن عباس لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء (والنمص) وهو قلع الشعر بالخيط من وجه الغير (والانتماص) قلعه من وجه نفسه اوطلبه من غيره وفى النهاية النامصة التى تنتف الشعر من الجبين والمتنمسة التى تأمر من يفعل بها ذلك (فهو) اى ماذكر من الفعلين (منهى عنهما) فورد لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمفلجات للحسن المغيرات خلق الله احمد والسنة عن ابن مسعود (ولا يبنى اكثر من سبعة اذرع) فى الارتفاع لانه قدر الكفاية ويعد من الاسراف والزيادة وفى الخبر من بنى بناء فوق مايكفيه كلف يوم القيمة ان يحمله على عاتقه من سبع ارضين رواه البيهقى فى الشعب وابو نعيم فى الحلية من حديث ابن مسعود مرفوعا وله شواهد (فورد فيه) اى فى حق مخالفيه (نودى الى اين يافاسق) وفى رواية يا افسق الفاسقين لان بناء القصر والصرح ثبت عن شداد وفرعون ذى الاوتاد وفى رواية ابى داود عن انس مرفوعا من بنى فوق عشرة اذرع نادى مناد من السماء يا عدو الله الى اين تريد وعن الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت يدى الى السقف (وينوى فيه) اى فى بنائه (التعبد) اى الموضع الذى يتعبد فيه لربه ويعتزل عن غيره (ودفع الحر والبرد) ففى الخبر ثلاث لايحاسب بهن العبد ظل خصر يستظل به وكسرة يشد بها صلبه وثوب يوارى بها عورته احمد فى الزهد والبيهقى عن الحسن مرسلا (ولا يبالغ فيه) اى فى استحكام بنائه بالجص والنورة فاول من بنى بالآجر فرعون وهامان وقد قال تعالى * اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة اى محكمة ومرتفعة ونظر عمر رضى الله عنه فى طريق الشام الى صرح قد بنى بجص وآجر فكبر وقال ماكنت اظن ان يكون فى هذه الامة من بنى بنيان هامان لفرعون يعنى به قول فرعون فاوقد لى ياهامان على الطين اراد به الآجر وورد لدوا للموت وابنوا للخراب البيهقى فى الشعب عن ابى هريرة الزبير مرفوعا وابو نعيم فى الحلية عن ابى ذر موقوفا واحمد فى الزهد عن عبد الواحد قال قال عيسى عليه السلام فذكره (فلم يضع عليه السلام لبنة) بكسر لام فسكون موحدة (على لبنة ولا قصبة) اى وانما بنى الحجرات من الحجارات ولكن فى السير ذكر انه اشتغل اللبن وبنى به المسجد والبيوت للازواج الطاهرات (ويبدؤ يوم الاحد لانه سبحانه بدأ فيه بخلق السموات والارض كما حقق فى تفسير قوله تعالى * ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام (ويتخذ موضعا للوضوء والغسل) اى على حدة (وموضعا للبول والغائط) اى منفردا وكان مقتضى الترتيب ان يعكس الموضعين لان القصد بهما قضاء الحاجة واداء النظافة (وموضعا للضيافة فوردانه) اى بناء موضع الضيافة (زكوة البيت)

اى صدقته اى زكوته ونماؤه وبهاؤه وضياؤه وقد سبق لاخير فيمن لايضيف وصح فراش للضيف (ولايتوطن) اى لايتخذ وطنا (فى دار الحرب) اى بلاد الكفر (فورد انا برئ من كل مسلم مقيم بين ظهر انى المشركين) اى فى دار الكافرين بفتح النون ولايجوز كسرها واصله بينهم ثم ادخل الظهر مقحما او اشعارا بانه مظاهرهم ثم زيدت الف ونون فى لفظ الظهر تأكيدا وكان القياس كسر النون كما فى الربانى واللحيانى الا انه اريد ههنا به التثنية ومعناه ان ظهرا منهم امامه وظهر امنهم امامه وظهر اوراءه فهو مكتنف من جانبيه وحواليه واذا بولغ قيل بين اظهرهم ثم كثر حتى استعمل فى الاقامة بين القوم مطلقا (ترا أى نارا هما) اى يترا أى نار المسلمين والمشركين من كمال قربهما وفيه تنبيه على عذر من سكن فيه لبعدما بينهما وعدم قدرته على الانتقال من ابعدهما الى اسعدهما فقد قال تعالى * الذين تتوفيهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الآية والحديث رواه ابو داود والترمذى من حديث جرير انا برئ من كل مسلم يقيم بين اظهر المشركين قالوا يارسول الله ولم قال لاترا أى نارا هما والمعنى لاينبغى ان يقارب نارهما بل ينبغى ان يتباعد دارهما واما قوله عليه السلام لاهجرة بعد الفتح فمعناه لاهجرة واجبة من مكة وغيرها الى المدينة بعد فتح مكة واستقرار الاسلام (وينظف) اى البيت وما حوله من الملوثات والقاذورات (ولايكسو) اى جدران البيت بالستارات (ولايزخرف) اى بانواع الزينات فانها من الامور الفانية المشغلة عن الاحوال الباقية وقد نهى عليه السلام ان تستر الجدر رواه البيهقى عن على بن حسين مرسلا وقال تعالى * ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكؤن وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين * وقد ورد لو كانت الدنيا تعدل جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء الترمذى وغيره عن سهل بن سعد (ويقرأ عند الدخول آية الكرسى) لانها آية الحفظ (والاخلاص فانه) اى فقراءتهما وقراءة كل منهما (يورث الغناء) اى عن السوى لاشتمالها على توحيد ذاته وتفريد صفاته وقرأة الفاتحة انسب فان فيها رائحة الابتداء والحمد والشكر والثناء فاتحه (ويغلق الباب ليلا) اى بعد المغرب او العشاء (مسميا) لان الشيطان لايفتح بابا اغلق عليه وسمى لديه (ميامنا) اى مبتدأ برد المصراع الاول اذا كان الباب ذا مصراعين ويوافقه هذا الغلق من غير الغلق (ويرخى الستر) اى فيما لم يكن له باب يغلق (ويطفئ النار) ففى الصحيحين وغيرهما عن جابر مرفوعا اذا كان جنح الليل بكسر الجيم اى اوله فكفوا صبيانكم فان الشياطين تنتشر حينئذ فاذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم واغلقوا الابواب واذكروا اسم الله فان الشيطان لايفتح بابا مغلقا واوكو قربكم واذكروا اسم الله وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله ولو ان تعرضوا عليها شيئا واطفؤا مصابيحكم وفى رواية الطبرانى والحاكم اذا نمتم فاطفؤا المصباح فان الفأرة تأخذ الفتيلة فتحرق اهل البيت الحديث وفى الصحيحين عن ابن عمر لاتتركوا النار فى بيوتكم حين تنامون (ويتوضأ) اى يتطهر (للنوم) ففى الخبر اذا اتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلوة رواه الستة عن البراء (لتكون رؤياه صادقة) وذلك لما ورد من بات على طهارة بات معه ملك (ويستاك) اى عند النوم لانه من كمال الطهارة والنظافة ولان النوم

اخو الموت ويسن للمحتضر ان يستاك كما فعله عليه السلام (وبعد الظهور) بفتح الطاء اى بهيئ مايتطهر به (والسواك) اى عند رأسه (وينوى القيام) اى للتهجد فى وقته (فلكل امرئ ماتوى) ونية المؤمن خير من عمله (ويستاك كما استيقظ فكانوا) اى بعض السلف (يفعلونه ويضع وصيته) اى بماله وعليه (مكتوبة تحت الرأس) اى قريبا منه (تحاميا عن هجوم الموت) اى مجيئه بغتة (دونها) اى من غير وصية وقدورد ماحق امرئ مسلم له شئ يريد ان يوصى فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده رواه الشيخان عن ابن عمر وروى من لم يوص لم يؤذن له فى الكلام مع الموتى وروى ترك الوصية عار فى الدنيا ونار وشنار فى العقبى (وينوب عن الذنوب) فلعله يكون آخر حياته فيصير صالحا عند مماته (وينوى الخير للمسلمين) اى ينوى ليستر محوا عن ايذائه اولينفعهم عند انتباهه ولذا قيل نوم الظالم عبادة كما ورد نوم العالم عبادة (ليغفرله) اى بسبب النية او التوبة (ولا يبسط الفراش النعيم) اى اللين الناعم (قطعا لغلبة النوم والانس بالترفه) اى بالتنعم الزائد ففى الشمائل سئلت عائشة ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتك قالت مسحا بكسر الميم اى فراشا خشنا من صوف فينام عليه فلما كان ذات ليلة قلت لو ثنية اربع ثنيات كان اوطأ له فثنيناه باربع ثنيات فلما صبح قال مافرشتموني الليلة قلنا هو فراشك الا اثنيناه باربع ثنيات قلنا هو اوطأ قال ردوه لحالته الاولى فانه منعنى وطأته عن صلاتى الليلة (وتديواظب عليه) اى لايداوم بالنوم على مطلق الفراش بل ينبغى ان ينام تارة على الحصير كما ورد فى السنة وتارة على الارض كما ثبت عن ابى تراب (فهو المروى) اى عن النبى والولى (وينفضه) اى فراشه (قبل الاتيان) اى قبل قعوده لئلا يلقى مايؤذيه فى حال رقودة ففى صحيح مسلم فليأخذ داخلة ازاره فلينفض بها فراشه وفى اكثر الروايات قيده بثلاث مرات للمبالغة فى الاحتراس عن المؤذيات (ويستقبل القبلة ووجه واخماصه) وفى نسخة واخصاه اى بطن قدميه (اليها) فيكون هيئة الاستلقاء قيل هو نوم الانبياء وقيل هو اردى النوم ولايضر الاستلقاء عليه للراحة من غير نوم واردى منه ان ينام على وجهه منبطحا ففى سنن ابن ماجة انه عليه السلام مر برجل فى المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله فقال قم واقعد فانه نومة جهنمية ولكن المعروف فى كتب الحديث ماذكره بقوله (اويكون كالملحود) وهو بان يضع يده اليمنى تحت خده ويضطجع على شقه الايمن كما فى مسلم وغيره ويقول بسمك ربى وضعت جنبى وبك ارفعه ان امسكت نفسى فاغفرلها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين رواه الستة (ويقرأ آية الكرسى) لانها للحفظ عن شياطين الانس والجن وهو فى صحيح البخارى ورواه الطبرانى عن ابن مسعود من قرأ عشر آيات اربع من اول البقرة وآية الكرسى واثنين بعدها وخواتيمها لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح (وآيتين من آخر البقرة) فروى الاربعة عن ابن مسعود الانصارى مرفوعا من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه اى من قيام الليل اومن كل مكروه وقال النووى فى الاذكار روى الامام الحافظ ابو بكر بن ابى داود باسناده عن على رضى الله عنه قال ماكنت ارى احدا يعقل ينام قبل ان يقرأ الآيات الثلاث الاواخر من البقرة فالابتداء من قوله لله مافى السموات ومافى الارض (وشهد الله الى الاسلام) اى شهد الله لااله الاهو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لااله الاهو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام (والهكم اله واحد الى يعقلون) اى لااله الاهو الرحمن الرحيم ان فى خلق السموات

والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون (وان ربكم الله الذى خلق السموات الآية) تمامه * والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لايحب المعتدين ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين (وقل ادعوا الله الآية) اى اوادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا (وعشرا من اول الكهف) وهى بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا و ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم ولا لابائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا (وعشرا من آخرها) وهى افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لايبغون عنها حولا قل لوكان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولوجئنا بمثله مددا قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه احدا (والمعوذتين) بكسر الواو وتفتح (يقرأهما) اى اولا كما فى رواية (فينفث على اليدين) بضم الفاء وتكسر اى ينفخ نفخا لطيفا عليهما بعد جمعهما ووصل كفه اليمنى بكفه اليسرى وفى رواية البخارى والاربعة عن ابى هريرة يجمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرأ قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس (ويمسح الوجه والبدن) وفى رواية الصحيح ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات (ففى الكل فضائل ويذكر الموت) لان النوم اخوه (والنشور) لانه قيام من القبور كالاستيقاظ من النوم ويشير اليه قوله عليه السلام عند المنام اللهم باسمك اموت واحيى وبعد القيام الحمد لله الذى احيانا بعدما اماتنا واليه البعث والنشور وفى الطبرانى وليقرأ * قل ايها الكافرون * ثم لينم على خاتمتها وفى رواية احمد وغيره اذا اخذت مضجعك من الليل فاقرأ * قل ايها الكافرون * ثم نم على خاتمتها فانها براءة من الشرك وفى رواية البزار عن انس اذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله احد فقد امنت من كل شئ الا الموت وفى رواية احمد عن شداد ابن اوس ما من رجل يأوى الى فراشه فيقرأ سورة من كتاب الله الا بعث الله اليه ملكا يحفظ من كل شئ يؤذيه حتى

منى هب (و ينام على حبه تعالى) اى فى قلبه من غير مشاركة لربه (وذكره) اى بلسانه مقرونا بجنانه (وهكذا) اى فى جميع شانه (كلما يستيقظ و ينام) اى فى زمانه (فهو علامة حبه تعالى) يحتمل اضافة المصدر الى فاعله ومفعوله مع انهما متلازمان كما يشير اليه قوله سبحانه * يحبهم و يحبونه * والعبرة بالعناية السابقة المترتب عليها الرعاية اللاحقة (وخير العاقبة) اى وامارة حسن الخاتمة فان النوم كالموت فى الحالة السالمة (ولاينام وحده) اى منفردا عن اهله فانه عليه السلام كان ينام مع نسائه او المعنى لاينام وحده فى بيت لم يكن فيه غيره ففى مسند احمد عن ابن عمر انه عليه السلام نهى عن الوحدة ان يبيت الرجل وحده (الالتقوى الحضور فى القيام) لان الحضور الكامل انما هو فى الغيبة عن مشاهدة الانام لكن كما قيل كن وسطا وامش جانبا وكن قريبا غريبا وكائنا بائنا فعن ثوبان لاتسكن الكفور فان ساكن الكفور كساكن القبور البخارى فى تاريخه والبيهقى عن ثوبان والكفور بالضم مابعد من الارض عن الناس ففيه النهى عن الرهبانية والاعتزال عن الخلق بالكلية (ولاعلى سطح غير محوط) اى بسترة لما ورد فيه من النهى وورد من بات على ظهر بيت ليس عليه حجاب فقد برئت منه الذمة رواه ابوداود بسند حسن وفى رواية الترمذى عن جابر نهى عليه السلام ان ينام الرجل على سطح ليس بمحجور عليه (ولافيما لاباب له) اى ولاستارة فانها تقوم مقام الباب فى هذا الباب عند بعض اولى الالباب) (ولابعد الصبح فالارض تشتكى منه اليه تعالى) حيث انه صرف وقته الشريف فى غير العبادة وضيعه فى النوم وفق الطبيعة والعادة وقد ورد عن عثمان مرفوعا برواية البيهقى وغيره الصبيحة تمنع الرزق اى المعنوى وكذا الحسى لانه عليه السلام قال بورك لامتى فى بكورها (ولابعد العصر) لانه ايضا وقت شريف كما يشير اليه قوله سبحانه * يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا * وفى رواية ابى يعلى عن عائشة من نام بعد العصر فاختلس عقله فلايلومن الانفسه (وكان عليه السلام اذا طال القيام) اى بالصلوة بعد المنام (ينام نومة خفيفة قبل الصبح) او يضطجع ساعة لطيفة بعد ركعتى الصبح (وفيه تجدد الشوق الى اداء الفرائض وذهاب اثر القيام) اى من الصفرة (عن الوجه) واثر الكسل عن جميع البدن (و يقيل) بفتح اوله اى ينام وقت القيلولة (فهى سنة) اى مستحبة لفعله عليه السلام وحثه عليها بالكلام حيث قال قيلوا فان الشيطان لايقيل ابونعيم عن انس (معينة على القيام كالسحور على الصيام) وهو بفتح السين مايتسحر به و بالضم اكل الطعام فى وقت السحر وهو السدس الاخير من الليل لقوله عليه السلام استعينوا بطعام السحر على صيام النهار و بالقيلولة على قيام الليل رواه ابن ماجة وغيره عن ابن عباس (متضمنة للسلامة) اى من ضعف الدماغ وماهو مورث للملامة وموجب للسآمة اوللسلامة من مخالطة اهل العلاقة والتحدث معهم فى البطالة فعن الثورى كانوا يستحبون اذا تفزغوا ان يناموا طلبا للسلامة ولذا قيل النوم خير من النميمة (وليكن النوم) اى ليقع مجموعه (ثلث الليلة واليوم) اى والباقى وهو ثلثاهما مصروف الى اليقظة فيكون اكثر عمره للطاعة و ينبغى ان يتنبه قبل الزوال الاستعداد الصلوة على وجه الكمال (ولايقص الرؤيا) اى لايحدثها اذا رأى مايحبها (الاعلى عالم) اى بتعبير الرؤيا (ناصح) اى للرائى بان يكون محبا له ومشفقا عليه فان الرؤيا لاتستقر مالم تعبر فاذا عبرت سقطت فاذا كان العابر غير محب

فقد يعبرها بمايكره فيحصل بذلك هم وغم وليس المراد انه يزيلها عما جعله الله عليه وقد يقع الرؤيا بقول اول عابر اذا كان خبيرا بالرؤيا وربما احتملت الرؤيا تأويلين واكثر معبرها من يعرف تعبيرها على وجه يحتملها فتقع على ما ازلها فقد ورد ان امرأة اتت النبي صلى الله عليه وسلم وقالت رأيت كان صائر بيتي اى عتبته قد انكسر فقال يرد الله عليك غائبك فرجع زوجها ثم غاب فرأت مثل هذا فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجده، ووجدت ابابكر فاخبرته فقال يموت زوجك فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل قصصتها على احد قالت نعم قال هو كما قال هذا ومافي المتن رواية الترمذي عن ابي هريرة وفي الصحيحين اذا رأى في منامه مايحب فليحمد الله عليها وليحدث بها ولايحدث بها الامن يحب وفي رواية الحاكم عن انس ان الرؤيا تقع على ماتعبر ومثل ذلك مثل رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها فاذا رأى احدكم رؤيا فلا يحدث بها الاناصحا اوعالما (ولا بكل مايرى) ولايحدث بجميع مارآها اى بل بمايحبها من الرؤيا المناسب (فان رأى مكروها) اى مايكره، كما في رواية (يبزق عن يساره) اى يبصق ثلاثا كارواه الستة (و يتعوذ) اى بالله من الشيطان ومن شرها اى شر الرؤيا التي يكرهها ثلاثا كارواه الستة ايضا ولايذكرها لاحد فانها لاتضره كما في الصحيحين وغيرهما (ويتحول عن جنبه) الذي كان عليه (و يقوم و يصلي) كارواه مسلم فيصلي (ركعتين) فانهما اقل مايطلق عليه الصلوة للنهي عن البتيراء خلافا للشافعي في تجويزه الركعة المنفردة (و يتصدق بشيء) لان الصدقة تدفع البلاء (و يرد المعبر الى احسن تأويل) لان الرؤيا تقع بقول اول عابر اذا كان خبيرا بالرؤيا وربما احتملت الرؤيا تعبيرين او اكثر كما قدم ولايبعد ان يكون المعنى يعبر المعبر احسن تعبير من انواع العبارة فقد حكي ان السلطان كان معبران وظيفة احدهما الف وللآخر نصفه مع انهما متساويان في الفضائل وتحسين الشمائل فسئل السلطان عن موجب تفضيل احدهما على الآخر لان الحكيم لايرجح الا لحكمة ومصلحة فقال رأيت اسناني وقعت قدامي فحكيت لهما فقال صاحب الالف ابشر فان عمرك اطول من اعمار اقاربك وقال الآخر يموت جميع اقاربك قبلك فالظاهر ان مؤدى كلامهما واحد ومختلف حسن تعبيرهما ومقتضاهما عند فحواهما (ولايقتني كلبا) اى لايحفظه ولايمسكه عنده (فالملائكة) اى النازلة للرحمة (تنفر عنه) اى دون الحفظة لكنهم يتأذون ايضا عنه الا انهم لابد لهم من القرب منه (الا لماشية) من غنم وابل و بقر ونحوها (او صيد) اذا كان معلما (او زرع) لحفظه من الدواب وغيرها وفي الخبر من اقتنى كلبا الا كلب ماشية او ضاريا اى كلبا معلما نقص من عمله كل يوم قيراطان رواه الشيخان عن ابن عمر والمراد بكلب الماشية مايكون للحفظ فيشمل كلب الزرع ولذا اقتصر في الحديث عليه (ولايستقبل الشمس) اى في قعوده وقت الشناء (فهو داء ويستدبرها فهو دواء) اى للاستدفاء ونهى عليه السلام ان يقعد الرجل بين الظل والشمس الحاكم عن ابي هريرة وابن ماجة عن بريرة (ويخرج) اى من داره (مسميا متعوذا) فيقول بسم الله توكلت على الله ولاحول ولاقوة الا بالله اللهم اني اعوذ بك من ان ازل او ازل او اضل او اضل او اجهل او يجهل على رواه ابن ماجة وغيره (قارئا آية الكرسي) اى للحفظ عن شياطين الانس والجن (ويسرع في المشي الى البيت) اى حال كونه راجعا اليه ليكون اسرع من حال خروجه منه فان دخوله فيه احسن احواله لديه فالعود احمد عليه

لان الزمان زمان البيوت ولزوم السكوت والقناعة بالقوت الى ان يموت (ولا يمشي بين المرأتين) فانه ابعد من العصيان وقيل يورث النسيان ففي ابي داود ومستدرك الحاكم عن ابن عمر انه عليه السلام نهى ان يمشي الرجل بين المرأتين وروى البيهقي عنه مرفوعا اذا استقبلك المرأتان فلا تمر بينهما خذيمة او يسرة وهذا معنى قوله (ويترك الطريق للنساء) اى التي ليس لهن شئ من الحياء والا فالليق بهن ان يتركن الطريق للرجال ويلصقن بالجدران لستر الحال (ويميط الاذى) اى ويزيل ما فيه الاذى كالشوك والحجر ونحوهما عن الطريق ومنه نفسه المؤذية للرفيق (فقيه اجر جزيل) وثناء جميل لاهل التوفيق فورد الايمان بضع وسبعون شعبة فافضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق رواه مسلم وغيره عن ابي هريرة وعن معقل بن يسار مرفوعا من اماط اذى عن طريق المسلمين كتب له حسنة ومن تقبلت منه حسنة دخل الجنة رواه البخاري في تاريخه (ولا يختال) اى يتبختر ماشيا (فورد ولا تمش في الارض مرحا) تمامه * انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها * وفي آية اخرى * واقصد في مشيك * اى توسط وفي اخرى * وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا * اى هينين لينين متواضعين متخاشعين (من تعظم في نفسه) اى تكبر (واختال في مشيه) اى تبختر (لقي الله وهو عليه غضبان) رواه احمد وغيره عن ابن عمر وكأنه مقتبس من قوله سبحانه * ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا (ويأخذ العصا في الكبر) وابتداؤه من الاربعين (فهو سنة) اى للانبياء كما بينت في رسالة الانبياء وقد قال الحسن في العصا ست خصال سنة الانبياء وزين الصلحاء وسلاح الاعداء وعون الضعفاء والمساكين ورغم المنافقين ويقال اذا كان المؤمن مع العصا هرب الشيطان منه وامتنع المنافق والفاجر عنه وتكون قبلته اذا صلى وقوته اذا اعيى وفيها منافع كثيرة كما قال موسى * ولي فيها مآرب اخرى * كذا في البستان واما ما اشتهر على الالسنة من وصل الاربعين ولا يمسك العصا فقد عصى فلا اصل له (ويبعد) بضم اوله (في قضاء الحاجة) الانسانية من البول والغائط (عن الاعين) اى اعين الناظرين ان وجدوا (في الصحراء) كما ورد به السنة وان يستتر بشئ ان وجده من شجر او حجر ولو استتر براحلته او ذيله جاز كما في بعض الروايات واما في البنيان فالغالب ان يكون مستترا مكان الخلاء (ولا يكشف العورة قبل الانتهاء الى موضعه) اى محل جلوس القضاء في الخلاء والقضاء اذ ليس من الادب كشفها قبل الحاجة اليه (ولا يستقبل النيرين) اى الشمس والقمر تعظيما للملائكة الذين يحرونهما آيتان عظيمتان وهو لا ينافي قوله عليه السلام شرقوا او غربوا كما لا يخفى على الاعلام (ولا) يستقبل (القبلة ولا يستدبرها) فان فيهما تحقيرا لها سواء يكون في الصحراء او في البنيان وفي رواية احمد وغيره انه عليه السلام نهى ان يستقبل لقبلتين ببول او غائط وفي الصحيحين اذا اتى احدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره شرقوا او غربوا امر لاهل المدينة ومن كانت قبلته على ذلك السمت ممن هو في جهة الشمال والجنوب فاما من كانت قبلته في جهت الشرق او الغرب فلا يجوز له ان يشرق ولا يغرب وانما يجنب او يشمل كذا في النهاية (ولا يبول في الماء الراكد) اى الواقف سواء كان ماؤه قليلا او كثيرا وكذا لا ينبغي ان يبول في الماء الجاري ولعله اقتصر على الاول لو ورد الحديث فيه بناء على قلة الماء الجاري في الحرمين حينئذ ففي صحيح مسلم وغيره عن جابر

انه عليه السلام نهى ان يبال فى الماء الراكد وفى رواية الطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف عنه انه نهى ان يبال فى الماء الجارى وفى الاحياء قال ابن المبارك ان كان الماء جاريا فلا بأس به وقد يقال اذا كان الراكد عشرا فى عشر فلا بأس به والاولى للعموم النهى على ما لا يخفى (ولا تحت الشجرة المثمرة) فروى ابن عدى عن ابن عمر انه عليه السلام نهى ان يتخلى الرجل تحت شجرة مثمرة ونهى ان يتخلى على صفة نهر جار اى حافته وهو بكسر اوله وفتحه وكذا لا ينبغى ان يتخلى تحت شجرة مظلة يستظل تحتها الناس لان مدار النهى اذى المسلمين ولذا ورد النهى ان يبال فى قبلة المساجد وابوابها كما رواه ابو داود فى مراسله (ولا فى الحجر) بضم الجيم وسكون المهملة اى ثقب الجدار والارض مخافة اذى الدابة فروى ابو داود والحاكم فى مستدركه عن عبد الله بن سرجس انه عليه السلام نهى ان يبال فى الحجر وقد قالوا لقتادة ما يكره من البول فى الحجر قال كان يقال انها مساكن الجن (ولا) فى (موضع صلب ولا مهاب الريح) اى فى حال الريح استنزاها من رشاشه فروى ابو داود والبيهقى عن ابى موسى اذا اراد احدكم ان يبول فليرتد لبوله مكانا لينا اى ليطلبه وروى ابو يعلى بسنده مرفوعا اذا بال احدكم فلا يستقبل الريح ببوله فترده عليه ولا يستنجى بيمينه (ولا المغتسل) اى ولا يبول فى مغتسله لانه يورث الوسوسة ويوجب الشبهة ولورود النهى فى السنة (ويتكئ على الرجل اليسرى) اى فى جلوسه (ويقدمها داخلا) فى الخلاء (ويؤخرها خارجا) عنه اذا كان فى بنيان مراعاة لليمين عكس دخول المسجد وخروجه (ولا يبول قائما) فعن عائشة من حدثكم انه عليه السلام كان يبول قائما فلا تصدقوه الترمذى وغيره وقال عمر رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما ابن ماجة باسناد ضعيف وابن حبان من حديث ابن عمر وفيه رخصة اذ روى حذيفة انه عليه السلام بال قائما وهو اما لعذر او لبيان الجواز وكذا لا يبول فى المغتسل فانه عليه السلام قال عامة الوسواس منه اصحاب السنن من حديث عبد الله بن مغفل وقال ابن المبارك قد وسع فى البول فى المغتسل اذا جرى الماء عليه ذكره الترمذى (ولا يستصحب شيئا عليه اسم تعالى او اسمه عليه السلام) والظاهر انه كذلك اسماء سائر الانبياء العظام (ولا يدخل) اى بيت الخلاء (حاسر الرأس) اى كاشفه قيل فيغطيه بمئزر حياء من الله وملائكته فكان ابو بكر يفعله كذلك (ويتعوذ قبل الدخول) فيقول بسم الله اللهم انى اعوذ بك من الخبث والخبائث (ويحمد بعد الخروج) فيقول غفرانك الحمد لله الذى اذهب عنى ما يؤذينى وابقى على ما ينفعنى رواهما النسائى وغيره (وبعد النبل) بضم النون وفتحها اى بهيء الحجر او المدر للاستنجاء (قبل الجلوس) فهو سنة والايتار مستحب وقيل واجب (ولا يستنجى بالمأفى موضعه اى محل الغائط والبول الا اذا كان محفورا بحيث لا يصل اليه اثرهما (فالكل مأثور) وينبغى ان يستبرئ بالتنحنح والنثر ثلاثا وامرار اليد على اسفل القضيب ثم يستنجى فاذا وجد من بلل فيقدر انه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى فى نفسه ذلك ولا يتسلط الشيطان عليه بالوسواس وفى الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله اعنى رش الماء كذا فى الاحياء وقال مخرجه حديث رش الماء بعد الوضوء وهو الانضاح رواه ابو داود والنسائى وابن ماجة وكان اخفهم استبراء افقههم فيدل الوسواس فيه على قلة الفقه وقد قدمنا كيفية الاستنجاء فى ابتداء

آداب الوضوء اول الكتاب (ويزيل وسخ الشعر) اى شعر لحيته ورأسه (ودوده) اى من القمل ونحوه (بالادهان) بتشديد الدال اى استعمال الدهن للطيب وغيره اوبالادهان جمع دهن (والتسريح) ففى شمائل الترمذى من حديث انس انه عليه السلام كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته وعندابى داود والترمذى من حديث عبدالله بن مغفل باسناد صحيح انه عليه السلام نهى عن الترجل الاغبا (فورداد هنوا) بتشديد الدال وبتخفيفها مع فتح الهاء (غبا) اى يومابعد يوم اووقتا دون وقت ومنه حديث زرغبا تزدد حبا اخرجه جماعة وقيل الغب فى الادهان ان يكون فى كل اسبوع مرة والحديث ذكره فى الاحياء وقال ابن الصلاح لم اجد اصلا وقال النووى غيرمعروف ذكره العراقى (من كان له شعرة فليكرمها) كذا فى النسخ تبعا للاحياء ولامعنى للوحدة على مالايخفى فصوابه من كان له شعر فليكرمه كماهو رواية ابى داود عن ابى هريرة وقددخل عليه رجل ثائرالرأس اشعث اللحية فقال اما كان لهذا دهن ليسكن بهاشعرة ثم قال يدخل احدكم على كانه شيطان ابوداود والنسائى وابن حبان من حديث جابر وقدسبق انه عليه السلام كان لايفارقه المشط فى سفر ولاحضر وقدبسطت الكلام عليه فى رسالة سميتها بالتصريح فى التسريح (وما فى الانف) اى مايجتمع من الرطوبات المنعقدة الملتصقه بجوانبها ويزيلها بالاستنثاق والاستنثار (والاذن) اى ومايجتمع من الوسخ فى معاطف الاذن والمسح مايزيل مايظهر منه ومايجتمع فى قعر صماخى اذنيه فينبغى ان ينظف برفق عندالخروج من الحمام ونحوه من الاستحمام (لئلا يصم) فان كثرة ذلك ربما تضر بالسمع واماما يجتمع على الاسنان واطراف اللسان فيزيله بالخلال والمضمضة والاستياك وقدورد مالى اراكم تدخلون على قلحا استاكوا البزار والبيهقى من حديث العباس والقلح محركة صفرة الاسنان (وتحت الاظفار) فى الطبرانى عن وابصة بن معبد سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن كل شئ حتى سألته عن الوسخ الذى يكون فى الاظفار فقال دع مايريبك وقدامر عليه السلام بغسل البراجم والرواجب فروى الحكيم الترمذى فى النوادر من حديث عبدالله بن بشر نقوا براجكم ولمسلم من حديث عائشة عشر من الفطرة وفيه غسل البراجم ولاحمد من حديث ابن عباس انه قيل يارسول الله لقد ابطأعنك جبريل فقال ولانبطئ عنى وانتم لاتستنون ولاتقلمون اظفاركم ولاتقصون شواربكم ولاتنقون رواجبكم فالاول معاطف ظهور الانامل والثانى رؤس الانامل وقيل الاف وسخ الظفر والنف وسخ الاذن وقوله تعالى ﴿ ولاتقل لهما اف ولاتنهرهما ﴾ اى لاتعبهما بماتحت الظفر من الوسخ ولاتتأذيهما كما يتأذى بماتحت الظفر من الوسخ واماالدرن الذى يجتمع على جميع البدن من الوسخ والعرق وغبار الطريق فذلك يزيل بالحمام او بالاستحمام ريدخل الحمام) اى ويجوز دخوله (فهم) اى السلف من الصحابة والتابعين (دخلوه) اى دخلوا حمامات الشام فعن ابن عباس اتقوا بيتنا يقال له الحمام فمن دخله فليستتر الطبرانى والبيهقى والحاكم وقال بعضهم نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روى ذلك عن ابى الدرداء وابى ايوب الانصارى وقال بعضهم بئس البيت الحمام يبدئ العورة ويذهب الحياء فهذا بيان آفته وماسبق اظهار فائدته فلابأس بطلب فائدته عندالاحتراز من آفته كابينه بقوله (ويصون عورته) وهى مابين سرته وركبته (عن نظر الغير ونظره عن عورة الغير ولايكشفها) اى ولولم يكن هناك غيره

الا لضرورة غسلها بالتصاق جدرانه فى خلوة من خلواته ومن جملة الكشف رقة الازار لاسيما عند بلته وتلصقه بجلدته وهذا اقبح فى الامرد ونحوه وكذا يصونها عن مس الغير ولا يتعاطى امرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة الى العانة ثم من الواجب ان ينهى عن كشف العورة لان النهى عن المنكر واجب ولا يسقط عنه وجوبه الا لخوف ضرب اوشتم واما قوله اعلم ان ذلك لا يفيده ولا يعمل به فليس بعذر اذلا يخلو قلب عن التأثر بسماع الانكار ويقتبح الامر الا لاهل الجهل وعديم العقل وفاقد الحياء وقيل المبالاة بالعلماء والصلحاء ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام فى هذه الايام اوتخليته عن الايام اذلا يخلوا من عورة مكشوفة لاسيما تحت السرة الى مافوق العانة لاختلاف العلماء فى كون العورة بل الفخذ ونحوها كذلك وقد الحقهما الشارع بالعورة وجعلهما كالحريم لها وروئى ابن عمر فى الحمام ووجهه فى الحائط وقد عصب عينه بعصابة (وينوى) بدخول الحمام (التنظيف للصلوة) لا لعاجل الدنيا من اللذات (ويعطى الاجرة قبله) اى قبل دخوله (اسرار اللحمامى) بعدم انتظاره لنفسه (واعلاما بالعوض) لرفع الجهالة من احد العوضين فان ما يستوفيه مجهول وقد ورد اذا استأجر احدكم اجيرا فليعلمه اجره الدار قطنى فى الافراد عن ابن مسعود (ويتعوذ) اى يقول بسم الله اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ويقدم رجله اليسرى عند دخوله ويتعوذ بالله من شر حر النار بعد دخول (ولا يسلم) اى على احد عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل بسكت ان اجاب غيره (ويدعو بالعافاة) اى يقول عافاك الله (لمن سلم) اى عليه ولم يجب عنه غيره (ولا يأس بالبداءة به) اى بقول عافاك الله ونحوه (ولا بالمصافحة) اى بان يصافح الداخل احد اصحابه (ولا يكثر التكلم) ولا يبدأ بالكلام كيلا يكثر الكلام فى الحمام (ولا يقرأ القرآن الا فى النفس) اى سرا (ولا بأس باظهار التعوذ) اى من الشيطان الرجيم ومن الحميم فى دار الجحيم (ويجتنبه) اى دخول الحمام (وقت الغروب) اى قريب المغرب (وبين العشائين فهو وقت انتشار الشياطين) خصوصا فى الحمام ونحوه (وعلى الريق فهو يورث الموت) اى سريعا فعن الشافعى عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الاكل بعد ان يخرج منه كيف لا يموت انتهى ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق اولا (ولا يسرف فى الماء) اى لا يكثر صب الماء عليه بل يقتصر على قدر الحاجة اليه فانه المأذون فيه بقرينة الحال فالزيادة على العادة لو عمله الحمامى لم يرض به لاسيما الماء الحار فله مؤنة وزيادة مشقة (ولا بأس بالدلك) اى من غيره (فهو مروى) اى عن بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا فى بعض اسفاره فنام على بطنه وعبدا سود يغمز ظهره فقلت ماهذا يارسول الله فقال ان النافة تفحمت بى رواه الطبرانى فى الاوسط عن عمر بسند ضعيف (ويذكر ظلمة اللحد) فى مكان ظلمته (وحرارة جهنم) عند حرارته (ويحمد بعد الخروج فالماء الحار فى الشتاء من نعيم يسأل عنه) يوم القيمة كالماء البارد فى الصيف وقال وقال ابن عمر الحمام من النعم الذى احدثوه (ولا تدخله المرأة) اى النساء (وفورد لا يحل للرجل ان يدخل حليلته) اى زوجته او امته (الحمام) روى الترمذى وحسنه والنسائى

والحاكم وصححه من حديث جابر من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايدخل الحمام الابمئزر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام وللحاكم من حديث عائشة الحمام حرام على نساء امتى وقال صحيح اسناده ولابى داود وابن ماجة من حديث عبدالله بن عمر فلايدخلنها الرجال الا بالازار وامنعوها النساء الامريضة اونفساء (ويحلق الرأس) اى شعره (ان اراد التنظيف) اى زيادته (والاحتياط فى الغسل) كما اختاره على كرم الله وجهه حيث كان كثيرالاغتسال وقد سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول تحت كل شعرة جنابة ولذا قال ومن ثم عاديت رأسى فان بقاء الشعر على الرأس انفع للدماغ وادفع للبرد والحر ولذا اختاره عليه السلام وسائر اصحابه الكرام فما حلقوا الابعد الفراغ من احد النسكين وحيث قرر عليه السلام فعل على صار سنة مع انه قال عليه السلام عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين فيستحب تركه لمن يكرمه بدهنه وترجله الااذا ترك بعضه وحلق بعضه وجعله قزعا اى قطعا فهو دأب اهل الشطارة ومنهى عنه للصغار والكبار ولا عبرة بقول من يقول ان حلقه يورث الصداع فانه نوع من الخباع وتسويل للشيطان فى مقام الخداع (ولا يرسل اى شعر الذوائب (بحيث يشبه بالشريف) فانه نوع من التلبيس والتزييف (ويقص الشارب) اى فى كل جمعة (فورد قصوا الشوارب) وهذا لفظ احمد من حديث ابى هريرة ولمسلم من حديث ابى هريرة جزوا اى اقطعو وفى الصحيحين من حديث ابن عمر بلفظ احفوا الشوارب واعفوا اللحى فالاحفاء بالاستقصاء ومنه قوله تعالى * فيحكم تبخلو * اى يستقصى عليكم وفى رواية حفوا اى اجعلوها حفاف الشفه وحولها ومنه قوله تعالى * وترى الملائكه حافين من حول العرش واما الحلق فلم يرد والاحفاء قريب من الحلق وقدنقل عن الصحابة ونظر بعض التابعين رجلا اخفى شاربه فقال ذكرتنى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه ايماء الى ان مختار التابعين عدم الاستقصاء ويؤيده رواية الطبرانى عن الحكم بن عمير مرفوعا قصوا الشارب مع الشفاء واما قوله عليه السلام اعفوا اللحى اى كثروها ولاتقصوها وفى الحبران اليهود يعفون شوار بهم ويقصون لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعة (ولابأس ببقاء السبال) اى اطراف الشارب فعل ذلك عمر وغيره كما فى الاحياء ولان ذلك لايستر الفم ولايبقى فيه غمر الطعام لعدم وصوله اليه لكن يشكل هذا بظاهر مارواه احمد من حديث ابى امامة قلنا يارسول الله ان اهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينهم وخالفوا اهل الكتاب وفى صحيح ابن حبان من حديث ابن عمر فى المجوس انهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم اللهم الا ان يراد بالسبال الشوارب مجازا بقرينة مقابلته بالعثانين وهى جمع العثنون بمعنى اللحية وورد احفوا الشوارب واعفوا اللحى وانتفوا الشعر الذى فى الانف ابن عدى والبيهقى عن عمرو بن شعيب والقص يقوم مقام النتف فى الانف (ولايؤخر حلق العانة ونتف الابط) وتقليم الظفر (اكثر من اربعين يوما فهو المأثور) اى المذكور فى صحيح مسلم من حديث انه عليه السلام وقت لنا فى قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة ان لا نترك اكثر من اربعين يوما وورد قص الظفر ونتف الابط وحلق العانة يوم الخميس والغسل والطيب واللباس يوم الجمعة الديلمى عن على ويحلق الابط ان لم يقدر

على النتف باعتياده لئلا يجتمع الوسخ فى خلاله والمقصود النظافة فى جميع حاله (ويزيل العانة) اى شعرها (بالطلاء) اى النورة (ان اعتقاد لحصول المقصود) وهو فقد الاذى الموجود (والتحامى عن الايام) اى مع تحصيل المرام (ويبتدئ بتقديم مسبحة اليمنى اوخنصر اليسر وخنصر الرجلين ولا مسبحة فيهما) اى فى الرجلين ويختم بالابهام فى الكل) اى فى جميع اليدين والرجلين (فهو المروى) قال العراقى لم اجد له اصلا وقد انكره ابو عبدالله المازنى فى الرد على الغزالى وشنع عليه به قلت لا وجه للتشنيع عليه حيث قال ولم ار فى الكتب خبرا مرويا فى ترتيب قص الاظفار ولكن سمعت انه روى عنه عليه السلام انه يبدأ بمسبحة اليمنى وختم بابهام اليمنى وابتدأ فى اليسرى بالخنصر الى الابهام ثم وجه هذا الترتيب بما وقع له من الالهام كما بسط عليه الكلام هذا وفى حديث جابر قصوا اظافيركم فان الشيطان يجرى مابين اللحم والظفر الخطيب فى الجامع بسند ضعيف لكن روى احمد ومسلم والاربعة عن عائشة عشر من الفطرة اى سنة الانبياء التى امرنا ان نقتدى بهم فيها قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال وكيف يعنى الاستنجاء به قال مصعب ونسيت العاشرة الا ان يكون المضمضة وذكر عمار بن ياسر الاختتان فى العاشرة (ويكتحل بالاثمد) اى فى كل ليلة (ثلاثا) اى ثلاث مرات متواليه (فى كل عين) ويبتدئ باليمنى (فهو مروى) اى فى فى الشمائل وغيره من حديث ابن عباس وحسنه الترمذى (وروى) اى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف للطبرانى (ثنتان فى اليسرى) اى وثلاث فى اليمنى فالايتار باعتبار العينين جميعا لا باعتبار كل واحدة منهما كما فى الاول فتأمل فانه الاولى قياسا على غسل اليدين ثلاثا ثلاثا ثم الابتداء باليمنى لشرفها وكذا الزيادة لها فى رواية لتعظيمها فهى احق بها وان الله تعالى وتر يحب الوتر (كما ورد وورد عليكم بالاثمد) وهو حجر يكتحل به اى الزموه ولا تتركوه (عند مضجعكم) اى مرقدكم بالليل (فانه مما يزيد فى البصر) اى فى قوته (وينبت الشعر) اى شعر الاجفان فى طرف العين والحديث رواه ابو نعيم فى الحلية عن ابن عباس بلفظ عليكم بالاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر وفى رواية ابن ماجة والحاكم عن ابن عمر عليكم بالاثمد عند النوم الحديث وفى رواية الطبرانى وغيره عن على عليكم بالاثمد فانها منبتة للشعر مذهبة للقذى مصفاة للبصر وفى رواية احدا كحلوا بالاثمد المروح اى المطيب بالمسك (ولا يكثر التزين) بالتسريح ونحوه (والاكتحال والادهان) فانه دأب المترفين وقد نهى عليه السلام عن الترجل الا غبا (ويقطع اللحية الطويلة) اى زيادة على القبضة فانه مستحب وقيل واجب (فالمفرط) منها فى الطول او العرض (يرى) بصيغة (المجهول اى يظهر سمجا) بفتح فكسر فجيم اى قبيحا فانه يشوه الخلقة (ويفتح باب الغيبة) اى فى الحضور والغيبة فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية (ويبقى قدر القبضة) فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبى وابن سيرين (فهو الوسط) اى المتوسط المعتدل المحمود فى كل شئ قال النخعى عجبت لرجل عاقل طويل اللحية لا يأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيتين وقد قيل ما طالت اللحية الا وقد نقص العقل (المسنون) فانه عليه السلام كان يأخذ من لحيته طولا وعرضا كما رواه الترمذى عن ابن عمرو (قيل يبقى بحالها فورد اعفوا اللحى) اى اتركوها وابقوها على حالها واختاره الحسن وقتادة وقالا

تركها عافية احب للحديث المتقدم (ولايجوز تصغيرها وتحميرها (لاخفاء الشيب) اى بتوهم ان فيه العيب وهو نور ووقار وسرور (الافى الغزو) فان مبناه على مكر وغرور ومنه حديث الحرب خدعة (فورد هما خضاب المسلمين والمؤمنين) لافرق بين المسلم والمؤمن فى عرف الشرع وانما هو التفنن فى العبارة كاوقع اليه الاشارة فى قوله تعالى* فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين* واما فى اصل اللغة فقرق بينهما حيث ان الاسلام انقياد الظاهر والايمان انقياد الباطن كما يدل عليه قوله تعالى* قل لاتمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هديكم للايمان* ويقويه حديث جبريل ان الاسلام هو ان تشهد لااله الاالله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة الخ والايمان ان تؤمن بالله وملائكته ورسله الخ ولما كان الانقياد الظاهر لاينفع بدون الانقياد الباطن كالمنافق ولا الانقياد الباطن بدون الانقياد الظاهر كما فى ابى طالب ونحوه فالمراد بالمؤمن والمسلم واحد وهو الجامع بين الانقيادين فى استحكام الاعتقادين وعبارة المتن يحتمل ان يكون المراد بهما ان كل واحد من الحمرة والصفرة خضاب اهل الاسلام والايمان وان يكون لفا ونشرا مرتبا فيوافق ماذكره فى الاحياء من قوله عليه السلام الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين بناء على الفرق بينهما لغة او اشعارا بان نعت الايمان اكمل فالحمرة افضل فانهم كانوا يخضبون بالحناء للحمرة و بالخلوق والكتم للصفرة وحديث الاحياء رواه الطبرانى والحاكم بلفظ الافراد من حديث ابن عمر ثم هما جائزان تلبيسا للشيب على الكفار فى الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل للتشبه باهل الدين فهو مذموم (ويكره تسويدها فودر هو خضاب اهل النار) كذا فى الاحياء قال وفى لفظ خضاب الكفار قال مخرجه الطبرانى والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر قيل واول من خضب بالسواد فرعون ذى الاوتاد وورد من خضب بالسواد سود الله وجهه يوم القيمة الطبرانى عن ابى الدرداء (وتبييضها بالكبريت) اى و يكره ايضا (اظهار الكبر) اى لكبر السن (ترفعا) على الشباب من اقرانه وتوصلا الى التوقير عند اخوانه واستجلا لقبول الشهادة بعلو شانه وتصديق الرواية عن مشايخ الدراية ظنا منه بان كثرة الايام تقطعه فضلا بين الانام ولم يعرف ان الفضل بقلة الاثام وامثال ذلك من الاغراض الفاسدة والاعواض الكاسدة كما بينتها فى التصريح بالتسريح (ونتفها عبثا) اى بلامنفعه (وتشبها بالرد فهو منكر) اى بدعة مستقبحة فان اللحية زينة الرجال كما ان شعر الرأس زينة النساء فى جميع الاحوال او استنكافا من الشيبة فقد نهى عليه السلام من نتف الشيب وقال هو نور المؤمن رواه ابوداود الترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجة من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده (وتزينها للناس بالتدوير) وهو تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزوير (والتسريح) اى بالتكثير وقد قال بشر فى اللحية شركان تسريحها للناس وتركها متفلة لاظهار الزهد (والزيادة) اى وبزيادة الشعر (فى العارضين) اى الخدين (بارسال الصدغ) بضم فسكون ما بين العين والاذن والشعر المتدلى عليه وهو من شعر الرأس (المتجاوزة عن عظمها) اى عظم اللحى المنتهية الى نصف الخد وذلك بين هيئة اهل الفلاح وكثيرا مايفعله بعض الاعجام (ولايأكل الجنب) اى لاينبغى ان يأكل وهو جنب فاذا اراد ان يأكل فيغسل فمه اولا وكذا اذا اراد ان يشرب (ولاينام) اى الجنب (دون

الوضوء) اى اومايقوم مقامه من التيمم فعن عمر قلت للنبى صلى الله عليه وسلم اينام احدنا وهو جنب قال نعم اذا توضأ متفق عليه وهذا هو الاولى والافلا بأس به وقد كان عليه السلام ينام وهو جنب ولا يمس ماء كما رواه احمد وغيره عن عائشة وكان ذلك لبيان الجواز ورحمة على ضعفاء الامة (ولا ينقض من البدن) اى لا يقطع الجنب (شعرا ولا ظفرا ولا دما) مادام جنبا (فاجزاء البدن) اى جميعها (تعاد فى الاخرة) اى كما كانت فى الدنيا قال تعالى ۞ كما بدأكم تعودون ۞ وقال عز وجل ۞ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة اى حفاة عراة غرلا (والمزال جنبا يكون كذلك) وهو نقصان فى المرتبة هنالك وان كانت تزول عن المؤمنين ما لا يحتاج اليها اذا اغتسلوا على حيا وانهار فى باب الجنة قبل الدخول عليها وقد ورد انه عليه السلام كان يأمر بدفن الشعر والاظفار الطبرانى عن وائل بن حجر وفى رواية الحكيم عن عائشة كان يأمر بدفن سبعة اشياء من الانسان الشعر والظفر والدم والحيضة والسن والعلقة والمشيمة (ويكنس المسجد) اى ينظفه من القمامة فانه افضل انواع الاماطة وقد قال تعالى * وطهر بيتى * وورد ابنوا المساجد واخرجوا القمامة منها فمن بنى لله بيتا بنى الله له بيتا فى الجنة واخراج القمامة منها مهور الحور العين رواه الطبرانى وغيره (وينوره) بالسرج ونحوها فقد قال انس بن مالك من اسرج فى مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام فى ذلك المسجد ضوء رواه الحارث بن ابى امامه فى مسنده وغيره به مرفوعا وسنده ضعيف والحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الاعمال (ويفرشه) بالحصر وامثالها (ففيها) اى فى الثلاثة (فضائل) فانها كلها من عمارة المسجد وقد قال تعالى * انما يعمر مساجد الله من آمن بالله (ولا يزخرف فيه) اى لا يبالغ فى زينته (ولا ينقشه) بحيث يشغل المصلى فى احدى هيئته (ولا يصوره) اى جدرانه وسقفه فضلا عن قبلته (فهو) اى مجموع ماذكر (من البدع) اى المستبشعة (ويتعهد النعل) اى يتفقدها ويتفحصها عند بابه رعاية لجنابه (ويمسح ما به اذى) على اطرافه (ويقدم الرجل اليمن داخلا فيه) ويقول بسم الله اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ويسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ويقول اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك رواه ابوداود وغيره (واليسرى خارجا منه) ويتعوذ ويقول اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب فضلك رواه الترمذى وغيره ولا يجلس حتى يصلى ركعتين كما فى الصحيحين و المسجد الحرام هى الطواف ان قدر عليه والا فالصلوة ان لم يكن وقت مكروه والا فيقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر عملا بقوله عليه السلام اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا (و يجهر بالدعاء على من يتجر فيه اوينشد ضالة اى يطلبها برفع صوت فورد اذا رأيتم من يبيع او يبتاع فى المسجد فقولوا لا رابح الله تجارتك واذا رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا لا ردها الله عليك رواه الترمذى والحاكم عن ابى هريرة مرفوعا (وينظفه) اى جدرانه (عن النخامة) اى ماء الانف (والبزاق) اى ماء الفم ففى الخبر البزاق فى المسجد سيئة ودفنه حسنة احمد والطبرانى وفى الصحيحين البزاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها (ولا يتخذه بيتا) اى مسكنا الا اذا كان غريبا ولم يجد مكانا قريبا (ولا معبرا) اى طريقا وممرا الا لضرورة داعية اليه او حاجة باعثة عليه فينبغى ان ينوى الاعتكاف ولو ساعة لديه فالكل مروى) ففى الطبرانى عن ابن عمر لا تتخذوا المساجد طرقا الا لذكر اوصلوة (وان غلبه النعاس فيه يتحول موضعه

ليطهر اثر نومه وفى الخبر اذا نعس احدكم وهو فى المسجد فليتحول من مجلسه ذلك الى غيره ابو داود والترمذى عن ابن عمر (ويضرب باطراف اصابعه جانب رأسه الايمن ثلاثا ثم يجلس) فى موضع آخر (ويستقبل القبلة فهو عبادة) اى حد ذاته فضلا عن يكون فى حدود المسجد وجهاته وقد واكرم المجالس ما استقبل به القبلة اخرجه ابو يعلى وابن عدى والطبرانى فى الاوسط واورده الحاكم وقال انه صحيح وقال ابن حبان انه خبر موضوع وقد كانت احواله عليه السلام فى مواعظ الناس ان يخطب لهم وهو مستدبر القبلة قلت وفيه انه لمصلحة سماع الناس ولم يعكس ايثارا للكثير فهو ايضا دليل على مدعانا (وفيه) اى فى الاستقبال (قوة البصر) لان وقوع القبلة بمنزلة الكعبة فى النظر (ويجلس موضعا اقرب الى التواضع) اى وابعد عن اهل الترافع (لا بين الظل و الشمس فهو مقعد الشيطان) اى يحبه ويحبه ان يقع من الانسان وفى مستدرك الحاكم عن ابى هريرة وابن ماجة عن بريدة انه عليه السلام نهى ان يقعد الرجل بين الظل والشمس وفى رواية احمد نهى ان يجلس بين الضح و لظل وقال مجلس الشيطان (ولا يفرق) بالجلوس (بين اثنين) اى مخصوصين كاب وابن واخوين وصاحبين فقد ورد انه عليه السلام نهى ان يجلس الرجل بين الرجلين الا باذنهما رواه البيهقى عن ابن عمر (ولا يقيم احدا) عن موضع جلوسه فيجلس هو فيه ففى البخارى عن ابن عمر انه عليه السلام نهى ان يقام الرجل من مقعده ويجلس فيه آخر (وان قام) احد بنفسه حياء منه اوتأدبا معه (لا يجلس ثمه) اما تواضعا اوعملا بظاهر النهى (ويجلس حيث اصاب) اى صادف محلا فارغا فى الصف فهذا كان دأبه عليه السلام فى المجالس فى الشمائل وروى البغوى والبيهقى والطبرانى عن شيبة بن عثمان مرفوعا اذا انتهى احدكم الى المجلس فان وسع له فليجلس والا فلينظر الى اوسع مكان يراه فليجلس فيه (وخلف الصف) اى ويجلس (ان يجد مكانا فيه ولا يعود) كانه اخذ من حديث صحابى اقتدى به عليه السلام قبل ان يصل الى الصف فقال له عليه السلام زادك الله حرصا ولا تعد فروى من العود اى اى لا ترجع الى مثل هذا الفعل فانه مكروه بل امش حتى تصل الى الصف الذى يشغل فصل وروى من الاعادة اى ولا تعد صلاتك فانها صحيحة حيث وقعت فى المسجد فان شرط صحة الاقتداء ان يكون مقام الامام والمقتدى بقعة واحدة وقال الامام احمد ببطلان صلاة المنفرد الصف اذا اقتدى بالامام واما مارواه الطبرانى عن وابصة ايها المصلى وحده الا وصلت الى الصف فدخلت معهم اوجررت اليك رجلا ان ضاق بك المكان فقام معك اعد صلاتك فانه لا صلوة لك فمحمول على نفى الكمال عند الجمهور وعلى نفى الصحة عند الامام احمد وفى بعض الحواشى اى ولا يعود الى بيته حينئذ فهو تكبر لكن لا يخفى بعده (ولا يتجاوز من سبق) اى لا يتخطى رقاب الناس فقد ورد فيه وعيد شديد وهو ان يجعل جسرا يوم القيمة يتخطاه الناس الا اذا وجد فرجة فانه حينئذ يجوز له ان يتخطى ويصلى فيها فان التقصير من غيره فيستحق التقدم عليه (ويحيى) اى ويخص بالسلام والتحية (من يقربه) اى فى ذلك المقام وفى نسخة بقربه بصفة المصدر (ولا يمد الرجل) اى قدام صاحبه فانه ترك الادب (وكان اكثر جلوسه عليه السلام ان ينصب الساقين ويجعل اليدين عليهما) ويسمى هيئة الاحتباء وكان عليه السلام يتربع احيانا ويقعد جلسة التشهد كثيرا

وقد يرفع رجله اليمنى بدون اليسرى (ويلازم) اى فى قعوده (الوقار) اى السكينة والرزانة (والتواضع) اى مع اهل المسكنة (ويجتنب الجلوس على القدمين والركبتين) فهى هيئة الاقعاء وتسمى جلسة الكلب لكن نهيه مقيد بالصلوة فروى الحاكم فى مستدركه والبيهقى عن سمرة انه عليه السلام نهى عن الاقعاء فى الصلوة وفى النهاية هو ان يلصق الرجل اليته بالارض وينصب ساقيه وفخذيه ويضع يديه على الارض (واكثار النظر) اى يجتنب تكثير نظره (الى الكاهل) بكسر الهاء وهو مابين الكتفين (والعقب) اى الى ورائه (والالتفات) اى واكثاره اويجتنبه (الى الجوانب) فانه بعد من المعائب (واللعب مع اللحية والاصابع) فانه من اللغو وضد حال ارباب الخشوع واصحاب الخضوع وقد رأى عليه السلام رجلا يعبث بلحيته فى الصلوة فقال لوخشع قلبه لخشعت جوارحه (وتخليل الاسنان وادخال الاصبع فى الانف) وهذا كله مكروه فى المجامع والمحافل لارباب الفضائل والقو اضل (واخراج البزاق) من الفم (والنخامة) من الانف (والتثاؤب على الوجوه) اى فى مقابلتها دون ادبارها (والجشاء) اى كذلك فوردا قصر جشاءك عنا وهو بضم الجيم ممدودا بخار يخرج من الفم عند الاكل الكثير (والاشارة باليد والعين) بحيث يتوهم المصاحب مالا يليق باهل المناقب قال تعالى * يعلم خائنة الاعين (ونحوها) اى ويجتنب امثال هذه المذكورات (مما يكره الناس) اى فى المحاورات والمحاضرات (ويستغفره تعالى عند القيام) اى من المجلس ففى المعالم عند قوله تعالى * وسبح بحمد ربك حين تقوم * قال سعد بن جبير وعطاء اى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له وروى البغوى باسناده الى ابى هريرة مرفوعا من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لااله الا انت استغفرك واتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما وفى رواية ابى داود وابن حبان عن ابى هريرة المجلس ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك الخ ثلاث مرات وزاد عملت سوأ وظلمت نفسى فاغفرلى انه لايغفر الذنوب الا انت (ولايقعد فى السوق بلا حاجة) فانها ابغض البلاد الى الرحمن واحبها الى الشيطان (ولا فى الطريق) اى الجادة للعامة (ويؤدى الحقوق) اى حقوق الجلوس او حقوق الطريق (ان جلس) وهى اماطة الاذى وارشاد الضال وقضاء حاجة الفقير والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ونصرة المظلوم واعانة الملهوف واعانة الضعيف ورد السلام واعطاء السائل ولو بجميل الكلام وفى رواية الطبرانى عن وحشى لعلكم ستفتحون بعدى مدائن عظاما وتتخذون اسواقها مجالس فاذا كان ذلك فردوا السلام وغضوا من ابصاركم واهدوا الاعمى واعينوا المظلوم (ويفتح وفى نسخة ويفتتح اى يبتدئ (الكلام) فى مجلس الكرام اذا كان ذا بال من المرام (بالتسمية والتحميد والاستعاذة) والانسب تقديم التعوذ (والصلوة عليه السلام) اى على النبى عليه السلام فوردكل امر ذى بال لايبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو اقطع رواه الرهاوى فى الاربعين عن ابى هريرة وفى رواية له عنه كل امر ذى بال لايبدأ فيه بحمد الله والصلوة على فهو اقطع اترك لمحوق البركة (ويختار العربية) اى اللغة المنسوبة الى العرب فقد ورد احبوا

العرب لثلاث لانى عربى ولان كلام الله عربى ولسان اهل الجنة فى الجنة عربى وقد قبل العربية نصف العلوم النقلية (وبخفض الصوت) اى فى كلامه لقوله تعالى ۞ واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير (ولايكثر) اى من الكلام فان كثرة الكلام تميت قلب الانام (ويهذب اللفظ) اى ينقى مبانيه ويحسن مافيه وتميز بين مايوافقه المقام ومنافيه (وبين الكلام بتعيين معانيه وتخليصه من الزوائد المخلة والفوائد المملة (ويتفكر) اولا (فى الحجة) اى الادلة ثم يحتج بها ويستمسك بسببها (ويسكت عند الغضب) لقوله تعالى * ولما سكت عن موسى الغضب احذ الالواح * اى سكن كما فى قراءة شاذة ولهذا ورد النهى للقاضى ان يحكم وهو غضبان لانه حينئذ لم يفرق بين الحق والباطل والطاعة والعصيان (ويذكره تعالى عند النسيان لقوله تعالى ۞ واذكر ربك اذا نسيت (ويستثنى) اى يقول ان شاء الله فيما بعده فى مستقبله لقوله تعالى ۞ ولاتقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله (ولايحلف عليه تعالى فهو اجتراء) اى اظهار جراءة لديه فوردان رجلا قال والله لايغفر الله لفلان قال الله تعالى من ذا الذى يتألى على ان لااغفر لفلان فانى قد غفرت لفلان واحبطت عملك رواه مسلم عن جندب البجلى (ويحترز عن القصص) اى قصص الملوك وارباب الشجاعة واصحاب البطالة بل عن قصص الانبياء وحكايات الاولياء اذا لم تكن ثابتة مروية عن العلماء الاصفياء (والحلف) اى ويحترز عن كثرة اليمين (مامكن) ولو كان صادقا اذ فيه خطر الحنث ووجوب الكفارة وشبهة التهمة (وان حلف) اى على يمين (ورأى غيرها خيرا) منها (فليأت به) اى بذلك الغير الذى هو الخير (وليكفر) اى عن حنث يمينه فى صحيح مسلم وغيره عن ابى هريرة من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه (ويراعى الادب) اى مع الاصحاب والاحباب فى قوله وفعله وسائر الابواب (ويتكلم بالقصير الجامع) وهو الكلام الجامع المانع وقد ورد اعطيت جوامع الكلم رواه ابو يعلى عن عمر وهى التى مبانيه يسيرة ومعانيه كثيرة وروى خير الكلام ماقل ودل (ويتوقف بين كلامين) اى مركبين يصح سكوت على كل منهما (ليحفظ السامع) اى ليدركه ويفهمه ففى الصحيحين عن عائشة انه عليه السلام كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه (ولايبحث) مع الخصم (قبل تمام الكلام) اى فى اثناء المرام اذ قد يكون له تعلق فى المقام يدفع المباحثة مع الخصام (ويستأذن للسؤال) اى تأدبا مع ارباب الكمال (فالكل مأثور وفى الكتب المبسوطة مذكور (ويكثر البكاء فورد حرمت النار على ثلاثة اعين عين) بالجر على البدل او بالرفع اى منها او احديها عين (سهرت فى سبيل الله) اى احتراسا لاهل الله (وعين غضت) اى غمضتها (عن محارم الله) اى ابتغاء لوجه الله (وعين بكت من خشية الله) اى من خوف يوم يلقاه الطبرانى والحاكم عن ابى ريحانة بلفظ حرمت النار على عين بكت من خشية الله وحرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله وحرمت النار على عين غضت عن محارم الله وعين فقئت فى سبيل الله وفى رواية الحاكم عن ابى هريرة ثلاثة اعين لاتمسها النار عين فقئت فى سبيل الله وعين حرست فى سبيل الله وعين بكت من خشية الله (دون الضحك) اى لايكثر الضحك بل يقلله (فهو يميت القلب ويذهب النور) اى البهاء والضياء وفى الخبر انه عليه السلام كان طويل الصمت قليل الضحك احمد عن جابر بن سمرة (فورد فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) وهو امر معناه خبر اى يضحكون فى الدنيا قليلا من الضحك او الزمان ويبكون كثيرا

من البكاء او الزمان وهذا اذا كان المراد به الخبر عن اهل الكفر فى الدنيا والعقبى واما ان كان المراد به الخبر عنهم فى دار الاخرى فالمراد من القلة العدم والله سبحانه اعلم فالمعنى من ضحك فى الدنيا قليلا يبكى فى الآخرة كثيرا فكيف حال من ضحك فى الدنيا كثيرا فانه لايشك ان امره يكون عسيرا لايسيرا (ويخفض صوت العطاس فالتصريح به) اى بالصيحة عند الناس (حمق) اى حماقة وجهالة لمنام الاستيناس وقد ورد التثاؤب الشديد والعطسة الشديدة من الشيطان ابن السنى عن ام سلمة (ويستر) اى فمه عند العطاس (بثوبه) اى بكمه اومنديله (اويده) اى بكفه فورد اذا عطس احدكم فليضع كفيه على وجهه وليخفض صوته الحاكم والبيهقى عن ابى هريرة (ويستر الفم فى التثاؤ -) اى بالثوب لانه ايضا يحصل المقصود ولان الثوب ايضا يكون الا بمساعدة الساعد ففى الصحيحين عن ابى هريرة التثاؤب من الشيطان فاذا تثاوب احدكم فليرده مااستطاع فان احدكم اذا قال هاضحك منه الشيطان وفى رواية الترمذى العطاس من الله فاذا تثاوب احدكم فليضع يده على فمه واذا قال آه آه فان الشيطان يضحك من جوفه وان الله عز وجل يحب العطاس ويكره التثاؤب ولعل وجهه ان العطاس بطير النوم والكسل والتثاؤب يوجب النعاس والفشل واما ورد من ان العطاس والنعاس والتثاوب فى الصلوة من الشيطان فوجهه ان كلا منها مانع من القراءة ونحوها (ويلقى البزاق) ان لم يقدر على ابتلاعه (فى اليسار) اى ان لم يكن هناك احد من الابرار (اوتحت القدم) اى اليسرى اذا لم يكن ارض مسجد (دون القبلة) اى لايلقى الى جهة القبلة مطلقا تعظيما للكعبة بيت الله الحرام ففى الصحيحين اذا كان احدكم يصلى فلا يبصق قبل وجهه فان الله قبل وجهه اذا صلى (واليمين) اى اصلا سواء يكون فيه احد ام لا تعظيما لصاحب اليمين من الملائكة المقربين ولعل صاحب اليسار يتأخر فى جانبه فانه مأمور بالنسبة الى صاحب اليمين كما قرر فى محله وفى رواية احمد واصحاب السنن الاربعة عن طارق بن عبدالله المحاربى مرفوعا اذا صليت فلا تبزقن بين يديك ولاعن يمينك ولكن ابزق تلقاء شمالك ان كان فارغا والافتحت قدمك اليسرى وادلكه قال ابو يزيد لبعض اصحابه قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذى قد اشهر نفسه بالولاية وكان رجلا مشهورا بالزهد والديانة فمضينا فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى بزاقه تجاه القبلة فانصرف ابو يزيد ولم يسلم عليه وقال هذا غير مأمون على ادب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه اى من الادب مع الرب ويتفأل بكلمة صالحة) اى بسماعها من غيره نحو صلاح وفلاح ومنصور ومظفر فانه عليه السلام كان يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة وابن ماجة عن ابى هريرة والحاكم عن عائشة (فالكل مأثور) اى منقول عن فعله عليه السلام (ومأمور به) اى بما ورد عنه من الكلام (ولايتطير) اى لايتشأم بالفأل القبيح واصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير وكان التطير يصدهم عن مقاصدهم فى زمن الجاهلية فنفاه الشرع ونهى عنه واخبر انه لاتأثير له فى جلب نفع اودفع ضر ومثاله انه خرج لحاجة وسمع كلمة فاسدة دالة على عدم قضائها فان رجع عنها بسببها كان ذلك تطيرا (فهو منهى عنه) روى احمد عن عبدالله بن عمر مرفوعا لايتطير فان فعل فكفارته ان يقول اللهم لاخير الا خيرك ولاطير الاطيرك ولااله غيرك رواه الطبرانى عنه بلفظ من ردته الطيرة من حاجة فقد اشرك وكفارته ان يقول اللهم لاخير الخ ورواه ابوداود

ولفظه اذا رأيتم من الطيرة شيئا تكرهونه فقولوا اللهم لا يأتي بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيئات الا انت ولا حول ولا قوة الا بك وفي رواية ابن ابي شيبة الا بالله (ويفتح الكتاب) اي اذا بدأ مكتوبا الى غيره (بالتحميد والصلوة) بان يكتب الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله (ويذكر اولا) اي بعدهما (نفسه ثم المكتوب اليه فهو السنة) المعروف في السنة ان يبدأ باسمه ثم المكتوب اليه ثم يحمد الله فيكتب مثلا من عبد الله فلان الى فلان عبد الله السلام عليك فاني احمد الله اليك وهو مقتبس من قوله تعالى * انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم * وقد كتب صلى الله عليه وسلم الى معاذ في ابن له يعزيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى معاذ سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فاعظم الله لك الاجر والهمك الصبر ورزقنا واياك الشكر الحديث رواه ابن مردويه والحاكم عن معاذ قالوا وفي الآية لمطلق الجمع (ويتربه) بتشديد الراء اي يلقي التراب على الكتاب (فهو سبب النجاح) اي وصوله الى الباب وقد ورد اذا كتب احدكم الى انسان فليبدأ بنفسه واذا كتب فليترب كتابه فهو انجح الطبراني في الاوسط عن ابي الدرداء والترمذي الجملة الثانية والطبراني الاولى (ويتعفف) اي يطلب العفة (عن طلب الحاجة) اي بالمسألة من الخلق (ما امكن) اي مهما امكن التعفف ولم تلجئه الضرورة الى التكفف وفي دعاء الامام احمد اللهم كما صنت وجهي عن سجود غيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك وقد قال بعض اهل التوفيق السؤال ذل ولو اين الطريق (وحقه) اي حق طلب الحاجة عند الضرورة من الخليفة (ان يتوضأ ويصلي ركعتين ويرفعها اليه تعالى) اي اولا لانه غياث المستغيثين واحم الراحمين واكرم الاكرمين وفي الخبر ليسأل احدكم ربه حاجة حتى يسأل الملح وحتى يسأله شسعه رواه الترمذي وغيره وقد ورد من كانت له حاجة الى الله او الى احد من بني آدم فليتوضأ وليحسن وضوءه ثم ليصل ركعتين ثم ليثن على الله وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل لا اله الا هو الحليم الكريم سبحان رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين اسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والعصمة من كل ذنب والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم لا تدع لي ذنبا الا غفرته ولا هما الا فرجته ولا حاجة هي لك رضا الا قضيتها يا ارحم الراحمين رواه الترمذي عن ابن ابي اوفى وفي رواية له ولغيره عن ابن حنيف من كانت له ضرورة فليتوضأ فيحسن وضوءه ويصلي ركعتين ثم يدعو اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي فشفعه في (ويخرج) اي ومن حقه ان يخرج في طلب الحاجة (بكرة الخميس) او بكرة غيره فان البركة في البكرة كما تقدم (بعد التحميد والصلوة) اي على النبي عليه السلام (وقراءة الفاتحة) فان فيها رائحة قضاء الحاجة فاتحة (وآية الكرسي) فانها الدالة على العظمة والمحافظة (وآخر آل عمران) اي من قوله * ان في خلق السموات والارض * الى آخر السورة او من قوله * لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد * او من قوله * يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون * فقد رؤي بعض المجاذيب انه يخرج بطاقة من جيبه وينظر فيها ثم يردها فاذا هو مات فرأوا فيها آية * واصبر لحكم ربك فانك باعيننا (والقدر) اي سورة القدر لتنبيهاله على ان الاشياء كلها بالقضاء والقدر فلا يتبدل ولا يتغير (ويقصد الاتقى) شرعا لان عطاءه

انق (والاكرم) طبعا لان سخاءه ابقى (والاسمح) اى الاسهل يدا فان الخير منه ارجى (والاحسن) اى خلقا وخلقا فقد ورد اطلبوا الخير عند حسان الوجوه رواه البخارى فى تاريخه عن عائشة وجماعة عن غيرها وفى رواية ابن عدى والبيهقى عن عبدالله بن جراد بلفظ اذا ابتغيتم المعروف فاطلبوه عند حسان الوجوه لان الظاهر عنوان الباطن والغالب اجتماع حسن الخلق وحسن الخلق ومن لوازم حسن الخلق الكرم مع الخلق (والارحم) قلبا فعن ابى سعيد اطلبوا الحوايج الى ذوى الرحمة من امتى ترزقوا وتنجحوا فان الله تعالى يقول رحمتى فى ذوى الرحمة من عبادى ولا تطلبوا الحوايج عند القاسية قلوبهم فلا ترزقوا ولا تنجحوا فان الله تعالى يقول ان سخطى فيهم رواه العقيلى والطبرانى فى الاوسط (ولا يرتكب معصية فيه) اى فى طلب الحاجة بان يكذب فى مقدار مايحتاج اليه مثل قوله ان لى ميتا اريد دفنه او عندى نفساء وما اكلت ايام كذا او بمعنى عيال ونحو ذلك اذا لم يكن صادقا فيما هناك (ولا يلح) اى فى الطلب من الخلق قال تعالى ﴿ لا يسألون الناس الحافا ﴾ اى الحاحا وورد ان الله يبغض السائل الملحف ويحب الحيى العفيف رواه البيهقى عن ابى هريرة (ويشاور) اى فى امر مشكل يقع له (العاقل) اى المجرب فى الامور (العالم) اى المعظم فى الصدور (الصالح) اذ عنده الخير المستور (الملايم ذلك الامر) اى الذى وقع له الدهر و يحتاج فيه النصح للنصر (كالسخى فى المال) اى فى امر يتعلق ببذل المال (والشجاع فى الحرب) لانه فى ذلك الامر من اهل الكمال * وقد علم كل اناس مشربهم ﴿ وعرف كل فريق مذهبهم (فورد وشاورهم فى الامر) وامرهم شورى بينهم (ثم امرأته) اى ان لم يجد احدا كما فى نسخة (ويخالف) اى رأيها (فورد فيه) اى فى خلافها (البركة) لغلبة عقلها ونقصان دينها واخرج العسكرى فى الامثال عن عمر قال خالفوا النساء فان فى خلافهن البركة وعن انس مرفوعا لا يفعلن احدكم امرا حتى يستشير فان لم يجد من يستشير فيستشير امرأته ثم ليخالفها فان فى خلافها البركة رواه ابن لال وروى الديلمى والعسكرى والقضاعى عن عائشة مرفوعا طاعة النساء ندامة وفى مسند احمد هلكت الرجال حين اطاعت النساء واخرجه الطبرانى والحاكم وصححه من حديث ابى بكرة مرفوعا واخرج ابن عدى من حديث ام سعد بنت زيد بن ثابت عن ابيها مرفوعا طاعة المرأة ندامة واخرج العسكرى عن معاوية قال عودوا النساء لا فانها ضعيفة ان اطعتها اهلكتك وقال بعض الشعراء * وترك خلافهن من الخلاف * واما ما اشتهر على الالسنة شاوروهن خالفوهن فباطل لا اصل له فى مبناه لكن صح معناه فيما قد مناه (ويقدم الاستخارة) اى على الاستشارة المراد دعاؤها مجملا بان يقول اللهم خرلى واخترلى ولا تكلنى الى اختيارى اوصلاتها ودعاؤها المشهور المذكور فى الحصن وشرحه المسطور وقد ورد ما خاب من استشار ولا ندم من استخار ولا عال من اقتصد الطبرانى فى الاوسط عن انس (ويختار اهون الامرين) كالتدريس والفتوى فالتدريس اهون من الفتوى والفتوى اهون من القضاء والقضاء اهون من الخلافة (وايسرهما) فروى عن بعض السلف الصبر عن النساء ايسر من الصبر عليهن ايسر من الصبر على النار وقيل الفرق بين الاهون والايسر ان الاهون باعتبار النفع والضرر والايسر باعتبار سهولته على النفس وبعده عن الخطر (ولا يحب المال اكثر من العرض) بل يبذل المال لحفظ العرض

وحسن الحال (ولا يبدل الدين بالدنيا) لقوله تعالى ۞ اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (ولا يركب بقرة) ويجوز الحمل عليها (ولا يحرث على حمار) لانه خلق للحمل والركوب (فلكل خلق لعمل) اى على وفق العادة كما فى الفرس والجمل وقدور كل ميسر لما خلق له رواه الشيخان (ويركب على ما اصاب) اى صادفه من الفرس والحمار والبغل والبعير والفيل من غير تعلق وتقيد بواحد منها قال تعالى ۞ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون * اى الفيل اذا كان الخطاب للعرب خاصة واما البعير فقال تعالى * ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم * وقال عز وعلا * وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * اى مطيقين وقال عز وعلا * اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون ولنا هالهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون * وقال عز شانه وعظم برهانه * وآية لهم انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون * فالبعير سفينة البر كما ان الفلك سفينة البحر (ويردف الخادم) اى وغيره سواء كان المركوب جملا او فرسا او حمارا (فلكل مأثور) فقد اردف النبى عليه السلام الفضل واسامة فى طريق عرفة عام حجة الوداع خلف ناقة واردف ابا هريرة على حمار فى طريق قبا كما تقدم (وكان عليه السلام لا يدخل البيت) اى بيته (حتى يتصدق بفاضل النفقة) اى بما فضل من النفقة فى يده او فى بيته (ويسعى فى الحاجات) اى فى قضائها بنفسه عند قدرته فاخرج احمد عن انس انه عليه السلام كان يذبح اضحيته بيده (ويخصف النعل) على حد صنعته (ويخيط الثوب) اى بقدر معرفته فقد اخرج ابن عساكر عن ابى ايوب انه عليه السلام كان يخصف النعل ويرقع القميص و يلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتى فليس منى اى من تركها تكبرا فليس على طريقتى (ويقطع اللحم) اى اذا كان نيا او غير نضيج وهو ثابت فى السنة كما سبق وفى الشمائل عن جابر بن طارق قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فرأيت عنده دباء يقطع فقلت ما هذا قال نكثر به طعامنا (ويشتغل بامور البيت مع امهات المؤمنين) فروى احمد عن عائشة كان يخيط ثوبه و يخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم وروى ابن سعد عنها كان يعمل الخياطة وفى رواية ابى يعلى عنها كان يفلى ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه (ولا يتكلف) اى وكان عليه السلام لا يتكلف فى شئ من الكسوة والطعام والضيافة والوليمة (ولا يحبه) اى التكلف من غيره بل يبغضه فاخرج الدار قطنى بسند ضعيف انا والاتقياء من امتى بريؤن من التكلف ويقويه ما فى مسند الفردوس من حديث الزبير بن العوام الا انى برئ من التكلف وصالحوا امتى واخرجه ابن عساكر فى تاريخه عنه بلفظ اللهم انى وصالحى امتى برآء من كل متكلف واخرجه عن الزبير ابن ابى هالة وهو ابن خديجة زوج النبى صلى الله عليه وسلم بلفظ انا وامتى برآء من التكلف (ولا يصيد) اى بنفسه (ويحبه) اى يحبه من غيره (ويقبل الهدية ويكافى عليها) اى بمثلها او بازيد منها لقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها اى او بمثلها على قول وفى البخارى وغيره عن عائشة كان يقبل

الهدية ويثيب عليها (ويرد المقرونة بالمنة وان قلت) اى الهدية او المنة فانها كثيرة المؤنة وثقيلة المعونة (ويغتنم العبد) وكذا الجارية (ايام الرق) اى زمان العبودية مع القيام بحق الربوبية (فحسنته بعشرين) اى فاجره مرتين كما فى حديث ثم اقل الاجر فى حسنة عشر كما قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فاذا كان له اجران فحسنة له بعشرين حسنة (وتلزم المرأة قعر البيت) اى من المخزن ونحوه (فلا ترتفع) اى هى (عليه) اى على البيت والمعنى انها لا تسكن فى العوالى خصوصا اذا كان فيها شبابيك مشرفة على الحوالى (ولا تنظر الى الخارج ولو كانت ساكنة فى الداخل) (فنظر هن الى الرجال فتنة) اى فى حقهن كما ان نظر الرجال اليهن فتنة فى حقهم قال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن (وامرت ام سلمة بالاحتجاب عن الاعمى) اى مع انها من الازواج الطاهرات (ولا بأس) اى للمرأة (بالخروج فى المهم) اى الدينى والاخروى او الدنيوى الضرورى (فى اسوء هيئة) اى اخشنها من لباس الجمال (واخلى طريق) اى من الرجال حال كونها (منكرة لمن يعرف) اى نسبها او حسبها صيانة عن عرضها (غير مسمعة صوتها) اذا لم تكن ضرورة بها (ويتصدق) اى الشخص (بما بقى من طعام يستحيل) اى يتغير ويفسد من اللحم المطبوخ واللبن ونحوهما (اذا ترك) اى كثيرا فانه تضييع للمال وتقويت لمقام الكمال (ويغتم الصحيح بطول السلامة) فان فرعون مضى عليه اربعمائة سنة ولم يحصل له صداع ولا حمى مقدار سنة (فورد لا يخلو المؤمن من علة اى مرض وضعف قوة (وذلة) ضد عزة بان يسلط عليه احد من الطلمة (وقلة) اى فاقة وحاجة وقد يجتمع عليه اذا كان من اهل عناية ورعاية وحماية واذا كان خاليا عنها فى بعض الاوقات (فلا بد وان يبتلى فى كل اربعين يوما بشئ منها ويسترجع) اى يقول * انا لله وانا اليه راجعون (فى المصيبة) اى الحادثة (فهو مأثور) اى مروى عنه عليه السلام وعن السلف الكرام (وممدوح فى القرآن) حيث قال تعالى * وبشر الصابرين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون * الآية وفى الحديث يسترجع احدكم فى كل شئ حتى فى شسع نعله فانها من المصائب ابن السنى عن ابى هريرة وقد ورد من اصيب بمصيبة فاحدث استرجاعا وان تقادم عهدها كتب الله له من الاجر مثله يوم اصيب رواه ابن ماجة عن الحسن بن على (ويحترز عن الشق) اى شق الجيب (والضرب) اى على الوجه والصدر (والحلق) اى حلق شعر الرأس للمرأة واللحية للرجل (والنوح) وهو صياح اهل الميت (فهى) اى جميعها (منهى عنها اذ هى رسوم الجاهلية) ففى الصحيحين عن ابن مسعود ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية ولابى داود والنسائى عن ابى موسى منا من سلق ومن حلق ومن خرق فالسلق رفع الصوت عند المصيبة ومنه قوله تعالى * سلقوكم بالسنة حداد * والحلق حلق الشعر والخرق خرق الثوب (ويئن المريض) فورد المريض انينه تسبيح وصياحه تكبير ونفسه صدقة ونومه عبادة ونقله من جنب الى جنب جهاد فى سبيل الله يقول الله تعالى للملائكة اكتبوا لعبدى احسن ما كان يعمل فى صحته فاذا قام ثم مشى كان كمن لا ذنب له الخطيب والديلمى عن ابى هريرة وقال رجاله معروفون بالثقة الا حسين ابن احمد البلخى فانه مجهول (انينا يخفف بعض ما به) اى من ثقل الالم

(ذاكرا) اى حال كونه ذاكرا لله تعالى فيما اعطاه من النعم والمنن ومستعينا به فيما ابتلاه من المحن ومستغيثا به ايام الفتن ومستعيذا به عن حلول النقم (لامتأوها) بطريق الضجر والفزع من كثرة الهم والغم والاقتدمدح الله سبحانه سيدنا ابراهيم الخليل بقوله * ان ابراهيم لحليم اواه منيب فاذا كان آه اوواه لله وفى تسليم امر مولاه ورضاه بقدره وفق ماقضاه يكون خيراله فى دنياه (ويعصب الرأس) اى يشده بعصابة تبعا للسنة واظهارا للعجز ولانه يخفف الصداع (وينام على الفراش) اى ولوكان دأبه ان لاينام عليه (استعانة على الصبر) اى على شدة المرض وحدة الامر (وتوقيا) اى واحترازا واحتراسا (عن التشدد) اى طلب شدة الامر باظهار التجلد فى الابتلاء للبلاء (ويستشفى) اى يطلب الشفاء (بالذكر) اى الجلى والخفى لشفاء الظاهر والباطن فان ذكر الحبيب شكر اللبيب وسكر الطبيب (والدعاء) فانه يرد البلاء ويهون القضاء والدعوات المأثورة للشفاء نحو اللهم عافنى واعف عنى واشفنى واسألك العفو والعافية فى الدنياوالآخرة والصلوة) لقوله تعالى *واستعينوا بالصبر والصلوة *اوالصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم لان فى ذكر الحبيب شفاء العليل (والقرأن) لانه شفاء اهل الايمان ودواء اهل الايقان وشفاء اهل الطغيان وخسران اهل العدوان فقدقال تعالى * و ننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الاخسارا (لاسيما الفاتحة) لانها فاتحة كل خير ودافعة كل شر وضير (فوردانه) اى فاتحة الكتاب (شفاء من كل داء) اخرجه البيهقى فى الشعب من حديث عبدالله بن جابر وروى القشيرى ان آيات الشفاء وهى * و يشف صدور قوم مؤمنين * شفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * فيه شفاء للناس * و ننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين * قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء * يكتب ويغسل ويشرب فانه مجرب (ويحتمى) اى حال الابتلاء خصوصا وقت الامتلاء (فهم) اى السلف (امروا به اى بالاحتماء وقدقيل الاحتماء رأس الدواء واخرج الحلاد من حديث عائشة مرفوعا الازم دواء والمعدة بيت الداء وعود وابدنا ماعتاد والازم الحمية واخرج ابن ابى الدنيا عن وهب بن منبه قال اجمعت الاطباء على ان رأس الطب الحمية فلايبعدان يكون التقدير فهم اى الحكماء امروا بالاحتماء (ويداوى) اى فانه لاينافض التوكل ولاينافى (فورد تداووا عباد الله) اى اطلبو دواء بعضكم من بعض ياعباد الله (مامن داء الاوله دواء الاالسام) اى الموت ففى مسند احمد والسنن الاربع وابن حبان والحاكم عن اسامة بن شريك مرفوعا تداووا عباد الله فان الله لم يضع داء الاوضع له دواء غير داء واحد الهرم (ويستوهب مهر امرأته) اى يطلب الهبة من بعض مهرها ويأكله فهو شفاء لقوله تعالى * فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا * اى سائغا غير ضار ولاتنغص فيه فى الدنيا ولاتبعة معه فى الاخرى (واستوهب على رضى الله عنه امرأته) اى من مهرها (اواستقرض فى العارضة) اى العلة (من مهرها) شك من الراوى (فاشترى به العسل) لقوله تعالى فيه شفاء للناس (ومزجه) اى خلطه (بماء السماء) اى المطر لقوله سبحانه * وانزلنا من السماء ماء طهورا (وشربه فصار سبب الشفاء اى حيث اجتمع فيه اسباب الدواء (هذا) اى مضى وخذ هذا (وازالة السكنجبين الصفراء لايفارق ارواء الماء) اى كما قال الحكماء (الابالتعلق) اى تعلق السنجبين فى ازالة الصفراء (بالنظر) اى التأمل (والتوقف

على الشروط) اى المعتبرة التى ذكرها الاطباء فمن عرف المزاج وغلبة العلة وجودة الدواء ومقداره بحسب المزاج واقتداره لم يبق عنده فرق بين ازالة السكنجبين الصفراء وبين ارواء الماء بخلاف من لم يعرف ذلك فانه لا ينفعه هنا لك وهذا جواب سؤال مقدر يرد على قوله عليه السلام مامن داء الحديث فان السكنجبين مثلا ربما لا يوافق لدفع الصفراء ويؤدى الى عطش مفرط فنقول استعماله موقوف بالنظر الى احواله ومتوقف على شروط استعماله والحاصل ان الدواء سبب لدفع الداء فمهما حصل السبب فيتلوه المسبب لامحالة فى الاغلب كمعالجة الجوع بالطعام والعطش بالماء الحلو البارد وانما يتخلف نحو السكنجبين لتوقفه على شروط دقيقة يعرفها الاطباء والحكماء بخلاف اشباع الطعام وارواء الماء وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وترتيبه فى الابواب بكمال قدرته وجمال حكمته فلا يضر المتوكل استعماله الدواء مع النظر الى مسببه دون الطبيب والدواء (ويحتجم) اذا كان المرض دمويا اومطلقا لما ورد الحجامة تنفع من كل داء الا فاحتجموا الديلمى عن ابى هريرة (فورد مامررت بملأ) اى جمع عظيم يملأ العيون من كثرتهم (من الملائكة) اى المقربين (الاقالوا بشرامتك بالحجامة) اى بالعافية والسلامة بسبب الحجامة (والاحب) اى الاولى ان تقع الحجامة فى النصف الاخير من الشهر لما رواه ابن ابى حبيب عن عبدالكريم معضلا الحجامة تكره فى اول الهلال ولا يرجى نفعها حتى ينقص الهلال (والانسب فى سبع عشرة وتسع عشرة واحد وعشرين فهو مأثور لاسيما) اى خصوصا اذا اتفق يوم الثلثاء سبع عشرة) من الشهر (فوردهو) اى الاحتجام لسبع عشرة من الشهر فى يوم الثلثاء (دواء من داء سنة) رواه ابن سعد والطبرانى وابن عدى عن معقل بن يسار ولفظه الحجامة يوم الثلثاء لسبع عشرة من الشهر دواء لداء سنة (الافى القفا فهو يورث النسيان) الديلمى عن انس مرفوعا الحجامة فى نقرة الرأس تورث النسيان فتجنبوا ذلك وقد احتجم عليه السلام فى يافوخه من وجع كان به ذكره ابن الربيع ورواه ابن سعد عن انس الحجامة فى الرأس هى المغيثة امرنى بها جبريل حين اكلت طعام اليهودية وفى رواية العقيلى عن ابن عباس الحجامة فى الرأس اما من الجنون والجذام والبرص ووجع الاضراس والنعاس ورواه الطبرانى وابن السنى فى الطب عن ابن عمر وفى رواية الطبرانى وابونعيم عن ابن عباس الحجامة فى الرأس شفاء من سبع اذا مانوى صاحبها من الجنون والصداع والجذام والبرص والنعاس ووجع الضرس وظلمة يجدها فى عينيه وفى رواية ابن ماجة والحاكم وابن السنى وابى نعيم عن ابن عمر الحجامة على الريق امثل وفيها شفاء وبركة وتزيد فى الحفظ وفى العقل فاحتجموا على بركة الله تعالى يوم الخميس واجتنبوا الحجامة يوم الجمعة ويوم السبت ويوم الاحد واحتجموا يوم الاثنين والثلاثاء فانه اليوم الذى عافى الله فيه ايوب من البلاء واجتنبوا الحجامة يوم الاربعاء فانه اليوم الذى ابتلى فيه ايوب وما يبدو جذام ولا برص الا فى يوم الاربعاء او فى ليلة الاربعاء وفى الصحيحين عن جابر مرفوعا ان كان فى شئ من ادويتكم خير ففى شرطة محجم اوشربة من عسل اوذغة بنار توافق داء وما احب ان اكتوى (ويجتنب الكى ففيه خوف السراية) اى سراية الم الكى الى الموت اوسراية المرض الى سائر الجسد (والرقية) اى ويجتنبها اذا لم يعرف معناها من مبناها (ونهى عنهما) اى عن الكى والرقية فروى الترمذى والحاكم عن عمر انه عليه السلام نهى عن الكى

وفى الحلية عن ابن عباس انه عليه السلام كان يكره الكى وفى رواية البزاز عن انس سبعون الفا من امتى يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لا يكتوون ولا يكوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون واما الرقية بالقرآن والادعية المأثورة فلا شك فى جوازها بل فى استحبابها فكان عليه السلام يرقى الملدوغ بالفاتحة سبع مرات رواه الترمذى وغيره عن ابى سعيد وكان ايضا يرقى المعتوه بالفاتحة ثلاثة ايام غدوة وعشية كلما ختمها جمع بزاقه ثم تفله رواه ابو داود والنسائى وفى صحيح مسلم وغيره عن ابى سعيد بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك ومن شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك وروى ابن ماجة والحاكم عن ابى هريرة الا ارقيك برقية رقانى بها جبريل يقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء يأتيك من شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد اذا حسد ترقى بها ثلاث مرات واما قوله عليه السلام لشفاء بنت عبد الله علمى حفصة رقية النملة كما رواه ابو عبيد فى الغريب عن ابى بكر بن سليمان بن ابى خيثمة فقال الجلال السيوطى فى شرح ابى داود رقية النملة شئ كانت تستعمله النساء يعلم كل من يسمعه انه كلام لا ينفع ولا يضر ورقية النملة كما كانت تعرف بينهن ان يقال العروس تختضب وتتنعل وتحتفل وتكتحل وكل شئ يفتعل غيران لا يعصى الرجل فاراد عليه السلام بهذا الكلام تأديب حفصة وتوبيخها لانه الفى اليها سرا وحسد (او يوصى بثلث المال) اى يجوز ان يوصى به ولو كان الافضل دونه ففى الصحيحين عن ابن عباس الثلث والثلث كثير وفيهما عن سعد انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس الحديث (وارضاء الخصوم) اى بالمال والاستحلال (وقضاء الدين) او طلب ابرائه (وفدية الصلوة والصوم) اى و بمقدار ان يفدى به الصلوات والصيام الفائتة لكل فرض ووتر نصف صاع وكذا لكل يوم صوم (فمن مات دون الوصية) اى الواجبة عليه وفى نسخة وبها اى بغير الوصية (لا يؤذن له التكلم مع الموتى فى القبر الى يوم القيمة) رواه ابو الشيخ فى الوصايا عن قيس ولفظ من لم يوص لم يؤذن له فى الكلام مع الموتى وفى رواية ابن ماجة من مات على وصية مات على سبيل وسنة ومات على تقى وشهادة ومات مغفورا له (ويغتنم الموت) اى علامات حلوله وامارات نزوله ففى الخبر تحفة المؤمن الموت رواه الطبرانى باسناد جيد عن ابن عمر به مرفوعا وذلك لانه وسيلة الى وصول مولاه وحصول لقاه ومن كره لقاه وفى الصحيحين عن ابى موسى مرفوعا من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاء (ولا يشتغل) اى المحتضر (عنده) اى وقت حضور الموت (بغيره تعالى ظاهرا وباطنا) لقوله تعالى * ارجعى الى ربك راضية مرضية (ويقرأ يس) اى بنفسه او يقرأها غيره فيستمعها (ففى الخبر اقرؤا على موتاكم يس) اى على من اشرف على الموت رواه احمد وغيره عن معقل بن يسار (ويحضر الصلحاء) اى ليعينوه بالتلقين ويغيثوه بالدعاء فى شدة البلاء (ولا يكره السكرات) اى لانها من جملة المكفرات او من موجبات رفع الدرجات ويستحب ان يقول اللهم اعنى على غمرات الموت وسكرات الموت رواه الترمذى عن عائشة مرفوعا (ويطيب ما حول البيت) اى ينظفه ويبخره وفى نسخة ما حول الميت وهو المحتضر او بعد تحقق الموت (فهو محضر الملائكة) اى ملك الموت واعوانه والملائكة المبشرة لقوله تعالى * ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن اولياؤكم

فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ماتشتهى انفسكم ولكم فيها ماتدعون نزلا من غفور رحيم (ويجتهد فى هدو الجوارح) اى سكونها عن الاضطراب فقد روى موتوا قبل ان تموتوا فى هذا الباب وينبغى ان يكثر الحمد فعن ابن عباس المؤمن بخير على كل حال ينزع نفسه من بين جبينه وهو يحمد الله تعالى رواه النسائى (وورد ارقبوا) بضم القاف اى انظروا الامن والامان على المريض وقت ظهور احوال تطرؤ عليه فى ذلك الزمان (عند ثلاث) اى من علامات لكل احد من اهل الايمان او الكفر ان كما فصله بقوله (اذا رشح جبينه) اى عرق وفى رواية ابى داود والترمذى والنسائى عن بريدة وصححه ابن حبان المؤمن يموت يعرق الجبين (وذرفت عيناه) اى سالت وذلك لان الدمعة علامة الرحمة (ويبست شفتاه) لانه من خوف مولاه (فهو) اى ماذكر من الخصال الثلاث (من رحمة الله تعالى قد نزلت به واذا غط) اى وارقبوا اذا غط (غطيط المخنوق) اى صوت كصوته وهو الصوت الذى يخرج مع نفس النائم او حال خنقه وصرعه (واحمر لونه وازبدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به) ومع هذا يحسن الظن بشانه ويحكم بايمانه لان لدليل المذكور ظنى فى مقام برهانه ولعله محمول على غالب احيانه (وكلمة التوحيد) اى ويجتهد فى اكثارها منه اومن غيره تلقينا له ونيابة عنه (فورد من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله) اى وان محمدا رسول الله (دخل الجنة) اى استحق دخولها ولابد له من وصولها وفى الصحيحين عن ابن مسعود من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة وفى مسند احمد وغيره عن معاذ من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة (وحسن الظن بالله) اى ويجتهد فى حسن ظنه بربه ان يرحمه ويعفو عنه جرمه ففى صحيح مسلم وغيره عن جابر لايموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى (فورد) فى الصحيحين (انا عند ظن عبدى بى) اى فى معاملتى معه فى الدنيا والاخرى (فليظن بى ماشاء) اى من العفو والعقوبة فان مصيره الى وحسابه على وان قضيت له من خير اوشر فلا مرد له لدى (والخوف والرجاء) اى ويجتهد فى الجمع بينهما (فورد لايجتمعان فى قلب عبد) اى مؤمن (الا اعطاه الذى يرجوه) اى من العفو (وامنه الله الذى يخاف منه) اى من العقوبة (حين قال) ظرف ورد اى فى زمان قال (محتضر ارجو الله واخاف ذنوبى) وفى رواية البيهقى عن سعيد بن المسيب مرسلا ولفظه مااجتمع الرجاء والخوف فى قلب مؤمن الا اعطاه الله عزوجل الرجاء وامنه الخوف (ويكره المخلط) اى الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا (الفجاءة) اى موت البغتة لقوله تعالى * عسى الله ان يتوب عليهم * فيموت الفجاءة يفوته التوبة واما رواية احمد عن عائشة مرفوعا موت الفجاءة راحة للمؤمن واخذة اسف على الكافر فمحمولة على المؤمن الصالح اذا الفاجر فى حكم الكافر ولو من بعض الوجوه (دون الطاعون) اى لايكره فجاءته ففى الصحيحين عن انس الطاعون شهادة لكل مسلم (فورد من صبر فى ارض طاعون) اى ولم يخرج فرارا منه (كان له مثل اجر شهيد) وفى مسند احمد وصحيح البخارى عن عائشة الطاعون كان عذابا يبعثه الله على من يشاء وان الله جعله رحمة للمؤمنين فليس من احد يقع الطاعون فيمكث فى بلده صابرا محتسبا يعلم انه لايصيبه الا ماكتب الله له الا كان له مثل اجر شهيد وفى رواية لاحد عنها الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والفار منها كالفار من الزحف وفى رواية الطبرانى فى الاوسط عنها

الطاعون شهادة لامتي ووخز اعدائكم من الجن غدة كغدة الابل تخرج في الآباط والمراق من مات منه مات شهيدا ومن اقام فيه كان كالمرابط في سبيل الله ومن فر منه كالفار من الزحف وفي مسند ولا يدخل مكة والمدينة اي لما فيهما من نزول السكينة

﴿ الباب الثامن في الصحبة ﴾

الصحبة تأثير بليغ في المنفعة والمضرة وان كان الشخص قويا في كمال المرتبة قال تعالى ۞ يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ۞ وفي رواية النسائي عنه عليه السلام مابال قوم يصلون معنا لا يحسنون الطهور فانما يلبس القرآن علينا اولئك وفي رواية احمد ومسلم عن ابي سعيد يا ايها الناس انها كانت ابينت ليلة القدر واني خرجت اليكم لاخبركم بها فجاء رجلان يحتقان معهما الشيطان فنسيتها فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة وفي رواية احمد والبيهقي عن ابن عباس انه قيل يارسول الله ابطأ عنك جبريل فقال لم لا يبطئ عني وانتم حولي لا تستنون ولا تقلمون اظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم اي مفاصل انامل كم هذا والنظر الى اهل الدنيا مضر لاهل العقبى كما يشير اليه قوله تعالى * لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا * وذلك لانه سبب للغفلة عن المولى ومن هنا قال سعيد ابن المسيب لا تنظر الى الظلمة فتحبط اعمالكم الصالحة بخلاف ماورد النظر الى الكعبة عبادة كما رواه ابو الشيخ عن عائشة والنظر الى علي عبادة كما رواه الطبراني والحاكم عن ابي مسعود وعن عمران ابن حصين لث لانهما وسيلتان الى ذكر الله وورد اولياء الله الذين اذا رأوا اذكر الله (بسم الله الرحمن الرحيم فهو ولي ما يصحب به لانه الكريم الحليم ويستعان به على دفع الشيطان الرجيم والصاحب اللئيم (وردان المتحابين) بتشديد الموحدة (في الله) اي في سبيله لابتغاء رضاه (على منابر من نور) اي الهي موجب لانواع من سرور توضع المنابر (حول العرش) اي في مكان المقربين (لباسهم نور) اي مجرد او حرير يعلوه نور (ووجوههم نور) اي كنور شموس وبدور يغبطهم النبيون والشهداء) اي يطلبون مراتبهم مع انهم من اكابر السعداء وهذا للمبالغة في علو البهاء والمعنى ان حالهم عند الله بمثابة لو غبط النبيون والشهداء يومئذ حال غيرهم مع جلالة قدرهم لغبطوهم في علو امرهم ولا يبعد ان يراد به النبيون والشهداء الذين لم ييسر لهم التحابب الا لياء والاصفياء ويؤيده ما في الاحياء انه يروى ان الله تعالى اوحى الى نبي من الانبياء اما زهدك في الدنيا فقد تعجلت به الراحة واما انقطاعك الى فقد تعززت بي ولكن هل ماديت في عدوا وهل واليت في اولياء والحديث رواه الطبراني عن معاذ ان المتحابين في الله في ظل العرش وفي رواية له عن ابي ايوب المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش قال ابو ادريس الحولاني لمعاذ اني احبك في الله فقال له ابشر ثم ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيمة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قيل من هؤلاء يارسول الله قال هم المتحابون في الله كذا في الاحياء وقال مخرجه رواه احمد والحاكم في حديث طويل ان ابا ادريس قال قلت والله اني لاحبك في الله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المتحابين لجلال الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وهو عند

الترمذى من رواية ابى مسلم الخولانى عن معاذ بلفظ المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء وقال حسن صحيح ولاحمد من حديث ابى مالك الاشعرى ان الله عبادا ليسوا بانبياء ولاشهداء يغبطهم الانبياء والشهداء على منازلهم وقربهم من الله الحديث وفيه تحابوا فى الله وتصافوا به يضع الله لهم يوم القيمة منابر من نور فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس يوم القيمة ولايفزعون وهم اولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون وروى النسائى فى سننه الكبرى ورجاله ثقات من حديث ابى هريرة ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور وجوههم نور ليسوا بانبياء ولاشهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يارسول الله صفهم لنا فقال هم المتحابون فى الله والمتجالسون فى والمتزاورون فى الله (فالحب فيه تعالى) كل حب لولا الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو منبعث من الايمان وسنزيد بالايقان فاذا علمت ذلك فاعلم ان الحب اما ان يكون لمعنى فى ذات المحبوب كحب صور الجميلة والسير الحميدة الجليلة وهو حب بالطبع وشهوة النفس اذهو منبعث منها واما ان يكون للتوصل به الى مقصود آخر ليس فى ذات المحبوب وذلك اما ان يكون نفس الدنيا اومتعلقا بالآخرة واما ان يكون متعلقا بالله فالاول ليس من الحب فى الله لانه منبعث من الدنيا والثانى عد من الحب فى الله (كحب عالم) اى كحب العالم الذى (يستفاد من قوله وحاله) اى من جملة اقواله وسائر افعاله واخلاقه واحواله (وصالح يتبرك به) اى بدعائه واقباله وحسن ماكه فى منالة اذالعالم يستفاد من علمه والصالح يستفاض من عمله وحلمه فى الدنيا ويرجى شفاعتهما فى العقبى فقد قال بعض السلف استكثروا من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل فى شفاعة اخيك وروى فى غريب التفسير لقوله تعالى * ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله * اى يشفعهم فى اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ولذا حث جماعة من السلف على الصحبة والالفة والمخالطة وكرهوا الانفراد والعزلة ولابى عبد الرحمن السلمى من حديث على مرفوعا من سعادة المرء ان يكون اخوانه صالحين فالاخ الصالح ان نسى ذكره وان ذكر اعانه ويشير اليه قوله تعالى حكاية عن موسى * واجعل لى وزيرا من اهلى هارون اخى اشدد به ازرى واشركه فى امرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا * وفى رواية ابى داود من حديث عائشة رضى الله عنها اذا اراد الله بالامير خيرا جعل الله له وزيرا صادقا ان نسى ذكره وان ذكر اعانه ونقل فى الاحياء معنى الحديث وعبر عنه بقوله من اراد الله به خيرا رزقه اخا صالحا الحديث والاخ الصالح يشمل العالم والمتعلم فمن عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى فى الملكوت عظيما (وامرأة تفرغ) اى الرجل (للعبادة بتدبير امر البيت) ومايتعلق به من اصلاح حاله وحفظ ماله وصيانة دينه ولذا ورد فى الاخبار وفور الاجر والثواب للانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل فى امرأته كما تقدم والله اعلم (وغنى يعطى مالا) اى قدر حاجة العالم والعابد (يصون الوقت) اى يحفظ وقتهما (عن الضياع فى الطلب) اى يحفظ وقتهما عن الضياع فى الطلب اى طلب مالا بد لهما منه فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة من اولى الثروة وكان المواسى والمواسى جميعا من المتحابين فى الله (ومتعبد له تعالى) اى المبتدئ فى العبادة والمظهر لها المشير الى انه من اهل السعادة (فالمحب للشئ محب لمحبه ومحبوبه) وقد ورد فى الدعاء اللهم انى اسئلك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربنى الى حبك (وكذا المبغض) اى للشئ مبغض لمبغضه ومبغوضه وفى الجملة من احب الله

واحب رضاه ولقاءه اذا احب غيره كان محبا فى الله لانه لا يتصور ان يحب شيئا الا لمناسبته لما هو محبوب عنده وهو رضا الله ومن هنا قيل احب العالم جميعه لانه خلقه وصوره واحسن خلقه وقد قال ابو مدين المغربى * لا تنكر الباطل فى طوره * فانه بعض ظهوراته * وقد قيل ان المؤمن اذا احب المؤمن احب كلبه وقال مجنون بنى عامر

(شعر)

* امر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدارا *
* وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا *

فالمخلوقات باسرها مظاهر للصفات الجمالية والنعوت الجمالية فليس فى الكون سوى الله ومصنوعاته فمن احب انسانا احب صنعته ولذا كان عليه السلام اذا حمل عليه باكورة من الفواكه مسح بها عينيه وقال انه قريب عهد بربنا الطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس وهذا بالنظر الى التوحيد الصرف وحقيقته واما فى مقام الشريعة وطريقته فلا بد من اعطاء كل ذى حق حقه فينادى ويقال الهى ارنا الاشياء كما هى واللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه وبذلك يتم الكمال فقد ورد اوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فى الله رواه احمد من حديث البراء بن عازب وورد ايضا من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان رواه ابو داود عن ابى امامة (ويزد ادان) اى الحب والبغض (بقوة الطاعة) وكثرتها (والمعصية) اى فى المحب والمحبوب (وينتقصان بضعفهما) لانهما مترتبان على وجودهما ووجودهما يكون على قدر شهودهما وحد الحب فى الله ان كل حب لولا الايمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب فى الله وكذا زيادة الحب وقد يغلب الحب بحيث لا يبقى للنفس حظ الا فيما هو حظ المحبوب وانشد

(شعر)

* اريد وصاله ويريد هجرى * فاترك ما اريد لما يريد *

وقال ممنون المحب * فليس لى فى سواك حظ * فكيف ما شئت فاختبرنى (فالادنى) اى ادنى مراتب الحب المعبر عنه بالمصاحبة (الاخوة) فمن انس ما احدث عبدا خافى الله عز وجل له درجة فى الجنة ابن ابى الدنيا فى كتاب الاخوان (ثم المحبة) وهى الموجبة لزيادة الصحبة من الاخوة (وهى ما تمكن فى حبة القلب) اى سويدائه وخاصة اجزائه وخلاصة اثنائه فمن انس ما تحاب اثنان فى الله الا كان احبهما الى الله اشدهما حبا لصاحبه ابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد (ثم الخلة) بالضم اى الصداقة والمحبة الصادقة (وهى ما تخلل) اى توسط الحب وتداخل امره (فى سره) بحيث لا يسع له محبة غيره وهذا معنى قوله (ولا شركة فيها) اى فى الخلة لاحدى سوى الله بل هى خاصة له سبحانه فلا بد من انفراد الخليل فى حب الجميل الجليل (فورد لو كنت متخذا خليلا) اى من المخلوقين (لاتخذت ابا بكر خليلا) لكونه عندى جليلا (ولكن صاحبكم) يعنى نفسه (خليل الرحمن) اى وحبيبه فلا يسع فى قلبة خلة غيره والحديث رواه احمد والبخارى عن ابن الزبير والبخارى عن ابن عباس بلفظ لو كنت متخذا من امتى خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخى وصاحبى وعن الزجاج الخليل هو الذى ليس فى صحبته خلل وقيل الذى يوالى فيه ويعادى به

وقيل الخليل هو المحب المحض لشئ دون غيره ولهذا قال عليه السلام انى ابرأ الى كل خليل من خلته ولو كنت متخذا لحديث فهذا منه عليه السلام قطع المخالفة بينه وبين غيره من الانام واستشكل قول ابى هريرة وبعض الصحابة خليلى عليه السلام واجيب بان المنفى ان يتخذ هو خليلا ومانفى ان يتخذه غيره خليلا (بخلاف ماسواها) اى غير الخلة من المحبة والاخوة فانه يتصور الشركة فى كل منهما (فورد) اى فى الاخوة وكمال المحبة (على منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لانبى بعدى) رواه ابو بكر المطيرى فى جزئه عن ابى سعيد وفى رواية الطبرانى عن ابن عمر على اخى فى الدنيا والآخرة (فيصاحب العاقل) وهو العالم العامل (والحسن الخلق) وهو الفاضل الكامل وقد قال عليه السلام يا اباهريرة عليك بحسن الخلق قال ابو هريرة وما حسن الخلق يارسول الله قال تصل من قطعك وتعفو من ظلمك وتعطى من حرمك البيهقى فى الشعب من حديث الحسن مرسلا عن ابى هريرة اذا لم يسمع منه (فاشتراطهما مأثور) وذلك لان مدار الصحبة والالفة عليهما فالبعد عن الاحمق والسئ الخلق اولى واحق وقد ورد من حديث ابى هريرة برواية ابى داود والترمذى وحسنه والحاكم وقال صحيح ان شاء الله المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل فلابد ان يتميز بصفات يرغب بسببها فى صحبته اما العقل فهو رأس المال لتحصيل الكمال وعن على كرم الله وجهه

(شعر)

* ولاتصحب اخا الجهل فاياك واياه * فكم من جاهل اردى حليما حين واخاه *
* يقاس المرء بالمرء اذا ماهو ماشاه * وللشئ على الشئ مقاييس واشباه *
* وللقلب على القلب دليل حين يلقاه * كيف والاحمق قد يضرك وهو يريد نفعك *

وقال الجنيد لان يصحبنى فاسق حسن الخلق احب الى من يصحبنى قارئ سئ الخلق اقول وذلك لانه اذا غلب عليه غضب اوشهوة اوبخل اوجبن اطاع هواه فى ذلك فيما ملك بمقتضى ماغلب عليه من الاخلاق هنالك فاذا غلب عليه غضب اجترأ عليك اوشهوة اثر نفسه عليك اوبخل قطع بك احوج مايكون اليك اوجبن لم ينصرك بل ضرره يرد عليك (والقانع) اى يسرى من حيث لايدرى (والصالح اى ويصاحب المتقى فعن ابى ذر مرفوعا الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة رواه الحاكم (فالفاسق) وهو مرتكب الكبيرة والمصر على الصغيرة (ويستحق المقت) وهو الغضب وهو ينافى الحب فقد قال الحسن مصارمة الفاسق قربان الى الله وقد يقال يحب الفاسق لاجل ايمانه ويبغض بسبب عصيانه لكن لابد من عدم قربانه ثم المبتدع اولى بان يجتنب ففى صحبته سراية البدعة وعن عيسى عليه السلام تحببوا الى الله ببغض اهل المعاصى وتقربوا الى الله بالتباعد عنهم والتمسوا رضى الله بسخطهم قالوا ياروح الله فمن نجالسه قال جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد فى علمكم كلامه ومن يرغبكم فى الآخرة عمله وقد قال على رضى الله عنه رجزا

(شعر)

* ان اخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك *
* ومن اذا ريب زمان صدعك * شتت فيه شمله ليجمعك *

وقال بعض العلماء لاتصحب الا احد رجلين رجلا تتعلم منه شيئا من امر دينك اورجلا تعلمه شيئا فى امر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه فالمدار فى الصحبة على المنفعة فورد مثل الا مرين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احديهما الاخرى وماالتقى مؤمنان قط الا افاذ الله احدهما من صاحبه خيرا رواه السلمى فى آداب الصحبه والديلمى عن انس وفى الخبر المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن اخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه ابوداود عن ابى هريرة اى يجمع عليه معيشته ويحفظ عليه حالته وقوله المؤمن مرأة المؤمن اى يرى منه مالا يرى من نفسه فيستفيد المرء باخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقال الشافعى من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه والله سبحانه يعاتب المؤمن يوم القيمة تحت كنفه وفى ظل ستره ويوقفه على ذنوبه سرا واما اهل المقت فينادون على رؤس الاشهاد ويستنطق جوارحهم بفضايحهم بين العباد وقيل الاخوان ثلاثة احدهم مثل الغذاء لايستغنى عنه والآخر مثل الدواء يحتاج اليه فى وقت دون وقت والثالث مثل الداء لايحتاج اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذى لاانس فيه ولانفع منه وقال علقمة العطاردى فى وصيته لابنه يابنى ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك واذا صحبته زانك وان قصدت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها وان رأى منك حسنة عدها وان رأى منك سيئة سدها اصحب من اذا سألته اعطاك وان سكت ابتدا ك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق قولك واذا حاولتما امرا امرك واذا تنازعتما آثرك قال ابن اكثم قال لى المأمون فابن هذا فقيل له اتدرى لم اوصاه بذلك قال لانه اراد ان لاتصحب احدا هنالك هذا وعن الحسن بن على لايغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك لن تلحق الابرار الا باعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون انبياءهم وليسوا معهم اقول وربما يقال ان الكفر بحبهم ومنعهم واما الايمان فيرجى ان يجمعهم فورد من احب قوما حشر معهم كما اورد الحاكم وقد يقال محبتهم لانبيائهم ليست خالصة لله بل لكونهم من انبيائهم ولذا ورد من احب ان يجد طعم الايمان فليحب المرء لايحبه الا لله تعالى رواه الطبرانى عن ابى هريرة وقال رجل لمحمد بن واسع انى لاحبك فى الله فقال احبك الذى احببتنى لاجله ثم حول وجهه وقال اللهم انى اعوبك ان احب فيك وانت لى مبغض وفى الجملة كما ورد الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وماتناكر منها اختلف رواه مسلم حديث ابى هريرة والبخارى تعليقا من حديث عائشة ورواه الطبرانى فى الاوسط عن على ان الارواح فى الهواء جند مجندة تلتقى فتشام وعنه عليه السلام ان اراح المؤمنين لتلتقى على مسيرة يوم وما رأى احدهم صاحبه احد من حديث عبدالله بن عمر فالجنسية علة الضم فروى ان امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة اخرى فنزلت المكية على المدينة فدخلت على عائشة رضى الله عنها فاضحكتها فقالت اين نزلت فذكرت لها فقالت صدق الله ورسوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الارواح جنود مجندة الحديث رواه الحسن ابن سفيان فى مسنده وعنه عليه السلام لوان مؤمنا دخل الى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه ولوان منافقا دخل الى مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس اليه البيهقى فى الشعب موقوفا على ابن مسعود ومن هنا قيل ان لله ملائكة تجر الاهل

الى الاهل ويشير اليه قوله تعالى * وهو على جمعهم اذا يشاء قدير * وقال بعض الحكماء كل انسان يأنس الى شكله كما ان كل طير يطير مع مثله واذا اصطحب اثنان برهة من الزمان ولم يتشاكلا في الحال فلابد ان يفترقا في الاستقبال ورأى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك وقال اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذاهما اعرجان فقال من هنا اتفقا هذا وقد اختلف طرق السلف في اظهار البغض مع اهل المعصية واتفقوا على اظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية يجاوزت منه الى غيره فاما من عصى الله في نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة الى العصاة كلهم ومنهم من شدد الانكار واختار المهاجرة فقد كان احمد بن حنبل يهجر الاكابر في ادنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين في قوله اني لا اسأل احدا شيئا ولو حمل السلطان الى شيئا لاخذته وهجر الحارث المحاسبي في تصنيفه للرد على المعتزلة وقال انك اولا تورد شبههم وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم وهجر ابا ثور في تأويله قوله عليه السلام كما في مسلم من حديث ابي هريرة ان الله خلق آدم على صورته كذا ذكره في الاحياء ولم يبين تأويله فقيل على صفته الجمالية والجلالية او على صفته من السمع والبصر والكلام وقيل الضمير في صورته لآدم والله اعلم والحاصل ان مختار الامام ان هذا الحديث من احاديث الصفات المشكلات كالآيات المتشابهات نؤمن بمبناها ولا نتعرض لمعناها مع اعتقاد تنزيه الله سبحانه عن المشابهة بالمخلوقات ومقتضاها واما الجمهور فما اختاروا مهاجرة اهل المعصية للعلم بان الذين شربوا الخمر وتعاطوا فواحش الامر في زمانه عليه السلام وايام اصحابه الكرام فلم يكونوا يهجرونهم بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم الى من يغلظ القول فيه ويظهر البغض اليه والى من يعرض عنه ولم يتعرض لما لديه والى من ينظر اليه بعين الرحمة ولا يؤثر التباعد والمقاطعة وهذا هو المناسب لهذه الاقامة فانهم اتباع نبي الرحمة ومما يدل على تخفيف الامر في الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله ما روى البخاري من حديث ابي هريرة ان شارب خمر ضرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات وهو يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يشرب فقال عليه السلام لا تكن عونا للشيطان على اخيك (ويقدم حاجته) اي حاجة اخيه (في المال) اي اعطائه (والنفس) اي حظها (وهو) اي التقديم (الاولى) اي لانه المقام الاعلى لقوله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة * اي مجاعة ولقد كان بعض الانصار ممن آخا النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين احد من المهاجرين انه اعطاه احسن داريه واثمن بستانيه واحسن امرأتيه وقال ابن عمر اهدى لرجل من اصحاب رسول الله عليه وسلم رأس شاة فقال اخي فلان احوج مني فبعث به اليه فبعثه ذلك الانسان الى آخر فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى رجع الى الاول بعد ان تداوله سبعة وقيل اربعون (ثم التسوية) اي المساواة في المال بينه وبين اخيه على السوية فقد عرض سعد بن الربيع نصف ماله واحدى زوجتيه على عبد الرحمن بن عوف فقال له عبد الرحمن بارك الله لك في اهلك ومالك رواه البخاري من حديث انس (ثم التأخير) اي تأخير حق صاحبه عن حق نفسه فان فضل منه شيء فليصرفه الى اخيه (وان عدم هذا) اي الاخير وهو التأخير (فلا اخاء) بل هو في مقام التقصير (والاولان) اي التقديم والتسوية (مأثوران) اي مرويان عن السلف الكرام كما قدمنا (وورد ما من صاحب يصحب صاحبا

ولو ساعة من نهار الا سئل عن صحبته هل اقام فيه حق الله تعالى او اضاعه) وفى نسخة ام اضاعه (حين اعطى) اى ورد الحديث المتقدم حين اعطى (عليه السلام اقوم المسواكين) اى اعدلهما (الى المصاحب هو ابو بكر الصديق وقال انت احق به يارسول الله) فقال ما قال وفى الاحياء ان اقتداء الكل فى الايثار برسول الله عليه وسلم فانه دخل غيضة مع بعض اصحابه فاجتنى منها سواكين احدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم الى صاحبه فقال له يارسول كنت احق بالمستقيم منى فقال ما من صاحب الحديث قال مخرجه لم اقف له على اصل اقول لكن رواه ابن جرير الطبرى كما ذكره ابن عطية فى تفسيره (امرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) اى كانوا خلطاء فى الاموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان فيهم من لا يصحب من قال نعلى لانه اضافه الى نفسه (وكانوا لا يميزون املاكهم) كما حكى عن ابراهيم بن شيبان كنا لا نصحب من يقول نعلى وقال ابو محمد القلانسى وكان من اساتذ الجنيد صحبت اقواما بالبصرة فاكرمونى فقلت مرة لبعضهم اين ازارى فسقطت من اعينهم ومن هنا قيل الصوفى لا يملك ولا يملك فهو كالملك (ويظهر البشاشة فيه) اى فى انفاق صاحبه (والسرور) اى الفرح بسببه فقد جاء فتح الموصلى الى منزل اخ له وكان غائبا فامر اهله فاخرجت صندوقه ففتحه فاخذ حاجته فاخبرت الجارية مولاها فقال ان صدقت فانت حرة سرورا بما فعل وذلك لانه دل على صداقته كما حقق فى قوله تعالى * اوصديقكم * وقال تعالى * اوما ملكتم مفاتحه * وكان الاخ يدفع مفاتيح بيته الى اخيه ويفوض اليه التصرف فيه وكان يتحرج عن الاكل بحكم التقوى حتى انزلت هذه الآية واذن لهم فى الانبساط فى طعام الاخوان والاصدقاء (ويقبل المنة) اى على نفسه بقبول المصاحب احسانه فقد جاء رجل الى ابى هريرة وقال انى اريد ان اواخيك فى الله فقال اتدرى حق الاخاء قال عرفنى قال الا تكون احق بدينارك ودرهمك منى فقال لم ابلغ هذه المنزلة بعد فذهب عنى وقال على بن الحسين لرجل هل يدخل احدكم يده فى كم اخيه او كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير اذنه قال لا قال فلستم باخوان وجاء رجل الى ابراهيم بن ادهم وهو يريد بيت المقدس فقال له اريد ان ارافقك فقال له ابراهيم على ان اكون املك لشيئك منك قال لا قال اعجبنى صدقك (ولا يحوجه اى اخاه (الى السؤال) اى اصل الطلب او مقداره بل يبادره للمواساة بالمال قبل كشف الحال (فهو) اى الاحواج الى السؤال (تقصير) فى مقام الكمال فان ادنى الاعانة هو القيام بالحاجة عند السؤ ل وقد قال ابو سليمان الدارانى كان لى اخ بالعراق فكنت اجيئه فى النوائب فاقول اعطنى من مالك شيئا وكان يلقى الى كيسه فآخذ منه ما اريد فجئته ذات يوم فقلت احتاج الى شى فقال كم تريد فخرجت حلاوة اخائه من قلبى وقال بعضهم اذا طلبت من اخيك مالا فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الاخاء قال بعضهم اذا استقضيت اخاك الحاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله يكون قد نسى فان لم يقضها فتوضأ للصلوة وكبر عليه اربع تكبيرات واقرأ هذه الآية * والموتى يبعثهم الله * وكان فى السلف من يتفقد عيال اخيه واولاده بعد موته اربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم اليهم ويمونهم بماله وكانوا لا يفقدون من ابيهم الا عينه بل كانوا يرون منه ما لا يرون من ابيهم فى حياته وكان الواحد منهم يتردد الى باب دار اخيه ويسأل ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة فكان يقوم بها من حيث لا يعرفه اخوه وقال ميمون بن مهران من لم تنفع بصداقته

لاتبال بعداوته وكان الحسن يقول اخواننا احب الينا من اهلينا واولادنا لان اهلينا يذكروننا بالدنيا واخواننا يذكروننا بالعقبى (ويتودد باللسان) اى بالكلام مرة وبالسكوت تارة فقد ورد رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر الطبرانى فى الاوسط عن على بن الحسين عن ابيه عن جده قال انس كان عليه السلام لايواجه احدا بشئ يكرهه رواه الترمذى وغيره ولكن دارا الصحبة والاخوة على النصيحة بل ورد ان الدين النصيحة فمن قنع بالسكوت صحب اهل القبور فى البيوت وينبغى ان تعلم انك لوطلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولم تجد من تصاحبه ساعة كما ورد الناس كابل مائة لاتجد فيها راحلة واخبر تقله وانشد

(شعر)

❁ اتمنى على الزمان محالا ❁ ان ترى مقلتاى طلعة حر ❁

فمن احد من الناس الاوله محاسن ومساوى فاذا غلبت المحاسن المساوى فهو الغاية والمنتهى فى المسنى وفى الصحيحين لاتجسسوا ولاتحسسوا ولاتقاطعوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله اخوانا فالتجسس بتطلع الاجبار والتحسس بالمراقبة بالابصار فستر العيوب والتجاهل والتغافل عن الذنوب شيمة اهل الدين من التخلق باخلاق علام الغيوب فورد يامن من اظهر الجميل وستر القبيح (وينفقد الاحوال ويظهر المشاركة معه فى السراء والضراء) فورد لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه رواه الشيخان وقد نظر ابو الدرداء الى ثورين يحرثان فى فدان فوقف احدهما يحك جسمه فوقف الاخر فبكى ابو الدرداء وقال هكذا الاخوان فى الله يعملان لله فاذا وقف احدهما واقفه الآخر وفى المثل لولا الؤام لهلك الانام وقد ورد المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى رأسه اشتكى كله وان اشتكى عينه اشتكى كله احمد ومسلم عن النعمان بن بشير ولايحبن احدا لايرى لك من الفضل كمثل ماترى له (ويدعوه باحب الاسماء) اى اسمائه فى حال ندائه فعن عمر رضى الله عنه ثلاث تصفين لك وداخيك ان تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له فى المجلس وتدعوه باحب اسمائه اليه (وورد اذا احببت احدا فاسأله عن اسمه واسم ابيه وعن منزله) رواه البيهقى عن ابن عمر ولفظه اذا آخيت رجلا فاسأل عن اسمه واسم ابيه فان كان غائبا حفظته وان كان مريضا عدته وان مات شهدته وفى رواية ابن سعد والبخارى فى تاريخه والترمذى عن يزيد بن نعامة الضبى بلفظ اذا آخى الرجل الرجل فليسأله عن اسمه وعن ابيه وممن هو فانه اوصل بالمودة وممن هو اى من اى قوم وقبيلة هو (وكان عليه السلام يدعوهم) اى اصحابه الكرام (بالكنى اذا كانوا معروفين بالكنية كابى بكر ونحوه حتى قال ياابا عمير مافعل النغير (ويثنى عليه) اى على اخيه (وعلى اهله) اى من ابيه وبنيه بل على صنعته وفعله وخلقه وهيئته وعقله وجميع مايفرح به حال كونه (صادقا) فى قوله (مقتصدا) اى متوسطا فى مدحه لامقصرا ولا مفرطا فى وصفه ويكون معلنا به (بحيث يبلغ اليه فهو يؤكد المحبة) اى يزيدها لديه (وينبه على العيوب) اى الناشئة من الذنوب (متلطفا) فى بيانها (فى الخلاء) خوفا من الفضيحة فى الملاء فورد المسلم مرآة المسلم فاذا رأى به شيئا فليأخذه ابن منيع عن ابى هريرة وقد قيل لسعر تحب من يخبرك بعيوبك فقال ان نصحنى فيما بينى وبينه فنعم وان قرعنى

فى الملاء فلا وعن عمر رضى الله عنه رحم الله من اهدى الى بعيوب نفسى وقال لسلمان وقد قدم عليه ما الذى بلغك عنى مما تكره فاستعفى فالح عليه فقال بلغنى ان لك حلتين تلبس احديهما بالنهار والاخرى بالليل وبلغنى انك جمعت بين ادامين على مائدة واحدة فقال عمر اما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما فقال لا وكتب حذيفة المرعشى الى يوسف بن اسباط بلغنى انك بعت دينك بحبتين وقفت على صاحب لبن فقلت بكم هذا فقال بسدس فقلت بثمن فقال هو لك وكان يعرفك (فى الملاء افضاح) اى اشاعة فيها فضاعة وايضا (وفيه) اى فى الافضاح (اوعد بعقابه تعالى يوم القيمة) لقوله سبحانه ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة وهذا كله فى عيب وهو غافل عنه فانه يرجى النفع منه (ويسكت ان علم عليه) اى بعيبه (وعدم انتفاع النصح) اى بسببه (لكونه مأثور الطبع) لا مقهور الشرع (والقطع حينئذ) اى قطع مصاحبته (اسلم) بل انسب (والابقاء) اى ابقا اخوته (اقرب لرجاء تأثير الصحبة فيه) فيقبل النصحة بعده وقيل القطع اولى لمن كان ضعيفا والابقاء لمن كان قويا (فورد مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك) البخارى عن ابى موسى ولفظه مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك اما تشتريه او تجد ريحه وكير الحداد يحرق بيتك او ثوبك او تجد منه ريحا خبيثة (ولان القطع منهى عنه) اى فى الانتهاء لحديث من هجر اخاه سنة فهو كسفك دمه اجد فى مسنده (بخلاف الابتداء فتركه مأمور به) لئلا يقع فى البلاء بحديث لا تصاحب الا مؤمنا اى كاملا احد وغيره (ويجاهل عن تقصيره) اى فى خدمته او صحبته قال الاحنف حق الصديق ان يتحمل منه ثلاثة ظلم المعصية وظلم المذلة وظلم الهفوة (الا اذا ادى الاستمرار الى القطع) اى جواز مقاطعته (فالاولى الاحتمال) وهو مختار اهل الكمال فقد اختلف الصحابة والتابعون فى ادامة مودته او مقاطعته فذهب ابو ذر الى الانقطاع فقال اذا انقلب اخوك عما كان عليه فابغضه من حيث احبته ورأى ذلك من مقتضى الحب فى الله والبغض فى الله واما ابو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا الى خلافه فقال ابو الدرداء اذا تغير اخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم اخرى وفى الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته البغوى فى المعجم وابن عدى فى الكامل من حديث عمرو ابن عوف المزنى (ثم العتاب فى السر) حكى عن اخوين من السلف انقلب احدهما من الاستقامة فقيل لاخيه الا تقطعه وتهجره فقال احوج ما كان الى فى هذا الوقت لما وقع فى عثرته ان آخذ بيده واتلطف له فى المعاتبة على المخالفة وادعوله بالعود الى ما كان عليه من الموافقة (والكتابة بالكناية ثم التصريح) اى فى السر والكتابة والاظهر ان السر فى السر والعلانية فى العلانية ففى حديث عمر وقد سئل عن اخ كان اخاه فخرج الى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه فقال ما فعل اخى فقال ذاك اخو الشيطان قال مه قال انه قارف الكبائر حتى وقع فى الخمر فقال اذا اردت الخروج فأذنى فكتب عمر عند خروجه اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير ثم عاتبه تحت ذلك وعزله فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح لى عمر فتاب ورجع (ثم المشافهة) اى

ان كان غائبا ولم يتعط بصريح المكاتبة فى المعاتبة (اذ المقصود) اى الاصلى (اصلاح النفس برعاية الحق) اى حق المصاحبة (وتحمل الاذى) على رجاء المراجعة فقد قيل لابى الدرداء الا تبغض اخاك وقد فعل كذا فقال انما ابغض عمله ولعله اقتبس من قوله تعالى * فان عصوك فقل انى برئ مما تعملون * حيث لم يقل انى برئ منكم مراعاة لحق القرابة واخوة الدين اكد من اخوة القرابة ولذا قيل لحكيم ايما احب اليك اخوك او صديقك فقال انما احب اخى اذا كان صديقا وكان الحسن يقول كم من اخ لم تلده امك ولذا قيل القرابة تحتاج الى المودة والمودة لا تحتاج الى القرابة (ويقبل المعذرة) اى وجوبا (فعلى من لم يقبلها مثل اثم صاحب المكس) وهو الذى يأخذ المال ظلما من التاجر كالعاشر وقد ورد من اعتذر اليه اخوه بمعذرة فلم يقبلها كان عليه من الخطيئة صاحب المكس رواه ابن ماجة وابو داود فى المراسيل من حديث واختلف فى صحته وباقى رجاله ثقاة ورواه الطبرانى فى الاوسط من حديث جابر بسند ضعيف هذا وقد قيل ينبغى ان يستنبط لزلة اخيك سبعين عذرا فان لم تقبله قلبك فردا اللوم على نفسك وقل لقلبك ما اقساك يعتذر اليك اخوك سبعين عذرا فلا تقبله وانت المعيب لا اخوك (ويدعوله اى فى الحضور والغيبة (فيستجاب فيه) اى فى حق اخيه (مالا يستجاب لنفسه) فعن عبد الله بن عمرو وان اسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب ابو داود والترمذى وعن ابى الدرداء دعوة الاخ لاخيه مستجابة رواه مسلم (وله مثل ذلك) ففى صحيح مسلم من حديث ابى الدرداء اذا دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قال الملك ولك بمثل ذلك (ويحفظ الوفاء) اى وفاء العهد قال تعالى * واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم (بالثبات على المحبة معه ومع اهله واخوانه) اى فى حال غيبته وبعد موته وبعد زمانه (فكانوا) اى السلف (يبالغون فيه) كما تقدم وورد قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيرة فى الحيوة (فيحبون كلب الحبيب) اى مراعاة لقلب الحبيب ويشير اليه قوله سبحانه وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ولله در القائل

(شعر)

* رأى المجنون فى البيداء كلبا * فمد له من الاحسان ذيلا *
* فلاموه على ما كان منه * وقالوا لم منحت الكلب نيلا *
* فقال دعوا الملامة عن عينى * رأته مرة فى حى ليلى *

(وورد انها) اى العجوز (كانت تأتينا ايام خديجة وان كرم العهد) اى حسنه وبقاءه (من الايمان) اى كماله (حين) اى ورد حين (اكرم عليه السلام عجوزا) اى دخلت عليه فقيل له فى ذلك فقال انها الحديث (والاصل) اى فى حقوق الصحبة (تسوية الظاهر والباطن والغيبة والحضور) والا فلا يكون مراعيا موافقا بل يكون مرائيا منافقا (ولا يغير الحال) اى من التواضع فى الفعل والقال (عند ارتفاع القدر) اى باتساع الجاه وزيادة المال (فهو من اللؤم) اى الدناءة والخساسة واصل اللؤم ضد الكرم ولقد قال بعض ارباب الكمال

(شعر)

(ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن)

واوصى بعض السلف ابنه فقال يا بنى لا تصحب من الناس الا من اذا افتقرت اليه قرب منك وان

استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك وحكى الربيع ان الشافعي آخى رجلا ببغداد ثم ان اخاه ولى السيبين وهما نهران احدهما بالبصرة والآخر فى ذنابة الفرات فتغير له عما كان عليه فكتب الشافعي هذه الابيات اليه

(شعر)

(اذهب فودك من ودادى طالق * ابدا وليس طلاق ذات البين)
(فان ارعويت فانها تطليقة * وبدوم ودك لى على ثنتين)
(واذا امتنعت شفعتها بمثالها * فتكون طلقتين فى حيضين)
(فاذا الثلاث اتتك منى بتة * لم يغن عنك ولاية السيبين)

(ولا ينفرد عنه فى اكل اللذيذ) وكذا شربه وفى لبسه بل ينبغى ان يؤثره على نفسه (وحضور السرور) لانه بحضوره يحصل نور على نور (ويستوحش) اى يحزن (عند فراقه) اى الكمال اشتياقه اليه وقد قيل

(شعر)

(وجدت مصيبات الزمان جميعها * سوى فرقة الاحباب هينة الخطب)

اى سهل الامر وانشد ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت اقرانا فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما تخيل لى ان حسرتهم ذهبت من قلبى وانشدت عائشة رضى الله عنها * ذهب الذين يعاش فى اكنافهم ﴿ البيت (ويساعده) اى يوافقه فى الامور (الا فيما يخالف الحق) فقد ورد لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق احمد والحاكم عن عمران وفى الصحيحين عن على لا طاعة لاحد فى معصية الله انما الطاعة فى المعروف وفى رواية احمد عن انس لا طاعة لمن لم يطع الله (فالوفاء) اى الوثاق (فيه) اى فى الخلاف (هو الخلاف) اى الشقاق (ويشاوره لقوله تعالى * وامرهم شورى بينهم (ولا يحفظ الشر عنه) حيث لا يخاف الشر منه (ولا يحب عدوه لئلا يكون شريكا له فى العداوة) اى ومن الوفاء ان لا يصادق عدو صديقه قال الشافعي اذا اطاع صديقك عدوك فقد اشتركا فى عداوتك (ويخفف) اى ثقالة الصحبة ومؤنة الكلفة (بترك التكلف) اى فى نفسه (والتكليف) لصاحبه (فى اداء الحقوق وغيرها) والمراد بها ما يلزم مروءة لا لزوما شريعة قال بعض الحكماء تمام التخفيف بطى بساط التكليف حتى لا يستحيى منه فيما لا يستحيى من نفسه ومن هنا قيل اذا ثبتت المحبة سقط الادب وقال على رضى الله عنه شر الاصدقاء من تكلف لك ومن احوجك الى مداراته والجأك الى اعتذار فى حالاته وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكلف يزور احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه وقيل لبعضهم من نصحب قال من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك و بينه مؤنة التحفظ وعن جعفر بن محمد اثقل اخوانى على من يتكلف لى واتحفظ منهم واخفهم على قلبى من اكون كما اكون وحدى والحاصل انه لا ينبغى ان يكلف اخاه ما يشق عليه فى حالاته بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفهه عن ان يحمله شيئا من اعبائه ومشقات مؤناته ولا يكلفه التواضع له والتفقد لاحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته الا الله تبركا بدعائه واستيناسا بلقائه واستعانة به على دينه وتقربا الى الله تعالى فى تقوية يقينه وقال بعضهم كن مع ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت يعنى لانهم كل ما يرونه

انما يرونه من الرب ولا ينظرون الى السبب وقال آخر لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر عنك اذا اسأت ويحمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنه نفسه وهذا عزيز الوجود فى ميدان الشهود (كنوافل العبادة تركا واتيانا) اى فعلا قال الامام حجة الاسلام ومن التخفيف وترك التكلف والتكليف ان لا يعترض فى نوافل العبادات لان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين اربعة معان ان اكل احدهم الدهر كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم وان صلى الليل كله لم يقل له نم وتستوى حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لان ذلك ان تفاوت حرك الطبع الى الرياء والتحفظ لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت الفته ومن خفت مؤنته دامت مودته ومن مفادات شيخنا العارف بالله الولى نور الدين على المتقى فى هامش هذا الكتاب المؤجز النفى اعلم ان الله تعالى خفف على عباده فى عبادات النوافل تخفيفين احدهما انه خفف فى اصل التكليف يعنى اذا لم يأت الشخص بعبادة النفل رأسا لا تكلف عليه ولا مؤاخذة لديه وثانيهما فى وصفه من التكلف لجواز صلوة النفل حالة القعود مع القدرة والركوب متوجها الى اى جهة ونحوها فينبغى للمصاحب ان يتخلق باخلاق الله تعالى ويخفف فى حقوق الصحبة مثل هذا التخفيف فى عبادة النافلة مثلا اذا اشترط المصاحبان على انفسهما شرطين بان قال احدهما على مؤنة السلخ والطبخ وقال الآخر على تحصيل الماء والحطب فاذا قصر احدهما فى شرطه بان لم يأت باصل الشرط مطلقا فلا يؤاخذه لان التكلف متروك فى النفل واذا اتى باصل الفعل ولكن اتى بترك التكلف بان طبخ طعاما مالحا او قليل الملح فلا يؤاخذه لان التكلف متروك ايضا وعلى هذا القياس ينبغى فى جميع حقوق الصحبة مراعاة هذه القاعدة الصعبة فلله دار المؤلف حيث اتى بهذه العبارة الوجيزة فى مبانيها مع كثرة معانيها (فورد انا واتقياء امتى برآء من التكلف) الدارقطنى فى الافراد من حديث الزبير بن العوام ولفظه الا انى برئ من التكلف وصالحوا امتى واسناده ضعيف ويقويه قوله تعالى * قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين * اى المتقولين القرآن من تلقاء نفسى فمن يقول شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلف فى امره وكذا الحكم فى فعله (ويرفع الآداب) اى من القيام والاعتذار ونحوهما مع اهل الوداد (عند تمام الاتحاد) فعند كمال الانبساط مع الاصحاب يطوى بساط الادب (فالمقصود صفاء القلب) مع احباب الرب (والادب) اى الظاهر (عنوانه) فاذا اعرف اصل المكتوب فلا يحتاج الى عنوانه من المطلوب (ويزور) اى صاحبه (غبا) اى يوما بعد يوم او وقتا بعد وقت (فورد زر غبا تزدد حبا) لحصول الاشتياق الى الوصال (الا ان يأمن من الملال) اى الموجب للقطع فى الاستقبال (وينوى فيه) اى فى التزاور (الاستيناس) اى طلب الانس (بالقاء) اى لقاء اهل اليقين (والاستعانة على الدين) كما هو شان المجتهدين (والتقرب اليه تعالى باقامة الحق اى حق الاخوة والصحبة (وتحمل المؤنة) اى كلفة الالفة ففى مسند احمد وغيره عن ابن عمر المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على اذاهم افضل من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم وفى رواية الدارقطنى عن جابر المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف خير الناس انفعهم للناس وقد قال تعالى * واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا * الآية هذا وجاء فى الخبر ان الله يقول حقت محبتى للذين يتزاورون من اجلى وحقت محبتى للذين

يتحابون من اجلى احمد من حديث عمرو بن عنبسة وعبادة بن الصامت والحاكم وصححه وعن انس مازار رجلا فى الله الا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة رواه ابن عدى والترمذى وابن ماجة من حديث ابى هريرة من عاد مريضا اوزار اخا فى الله ناداه منادٍ من السماء وطابت بمشاك وتبوأت من الجنة منزلا وعنه عليه السلام ان رجلا زار اخاله فى الله فارصد الله له ملكا فقال اين تريد فقال اريد ازور اخى فلانا فقال لحاجة لك عنده قال لا قال لقرابة بينك وبينه قال لا قال فلنعمة له عندك قال لا قال فبم قال احبه فى الله قال فان الله ارسلنى اليك يخبرك بانه يحبك لحبك اياه وقد اوجب لك الجنة رواه مسلم من حديث ابى هريرة (ويسلم على المسلم) صغيرا اوكبيرا غنيا اوفقيرا لحديث افشوا السلام واطعموا الطعام الترمذى عن ابى هريرة وفى رواية الحاكم عن ابى موسى افشوا السلام بينكم تحابوا وفى رواية البيهقى من حديث هانى بن يزيد ان من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام (وان لقيه مرارا) اى مرة بعد مرة لعموم قوله عليه السلام حق المسلم ست اذا لقيته فسلم عليه رواه مسلم (اوحالت شجرة اوجدار) وكذا اسطوانة (ناويا) اى بهذا السلام (تجديد عهد الاسلام) اى (ان لا يؤذى) بصيغة المعلوم والمجهول (فى عرضه وماله) اى وسائر احواله (قبل الكلام) متعلق بيسلم اى يأتى بالسلام قبل ان يشرع فى الكلام فانه تحية اهل الاسلام حتى فى دار السلام (فورد من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجبه) اى لا ترد عليه الكلام (حتى يبدأ بالسلام) اى ويترك الابتداء بالكلام والحديث رواه الطبرانى فى الاوسط وابو نعيم فى الحلية عن ابن عمر ولفظه من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه (وعند الدخول فى بيته) اى يسلم على اهله فللترمذى عن انس انه قال عليه السلام له اذا دخلت على اهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى اهل بيتك (وبيت غيره) اى كذلك (لئلا يدخل الشيطان معه) لحديث جابر اذا دخلتم بيوتكم فسلموا على اهلها فان الشيطان اذا سلم احدكم لم يدخل بيته الحرائطى فى مكارم الاخلاق (وهو مأمور به) اى فى قوله تعالى * فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم * اى على جنسكم من المسلمين (وان كان) اى البيت (خاليا) وهو اعم من بيته وبيت غيره (فتحيته) اى حينئذ يكون بلفظ (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فالملائكة) اى الحفظة او الكتبة (تزده) فانهم من جملة عباد الله الصالحين (والدخول) اى ويسلم عند دخوله (فى قوم) اى على قوم وهو ظاهر متعارف (والخروج) اى ويسلم ايضا عند خروجه (عنهم ليكون مشاركا لهم فى كل خير) اى ابتداء وانتهاء ولان السلام الاول للالفة والثانى للمودعة ولعل هذا وجه التكرار فى قوله سبحانه * لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما * ولابى داود والترمذى وحسنه من حديث ابى هريرة اذا انتهى احدكم الى مجلس فليسلم فان بداله ان يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست الاولى باحق من الاخرى (ويبدأ به) اى بالسلام (فهو المروى) اى عليه السلام انه كان يبدأ بالسلام كما فى الشمائل وفى نسخة يبدر وفى مسند احمد عن ابى امامة من بدأ بالسلام فهو اولى بالله ورسوله وقد قال العلماء ان هذه سنة اجرها اكثر من جواب السلام مع انه فرض وذلك لما فى البدء به من التواضع ولانه تسبب فى اداء الفرض وقد ورد اذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه لان له عليهم فضل درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا عليه ملأ خير منهم واطيب البيهقى فى الشعب عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا والبزار

عنه مرفوعا السلام اسم من اسماء الله وضعه الله في الارض فافشوه بينكم فان الرجل المسلم اذا مر بقوم فسلم عليهم الحديث ولا يسلم على جمع النساء) اى من الاجانب (ويرد عليهن) اى اذا سلمن عليه فان الرد فرض فلا يترك لتوهم الوقوع في الريبة وكان انس يمر على الصبيان فيسلم ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه فعل ذلك رواه الشيخان وفي النسائي عن انس انه عليه السلام كان يزور الانصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤسهم (ولا) اى ولا يسلم (عند تلاوة القرآن) اى لا على تاليه ولا على مستمعيه لئلا يقع خلل فيه (والاذان) لاشتغال المؤذن والمجيب به (وقضاء الحاجة ونحوها) اى من الحمام وكشف العورة وحالة الجماع (فلا يكلم فيها) اى مطلقا فضلا عن السلام ورده وعن ابن عمران رجلا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول فلم يرد عليه (ولا اللعب) اى ولا يسلم عند اللعب (بالشطرنج) اى على لاعبه ولا على من معه من صاحبه (ونحوه) اى النرد ومجلس الشرب وآلات الغناء وامثالها (اهانة ولا يرد فيها) اى في المذكورات التي ولا يسلم فيها (ويزيد في الجواب) اى بطريق الاستحباب (فوردوا اذا حييتم بتحية) اى اذا سلم عليكم بسلام وقيل السلام عليكم (فحيوا باحسن منها) اى بالزياد عليها فقولوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته (اوردوها) اى قولوا في جوابها مثلها (والاولى بالبداءة) اى بابتداء السلام (الداخل) على المدخول عليه (والماشي) على القاعد ونحوه (والراكب) على النازل (والصغير) على الكبير (والقليل) على الكثير ففي الصحيحين عن ابي هريرة يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير واذا بلغ سلاما من احد فليقل وعليه السلام ورحمة الله وبركاته رواه الستة عن عائشة اووعليك وعليه السلام راه النسائي عن انس كذا في الحصن فيجوز الاكتفاء بالاول والجمع بينهما افضل واولى وتنويع في اختلاف الرواية وفي الاذكار يعني اذا بعث انسان مع انسان سلاما فقال الرسول سلم عليك فلان يجب عليه ان يرد على الفور ويستحب ان يرد على المبلغ ايضا فيقول وعليك وعليه السلام ثم الافضل يقول المسلم السلام عليكم بصيغة الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ويأتي بواو العطف ويجوز تنكير السلام ايضا واما الجواب فاقل الاستحباب وعلك السلام اووعليكم السلام فان حذف الواو فقال عليكم السلام اجزأه ذلك وفي الصحيحين عن ابي هريرة خلق الله عزوجل آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال له اذهب فسلم على اولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك انها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوا ورحمة الله انتهى وفيه دليل على ان السلام عليك يصلح للتحية وجوابها لكن بشرط ان يكون احدهما بعد الآخر فلا تقعا معا فانه حينئذ يجب على كل واحد جواب الآخر فتدبر (وورد اذا سلم واحد من القوم اجزأ عنهم) مالك في الموطأ عن زيد بن اسلم مرسلا ولابي داود من حديث علي يجزئ عن الجماعة اذا مروا ان يسلم احدهم ويجزئ عن الجلوس ان يرد احدهم فعلم ان السلام سنة كفاية كما ان جوابه فرض كفاية وفي الديلمي عن علي السلام تطوع والرد فريضة (ولا يشير بالاصبع والاكف فهو عادة الكفار) اى من اهل الكتاب (منهي عنه) ففي الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده لا تشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود الاشارة بالاصبع وتسليم النصارى الاشارة بالكف وفي رواية

ابى يعلى وغيره عن جابر تسليم الرجل باصبع واحدة يشير بها فعل اليهود والمعنى انه لايكتفى بهما عند السلام فلوجمع بين الاشارة والسلام لزيادة الاعلام اولبعد المقام اولكون المسلم عليه لايسمع الكلام فلابأس به الاانه لابد من اسماع كل منهما خلافا لمايفعله كثير من العامة وبعض الطلبة باخفاء السلام اورده والاكتفاء باشارة بعض الاعضاء من اليد اوالرأس ويؤيده حديث عبد الحميد بن بهرام انه عليه السلام مر فى المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فالوى بيده بالتسليم اى مقرونا به واشار عبدالحميد بيده رواه الترمذى وقال حسن وقال احمد لابأس به ورواه ابوداد وابن ماجة من وجه آخر (ولايخص المعارف) بالتسليم بل يعم السلام على من يعرف ومن لا يعرف اذاعرف بالاسلام فان السلام من حقوق المسلم على المسلم (فهو) اى تخصيص المعارف بالسلام (من اشراط الساعة) اى علاماتها التى من جملتها قلة العلم وكثرة الجهل (ولايبدأ بعليك السلام فهو تحية الميت) اى يجوز ان يقال له ذلك ويقال السلام عليك اذ صح انه عليه السلام قال السلام عليكم دارقوم مؤمنين وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام فقال ان عليك السلام تحية الميت قاله ثلاثا ثم قال اذالقى احدكم اخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته رواه الترمذى والنسائى فى اليوم والليلة وقال الترمذى حسن صحيح (ويصافح) اى صاحبه من المتقين (لاسيما الكبراء فى الدين) من العلماء والاولياء والشرفاء اذا كانوا من الضعفاء لا السلاطين والامراء والوزراء (فهو) اى التصافح (من تمام التحية) وعن الحسن المصافحة تزيد فى المودة وعن ابى هريرة مرفوعا تمام تحياتكم بينكم المصافحة الخرائطى فى مكارم الاخلاق وهو عند الترمذى من حديث ابى امامة وضعفه (وورد فيها) اى فى المصافحة (قسمة مائة مغفرة تسعة وتسعون لاحسنهما بشرا) فعن ابى هريرة اذالتقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما مائة رحمة تسعة وتسعون لابشهما واطلقهما وابرهما واحسنهما مسائلة باخيه الطبرانى فى الاوسط وعن انس اذاالتقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما مائة رحمة تسعة وتسعون لاحسنهما بشرا الخرائطى بسند ضعيف وعن عمر مرفوعا اذاالتقى المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادى تسعون وللمصافح عشرة البزار فى مسنده والخرائطى واللفظ له والبيهقى فى الشعب وقدورد قبلة المسلم اخاه المصافحة الخرائطى وابن عدى من حديث انس وقال غير محفوظ والمعنى ان المصافحة يقوم مقام قبلة اليد و فى الاحياء ولابأس بقبلة يد المعظم فى الدين تبركا به وتوقيرا له فعن عمر قبلنا يد النبى صلى الله عليه وسلم ابو داود بسند حسن وعن كعب بن مالك قال لما نزلت توبتى اتيت النبى صلى الله عليه وسلم وقبلت يده ابوبكر بن المقرى فى كتاب الرخصة فى تقبيل اليد بسند ضعيف وروى ان اعرابيا قال يارسول الله ايذن لى فاقبل رأسك ورجليك قال واذن له فعل الحاكم من حديث بريدة وقال صحيح الاسناد وعن البراء بن عازب انه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ومديده اليه فصافحه فقال يارسول الله ماكنت ارى هذا الامن اخلاق الاعاجم فقال عليه السلام ان المسلمين اذا التقيا وتصافحا تحاتت ذنوبهما الخرائطى بسند ضعيف وهو عند ابى داود والترمذى وابن ماجة مختصرا مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان الاغفر لهما قبل ان يتفرقا (ويجعل الاصابع فى الاصابع اخيه وهذا غير محفوظ فى السنة ولاهو مأخوذ من اللغة

اذ مفهومها وضع صحنة الكف واليد او اصابعها في كف صاحبه ونحوه (ولا يدع) اى يد اخيه (حتى يدع صاحبه) اى يده فيدل على كمال التواضع واظهار المسكنة وللطبراني في الاوسط باسناد حسن عن ابى هريرة انه عليه السلام كان لا يأخذ احد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذى يرسله ولم يكن ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن احد يكلمه الا اقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه ولابى داود والترمذى وابن ماجة نحوه من حديث انس (فهو السنة) المروية في شمائله (لا من وراء الثوب) اى لا يصافح من وراء الاكمام (فهو جفاء من عادة الكفار) اى المتكبرين من الاعجام والاروام (ويعانق القادم) اى الواصل من السفر وفي الاحياء ان الالتزام يقابل ورد به الخبر عند القدوم من السفر وقد رواه الترمذى من حديث عائشة قالت قدم زيد بن حارثة الحديث وفيه فاعتنقه وقبله وقال حسن غريب وقال ابو ذر ما لقيته عليه السلام الا صافحنى وطلبنى يوما فلم اكن في البيت فلما اخبرت جئت وهو على سرير فالتزمنى فكانت اجود واجود رواه ابو داود (ويأخذ ركاب العلماء للتوقير) فقد فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت كما تقدم واخذ عمر بغرز زيد اى بركابه حتى رفعه وقال هكذا فافعلوا بزيد واصحابه (ويوسع المجلس) مسجدا كان او غيره لقوله تعالى * واذا قيل لكم * بلسان القال او ببيان الحال * تفسحوا في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم * والفسح الوسع وفي الصحيحين من حديث ابن عمر لا يقم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا وعنه عليه السلام اذا اخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل اخاه فاوسع له فليأته فانما هى كرامة من الله عز وجل اكرم بها اخاه فان لم يوسع له فلينظر الى اوسع مكان يجده فليجلس فيه البغوى في معجم الصحابة من حديث ابن ابى شيبة ورجاله ثقات وابن ابى شيبة هذا ذكره ابو موسى المدينى في ذيله في الصحابة (ويكرم الداخل) ان كان من ذوى الفضائل او الفواضل (فيبسط له الثوب) اى من الرداء ونحوه فروى انه عليه السلام دخل بعض بيوته فدخل عليه اصحابه حتى وحش المجلس فامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلى فلم يجد مكانا فقعد على الباب فلف عليه السلام رداءه فالقاه اليه فقال له اجلس عليه فاخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكى ثم لفه ورمى به اليه صلى الله عليه وسلم وقال ما كنت لاجلس على ثوبك اكرمك الله كما اكرمتنى فنظر النبي صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا ثم قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وروى ان طئر رسول الله صلى الله عليه وسلم التى ارضعته جاءت اليه فبسط لها رداءه ثم قال مرحبا بامى ثم اجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعى نشفعنى وسلى نعطى فقالت قومى فقال اما حقى وحق بنى هاشم فهو لك فقام الناس من كل ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد ووهب لها سهمانه بخيبر وهى احد عشر سهما فبيع ذلك من عثمان بن عفان بمائة الف درهم كذا في الاحياء ورواه ابو داود والحاكم وصححه من حديث ابى الطفيل مختصرا في بسط ردائه لها دون ما بعده ولاحمد من حديث ابن عمر انه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فالقى له وسادة من ادم حشوها من ليف الحديث واسناده صحيح وللطبراني من حديث سلمان دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على وسادة فالقاها الى الحديث وسنده ضعيف (ويخفف) اى المدخول عليه (الصلوة) فريضة

او نافلة (و يشتغل به) اى باكرامه من سلامه وكلامه وتحصيل مرامه (ثم يعاود فيها) اى فى اتمام صلوته (فالكل مروى) الا ان تخفيف الصلوة الخ ليس له اصل فى السنة (ولا يحنى) فان الانحناء يكره للسلاطين وغيرهم ولانه صنيع اهل الكتاب كذا فى المحيط والذخيرة ولانه شبيه الركوع الذى هو ركن من اركان الصلاة فكما لا يجوز ان يسجد احد لاحد لا يجوز ان يركع له وكذا القيام على هيئة الوقوف فى الصلوة لحديث من سره ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار ابو داود والترمذى وحسنه من حديث معاوية وعن انس قلنا يا رسول الله ايحنى بعضنا لبعض قال لا قال فيقبل بعضنا بعضا قال لا قال فنصافح قال نعم الترمذى وحسنه وابن ماجة وضعفه احمد والبيهقى وفى الاحياء لا بأس بالانحناء لدفع شر الاشقياء (ولا يقوم) اى للداخل كما هو عادة اهل المحافل (فهو منهى عنه) اى فى الحديث معلل بانه (من عادة الاعاجم) فعن ابى امامة اذا رأيتمونى فلا تقوموا كما يقوم الاعاجم ابو داود وابن ماجة وعن انس ما كان شخص احب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك الترمذى وقال حسن صحيح وفى الاحياء ان القيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام اقول وقد صار هذا القيام من ابتلاء العام اذ يترتب على تركه انواع الملام فيكون النهى للتنزيه فى هذا المقام وعن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن واما ما فى صحيح مسلم عن ام هانى انها سلمت على النبى صلى الله عليه وسلم فقال من هذه فقيل له ام هانى فقال عليه السلام مرحبا بام هانى فمحمول على زيادة الترحيب للاكرام بعد جواب السلام (ويوقر الكبراء) اى العظماء فى الرتبة او السن (كالعلماء العاملين (والصلحاء) الكاملين (والشرفاء) الطاهرين (والشيوخ) السابقين لتقدمهم فى دخول الاسلام فلهم قدم صدق وبينهم سبق فى هذا المقام وقد قال تعالى * والسابقون * لكن تقدم الرتبة من العلم والتقوى والنسب على مجرد كبر السن فى الحسب واشار المصنف الى الترتيب فى غاية من التهذيب فالعلماء كما قال تعالى * يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات * والمتقون كما قال عز وعلا * ان اكرمكم عند الله اتقيكم (ويقدمهم فى المشى) اذا ضاق المقام (والكلام والجلوس فورد ليس منا) اى من اتباعنا واشياعنا (من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا) رواه احمد والترمذى عن ابن عباس واحمد والحاكم عن عبادة بن الصامت بزيادة ولم يعرف لعالمنا حقه وفى رواية لاحمد والترمذى والحاكم عن ابن عمرو بلفظ من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف شرف كبيرنا وللبخارى فى تاريخه وابى داود عن ابن عمرو بلفظ من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حق كبيرنا فليس منا (واوعد) بصيغة المجهول اى جاء الوعيد (فى التقديم) اى تقديم الصغير (على الكبير بالفقر) اى بسبب فقر الكبير والمعنى اوعد بالفقر بخلاف من عظم الكبير فانه يعذر له من يعظمه فى كبره ففى الخبر ما اكرم شاب شيخا لسنة الا قيض الله له فى سنه من يكرمه وهذا بشارة له بطول عمره وسهولة امره والحديث رواه الترمذى عن انس ومن تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين ايديهم الا باذن قال جابر قدم وفد جهينة على النبى صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم عليه السلام مه فان الكبير الحاكم وصححه مسلم (ويراعى قلب الصغار) اى الاطفال وغيرهم دون البلوغ (فكان عليه السلام يبالغ فيه) اى فى مراعاة

قلوبهم فكان يمسح رؤوسهم ويدعولهم ويجلسهم فى حجره ويحنكهم وقد كان يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرفعون اليه فيرفع منهم بين يديه وخلفه ويأمر اصحابه ان يحملوا بعضهم فربما يفاخر الصبيان بعضهم لبعض حملنى رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم من حديث عبدالله ابن جعفر كان اذا قدم من سفر تلقى بنا قال فتلقى بى وبالحسن اوبالحسين قال فحمل احدنا بين يديه والآخر خلفه وفى رواية تلقى بصبيان اهل بيته وانه قدم من سفر فسبق بى اليه فحملنى بين يديه ثم جئ باحدابنى فاطمة فاردفه خلفه وفى الصحيحين ان عبدالله بن جعفر قال لابن الزبير اتذكر اذ تلقانا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وانت وابن عباس قال نعم فحملنا وتركك هذا لفظ مسلم وقال البخارى ان ابن الزبير قال لابن جعفر فالله اعلم كذا قاله مخرج الاحياء ولايبعد ان يحمل على قضيتين فيكون فى كل منهما جبر لخاطر الآخر فتدبر ولاحمد بن منيع من حديث حسن بن على عن امرأة منهم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا على ظهره يلاعب صبيا اذ بال فقامت لتأخذه وتضربه فقال دعيه ايتونى بكوز من ماء الحديث واسناده صحيح (ويتكفل اليتيم) قريبا واجنبيا (فورد انا وكافل اليتيم) اى مربيه ومصلحه (كهاتين فى الجنة واشار الى المسبحة والوسطى) وهو كناية عن كمال الرتبة وجمال القربة والحديث رواه احمد والبخارى وابو داود والترمذى عن سهل بن سعد بلفظ انا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا ولابن ماجة من حديث ابى هريرة خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ولاحمد والطبرانى من حديث ابى امامة من وضع يده على رأس يتيم كانت له بكل شعرة يمر عليها يده حسنة ولابن حبان من حديث ابن ابى اوفى من مسح يده على رأس يتيم رحمه الحديث (ويظهر البشاشة) اى الانبساط اذا حضر مع اصحابه فى بساط النشاط (فورد ان الله يحب السهل) اى اللين الهين (الطلق) بفتح فكسر اى صاحب طلاقة الوجه والحديث رواه البيهقى عن ابى هريرة بلفظ الطليق وقد ورد اتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله اعلم قال على الهين السهل القريب الترمذى وحسنه عن ابن مسعود (ويشمت) اى يجيب (العاطس المحمد) اى الذى قال الحمدلله بعد عطاسه بدعاء الرحمة والمغفرة ويجيب بدعاء الهداية والصلاح) اتفق العلماء على انه يستحب للعاطس ان يقول الحمدلله عقيب عطاسه ويستحب عندالشافعى ويجب عندنا على من سمعه ان يقول له يرحمك الله ويستحب للعاطس بعد ذلك ان يقول يهديكم الله ويصلح بالكم اويغفر الله لنا ولكم والاحاديث فى هذا كثيرة كما بيناها فى شرح الحصن واما اذا لم يحمد العاطس فلا يستحق الجواب لما فى الصحيحين عن ذلك فقال انه حمد الله وانت سكت (ففيه فضل كثير) اى واجر كبير (الا اذا زاد على الثلاث فورد انه زكام) فعن ابى هريرة شمت اخاك ثلثا فان زاد فهو زكام ابوداود وفى صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع انه شمت عاطسا فعطس اخرى فقال انك مزكوم وعن ابى هريرة كان عليه السلام اذا عطس غض صوته واستر بثوبه اويده ابو داود والترمذى وقال حسن صحيح وفى رواية لابى نعيم فى اليوم والليلة خمر وجهه وفاه وفى الصحيحين التثاؤب من الشيطان فاذا تثاوب احدكم فليضع يده على فيه فاذا قال آه آه فان الشيطان يضحك من جوفه وعن على من عطس عنده فسبق الى الحمد لم يشتك خاصرته

الطبرانى فى الاوسط فى الدعاء (ويصلح ذات البين) اى احوالا ناشئة مما بينه او بين غيره بين احد من المسلمين بالمودة وترك المنازعة قال تعالى * لاخير فى كثير من نجوبهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس * وقال عزوعلا * فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم * (فهو افضل الصدقة) فللطبرانى والبيهقى عن ابن عمر وافضل الصدقة ذات البين ولابى داود والترمذى وصححه من حديث ابى الدرداء الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وافساد ذوات البين هى الحالقة وللشيخين من حديث ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا (ويستر العيوب) اى عيوب غيره وكذا عيوب نفسه (فورد) اى فى صحيح مسلم عن ابى هريرة (من ستر على مسلم ستره الله فى الدنيا والآخرة) وللشيخين عن ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيمة وللطبرانى عن ابى سعيد لايرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة وروى احمد عن رجل من ستر اخاه المسلم فى الدنيا ستره الله يوم القيمة وللطبرانى والضياء عن شهاب من ستر على مؤمن عورة فكانما احيى مينا وللبخارى فى تاريخه وابى داود والحاكم عن عقبة بن عامر من رأى عورة فسترها كان كمن احيى موؤدة من قبرها وابن ماجة والحاكم وصححه من حديث على من اذنب ذنبا فى الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فالله اكرم من ان يرجع فى شئ قد عفا عنه ومن اذنب ذنبا فى الدنيا فعوقب عليه فالله اعدل من ان يثنى عقوبته على عبده وعنه عليه السلام اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين يوم القيمة الحاكم وصححه وضعفه البخارى وابن حبان وللطبرانى من حديث ابن عمران احب الاعمال الى الله ادخال السرور على المؤمن (ويتقى مواضع التهم تحرزا عن سوء ظنهم) اى بالريبة (ووقوعهم فى الغيبة) فانهم اذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا فى وزرهم قال تعالى * ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم * وقال عليه السلام كيف ترون من يسب ابويه قالوا وهل من احد يسب ابويه قال نعم يسب الرجل ابوى غيره فيسب ابويه متفق عليه من حديث عبدالله بن عمر وعن انس انه عليه السلام كلم احدى نسائه فمر به رجل فدعاه فقال يافلان هذه زوجتى صفية فقال يارسول الله من كنت اظن فيه فانى لم اظن فيك قال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم رواه مسلم وفى رواية للشيخين عن صفية اخشيت ان تقذف فى قلبكما شيئا وفى نسخة سرا وكانا رجلين وقال على رسلكما انها صفية الحديث وكانت قد زارته فى العشر الاواخر من رمضان وعن عمر رضى الله عنه من اقام نفسه مقام التهمة فلايلومن من اساء به الظن ومر رجل يكلم امرأة على الطريق فعلاه بالدرة فقال ياامير المؤمنين انها امرأتى قال فهلا بحيث لايراك الناس (ويشفع) اى فى غير الحدود لقوله تعالى * من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) فوردا شفعوا توجروا) تمامه ويقضى الله على لسان نبيه ماشاء رواه الشيخان من حديث ابى موسى وورد ماصدقة افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم وتجر بها المنفعة الى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر الخرائطى والطبرانى عن سمرة (ويرشد الضال) اى يهديه الى طريقه الحسى او المعنوى (وينشد ضالته) اى يطلبها لكن فى غير المسجد لما تقدم ويقول يا هادى الضال ويا راد الضالة اردد على ضالتى بعزتك وسلطانك فانها من عطائك وفضلك راه

ابن ابى شيبة موقوفا من قول ابن عمر والطبرانى عنه مرفوعا (ويفرج المكروب) اى ويزيل همه المغموم (وينصر المظلوم) فى الصحيحين انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ينصر ظالما فقال يمنعه من الظلم قلت وفى منعه من الظلم نصر للمظلوم ايضا (فورد من فرج عن مغموم او اعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة) الخرائطى فى مكارم الاخلاق وابن حبان الضعفاء وابن عدى من حديث انس بلفظ من اغاث ملهوفا (ويسعى فى حاجته فالمشى فيها ساعة خير من اعتكاف شهرين وان لم تقض) فللحاكم وصححه من حديث ابن عباس لان يمشى احدكم مع اخيه فى قضاء حاجته واشار باصبعه افضل من ان يعتكف فى مسجدى هذا شهرين وللطبرانى فى الاوسط من مشى فى حاجة اخيه كان خيرا له من اعتكاف شهرين وكلاهما ضعيف وروا البخارى فى تاريخه والطبرانى والخرائطى عن انس بسند ضعيف من قضى لاخيه حاجة فكانما خدم الله عمره ولابن المبارك فى الزهد والرقائق باسناد ضعيف مرسلا من اقر اعين مؤمن اقر الله عينه يوم القيمة وقال انس عرضت له عليه السلام امرأة وقالت لى معك حاجة وكان معه ناس من اصحابه فقال اجلسى فى اى نواحى للسكك شئت اجلس اليك ففعلت فجلس اليها حتى قضيت حاجتها رواه مسلم (ويعظه) اى يبشر الناس بالثواب فى الطاعة وينذرهم بالعقاب على المعصية قال تعالى * واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم * الآيات وقال تعالى * يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات * وورد ان الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم رواه مسلم وغيره عن تميم الدارى وقال عليه السلام لمعاذ اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وصدق الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام البيهقى فى كتاب الزهد وابو نعيم فى الحلية (ويعين الضعف) اى فى عمله وصنعته (والمحسن) اى بزيادة معرفته او يعين الضعفاء والفقراء والمحسن الى العلماء والصلحاء ليكون مشاركا لهما فى ثواب يوم الجزاء فقد صح من كان فى عون اخيه كان الله فى عونه (ويحفظ الغيبة) اى غيبة اخيه فيمنع احدا عن ان يقع فى غيبة فيه ففى الخبر يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته فضحه ولو كان فى جوف بيته ابو داود من حديث ابى برزة باسناد جيد وللترمذى نحوه من حديث ابن عمر وحسنه وعن ابى الدرداء من رد عن عرض اخيه كان له حجابا من النار الترمذى وحسنه وللطبرانى عن ابى الدرداء بلفظ ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ولاحمد من حديث اسماء بنت يزيد نحوه ولابن ابى الدنيا فى الصمت عن انس من ذكر عنده اخوه المسلم وهو يستطيع نصرة فلم ينصره ولو بكلمة اذله الله عز وجل بها فى الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده اخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى فى الدنيا والاخرة ولابى داود من حديث معاذ بن انس من حمى عرض اخيه المسلم فى الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيمة من النار ولابى داود من حديث جابر وابى طلحة ما من امرئ ينصر مسلما فى موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمته الا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ خذل مسلما فى موطن ينتهك فيه حرمته الا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته

(ويبر الخلف) اى يمين صاحبه فى الحضور والغيبة بان وعد اخوه بشخص باعطاه شئ وخلف عليه ولم يتيسر له فالصاحب يعطيه ذلك لئلا يقع صاحبه فى الحنث هنالك وهو من جملة اخلاق الله مع من اتبع رضاه كما ورد فى الصحيحين عن انس ان من عباد الله من لوا قسم على الله لابره اى لجعله بارا فى يمينه بما قدره وقضاه وفى الصحيحين من حديث البراء امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع فذكر منها وابرار القسم او المقسم (ويحب التائب) لقوله تعالى ۞ ان الله يحب التوابين ۞ خصوصا الشاب فورد ان الله يحب الشاب ابو الشيخ عن انس ولابى نعيم فى الحلية عن ابن عمر ان الله يحب الشاب الذى يفنى شبابه فى طاعة الله ولاحمد والطبرانى عن عقبة بن عامر ان الله تعالى ليعجب من الشاب ليست له صبوة (ويستغفر للذنب) اقتداء بالملائكة المقربين ۞ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا * الآية وللطبرانى عن عبادة من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة وله وللضياء عن ابى الدرداء من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة وله وللضياء عن ابى الدرداء من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعا وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق به اهل الارض واما حديث انس اربع من حق المسلمين عليك ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمدبرهم وان تحب تائبهم فقد ذكره صاحب الفردوس ولم اجد له اسنادا قاله العراقى (ويعامل على حسب حاله) اى حال صاحبه فى اعلى مناقبه او ادنى مراتبه (فعرض الفقه) اى مسائله الغامضة (لاهل اللهو) اى لارباب الاشتغال بمايلهيهم عن العلم والفهم والكمال (والبيان) اى وعرض الفصاحة والبلاغة واصناف البديع وانواع البيان (لثقيل اللسان ايذاء النفسين بل المناسب ان يعرض عليهم مايكتسب من الطاعات ومايجتنب من المحرمات (وينتصف من نفسه) وفى نسخة وينصف من الانصاف بالكسر اى يعمل بالنصفة بفتحتين اى العدالة (فهو من ثلاث خصال يستكمل به الايمان وفى الخبر لايستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام الحرائطى من حديث عمار بن ياسر ووافقه للبخارى عليه (ولايعلم احدا مقدار ماله وان كان من اهل البيت) اى المطلعين على حاله (فالعلم بالقلة يورث الاهانة) اى بعده من الفقراء (وبالكثرة عدم الرضاء) اى بانفاقه وعده من البخلاء وورد استزهبك) اى ونحوه من الفضة وغيرها (وذهابك) اى انتهاء سفرك من حضرك (ومذهبك) اى فى موضع تخاف اظهاره فاظهر مشربك والحديث لم اجد له اصلا (ولايستحقر احدا) اى من الفجار بل من الكفار (فالعاقبة مستورة) وورد انما الاعمال بالخواتيم كما فى صحيح البخارى عن سهل بن سعد (ولايستعظم الدنيا) فان الله قد استحقرها حيث قال ۞ متاع الدنيا قليل * وورد لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء الترمذى وغيره عن سهل بن سعد والمعنى انه لاينظر الى اهل الدنيا بعين العظيم لهم فى حال دنياهم ومهما عظم اهل الدنيا فى نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله عزوجل وللحكيم الترمذى عن ابى هريرة اذا عظمت امتى الدنيا نزعت منها هيبة الاسلام (فهى حقيرة ومافيها) الا ذكر الله وماوالاه لحديث الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ماكان لله منها ابو نعيم فى الحلية

عن جابر وفى مسند احمد عن عائشه الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له (ولا يتكبر على الفقير) اى لفقره فانه موجب لفخره (بل على المتكبر) اى بماله وجاهه على الفقير فروى التكبر على المتكبر صدقة (ويجالس الفقير فهو السنة) فلابى نعيم عن ابن عمر تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من الكبراء وتخرجوا عن الكبر دون الغنى) اى لا يجالس الغنى فضلا عن ان يصاحبه فورد اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى قال الاغنياء الترمذى وضعفه والحاكم وصحح اسناده من حديث عائشة اياك ومجالسة الاغنياء (وحبيب العافية) اى الذى يكره المرض او الذى ماتأتيه الحمى ونحوها من الصداع فان فرعون مكث اربعمائة سنة ماحم ولا حصل له صداع ولا كسر له ظرف فى مطبخه وقد ورد انه عليه السلام مدح له امرأة حسنة فرغب فيها فقيل من نعتها انها لا يأتيها مرض فقال مالى اليها حاجة وفى صحيح مسلم من يرد الله به خيرا يصب منه (والعامى) اى وغير الجاهل (واذا ابتلى) اى بمجلس العامى (لا يخوض فى كلامه) اى ويكتفى بما يحصل من مراعاته (ويتغافل عما يجرى عليه) اى بحسب مقامه (والسلطان) عطف على قوله الغنى اى ودون السلطان والمعنى لا يجالسه (واذا ابتلى به يكثر الحذر) اى عن غضبه (وان ظهر المحبة) اى فى وجهه (ولا يعتمد) اى على اقباله ولا على جاهه واعطاء ماله (فيراقبه مراقبة الطفل) فيتحمل منه مايتحمل عنه (ويتكلم على حسب ارادته) وفق طاعته واطاعته لكن لا بما يضره فى دينه وآخرته (ولا يدخل بينه) فى معاملته (فهو مضرو يبالغ فى الادب) ومن آدابه لاصحابه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ والمبانى وتحسين البيان والمعانى وتصحيح الاعراب فى الخطاب والمذاكرة باخلاق الملوك السابقة واللاحقة وقلة المداعبة فى مجلس المصاحبة وان لا يتحشى بحضرته ولا يتخلل بعد الاكل فى صحبته (ويتبرك بالعادل) فهو من سبعة يظلهم الله يوم القيمة يوم لا ظل الا ظله (ويدعوله بالصلاح) ولو كانت له دعوة واحدة مستجابة (ففيه صلاح العامة) ونفع العام خير من نفع الخاص مع ان الخاص داخل فى العام (ويستعيذ) اى بالله الملك العلام (عن الدخول عليه) خوفا من الزلل والخطل لديه (وعليه) اى ويجب على السلطان (الاحتمال) اى التحمل عن مجالسه ومؤانسة (الا فى كشف السر) اى غير المحرم (والقدح فى الملك) اى العطن فيه بما ينافيه (والعرض فى الحرم) اى من امرأته اوجاريته اوولده اوعبده (والعامة) اى ودون عامة الناس فلا يجالهم (لفساد الزمان) اى اهله فانهم لا يقبلون لك عثرة ولا يقبلون منك معذرة ولا يغفرون لك زلة ولا يسترون عورة ويحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطاء والنسيان ولا يعفون يغرون الاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهر الملق وان سخطوا فباطنهم الخنق لا يؤمنون فى خفتهم ولا يرجون فى ملقهم ظاهرهم ثبات وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون ورائك بالعيون ويترقبون بصديقهم من الحسد ريب المنون يحصون عليك العثرات فى صحبتهم ليواجهوك بها فى غضبهم ووحشتهم فان ابتلى بهم فادبه معهم ترك الخوض فى حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء الفاظهم ومبانيهم وعدم درك تعارفهم ومعانيهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة اليهم وعدم التودد والتحبب لديهم (وورد خالطوا الناس باعمالهم وزايلوا

القلوب) اى وجانبوها عن ملاحظة احوالهم ومحافظة اقوالهم والحديث لم اجده وللطبرانى عن ابى حجيفة مرفوعا جالوا الكبراء وسائلوا العلماء وخالطوا الحكماء (ولايعتمد) اى فى المحاورة والمجالس المؤتلفة (الاعلى من جرب) اى امتحنه (تحقيقا فى الاحوال المختلفة) كالفقر والغنى والحضر والسفر وغير ذلك من البعد والقرب والمحبة والعداوة فانه يظهر حقيقة كل احد هنالك (فلايجد جزأ) اى سهما واحدا (من مائة) بل من الف جزء (ممايظهرونه) من المودة وفى الخبر اخبر تقله وفى حديث آخر الناس كابل مائة لاتجد فيها راحلة فلايعول على مودة من لم يختبره حق الخبرة بان يصحبه مدة فى دار اوموضع واحد من قرار فيجربه فى عزله وولايته وغنائه وفاقته اوسافر معه اويعامله اويقع فى شدة وبلية فيحتاج اليه فى دفع الغضب ثم اياك ان تمازح لبيبا اوغير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ لديك ولان المزاح يخرق الهيبة ويذهب بحلاوة المودة ويشين فقه الفقيه ويحرك داعية السفيه ويورث الذلة ويوجب الزلة ويسقط المنزلة وهو اذا كثر يميت القلب ويباعد عن ذكر الرب وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وتظهر الذنوب ومن بلى بمجلس فيه مزاح ولغط فليذكر الله عند قيامه ليكون كفارة لما وقع فى مقامه فورد من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لااله الا انت استغفرك واتوب اليك الاغفر له ماكان فى مجلسه ذلك كله الترمذى من حديث ابى هريرة وصححه (ولايطمع) اى من العامة (رعاية الحق) اى مراعاة حقه من الادب فى قربه (ولا مافى ايديهم) اى ولايطمع مافى ايديهم من المال والجاه فعن سهل بن سعد مرفوعا ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى ايدى الناس يحبك الناس ابن ماجة وغيره والمعنى لاتبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر فى اعينهم ثم تحرم دنياهم فان لم تحرم كنت قد استبدلت الذى هوادنى بالذى هوخير (ولايعاتب من لم يقض حاجته والاطال الامر) اى امر المعاتبة لان كثرة المعاتبة ربما تجرى الى المقاطعة فى المصاحبة (ولايعظ من لم يتوقع منه القبول الامجملا) اى تلويحا (تحرزا عن تعصبه) اذا وعظ تصريحا وقد قال تعالى * فذكر ان نفعت الذكرى * اى الموعظة الحسنى (ويحمد تعالى ان رأى منكم كراهة) اى احسانا وتعظيما واقبالا وتكريما (ويكلهم اليه) اى ويترك امرهم الى الله سبحانه (ان رأى مكروها) تفويضا اليه وتوكلا عليه وقدقال تعالى فى مؤمن آل فرعون * فستذكرون ماأقول لكم وافوض امرى الى الله ان الله بصير بالعباد فوقيه الله سيئات مامكروا * وقال عيسى عليه السلام * ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم (ويستعيذ به من شرهم ويشاركهم فى حقهم) اى فى حق صدر عنهم (ويتغافل عن باطلهم) اى منكر ظهر منهم (ويحسب الكبير كالاب) اى فى التوقير (والصغير كالابن) اى فى الترحم (والمساوى كالاخ) اى الشفيق فى الشفقة والرفق (ويبالغ فى الاحتمال) اى فى التحمل عن اذاهم (والاحسان) بالاعطاء وغيره (الى اهله وغير اهله فورد) عن على بن الحسين عن ابيه عن جده (اصنع المعروف الى اهله) اى مستحقه (وغير اهله فان لم تصب) اى فى احسانك (اهله فانت من اهله) اى من اهل الاحسان الى افراد الانسان ولو بالمسان ذكره الدار قطنى فى العلل وهو ضعيف (والاصل) اى القاعدة المطردة فى حقوق المسلم

(ان يحب له مايحب لنفسه) اى مثل مايحب وكذا يكره له مايكره لنفسه كما سبق فى الحديث وورد من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فليأته منيته وهو يشهد ان لااله الاالله وان محمدا رسول الله وليأت الى الناس مايحب ان يؤتى اليه رواه مسلم من حديث عبدالله بن عمر وقال عليه السلام يا اباهريرة احسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا واحب للناس مانحب لنفسك تكن مسلما الخرائطى فى مكارم الاخلاق (ولايهجره) اى اذا غضب عليه (فوق ثلاثة ايام فورد) اى فى الصحيحين عن ابى ايوب (انه) اى الشان (لايحل) اى لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث يلتقيان (ويستأذن للدخول ثلثا) اى ثلاث مرات لما سيأتى (يمكث بعد كل) اى كل استيذان (قدر ان يصلى ركعتين) وهو الاقل (اواربع ركعات) وهو الاكثر (وان يفرغ من الاكل) ان كان مشتغلا به (والتوضى) اوالغسل اوالصلوة اوامر اخر من المهمات (فورد) عن ابى هريرة كما رواه الدار قطنى فى الافراد بسند ضعيف (الاستيذان ثلاث) اى ثلاث مرات (فالاولى) وفى رواية فالاولة (يستنصتون) اى يطلبون السكوت ليستكشفوا من المستأذن وما غرضه وفى رواية يستمعون اى يتسمعون (والثانية يستصلحون) اى يطلبون صلاحهم فى الاذن بدخوله اوبعدمه ويتشاورون (والثالثة يأذنون اويردون) اى وفق مايختارون وفى الصحيحين من حديث ابى موسى الاستيذان ثلاث فان اذن لك والا فارجع وقد قال تعالى * وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم (ولايطلع على الباب) اى لايقف بحيث ينكشف الحجاب (ويدقه لينا) اى بظفر ونحوه هينا (ولايقول انا) اى فلان (عند الباب) اولا يقول انا اذا قيل من بل يقول انا فلان ونحوه (ولا ياغلام) اى من وراء الاستار بان ينادى احد غلمان صاحب الدار اوعبده فى مقام الاظهار (بل يحمد ويسبح) اى ويذكر الله بالتهليل ونحوه (ويتنحنح) اى اذا كان معروفا بتنحنحه اوايماء بانه هناك من يريد دخوله (ويعود المريض) فهو من جملة حقوق المسلم على المسلم فى الصحيحين من حديث ابى هريرة حق على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز واجابة الدعوة وتشميت العاطس (فى ثياب نظيفة) بل فى بياض لطيفة لئلا يتوهم المريض من ثياب كثيفة انه حزين عليه لما رأى علامة الموت لديه (غير عابس) اى فى وجهه بل يدخل عليه ببشاشة بشرح صدره وفتح امره (ويجلس عند ركبة المريض) اى اذا كان مضطجعا ليقع نظر المريض على وجه زائره (دون رأسه) اى لايجلس فوق رأسه لئلا يحوجه الى التكلف فى توجهه اليه تلقنه عليه (ويضع اليد على جبهته اويده) يعنى على نبضه اذا كان له معرفة ببسطه وقبضه (يسأله اى عن غيره (كيف هو) اى لئلا يكون تكلفا عليه فى جوابه وهذا اذا كان مغلوبا فى بابه الا فيقول كيف انتم وما حالكم اوكيف تجدك ونحو ذلك (فهو السنة) اى المروية عنه عليه السلام تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته اوعلى يده ويسأله كيف هو (ولايحدث) اى عنده (الا بما يسره) اى لا بما يضره (وماهو خير) من الدعاء له ولنفسه (فالملئكة يؤمنون عليه) اى يقولون فيه آمين فيكون علامة الاجابة فى ذلك الحين (ويبشره بطول العمر وسرعة الصحة) اى وسهولة الامر وبان المرض كفارة للسيئات ورفع الدرجات وانه انما يكون فى قليل من الاوقات فينبغى الصبر عليه بل الشكر لديه فورد اذا مرض العبد بعث الله

تعالى اليه ملكين فقال انظرا مايقول لعواده فان هو اذا جاؤه حمد الله واثنى عليه رفعا ذلك الى الله وهو اعلم فيقول لعبدى على ان توفيته ان ادخله الجنة وان انا شفيته ان ابدل له لحما خيرا له من لحمه ودما خيرا من دمه وان اكفر عنه سيئاته مالك فى الموطأ من حديث عطاء بن يسار وصله ابن عبد البر فى التمهيد من روايته عن ابى سعيد الخدرى وفيه عباد بن كثير الثقفى ضعيف الحديث وللبيهقى من حديث ابى هريرة قال الله تعالى اذا ابتليت عبدى المؤمن فلم يشكنى الى عواده اطلقه من اسارى ثم ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم يستأنف العمل واسناده جيد وجملة آدا المريض حسن الصبر وقلة الشكوى وعدم الضجر والفزع الى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الداء والدواء وسائر الاشياء (ويغتنم دعاءه) اى المريض (فهو كدعاء الملائكة) فى كونه مستجابا وقد سبق كون دعاء المريض مجابا (ويدعوله بالشفاء سبع مرات فيه الشفاء ان لم يحضر اجله) فلابى داود وغيره عن ابن عباس مرفوعا من عاد مريضا لم يحضر اجله فقال عنده سبع مرات اسأل الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك الا عافاه الله من ذلك المرض (ويغب فيها بضم اوله اى يعوده يوما بعد يوم اووقتا بعد وقت لما سبق من حديث زر غبا تزدد حبا وعن جابر غبوا فى العيادة واربعوا الاد يكون مغلوبا ابن ابى الدنيا وابو يعلى واسناد ضعيف وقال بعضهم عيادة المريض بعد ثلاث وينبغى ان يخفف فيها فروى ابن ابى الدنيا فى كتاب المرض من حديث انس باسناد فيه جهالة عيادة المريض فواق ناقة ورواه البيهقى عنه بلفظ العيادة فواق ناقة وقال طاوس افضل العيادة اخفها (وهى مرة سنة) عند الشافعى وفرض كفاية عندنا (والزيادة فضل) واما مافى الاحياء من ان ابن عباس قال عيادة المريض مرة سنة فمحمول على ان ثبوتها بالسنة واما الزيادة فمستحبة والاجر الكثير عليها مرتبة فى النعمة الكتابية والحسابية ان العبادة فيها الزيادة على العبادة وقد تقدم حديث اذا عاد المسلم اخاه او زاره ناداه منادطبت وطاب مشواك وتبوأت منزلا فى الجنة الترمذى وابن ماجة عن ابى هريرة وفى السنن الاربع والحاكم من حديث على من اتى اخاه المسلم عائدا امشى فى خرفة الجنة حتى يجلس فاذا جلس غمرته الرحمة فان كان غدوة صلى عليه سبعون الف ملك حتى يمسى وان كان مساء صلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح واللفظ لابن ماجة وصححه الحاكم وحسنه الترمذى ولمسلم من حديث ثوبان من عاد مريضا لم يزل فى خرفة الجنة والحاكم والبيهقى من حديث جابر اذا عاد الرجل المريض خاض فى الرحمة فاذا قعد عنده انغمس فيها وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر وذكره مالك فى الموطأ بلاغا بلفظ غرت فيه ورواه الواقدى بلفظ استقر فيها وللطبرانى فى الصغير من حديث انس فاذا قعد عنده غمرته الرحمة وله فى الاوسط من حديث كعب بن مالك وعمرو بن حزم استنقع فيها (وورد النهى فى عيادة صاحب الرمد) بفتحتين اى وجع العين (والدمل) بضم فتشديد ميم مفتوحة (ووجع الضرس) اى السن (والجرب) بفتحتين وهو الحكاك (والعرق) بالكسر (المدنى) منسوب الى المدينة اذلم توجد غالبا فى القرية لان منشأها العفونة الكثيرة التى تبدو من الجماعة الكبيرة (ويسمع اى العائد (المحتضر) اى الذى احتضره الموت بعلامات دالة على الفوت وهو سواد الظفر وبرودة الرجلين والتفافهما واعوجاج الانف وانفتاح العين وانخفاض الصدغين (كلمة التوحيد وهى لا اله الا الله فتقدم حديث من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وفى صحيح مسلم وغير

لقنوا موتاكم لا اله الا الله اى المشرفين على الموت كحديث اقرؤا على موتاكم يس احمد وغيره (دون الحاح) اى لايلح على المحتضر بان يقول له قل لا اله الا الله بل يقول عنده ليسمعها وينتفع بها اذ لا يبعد انه حال الغلبة والشدة يمتنع عن قبول الكلمة فيتوهم له سوء الخاتمة فنعوذ بالله من ذلك مع ان المدار على ايمان القلب هنالك وانما يستحب النطق باللسان لانه ترجمان الجنان على اختلاف فى الاقرار انه شرط اوشطر للايمان فى اودخول المسلم فى ميدان الاحسان وايوان الايقان والله المستعان (ويعجل تغطية وجه الميت) اى بعد ربط حنكه ورجليه (وتغميض عينيه) فان الميت اذا برد تيبس اعضاؤه وتوحش اجزاؤه (وتجهيزه) اى غسله ومايتعلق به (وتكفينه باطيب الثياب) بان يكون من وجه حلال لايقع فيه العتاب والعقاب (وابيضها) لاحاديث ورد فى هذا الباب كقوله عليه السلام البثوا الثياب البيض فانها اطهر واطيب وكفنوا فيها موتاكم رواه احمد وغيره عن سمرة وفى رواية له عنه بلفظ عليكم بالبياض من الثياب فليلبسها احياؤكم وكفنوا فيها موتاكم فانها من خيار ثيابكم وفى رواية الدار قطنى فى الافراد عن انس خير ثيابكم البياض فالبسوها احياءكم وكفنوا فيها موتاكم (لا اكثرها قيمة) بل اوسطها المعبر جميع الباب (ويعزى المصاب) اى المبتلى بموت احد من الاقارب والاحباب (وهى) اى التعزية المعبر عنها بالتسلية (تسكين قلبه) اى قلب المصاب (بالموعظة) اى بما وقع من الكتاب (والاعلام بجزيل الثواب) حيث قال تعالى ❁ وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة وانما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ❁ وبان الجزع لاينفع ويفوت به الاجر ويقع فى مقام الحجاب ففى الترمذى وابن ماجة عن ابن مسعود مرفوعا من عزى مصابا فله مثل اجره وللترمذى عن ابى برزة ولفظه من عزى ثكلى كسى بردا يوم القيمة (مصافحا) اى لا بعانقا كما يفعله عامة اهل مكة (بالتواضع) اى باظهاره معه (واظهار الحزن) اشعارا بمشاركته له فيه (وقلة التكلم) اى بامور الدنيا (وترك التبسم) لانه دلالة على الغفلة عن احوال الحى (ويشهد له) اى للميت (بالخير) اى باعمال الخير ظاهرا (والايمان) اى باطنا تحسينا للظن بالمسلم (ويدعو له عند الذكر) اى عند ذكره (فورد لاتذكروا امواتكم الا بخير) ففى ابى داود وغيره عن ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم (ويشيع الجنازة) ففى الصحيحين عن ابى هريرة من شيع جنازة فله قيراط من الاجر فان وقف حتى يدفن فله قيراطان ولمسلم من حديث ثوبان القيراط مثل جبل احد ولما روى ابو هريرة الحديث وسمعه ابن عمر قال لقد فرطنا الى الآن فى قراريط كثيرة (خاشعا) اى حال كونه مقرونا بالخشوع والخضوع (متفكرا فى الموت) اى وفيما بعده وقبله من الفوت وكان مكحول الدمشقى اذا رأى جنازة قال اغد فانا رايحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لاعقل له وخرج مالك بن دينار خلف جنازة اخيه وهو يبكى ويقول والله لاتقر عينى حتى اعلم الى ماصرت ولا والله لااعلم مادمت حيا (والاستعداد له) اى للموت لحديث كفى بالموت واعظا الطبرانى عن عمار ولاحمد فى الزهد كفى بالموت مزهدا فى الدنيا ومرغبا فى الآخرة ولابن السنى عن انس كفى بالدهر واعظا وبالموت مفرقا (غير متكلم) اى من كثرة الحزن والملال واشتغال البال فى امر المآل قال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندرى لمن نعزى لحزن القوم كلهم واما كلام الغزالى وان يمشى امام الجنازة بقربها وملاحظة الميت فمذهب

للشافعي والمختار عندنا ان يمشي وراءها فان الجنازة متبوعة لاتابعة كما ورد وملاحظة الميت انما تتصور اذا كان وراءه مع مافيه من الاشارة الى انه من السابقين وانا من اللاحقين ولانه ربما احتيج الى مساعدة حمل الميت فهو حينئذ انسب واقرب (ويصلي عليه) اى صلوة الجنازة فهي فرض كفاية (ويقرأ الفاتحة عند رأسه) اى بعد دفنه (واول البقرة) اى الى المفلحون (عند رجليه ويدعو له) اى بالرحمة والمغفرة او بالتثبيت فى جواب الملكين (ويترك به) اى حيث انه خرج من الدنيا محل الفتنة والبلوى فقد نظر ابراهيم الزيات الى الناس ترحمون على ميت فقال لو ترحمون على انفسكم لكان اولى انه نجا من اهوال ثلثة وجه ملك الموت فرأى ومرارة الموت فذاق وخوف الخاتمة فدأمن (ويجتهد) اى المصاب (ان يكون عدد المصلين) اى على جنازة قريبه (اربعين) اى لا اقل من ذلك (فهو علامة قبول الشفاعة) اى لانه يبعد عن كرم الله ان يقبلها من هذه الجماعة ولعله رواية والافني ابن ماجة عن ابى هريرة من صلى عليه مائة من المسلمين غفر له (ولا يرجع) اى من عيره ضرورة (حتى يفرغ من الدفن) ليحوز بالقيراطين (ويقعد) اى لايقف (بعد وضع الجنازة) اى لاقبله واختلف ان المراد به وضعها عن الرقاب او كما قال المصنف (فى القبر مخالفة لاهل الكتاب) فى هذا الامر (ويتصدق الولى قبل مضى ليلة بشئ) اى من الصدقات والخيرات (ان تيسر) فان الميت حينئذ كالغريق المغوث يريد الخلاص والنجاة (والا) اى وان لم يتيسر التصدق الحسى فيتصدق بالمعنوى وهو ان (يصلى ركعتين بالفاتحة وآية الكرسى) اى لاجل حفظه من العذاب (والتكاثر) اى وسورة الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر للاعتبار والتذكر وترك المفاخر (فى عشر مرات (فى كل) اى من الركعتين (ويهبه الثواب) رجاء النجاة من العذاب (ويسلم) اى على صاحب القبر (ويقف مستدبر القبلة) اى ومستقبل الميت كما هو فى آداب السلام مع الانام ويجوز ان يجلس عنده حتى يستأنس به وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له فى ذلك فقال اجلس الى قوم يذكرونى معادى وان غبت عنهم لم يغتابونى (ويواظب) اى الولى (على الصدقة سبعة ايام ويزور القبر) اى قبر صاحبه او القبور (ناويا به الدعاء) لاهله والرقة والعبرة) لنفسه (فورد زوروا القبور فانها تذكر الآخرة) وفى رواية ابن ماجة عن ابى هريرة فانها تذكر الآخرة (وتدمع العين وترق القلب) وفى رواية الحاكم عن انس كنت نهيتكم عن زيارة القبور الافزوروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجرا وفى رواية مسعود فانها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة (من لم ينس) اى وورد ايضا من لم ينس (المقابر والبلى) اى التمتت فى عالم البلاء (حين قيل من ازهد الناس) ظرف لورد المقدر فتدبر وفى رواية البيهقى عن الضحاك مرسلا ازهد الناس من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر مايبقى على مايفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه فى الموتى وفى رواية الترمذى وغيره عن اسماء بنت عميس بئس العبد عبد تخيل واختال ونسى الكبير المتعال بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الاعلى بئس العبد عبد سها ولها ونسى المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وطغا ونسى المبتدى والمنتهى بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين اى يطلب بئس العبد عبد يختل الدين بالشبهات بئس العبد عبد طمع يقوده بئس العبد عبد هوى يضله بئس العبد عبد رغب يذله والحاصل ان المقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار بهذا البلاء

وللمزور الانتفاع بالدعاء وعن عمر ابن عبد العزيز انه دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورة الخليفة لكثرة الجهد والعبادة فقال عمر للفقيه لو رأيتني بعد ثلاثة ايام وقد ادخلت فى قبرى وقد خرجت الحد فدان فسالنا على الخدين وتقلبت الشفتان وخرج الصديد من الفم ونتن لبطن وعلا الصدر وانفتح القم وخرج الدود والصديد من المتأخر لرأيت اعجب مما تراه الآن (ويقرؤ القرآن ماتيسر) فى صحيح مسلم عن ابى امامة الباهلى اقرؤا القرآن فانه يأتى يوم القيمة شفيعا لاصحابه (ثم يسبح ويدعو) اى بالرحمة والمغفرة لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات فان الاذكار كلها نافعة له فى تلك الدار وعن حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يعتبر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان لنفسه وخانهم وقال سفيان من اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النيران (وورد قراءة يس فى المشاهير) اى فى الاحاديث المشهورة والروايات المأثورة فقد تقدم حديث اقرؤا على موتاكم يس وحمله الجمهور على ان المراد بالموتى المشرفون على الموت ولا يبعد حمله على حقيقته واما الجمع بين الحقيقة والمجاز فلا يجوز عندنا خلافا للشافعى (والاخلاص سبعا) اى سبع مرات (فوعد فيه مغفرة الميت والقارئ ان غفر الميت) اى ان كان الميت مغفورا ولم اجد له اصلا والمشهور انه يقرأ ثلاث مرات لانه بمنزلة ختم القرآن بجميع الآيات ففى مسند احمد وغيره عن ابى من قرأ قل هو الله احد فكأنما قرأ ثلث القرآن وفى رواية العقيلى عن رجاء الغنوى من قرأ قل هو الله احد ثلث مرات فكأنما قرأ القرآن اجمع وفى رواية لاحمد عن معاذ بن انس من قرأ قل هو الله احد عشر مرات بنى الله له قصرا فى الجنة (ويعين لها) اى لزيارة القبور (يوم الخميس والجمعة) فى رواية ابن عدى عن ابى بكر من زار قبر والديه او احدهما يوم الجمعة فقرأ عنده يس غفر له (والسبت) اى لقربه الى الجمعة (والاثنين) فانها ايام فواضل وللعبادة فيها زيارة فضائل (فالموتى يعلمون زوارهم فيها) اى زيادة علم بها (ولا يطأوه) اى لا يدوس القبر ولا يقعد عليه فللخطيب عن ابى هريرة لان اطأ على جمرة احب الى من ان اطأ على قبر (ولا يمس) اى القبر ولا التابوت ولا الجدر (فورد النهى) اى عن مثل ذلك بقبره عليه السلام فكيف بقبور سائر الانام (ولا يقبل) فانه زيادة على المس فهو اولى بالنهى فالتقبيل مختص بالحجر الاسود وبايدى الانبياء والعلماء والصلحاء (ويبر الوالدين) اى يحسن اليهما فان فيه خير لدارين قال تعالى * ووصينا الانسان بوالديه حسنا * وفى قراءة احسانا (فالعقوق) اى مخالفة احدهما على وجه لا يحتمل لهما (من الكبائر) رقلة الادب معهما من الصغائر وقد سئل عليه السلام عن الكبائر فقال سبع الاشراك بالله وعقوق والدين الحديث وقال عز وعلا * وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا * وللطبرانى فى الصغير من حديث ابى هريرة ان الجنة توجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام لا يجد ريحها عاق (لاسيما الام فوردبرها ضعفان على الوالد) اى على حقه كذا فى الاحياء وقال مخرجه غريب بهذا اللفظ وقد ورد فى معناه حديث بهز بن حكيم عن ابيه عن جده من ابر قال امك ثم امك ثم اباك ثم الاقرب فالاقرب ابو داود والترمذى والحاكم وصححه وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة قال رجل من احق الناس بحسن الصحبة قال امك ثم امك ثم اباك ولعله مقتبس من قوله تعالى * حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا * فان مشقة الحمل

والوضع والفطام من زيادة حق الوالدة مع مالها من كمال الشفقة والمرحمة هذا وللنسائى من حديث طارق المحاربى واحمد والحاكم من حديث ابى رمثة برامك وابالك واختك واخاك ثم ادناك فادناك (مقدما) حال من فاعل بر (على المندوبات لا الواجبات) اى الفرائض العينية من العبادات (فهو المراد بما ورد بر الوالدين افضل من الصلوة والصوم والحج والعمرة والجهاد اى اذا كانت هذه الطاعات نوافل ولا يبعد ان يراد به المبالغة او يراد به من حيث انه من حقوق العباد المستلزمة لحق الله سبحانه افضل من مجرد حقوق الله تعالى فان العفو فى ترك حقوق الرب اقرب ويؤيده مافى الاحياء من ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام يا موسى انه من بر والديه وعقنى كتبته بارا ومن برنى وعق والديه كتبته برنى عاقا واما حديث المتن فكذا فى الاحياء وقال مخرجه لم اجده هكذا وروى ابو يعلى والطبرانى فى الصغير والاوسط من حديث انس اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى اشتهى الجهاد ولا اقدر عليه قال اهل بقى من والديك احد قال امى فجاهد فى برها فاذا فعلت ذلك فانت حاج ومعتمر ومجاهد واسناده حسن (ويستأذن للدخول عليهما) اى ادبا معهما حال حياتهما (ويستغفر لهما) اى بعد مماتهما (وينفذ عهودهما ووصاياهما) بل يقضى حقوقهما ولو من غير عهدهما ويكرم اصدقاءهما فورد) اى فى صحيح مسلم من حديث ابن عمر (ان من ابر البر) اى من افضل الاحسان واكمل الامتنان بالنسبة الى الوالدين للانسان (ان يصل الرجل) اى الشخص (اهل ودابه بعد ان يولى الاب) اى فى غيبته سواء كان فى حال حياته اوموته وكذا حكم الوالدة بل هو الاولى كما لا يخفى فروى ابو داود ابن ماجة وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد عن مالك بن ربيعة قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال هل بقى على من بر والدى شئ ابرهما بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما (ويتصدق لهما) لحديث الطبرانى فى الاوسط ما على احد اذا اراد ان يتصدق بصدقة ان يجعلها لوالديه فيكون لوالديه اجرهما ويكون له مثل اجورهما من غير ان ينقص من اجورهما شئ (ويزورهما حيا وميتا) واقله فى كل جمعة اى بخصوصها وهو الافضل لتضاعف الحسنة فيه بسبعين مرة او فى كل اسبوع (غفر له وكتب برا) الحكيم الترمذى عن ابى هريرة (ويقطع لسان السفيه عنهما بماله فهو من البر) اى فى حقه وحقهما ففى رواية العسكرى والقضاعى عن جابر مرفوعا ماوقى به المرء عرضه فهو له صدقة (ويقدم حق المعلم) اى العلوم الشرعية (على حقهما) فان حقهما من الامور الفرعية (فهو) اى المعلم سبب (حيوة الروح) اى فى الابد وهما سبب ايجاد الجسد فى دار النكد والكبد (ولا يقرع باب داره) بل يقف كالعبد فى انتظاره فروى الشيخ فى قومه كالنبى فى امته (فورد) اى فى التنزيل (ولو انهم) اى المؤمنين الذين اتوا النبى صلى الله عليه وسلم (صبروا) اى من غير خطاب ولا دق باب (حتى تخرج اليهم) وقت ذهاب او اياب (لكان خيرا لهم) فى كثرة ثواب وحسن مآب (ويصل الرحم بما امكن من عطاء وزيارة ودعاء) وكذا مايعرض له من هناء وعزاء (فورد من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه) لم اجد اصله وفى الصحيحين من حديث عائشة عنه عليه السلام يقول الله تعالى انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته اى قطعته البتة وفيهما

من حديث انس من سره اى يتسأله فى اثره اى يؤخر فى اجله ويوسع له فى رزقه فليصل رحمه وزاد احمد والحاكم باسناد جيد من حديث على فليتق الله وليصل الرحم ولاحمد والطبرانى من حديث ذرة بنت ابى لهب باستاد حسن انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى الناس افضل قال اتقاهم لله واوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر وللطبرانى والبيهقى من حديث عبدالله بن عمرو ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافى ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها وهو عند البخارى دون قوله الرحم معلقة بالعرش فرواها مسلم من حديث عائشة ولاحمد من حديث معاذ وللطبرانى من حديث ابى امامة افضل الفضائل ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتصفح عن ظلمك وقالت اسماء بنت ابى بكر قدمت على امى قلت يارسول الله ان امى قدمت على امى مشركة افاصلها قال نعم صليها رواه الشيخان وفى رواية افاعطيها قال نعم صليها وهو مقتبس من قوله تعالى * وصاحبهما فى الدنيا معروفا * وللترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجة من حديث سلمان بن عامر الضبى الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم صدقة وصلة (بلوا) اى وورد بلوا وهو ضم الباء واللام المشددة اى جددوا وفى رواية (صلوا ارحامكم ولو بالسلام) اى مشافهة اومكاتبة والحديث رواه العسكرى من حديث انس مرفوعا (قيل يكره جوار القريب) اى مجاورته وكذا مسافرته (فهو يرفع الحرمة ويورث القطيعة) اى بسبب الملالة كما قيل فى كراهة مجاورة مكة والمدينة انها سبب قلة الحشمة والعظمة وعن عمر رضى الله عنه انه كتب الى عماله مروا الاقارب ان يتزاوروا ولايتجاوروا ونظيره انه كان يقول فى الحج ياهل اليمن يمنكم ويا اهل العراق عراقكم ويا اهل الشام شامكم (ويزوره غبا) اى ليزداد حبا (ويراعى حق الكبير من الاخ والاخت والعم والعمة والخال والخالة (كحق الابوين والصغير) اى منهم (كالولد) اى والمساوى كالاخ (ويشتريه) اى قريبه (مملوكا ليعتق) اى لاجل ان يعتقه اوليعتق عليه اذا كان من ذى رحم محرم منه كما هو مذهبنا (لاسيما الوالدين فهو قضاء حقهما) وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة لن يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه اى بان ينوى عتقه اويصير سببا لعتقه (ويبالغ فى استرضاء الجار) فقيل الجار ثم الدار واستنبط هذه النكتة من قول آسية امرأة فرعون * اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة * (فورد) اى فى الصحيحين عن عائشة وابن عمر (مازال جبريل يوصينى فى الجار) اى بالاحسان فى حقه بالماء وغيره (حتى ظننت انه) اى الجار (سيورثه) اى الجار الآخر وفيهما عن ابى شريح من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وللبخارى عنه لايؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه والبزار وابى الشيخ وابى نعيم عن جابر الجيران ثلاثة جار له حق وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذى له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجار وحق الاسلام وحق الرحم واما الذى له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام واما الذى له حق واحد فالجار المشرك اقول فلعل حقه اقوى من غيره لانه لايسامحه فى تقصيره وكان هذا هو الموجب فيما نقله ابن بجاه كنت عند عبدالله بن عمر وغلام له يسلخ راة فقال ياغلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار

حتى خشينا انه سيورثه رواه ابوداود والترمذى وقال حسن غريب ولاحمد والحاكم وصححه من حديث ابى هريرة انه قيل له عليه السلام ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها فقال هى فى النار وللخرائطى وابن عدى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده اتدرون ماحق الجار ان استعان بك اعنته وان استقرضك اقرضته وان افتقر عدت اليه وان مات شيعت جنازته وان اصابه مصيبة عزيته ولاتستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الاباذنه واذا اشتريت فاكهة له فان لم تفعل فادخله سرا ولايخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولاتؤذه بقتار قدرك الان تغرف له منها اتدرون ماحق الجار والذى نفسى بيده لايبلغ حق الجار الامن رحمه الله وقال ابوذر او خليلى عليه السلام وقال اذا طبخت فاكثر المرق ثم انظر اهل بيت من جيرانك فاعرف لهم منها رواه مسلم وعن ابى هريرة مرفوعا يانساء المسلمات لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة رواه البخارى وجملته ان يحب له مايحب لنفسه فقد حكى ان بعضهم شكا كثرة الفأر فى داره فقيل لو اقتنيت هرا قال اخشى ان يسمع الفأر صوت الهر فيهرب منه الى دار الجار فاكون قد احببت له مالااحب لنفسى (ويمن الدار) اى وورد بركته (سعته) اى وسعته بقدر كفاية (وحسن جواراهله) اى مجاورته والحديث اخرجه مسلم من حديث ابن عمر الشؤم فى الدار والمرأة والفرس قيل فيمن الدار سعته وحسن جواراهله وشؤمه ضيقه وسوء جواراهله وشؤم المرأة عقم رحمها وسوء خلقها ويمنها خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشؤمه صعوبته وسوء خلقه وللديلمى من رواية سالم بن عبدالله مرسلا اذا كان الفرس ضروبا فهو مشؤم واذا كانت المرأت قد عرفت زوجا قبل زوجها فحنت الى الزوج الاول فهى مشؤمة واذا كانت الدار بعيدة من المسجد لايسمع منها الاذان والاقامة فهى مشؤمة واسناده ضعيف ووصله صاحب الفردوس بذكر ابن عمر فيه وهو لاينافى ماورد من قوله تعالى ﴿ ونكتب ماقدموا وآثارهم ﴾ وقوله عليه السلام يابنى سلمة دياركم يكتب آثاركم انه محمول على ان الاجر على قدر المشقة فهى بهذا الاعتبار مباركة ومقبولة (وورد فى حده اربعون دارا) فعن الزهرى مرسلا ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فامر عليه السلام ان ينادى على باب المسجد الاان اربعين دارا جار ابوداود فى مراسيله قال الزهرى اربعون هكذا واربعون هكذا واربعون بكذا واربعون واومأ الى اربع جهات ووصله الطبرانى رواية الزهرى عن ابن كعب بن مالك عن ابيه ورواه ابويعلى من حديث ابى هريرة وقال اربعون ذراعا وكلاهما ضعيف (وروى اربعون فى كل جهة) وهذا قد علم مما تقدم فكانه يشير الى ماقيل من ان المراد باربعين فى مجموع الجهات بان يكون عشرة فى كل جهة وعن عائشة قلت يارسول الله ان لى جارين احدهما مقبل ببابه والآخر ناء ببابه عنى وربما كان الذى عندى لايسعهما فايهما اعظم حقا قال المقبل عليك ببابه رواه البخارى ففيه تنبيه الى مراعاة الاقرب كما يشير اليه قوله تعالى * والجار ذى القربى والجار الجنب * وعن ابن مسعود قال رجل يارسول الله كيف لى ان اعلم اذا احسنت او اسأت قال اذا سمعت جيرانك يقولون قد احسنت فقد احسنت واذا سمعت جيرانك يقولون اسأت فقد اسأت احمد والطبرانى باسناد جيد ولاحمد وغيره عنه عليه السلام من اراد به خيرا عسله قيل وماعسله قال يحببه الى جيرانه وفى رواية البيهقى يفتح له

عملا صالحا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله واسناده جيد (ويحترز عن النظر الى بيته) بان لايطلع من السطح وغيره على عوراته وان اطلع من غير قصد فيصفح عن زلاته (واجراء الميزاب اليه) بان يكون ضررا الانصباب عليه (ووضع السارية) اى الاسطوانة (على حائطه) اى جداره فى الصحيحين عن ابى هريرة لايمنعن احدكم جاره ان يغرز خشبة فى جداره وفى مكارم الاخلاق للخرائطى عن ابى هريرة قضى عليه السلام ان الجار يضع جذعه فى حائط جاره شاء ام ابى واسناده جيد (والمضايقة فى القاء التراب) اى ونحوه من الرماد وغيره (بين يدى داره ولايمنع عنه الريح برفع البناء) وكذا الضوء بسد الهواء (ولا نحو الملح والماء والنار) فان منعها مطلقا من العار فكيف عن الجار (و يرسل اليه ثمرة) اى فاكهة (يشتريها او يخفيها) بان لايديها لانه اذا رآها ربما يشتهيها ولم يكن قادرا على ان يشتريها (ولا يلغد) اى لايوصله (ريح القدر) اى غليانه ودخانه (الا ان يرسل اليه) والا فيقال فى حقه احسانه مايأتينا دخانه يعمينا (ويسامح ماامكن) اى من تقصيراته لانه ليس حق الجار مجرد كف الاذى بل احتمال الاذى ولايكفى احتمال الاذى بل لابد من الرفق وبذل الندى (و يحسن المعاشرة مع المرأة) فيحسن الخلق معهن ويحتمل الاذى عنهن ترحما عليهن لقصور عقلهن (فورد) اى فى القرآن (وعاشروهن بالمعروف) تمامه * فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا و يجعل الله فيه خيرا كثيرا * وفى آية اخرى * فامساك بمعروف اوتسريح باحسان * وفى اخرى * ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف * وعن ابن عباس انى احب ان اتزين لامرأتى كما تحب امرأتى ان تتزين لى لهذه الآية (من صبر) اى ورد من صبر (على سوء خلق امرأته اعطاه الله من الاجر مثل مااعطى ايوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها اعطاها الله ثواب آسية) امرأة فرعون كذا فى الاحياء وقال مخرجه لم اجد له اصلا قلت ومما يدل على عدم ثبوته قد الملائمة بين الفقرتين فان امرأة ايوب كانت من الصلحاء والصابرات على المشقات فحسن المقابلة ان يقال مثل مااعطى نوح اولوط على بلائه اى ابتلائه بامرأته فيكون مشيرا الى قوله تعالى * ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما * اى بالكفر لان حرم الانبياء مصونات عن الزنا الى ان قال * وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون * الآية وقد ورد عنه عليه السلام اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله الترمذى والنسائى والحاكم وصححه والترمذى من حديث عائشة وصححه خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلى ثم ليس حسن الخلق معها مجرد كف الاذى عنها بل تحمل الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها وقلة ادبها اقتداء به عليه السلام فان ازواجه كن يراجعنه فى الكلام وتهجره الواحدة منهن الى الليل كما فى الصحيحين من حديث عمر فى الحديث الطويل فى قوله * وان تظاهرا عليه * اى عائشة وحفصة وفى رواية ابى يعلى فى مسنده وابى الشيخ فى كتاب الامثال وفيه ابن اسحق وقد عنعنه قالت عائشة له مرة فى كلام غضبت عنده انت الذى تزعم انك نبى الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما اقول وهذا لعله عليه السلام بانها ماخرجت بهذا الكلام من الاسلام لما اطلعه الله سبحانه من علم الغيب فى الاحكام والا فظاهره ردة لو صدر مثله من غيرها لحكم بكفرها وكان عليه السلام يقول لها انى لاعرف

غضبك على من رضاك قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لا والله محمد واذا غضبت قلت لا والله ابراهيم قالت صدقت انما اهجر اسمك وراجعت امرأة عمر فى الكلام فقال اوتر اجعبنى فقلت ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه فقال عمر خابت حفصة وخسرت اى ان راجعته ثم قال لحفصة لاتغترى يابنت ابى قحافة بانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى انه وقعت احديهن فى صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها امها فقال عليه السلام دعيها فانهن يصنعن اكثر من ذلك (وينبسط لعبا ومزاحا) فانه يوجب اصلاحا و يفيد فلاحا (فورد) اى خطابا لجابر (هلا بكرا) اى اخذتها (تلاعبها وتلاعبك) وفى نسخة تداعبها وتداعبك وكان عليه السلام يمزح معهن وينزل الى درجة عقولهن حتى روى انه كان يسابق عائشة فى العدو فسبقته يوما وسبقها فى بعض الايام فقال عليه السلام هذه بتلك ابوداود والنسائى فى الكبرى وابن ماجة من حديث عائشة بسند صحيح وقالت عائشة سمعت اصوات الناس من الحبشة وغيرهم يلعبون فى يوم عيد فقال لى اتحبين ان ترى لعبهم قالت قلت نعم فارسل اليهم فجاؤا وقام عليه السلام بين البابين فوضع كفه على الباب ومديده وجعلت ذقنى على يده وجعلوا يلعبون وانظر و جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك ياحميراء واقول لاتعجل مرتين والحديث رواه الشيخان والنسائى مع اختلاف فى بعض الالفاظ وقال عمر رضى الله عنه مع خشونته ينبغى للرجل ان يكون فى اهله كالصبى فاذا التمس ماعنده وجد رجلا وكذا روى عن لقمان ووصفت اعرابية زوجها وقدمات فقالت كان ضحوكا اذا ولج سكوتا اذا خرج آكلا ماوجد غير سائل عما فقد (ولايدع الانقباض) اى بالمرة حتى لايصير محكوما للمرأة واسيرا لها فى الحرمة فكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار ازواجهن وتقول لبنتها اختبرى زوجك قبل الاقدام والجراءة عليه انزعى زج رمحه فان سكت فقطعى اللحم على ترسه فان سكت فكسرى العظام بسيفه فان صبر فاجعلى الاكاف على ظهره فانما هو حمار لك فى امره طول عمره هذا وفى البخارى عن ابى بكرة لايفلح قوم تملكتهم امرأة وروى ان اسماء بنت خارجة الفزارى قال لابنته عند زفافها انك خرجت من العش الذى فيه درجت وصرت الى فراش لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له ارضا يكن لك سماء وكونى له مهادا يكن لك عمادا وكونى له امة يكن لك عبدا لاتلحق به فيقلاك ولاتباعدى عنه فينساك ان دنا فاقربى منه وان نأى فابعدى عنه واحفظى انفه وسمعه وعينه لايشم منك الاطيبا ولايسمع منك الاحسنا ولاينظر منك الا جميلا وقال رجل لزوجته

(شعر)

* خذى العفو منى تستديمى مودتى * ولاتنطقى فى سورتى حين اغضب *
* ولا تنقرينى نقرة الدف مرة * فانك لاتدرين كيف المغيب *
* لانى رأيت الحب فى القلب والاذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب *

(فورد) اى كاسبق (وخالفوهن) اى فى المشورة واصل الحديث شاوروهن وخالفوهن (فالبركة فى خلافهن) اى لقلة عقلهن ونقصان دينهن وهو من تمة كلام عمر رضى الله عنه خالفوا النساء فان فى خلافهن البركة وقال الحسن والله ماصبح رجل يطيع امرأته بما تهوى

الا اكبه الله فى النار واما ما اورده الغزالى من حديث تعس عبد الزوجة فلا اصل له وانما ثبت فى صحيح البخارى من حديث ابى هريرة تعس عبد الدنيا تعس عبد الدرهم والله سبحانه اعلم (يغار بمبادى الامور) لئلا تتأدى الى مناهى الشرور (ولها غوائل) جملة حالية اى والحال ان للمرأة مناكرور ذائل فانهن كما ورد للشيطان حبائل فالغيرة بعد ظهور الريبة من اخلاق الرجال وارباب الفضائل واصحاب الفواضل من باب التخلق باخلاق الله (وورد ان الله تعالى يغار والمؤمن) اى الكامل (يغار) اى على امرأته وجاريته وقرابته وهذا ظاهر (وغيرة الله ان يأتى المؤمن ما حرم الله عليه) اى من الزنى وغيره والحديث متفق عليه من حديث ابى هريرة الا ان البخارى لم يقل والمؤمن يغار والحاصل ان الغيرة كراهة الرجل اشتراك غيره فيما هو من حقه وغيرة الله ان يكون مخالفة امره (ولا يفرط) اى لا يبالغ فى الغيرة لئلا يقع فى محظور (فورد) اى فى رواية ابى داود والنسائى وابن حبان من حديث جابر بن عتيك (من الغيرة غيرة يبغضها الله وهى غيرة الرجل) اى على اهله (من غير ريبة) اى شك وشبهة وفى رواية ان من الغيرة ما يحبه الله تعالى ومنها ما يبغضه الله الحديث وجاء فى الحديث عنه عليه السلام انى لغيور ومامن امرئ لا يغار الا منكوس القلب وقد قال على رضى الله عنه لا تكثر الغيرة على اهلك فترمى بالسوء من اجلك وقد ورد نهيه عليه السلام من تتبع عثرات النساء الطبرانى ولان الغيرة من غير الريبة من سوء الظن الذى نهينا عنه فان بعض الظن اثم ثم اعلم ان مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب الاعصم من مائة غراب كما رواه الطبرانى من حديث ابى امامة بسند ضعيف والاعصم الابيض البطن ولاحمد من حديث عمرو بن العاص كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نمر الظهران فاذا بغربان كثيرة فيها غراب اعصم احمر المنقار فقال لا يدخل الجنة من النساء الامثل هذا الغراب فى هذه الغربان واسناده صحيح وهو فى السنن الكبرى والنسائى وورد استعيذوا من الفواقر الثلاث جار ان رأى حسنة دفنها وان رأى سيئة اذاعها وامام ان احسنت لم يرض عنك وان اسأت غضب منك وامرأة ان دخلت عليها لسنتك وان غبت عنها خانتك الديلمى عن ابى هريرة بسند ضعيف وجاء بلفظ آخر رواه الطبرانى من حديث فضالة بن عبيد ثلاث من الفواقر فذكر منها وامرأة ان حضرتك اذتك وان غبت عنها خانتك وسنده حسن (ويمنع) اى المرأة الشابة (عن الحضور فى المسجد) وجوز بعض فقهائنا حضور العجوز من غير زينة فى الصبح والعشاء حال الظلمة والمتأخرون اطلقوا منعهن لفساد الزمان خصوصا فى حق النسوان وفى الاحياء كان عليه السلام قد اذن للنساء فى حضور المساجد وهو متفق عليه من حديث ابن عمر ائذنوا للنساء بالليل الى المساجد والصواب الآن المنع فالمنع حسن الا للعجائز بل استصوب ذلك فى زمن الصحابة حتى قالت عائشة رضى الله عنها لو علم النبى صلى الله عليه وسلم ما احدث الناس بعده لمنعهن الخروج متفق عليه ولما قال ابن عمر كما فى الصحيحين قال عليه السلام لا تمنعوا اماء الله مساجد الله قال بعض بنيه وهو بلال وقيل سالم بلى والله لنمنعهن فضربه وغضب عليه وهجره وقال تسمعنى اقول قال عليه السلام لا تمنعوا فتقول بلى وانما استجرأ على المخالفة لعلمه بتغير الزمان وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر قال والخروج الآن ايضا مباح للمرأة العفيفة برضاء زوجها ولكن القعود اسلم

والله اعلم فاذا خرجت فينبغي ان تغض بصرها عن الرجال ولسنا نقول ان وجه الرجل في حقها عورة كوجهها في حقه بل هو كوجه الصبي الامرد في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فان لم تكن فتنة فلا اذ لم يزل الرجال على مر الزمان مكشفي الوجوه والنساء يخرجن متنقبات ولو كانت وجوه الرجال عورة في حق النساء لامروا بالتنقب او منعوا من الخروج الا للضرورة انتهى وقد بالغ النووي وحرم النظر الى الامرد الحسن الوجه ولو بغير شهوة (ويعتدل في النفقة) في الخبر الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة الطبراني والبيهقي عن ابن عمر فورد اي في القرآن (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) وهي كناية عن البخل (الآية) اي * ولا تبسطها كل البسط * وهي كناية عن الاسراف والتبذير * فتقعد ملوما محسورا * وقال عز وعلا في نعت عباد الرحمن * والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما * وقيل كان لعلي اربع نسوة يشتري لكل واحدة منهن في كل اربعة ايام لحما بدرهم وقال ابن سيرين يستحب للرجل ان يعمل لاهله في كل جمعة فالوذجة فان الحلاوة وان لم تكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتيرا عتبار العادات (ولا يختص) اي الرجل (باجود الطعام) اي لا ينبغي له ان يستأثر عن اهله بمأكول طيب فلا يطعمهم منه فان ذلك مما يوغر الصدر ويوجب الضجر الا اذا ارضى اهله وطاب عندهم عمله والا فليأكله في خفية بحيث لا يطلع عليه غيره ولا ينبغي ان يطعمهم اياه (ويشتركان) اي هو والعيال (فيه) اي في الاكل على مائدته (فورد فيه فضل كثير) ومنه ما تقدم من ان خير الطعام ما كثرت عليه الايدي وقال سفيان بلغنا ان الله وملائكته يصلون على اهل بيت يأكلون في جماعة (ويعلم) اي المرأة (ما يجب عليها) من علم الحيض واحكامه واحكام الصلوة وما يقضى منها في الحيض وما لا يقضى فانه امر مان يقيها النار لقوله تعالى * قوا انفسكم واهليكم نارا * فعليه ان يلقنها اعتقاد اهل السنة ويزيل عن قبلها البدعة ويخوفها بالله اذا تساهلت في امر دينها وفي الاحياء متى انقطع دمها قبل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر واذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء انتهى وهذا مذهب الشافعي واما عندنا فلا يجب عليها الا قضاء العصر والعشاء ثم ان قصر عن ذلك علم الرجل تاب عنها بالسؤال عن اهل العلم والجواب لها والا فيجب عليها الخروج ويعصي الرجل بمنعها في تلك الحال (ويعدل بين النساء في البيتوتة) اي في مبيت الليل عندهن (والاعطاء) اي من نفقتهن وكسوتهن فلا يميل الى بعضها دون غيرهن حتى لو خرج الى سفر واراد استصحاب واحدة منهن اقرع بينهن كذلك كان يفعله عليه السلام كما في الصحيحين عن عائشة وذلك لقوله تعالى * ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء * اي كمال العدل * ولو حرصتم * اي من طريق الفضل * فلا تميلوا كل الميل * اي الى واحدة عن اخرى * فتذروها كالمعلقة * بين المزوجة والمطلقة (فورد في المائل) اي في القسم جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل) اصحاب السنن وابن حبان من حديث ابي هريرة مرفوعا من كان له امرأتان فمال الى احديهما دون الاخرى وفي رواية مال مع احديهما وفي اخرى فلم يعدل بينهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل اي ساقط (بخلاف المباشرة) استثناء معنوي من البيتوتة ولا عطاء اي لكن المجامعة بل الملامسة والملاعبة (والمحبة) اي التي ينفرع عليها غالب اسباب الملايمة (فلا اختيار فيهما) اي طبعا فلا حرج في عدم العدل فيهما شرعا (وورد) اي عنه

عليه السلام انه كان يعدل بينهن ويقول (اللهم وهذا) اى الذى فعلته من القسم (جهدى) بالضم الطاقة وبالفتح المشقة اى غاية اجتهادى (فيما املك) اى من العدل بينهن (ولا طاقة لى فيما لا املك) اى من زيادة المحبة والمجامعة الى بعضهن (بعد القسم) ظرف لورد اى قال هذا الكلام بعد القسم والحديث رواه اصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة انه عليه السلام كان يعدل بينهن ويقول اللهم هذا جهدى فيما املك ولا طاقة لى فيما تملك ولا املك ولابن سعد فى الطبقات من رواية محمد بن على بن الحسين ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يحمل فى ثوب ويطاف به على نسائه وهو مريض يقسم بينهن وفى مرسل آخر له ما نقل عليه السلام قال اين انا غدا قالوا عند فلانة قال فاين انا بعد غد قالوا عند فلانة فعرف ازواجه انه يريد عائشة الحديث وللبخارى من حديث عائشة كان يسأل فى مرضه الذى مات فيه اين انا غدا اين انا غدا يريد يوم عائشة فاذن له ازواجه ان يكون حيث شاء وفى الصحيحين لما ثقل استأذن ازواجه ان يمرض فى بيتى فاذن له هذا وقال تعالى ۞ وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير ۞ ولابى داود من حديث عائشة قالت سودة وهى بنت زمعة حين اسنت وفرقت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله يومى لعائشة الحديث وللطبرانى فاراد ان يفارقها وهو عند البخارى بلفظ لما ان كبرت سودة وهبت يومها لعائشة فكان يقسم لها يوم سودة وللبيهقى مرسلا طلق سودة فقالت ازيدان احشر فى ازواجك الحديث ثم انه عليه السلام بحسن عدله وقوة فضله كان اذا تاقت نفسه الى واحدة من نسائه فى غير يومها جامعها ثم طاف من يومه ذلك او ليلته على سائر نسائه فمن ذلك فى ما للصحيحين عن عائشة طاف على نسائه فى ليلة واحدة وللبخارى كان يطوف على نسائه فى ليلة واحدة له تسع نسوة ولابن عدى فى الكامل عن انس انه عليه السلام طاف على تسع نسوة فى ضحوة نهار قيل وهذا من خصوصياته عليه السلام (لو وقع الخصومة) اى المخالفة (من الجانبين) اى جانبى الزوجين (او جانبه) اى الرجل وحده (ولا تلتئم) اى خصومتهما ولا يجتمع امرهما (فلابد من حكمين من اهله واهلها فورد) فى القرآن (ان يريدا) صدر الآية وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا (اصلاحا يوفق الله بينهما) وضمير يريدا الى الزوجين كضمير بينهما او الاول الى الحكمين والثانى الى الزوجين ويؤيده ان عمر رضى الله عنه بعث حكمان الى زوجين فعادا ولم يصلحا امرهما فعلاهما بالدرة وقال ان الله يقول ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فعادا واحسنا النية وتلطفا فى القضية فانصلح ما بينهما وقد جرى بينه عليه السلام وبين عائشة نوع من الكلام حتى ادخلا بينهما ابا بكر حكما فاستشهده فقال لها عليه السلام تكلمين او تكلم فقالت تكلم انت ولا تقول الا حقا فلطمها ابو بكر حتى دمى فمها فقال يا عدية نفسها او يقول غير الحق فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له عليه السلام لم ندعك لهذا ولم نرد هذا منك (وان كان) اى النشوز (من جانبها) اى المرأة فقط فقد قال تعالى ۞ وللرجال عليهن درجة ۞ وقال ۞ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن

فان اطعنكم فلاتبغوا عليهن سبيلا ۞ وهذا معنى قوله (يعظ الزوج) اى ينصحها ويلاطف معها اولا لقوله تعالى * ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (ثم يخوف) يحذر المرأة من الضرب ونحوه (ثم يستدبر فى الفراش) بان يوليها ظهره فى المضجع (ثم يعزلها) اى ينفرد بفراشه عنها (دون البيت) اى من غير ان يخرج هوا وهى من البيت (ثم يهاجر) اى يهجرها وهو مع ذلك فى البيت معها (ثلاثة ايام) اى من ليلة الى ثلاث ليال (وجاء) اى ورد انه جاز ان يهجرها (عشرة او عشرين او شهرا ان كان للدين) كترك صلاة وغسل جنابة واباء عن فراش ونحوها فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رسل بهدية الى زينب فردتها عليه فقال له التى هو فى بيتها لقد اتأتك اذردت عليك هديتك اى اذلتك واستصغرتك فقال عليه السلام انتن اهون على الله ان تعصينني ثم غضب عليهن كلهن شهرا الى عاد اليهن كذا فى الاحياء وذكره ابن الجوزى بغير اسناد فى الوفاء وفى الصحيحين من حديث عمر كان اقسم ان لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن وفى رواية الى منهن شهرا ولمسلم من حديث جابر ثم اعتزلهن شهرا (ثم يضرب) اى المرأة ضربا (غير جارح ولا كاسر) لعظم (ولا ملطخ بدم) ولا على وجه ايضا (فورد فيه) اى فى بيان هذا الحكم من امره ونهيه عنه عليه السلام وقد قيل له ماحق المرأة على الرجل فقال (يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب الا ضربا غير مبرح) اى غير مؤلم ولا يهجر الا فى البيت ابو داود والنسائى فى الكبرى وابن ماجة من رواية معاوية بن حيدة بسند جيد وقال ولا يضرب الوجه ولا يقبح اى لا يقول قبحك الله او قبح الله وجهك وفى رواية لابى داود ولا يقبح الوجه ولا يضرب (ولا يطلق) اى من غير احتياج الى اختيار الفراق (فورد ابغض المباحات عند الله الطلاق) رواه ابو داود وابن ماجة والحاكم فى مستدركه عن ابن عمر ولفظه ابغض الحلال الى الله الطلاق وفى رواية للحاكم ما احل الله شيئا ابغض اليه من الطلاق وعند الديلمى من حديث معاذ بن جبل ان الله يبغض الطلاق ويحب العتاق وفى رواية ما احل الله حلالا احب اليه من النكاح ولا احل حلالا اكره اليه من الطلاق قد يقال المباح ما استوى فعله وتركه ولا يتصور ان يكون احد طرفيه مبغوضا فلابد من التجوز فى المباح بارادة مايشمل المكروه ففى الكافى ان الطلاق محظور فى اصل مباح نظرا الى الحاجة فاطلاق المباح نظرا الى الحاجة والوصف بالمبغوضية نظر الى اصله انتهى وحاصله انه عند الحاجة مباح وعند غيرها مكروه ونظيره السؤال عن الناس فانه محرم باصله ويباح عند الضرورة الى فرعه (ولانه) اى الطلاق (ايذاء) اى فى مقام الافتراق ولا يباح ايذاء الغير (الا لضرورة منه) اى من جانبه (او جناية منها) اى من جانبها بان كانت تؤذى زوجها او اهله او تكون سيئة فى خلقها او فاسدة فى دينها والا فقد قال تعالى * فان اطعنكم ولا تبغوا عليهن سبيلا * (او امر الاب) اى او لاجل امر اب الزوج (به) اى بطلاقها (ان صح الغرض) اى غرض الاب ولا يكون عن حظ النفس او الغضب (وهو مأثور) اى مروى عن ابن عمر انه قال كان تحتى امرأة احبها وكان ابى يكرهها ويأمرنى بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق امرأتك اصحاب السنن قال الترمذى حسن صحيح (وورد فلا جناح عليهما الآية) وتمامها فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به * والمعنى اذا كان الاذى من الزوج

فلها ان تفتدى ببذل مال ويكره للرجل ان يأخذ منها اكثر مما اعطاها فان ذلك اجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على بضعها فاللائق بالفداء رد ما اخذته من العطاء (فيطلق) اى حينئذ (فى طهر خال عن الجماع) فان الطلاق فى الحيض والطهر الذى جامعها فيه بدعى حرام وان كان واقعا لما فيه من تطويل العدة وتحصيل المضرة فان فعل ذلك فليراجعها فقد طلق ابن عمر امرأته فى الحيض فقال عليه السلام لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء طلقها وان شاء امسكها فتلك العدة التى امر الله ان تطلق لها النساء وانما امره بالصبر بعد الرجعة من طهرين لئلا يكون قصود الرجعة الطلاق فقد كذا فى الاحياء وهو موافق المذهب الشافعى ان الخلع فسخ او طلاق رجعى واما على مذهبنا انه طلاق بائن فلا يمكن ان يراجعها اذا كان الطلاق رجعيا واما حديث ابن عمر فمحمول على الطلاق الرجعى (واحدة فقط) اى يقتصر على طلقة واحدة ولا يجمع بين الثلاث فانه طلاق بدعى ايضا وهو حرام عندنا ومكروه عند الشافعى ولان الطلقة الواحدة تفيد المقصود من المفارقة ويستفيد بها الرجعة ان ندم فى العدة وتجديد النكاح ان اراد بعد العدة واذا طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج فى ان يتزوجها الى محلل والى الصبر مدة وعقد المحلل منهى عنه مكروه فيه ويكون هو الساعى له ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير ومطلقته اعنى زوجة المحلل بعد ان زوجت منه فيورث كل ذلك تنفيرا فى الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع بين الطلقات الثلاث (بلا تعنيف واستخفاف اى ينبغى ان يتلطف فى التعلل لتطليقها ولا يستعجل فى امر تفريقها (و يسر بهدية) اى ويحق بارسال هدية على سبيل المتعة فى القضية (جبرا لمصيبة) اى لما اصابها من البلية وقد قال تعالى * ومتعوهن بالمعروف * وذلك واجب فى بعض الصور ومستحبة فى بعضها وفى الكتب الفقهية يذكر تفصيلها وكان الحسن بن على رضى الله عنهما مطلاقا منكاحا قائلا انى وجدت الغنى فيهما حيث قال سبحانه * ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله * وقال ﷺ وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته * وقد وجد ذات يوم بعض اصحابه بطلاق امرأتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا وادفع الى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع اليه قال ماذا فعلتما فقال اما احديهما فسكتت ونكست رأسها واما الاخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول * متاع قليل من حبيب مفارق * فاطرق الحسن ورحمها وقال لو كنت مراجعا امرأة بعدما افارقها لراجعتها ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقيد المدينة ورئيسها ولم يكن له فى المدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة رضى الله عنها حيث قالت لولم اسر مسيرى ذلك لكان احب الى من ان يكون لى ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث فدخل الحسن فى بيته فعظمه عبد الرحمن واجلسه واكرمه فقال الا ارسلت الى فكنت آتيك فقال الحاجة لنا فقال وما هى قال جئتك خاطبا ابنتك فاطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه فقال والله ما على وجه الارض احد يمشى عليها اعز على منك ولكن تعلم ان ابنتى بضعة منى وانت مطلاق فاخاف ان تطلقها وان فعلت خشيت ان يتغير قلبى فى محبتك واكره ان يتغير قلبى عليك لانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت ان لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام فخرج فقال بعض اهل بيته سمعته وهو يمشى ويقول ما اراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا فى

عنق وكان على رضى الله عنه يضجر من كثرة تطليقه وكان يعتذر منه على المنبر الى ان قال فى خطبته ان حسنا مطلاق فلاتنكحوه فقام رجل من همدان فقال والله يا امير المؤمنين لننكحنه ماشاء فان احب امسك وان احب ترك فسر ذلك عليا فقال لوكنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام (ولاتطلبه) اى الطلاق (المرأة) اى من غير الضرورة فيه الوعيد) اى التهديد الشديد فلابى داود والترمذى وحسنه وابن ماجة وابن حبان من حديث ثوبان ايما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير بأس لم ترح رائحة الجنة وفى لفظ فالجنة عليها حرام ومما ينبغى للزوج ان لايفشى سرها عند النكاح ولاعند الطلاق فقد ورد فى افشاء سر النساء فى الخبر الصحيح وعيد عظيم كذا فى الاحياء وفى صحيح مسلم من حديث ابى سعيد قال عليه السلام ان اعظم الامانة عند الله يوم القيمة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم ينشى سرها يعنى او تفشى سره فان المجالس بالامانة كما ورد وروى ان بعض الصالحين اراد طلاق امرأته فقيل له ما الذى يريبك منها فقال العاقل لايهتك ستر امرأته فلما طلقها قيل له لم طلقتها قال مالى وامرأة غيرى وهذا بيان ماعلى الزوج واما حق الزوج على المرأة فكما بينه بقوله (وتطيع الزوج) اى مطلقا فى كل ماطلب منها فى نفسها مما لامعصية فيه (فورد ايما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة) الترمذى وابن ماجة من حديث ام سلمة وقال الترمذى حسن غريب (ولاتمنع نفسها) اى عنه ولوكانت على تنور او قتب مستور فلابن بن حبان من حديث ابى هريرة اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها واطاعت زوجها دخلت جنة ربها وفى الصحيحين من حديث ابن عباس اطلعت فى النار فاذا اكثر اهلها النساء فقلن لم يارسول الله قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير يعنى الزوج المعاشر ولاحمد من حديث ابى امامة اطلعت فى الجنة فاذا اقل اهلها النساء فقلت اين النساء قال شغلهن الاحمران الذهب والحرير ولابى نعيم ويل للنساء من الاحمرين الذهب والزعفران يعنى الحلى وسائر الاسباب ومصبغات الثياب (وتتقى) اى نفسها وتزينها (لتمتعه) اى لانتفاعه بها مستعدة فى الاحوال كلها فعن الاصمعى رأيت فى البادية امرأة عليها قميص احمر وهى مختضبة ويدها سبحة فقلت مابعد هذا من هذا فقالت

(شعر) طويل

* ولله منى جانب لا اضيعه * ولله هو منى والبطالة جانب *

قال فعلمت انها امرأة صالحة لها زوج تتزين له (وتستأذنه فى الاعطاء من البيت) اى من متاعه بل ومن متاعها عند بعض العلماء وفى الاحياء عنه عليه السلام لايحل لها ان تطعم الا الرطب الذى يخلق فساده ولابى داود من حديث سعد قالت امرأة يارسول الله انا كل على آبائنا وابنائنا وازواجنا فما يحل لنا من اموالهم قال الرطب تأكلنه وتهدينه وصحح الدار قطنى فى العلل ان سعدا هذا رجل من الانصار ليس ابن ابى وقاص وذكر البزار فى مسنده انه ابن ابى وقاص واختاره ابن القطان ولمسلم من حديث عائشة اذا انفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها اجرها بما انفقت ولزوجها اجره بما كسب (والخروج عنه) اى وفى خروجها عن البيت ولو الى المساجد ونحوها (وصوم النفل) اى اذا كان عندها فللبيهقى عن ابن عمر اتت مرأة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انى امرأة ايم واريد ان اتزوج فما حق الزوج

على المرأة قال من حق الزوج على المرأة اذا رادها على نفسها وهى على ظهر بعير ان لا تمنعه ومن حقه ان لا تعطى شيئا من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان عليها الوزر وله الاجر ومن حقه ان لا تصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يقبل منها ومن حقه ان لا تخرج من بيتها بغير اذنه فان فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيتها او تتوب ولها كم وصححه عن ابى هريرة اتت فتاة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يانبى الله انى امرأة فتاة اخطب وانا اكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال لو كان من قرنه الى قدمه صديد فلحسته ما ادت شكره قالت فلا اتزوج اذا والترمذى وابن حبان من حديث ابى هريرة لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها (ولا تعيبه بالقبح) اى لا فى صورته ولا فى سيرته ولا تؤذيه فى سره وعلانيته فللترمذى وابن ماجة عن معاذ ابن جبل لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك رحيل يوشك ان يفارقك الينا ولا تتفاخر على الزوج بمالها وجاها فقد روى الاصمعى قال دخلت البادية فاذا انا بامرأة من احسن الناس تحت رجل من اقبح الناس فقلت لها ياهذه ارضين لنفسك ان تكونى تحت مثله فقالت ياهذا اسكت فقد اسأت فى قولك لعله احسن فيما بينه وبين خالقه فجعلنى ثوابه اولعلى اسأت فيما بينى وبين خالقى فجعله عقوبتى افلا ارضى بما رضى الله لى فاسكتنى وفى رواية له رأيت فى البادية اعرابية من احسن الناس ورأيت زوجها من اقبح الناس وهى تقول لزوجها بشرى لك فانت وانا فى الجنة فقال ما علمك بذلك فقالت ابتليت انا بقبحك فصبرت وموضع الصابرين فى الجنة وابتليت انت بحسنى فشكرت وموضع الشاكرين فى الجنة (وتقدم حقه) اى حق الزوج (على الاقارب) حتى على الوالدين فللطبرانى فى الاوسط عن انس كان رجل خرج الى سفر وعهد الى امرأته ان لا تنزل من العلو الى السفل وكان ابوها فى السفل فمرض فارسلت المرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن فى النزول الى ابيها فقال عليه السلام اطيعى زوجك فمات ابوها فاستأذنته فقال اطيعى زوجك فدفن ابوها فارسل عليه السلام يخبرها ان الله غفر لابيها بطاعتها لزوجها (ولا تبسط) اى بالكلام والسلام (مع حبيبه) اى صديق زوجها لاسيما فى حال غيبته عن بلدها (وتقبض فى غيبته بترك الملاعبة) فى حال المصاحبة (والالتذاذ) بانواع من الطعام واصناف من الزينة فى ذلك المقام لان الوقت يقتضى الحزن والاهتمام (وتقوم بامور البيت) اى بكل خدمة فى الدار تقدر عليها من غير نظر الى عار اهل الديار فقد روى عن اسما بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنهما انها قالت تزوجنى الزبير وماله فى الارض من مال ولا مملوك ولا شئ غير فرسه وناضحه فكنت اعلف فرسه واكفيه مؤنته واسوسه وادق النوى لناضحه واعلفه واستقى الماء واخرز قربه واعجن وكنت اقل النوى اى اجمعه على رأسى من ثلثى فرسخ حتى ارسل الى ابو بكر بخادم فكفانى سياسة الفرس فكأنما اعتقنى ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ومعه اصحابه والنوى على رأسى فقال عليه السلام اخ اخ لينيخ ناقته ويحملنى خلفه فاستحييت ان اسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان اغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انى استحييت فجئت فحكيت له ما جرى فقال والله لحملك النوى على رأسك اشد من

ركوبك معه عليه السلام رواه الشيخان ومن جملة القيام بامور بيتها دوام لزوم سكونها وعدم خروجها من غير ضرورتها فلابن حبان من حديث ابن مسعود اقرب ماتكون المرأة من ربها اذا كانت فى قعر بيتها وان صلاتها فى صحن دارها افضل من صلاتها فى المسجد (ولا تستبدل زوجا بعد وفاته لتكون زوجته فى الجنة) اى على تقدير ايمانهما البتة واما اذا تزوجت بعده فاختلف فى انها تكون للاول او الثانى او تخير فيهما وهو الاظهر وفى البستان اما من قال هى للآخر منهما فذهب الى ماروى عن معاوية بن ابى سفيان انه خطب ام الدرداء فقالت سمعت ابا الدرداء يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المرأة لآخر ازواجها فى الآخرة وقال لى ان اردت ان تكونى زوجى فى الآخرة فلا تتزوجى بعدى واما من قال انها تخير فقد ذهب الى ماروى عن ام حبيبة سألت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله المرأة منا ربما يكون لها زوجان لايهما تكون فى الآخرة قال تخير فتختارا حسنهما خلقا معهما ثم قال عليه السلام ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة هذا ولابى داود من حديث ابى مالك الاشجعى انا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين فى الجنة اراد امرأة تأيمت عن زوجها وحبست نفسها على اولادها حتى باتوا اوماتوا وللحرائطى عن ابى هريرة حرم الله على كل آدمى الجنة ان يدخل قبلى غيرانى انظر عن يمينى فاذا امرأة تبادرنى الى باب الجنة فاقول مالهذه تبادرنى فقال يامحمد هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فصبرت عليهم حتى بلغ امرهم الذى بلغ فشكر الله لها ذلك ومما يجب عليها من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ان لاتحد عليه اكثر من اربعة اشهر وعشر ليال فتجتنب فى تلك المدة الطيب والزينة قالت زينب بنت ابى سلمة دخلت على ام حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين توفى ابوها ابوسفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق اوغيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضها ثم قالت والله مالى بالطيب من حاجة غيرانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت اكثر من ثلاثة ايام الاعلى زوج اربعة اشهر وعشرا رواه الشيخان ومن اهم آداب المرأة ترك المطالبة بماوراء الحاجة كمايشير اليه قوله تعالى * ياايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن حيوة الدنيا وزينتها * الآية والاهتمام بالتعفف عن كسبه الحرام وهذه كانت عادة النساء فى السلف الكرام كان الرجل اذا خرج من منزله تقول امرأته وابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولانصبر على النار وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم تدعينه ولم يدع لك نفقة فقالت زووجى منذ عرفته عرفته اكالا وماعرفته رزاقا ولى رزاق وهو الخلاق فيذهب الاكال ويبقى الرزاق وخطبت رابعة بنت اسمعيل احمد بن ابى الحوارى فكره ذلك لما كان فيه من العبادة فقال لها والله مالى همة فى شئ لشغلى بحالى فقالت والله انى لاشغل بحالى منك ومالى شهوة ولكنى ورثت مالا كثيرا من زوجى فاردت ان تنفقه على اخوانك واعرف بك الصالحين فيكون طريقا الى الله تعالى فقال حتى استأذن استاذى فرجع الى ابى سليمان الدارانى قال وكان ينهانى عن التزوج ويقول مانزج احد من اصحابنا الاتغير فلما سمع كلامها فقال تزوج بهاهذه ولية الله هذا كلام الصديقين قال فتزوجها وكان فى منزلها كر من جص نقى من غسل ايدى المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عمن غسل

بالاشنان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى ازواجك وكانت هذه تشبه في اهل الشام رابعة العدوية في البصرة (ويحافظ حال الولد) اى من صغره ففي الطبراني من حديث ابن عمر قال رجل يارسول الله من ابر قال برو الديك فقال ليس لي والدان فقال برولدك فكما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق (ولايشتمه) اى لئلا يصير طبعاله في كبره (لاسيما سمي الانبياء) لانه حينئذ قد يقال بكفره (ويلقنه كلمة التوحيد في اول ماينطلق به اللسان) ففي رواية ابن السني عن ابن عمر ومرفوعا اذا فصح الولد فيعلمه لااله الاالله وهو شامل لتلقين معناه وتبيين معناه وفي رواية له ايضا عن انس انه عليه السلام كان اذا فصح الولد من بني عبد المطلب علمه * وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا * اقول ويناسبه ايضا تعليم سورة الاخلاص والفاتحة (ويعلمه علوم الدين) اى اصول الشريعة وفروعها ويمنعه عن تعلم المنطق والكلام والهيئة والحكمة وسائر علوم الفلاسفة لما ورد عنه عليه السلام اسألك علما نافعا واعوذ بك من علم لاينفع (والكتابة) فانها وسيلة لوقاية الرواية والدراية وهما من اسباب الهداية في البداية والنهاية (والرمي) لقوله تعالى * واعدوا لهم ما استطعتم من قوة * وقوله عليه السلام الا ان القوة الرمي وقد سبق ماورد في فضل فعله وذم تركه (والسباحة) وهي معرفة الغوص في الماء ولعله للاحتياج اليه في سفر البحر للحج والغزو لاسيما وقد ورد ان شهداء البحر افضل من شهداء البر ومن اللطائف ان نحويا خاطب بحريا فقال هل تعلمت النحو فقال لا قال ضيعت نصف عمرك فسكت حتى ماج البحر فقال هل تعلمت السباحة يا نحوي فقال لا قال ضيعت جميع عمرك (ويؤدب) اى ولده بضرب ونحوه (لست سنين) اى اذا خالف في آداب الصالحين واخلاق المحسنين اوفيما يتعلق بحقوق الوالدين والاقربين فللبيهقي عن ابن عباس مرفوعا من حق الولد على الوالد ان يحسن اديبه ويحسن اسمه واما مادون ست سنين فتأديبه باللسان والاحسان (ويعزل الفراش) اى عن امه واخته ونحوهما (لسبع سنين) لانه حينئذ وقت تمييزه بين النساء وغيرهن (ويضرب على الصلوة) اى على تركها (لعشر) اى حتى يتدرب بفعلها وتحمل ثقلها ولابي داود والبيهقي عن رجل من الصحابة مرفوعا اذا عرف الغلام يمينه من شماله فمروه بالصلوة (وروى لثلاث عشرة) فانه قارب البلوغ (ويزوج لست عشرة) لتحقق البلوغ حينئذ فيجب صيانته ولابن السني عن انس مرفوعا اضربوه على الصلوة لسبع واعزلوا فراشه لتسع وزوجوه لسبع عشر فاذا فعل ذلك فليجلسه بين يديه ثم ليقل لاجعلك الله على فتنة ورواه ابو الشيخ عن انس بلفظ فاذا بلغ سبع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاثة عشر ضرب على الصلوة فاذا بلغ ستة عشر زجه ابوه ثم اخذ بيده وقال قد ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة (ويسوي بين الاولاد في الاهداء) فعنه عليه السلام رحم الله والدا اعان ولده على بره اى لم يحمله على عقوقه بسوء عمله في حقوقه ابو الشيخ وابن حبان في كتاب الثواب عن علي ابن عمر رضي الله عنهم وجاء رجل الى عبد الله بن المبارك فشكى اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه فقال نعم فقال انت افسدته (ويبدأ) اى في الاعطا (بالاطفال) اى لصغرهم وقلة صبرهم

(والبنات) لجبرهن كسرهن فروى ساووا بين اولادكم فى العطية كذا فى الاحياء ولم يتعرض له مخرجه وفى الجامع الصغير بلفظ ساووا بين اولادكم فى العطية فلو كنت مفضلا احدا لفضلت النساء الطبرانى والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس والظاهر ان القبلة ونحوها فى حضورهم ينبغى فيها التسوية قياسا على العطية بخلاف زيادة المحبة القلبية فانها ليست من الافعال الاختيارية كما وقع ليعقوب فى يوسف واخوته فى تلك القضية ثم الظاهر ان التسوية فى الاعطاء انما هو اذا كانوا كلهم فقراء او اغنياء واما اذا كان بعضهم فقراء فزادهم فى العطاء فلا بأس به بل يجب عليه نفقة ذوى الرحم المحرم عندنا هذا وبالجملة الولد محل المرحمة فقد عثر الحسين وهو عليه السلام على منبره فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى ۞ انما اموالكم واولادكم فتنة ۞ كذا فى الاحياء وقال مخرجه رواه اصحاب السنن من حديث ابى بريدة فى الحسن والحسين يمشيان ويعثران قال الترمذى حسن غريب وللنسائى من رواية عبدالله بن شداد عن ابيه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالناس اذ جاء الحسن او الحسين فركب عنقه وهو ساجد فاطال السجود بالناس حتى ظننا انه قد حدث امر فلما قضى صلاته قالوا قد اطلت السجود حتى ظننا انه قد حدث امر فقال ان بنى قد ارتحلنى فكرهت ان اعجله حتى يقضى حاجته اى يفرغ غرضه من ملاعبته ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ورأى الاقرع بن حابس النبى عليه السلام وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عليه السلام ان من لا يرحم لا يرحم البخارى عن ابى هريرة وللحافظ الذهبى فى ترجمة اسامة من كتابه سير النبلاء عن مجاهد عن الشعبى عن عائشة قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسلى وجه اسامة فجعلت اغسله وانا انفته فضرب بيدى ثم اخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد احسن بنا اذلم يكن جارية يعنى لا يحوجنا الى الحلية وكسوة الزينة والتزويج ونحوها من المحنة لحديث احمد عن عائشة ان اسامة عثر بعتبة الباب فدمى فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يمصه ويقول لو كان اسامة جارية لحليتها ولكسوتها حتى انفقها واسناده صحيح وعنه عليه السلام الولد من ريح الجنة الخرائطى وابن حبان فى الضعفاء عن ابن عباس وقد قيل ولدك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك او شريكك وقال يزيد بن معاوية ارسل الى ابى الاحنف بن قيس فلما صار اليه قال له يا ابا الحسن ما تقول فى الولد فقال يا امير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل خليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم يمحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية لله انت يا احنف لقد دخلت على وانا مملو غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الاحنف من عنده رضى على يزيد وبعث اليه بمائتى الف درهم ومائتى ثوب فارسل يزيد الى الاحنف بمائة الف درهم ومائة ثوب فقاسمه اياها على الشطر ثم اعلم ان اكثر العلماء على ان طاعة الوالدين واجبة فى الشبهات حتى اذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك ان تأكل معهما لان ترك الشبهة ورع ورضى الوالدين حتم وكذلك ليس لك ان تسافر فى مباح او نافلة الا باذنهما والمبادرة الى الحج الذى هو فرض اسلام ثقل على القول بالتراخى والخروج لطلب العلم ثقل الا اذا كنت تطلب علم الفرض العينى من الصلوة والصوم ونحوهما ولم يكن فى بلدك من يعلمك وذلك

كمن يسلم ابتداء فى بلد ليس فيه من يعلمه شريعة الاسلام فعليه الهجرة من ذلك المقام ولا يتقيد بحق الوالدين قال ابو سعيد الخدرى هاجر رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن واراد الجهاد فقال عليه السلام باليمن ابواك قال نعم قال هل اذنالك فقال لا قال عليه السلام فارجع الى ابويك فاستأذنهما فان فعلا فجاهد والا فبرهما فان ذلك خير مما تلقى الله بعد التوحيد احمد وابن حبان وجاء آخر اليه صلى الله عليه وسلم يستشيره فى الغزو فقال الك والدة قال نعم قال فالزمها فان الجنة تحت قدميها ابن ماجة والحاكم من حديث معاوية بن جاهمة قال الحاكم صحيح الاسناد وجاء آخر وطلب البيعة على الهجرة وقال ماجئتك حتى ابكيت والدى فقال ارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما ابو داود والنسائى وابن ماجة والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح الاسناد (ويتوضأ فى موته) اى فى موت ولده (و يصلى ركعتين) عند قده لقوله تعالى * واستعينوا بالصبر والصلوة (ويأخذ بناصية المشترى) اى من العبد والجارية والدابة (ويدعو بالبركة) ويقول اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيره واكفنا شره واجعله طويل العمر كثير الرزق واللهم اعطنى خير ما انت آخذ بناصيتها انك على صراط مستقيم (و يذيقه) اى العبد او الجارية (الحلوا) اى شيئا من الحلوا (اولا) اى تفاؤلا بحلاوته آخرا ولحديث معاذ اذا ابتاع احدكم الخادم فليكن اول شئ يطعمه الحلو فانه اطيب لنفسه الطبرانى فى الاوسط والخرائطى (ويطعمه مما يعطم) اى مما يأكله بنفسه (والاولى ان يأكل معه) اى تواضعا لربه ولما فى الصحيحين وليأكل معه فان ابى فليناوله وفى رواية اذا كفى احدكم مملوكه صنعة طعامه وكفاه حره ومؤنته وقربه اليه فليجلسه وليأكل معه اوليأخذ اكلة فيروغها واشار بيده وبعضها فى يده وليقل كل هذه وللبخارى فى تاريخه والبيهقى عن ابى هريرة مرفوعا ما استكبر من اكل معه خادمه وركب الحمار بالاسواق واعتقل الشاة فحلبها (و يكسوه مما يكتسى ولا يكلفه مالا يطيق) وكان عمر رضى الله عنه يذهب الى العوالى فى كل سبت فاذا وجد عبدا فى عمل لا يطيقه وضع عنه وروى عن ابى هريرة انه رأى رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال له يا عبد الله احمله فانه اخوك روحك مثل روحه ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه وقد دخل رجل على سلمان وهو يعجن فقال يا ابا عبد الله ما هذا قال بعثنا الخادم فى شغل وكرهنا ان نجمع عليه عملين (ويمسك ما احب) اى مادام يحب امساكه (ولا يعذب) اى مملوكه اذا لم يحب امساكه بل يبيعه (فالكل مأثور) ففى ابى داود من حديث على كان آخر كلامه عليه السلام الصلوة الصلوة اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم وفى الصحيحين من حديث انس كان آخر وصيته عليه السلام حين حضره الموت الصلوة الصلوة وما ملكت ولهما من حديث ابى ذر اطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم وهذا لفظ مسلم وفى رواية لابى داود من يلائمكم من مملوكيكم فاطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ومن لم يلائمكم منهم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله تعالى فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم واسناده صحيح وفى رواية لمسلم من حديث ابى هريرة للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل مالا يطيق (وورد كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) رواه الشيخان عن ابن عمر (ولا يضرب غضبا) اى من طريق الغضب (بل تأديبا) اى كضربه على

سبيل الادب فيكون تهذيبا لاتعذيبا ففى صحيح مسلم عن ابى مسعود الانصارى قال بينا انا اضرب غلاما لى فسمعت صوتا من خلفى اعلم ابامسعود مرتين فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقيت السوط من يدى فقال والله لله اقدر عليك منك على هذا وعن ابن المنكدر ان رجلا من اصحابه عليه السلام ضرب عبداله فجعل العبد يقول اسألك بالله اسألك بالله اسألك بوجه الله فلم يعفه فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد فانطلق اليه فلما رآه امسك يده فقال عليه السلام يسألك بوجه الله فلم تعفه فلما رأيتنى امسكت يدك قال فانه حر لوجه الله يارسول الله فقال لولم تفعل لسفعت وجهك النار ابن المبارك فى الزهد هكذا مرسلا وفى صحيح مسلم من حديث ابى سعيد فجعل يقول اعوذ بالله قال فجعل يضربه فقال اعوذ برسول الله فتركه وفى رواية له فقلت هو حر لوجه الله فقال اما انك لولم تفعل للفحتك النار اولمستك النار والترمذى عن ابى سعيد اذا ضرب احدكم خادمه فذكر الله فارفعوا ايديكم (لاعلى زلة) اى لايضرب به على ماصدر منه من عثرة اوغفلة (ونسيان) اى تخلقا باخلاق الله حيث عفا عن الخطأ والنسيان كما يشير اليه قوله * ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا اواخطأنا * وحديث رفع عن امتى الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه وقيل لاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل فما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس فى داره اذاتته جارية بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فمقرته فمات فدهشت الجارية فقال ليس بسكن روع هذه الجارية الا العتق انت حرة لوجه الله لابأس عليك وكان عنده ميمون بن مهران ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوة فعثرت واراقتها على رأس سيدها فقال ياجارية احرقتنى قالت يامعلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى ماقال الله تعالى قال وماقال تعالى قالت ❁ والكاظمين الغيظ ❁ قال قد كظمت غيظى قالت * والعافين عن الناس * قال قد عفوت عنك قالت زدفان الله يقول * والله يحب المحسنين * قال انت حرة لوجه الله (ولايزيد على ثلاث) اى ضربات ثلاث اذا كان الذنب صغيرا واما اذا كان كبيرا فينقص من الاربعين فانه غاية التعزير (فانه) اى المزيد عليه (قصاص) اى مقتص منه (يوم القيمة وورد اعف عنه) اى عن الخدم (سبعين مرة لمن قال كم اعفو) فلابى داود والترمذى وقال حسن غريب عن ابن عمر جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة وكان عون بن عبد الله اذا عصاه غلامه قال ماأشبهك بمولاك مولاك يعصى مولاه وانت تعصى مولاك فاغضبه يوما فقال انما ان اضربك اذهب لانت حر (ويعتق) اى المملوك (ان طالت المدة) وطول المدة تكون لسبع سنين فاكثر على مافى الشرعة (فقيه العتق من النار) لقوله عليه السلام من اعتق رقبة مسلمة بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه رواه الشيخان عن ابى هريرة وفيهما ايضا عنه عليه السلام من كانت عنده جارية فعالها واحسن اليها ثم اعتقها وتزوجها فله اجران وقالت جارية لابى الدرداء انى سممتك منذ سنة وماعمل فيك شيئا فقال لم فعلت ذلك فقالت اردت الراحة منك قال اذهبى فانت حرة لوجه الله اقول وكانها كانت مدبرة (ولايهزل معه) اى لايمزح مع مملوكه (فهو يسقط الوقار) اى الهيبة والزرانة فلايعجبه بعد ذلك الخدمة والمهابة هذا وفى الصحيحين عن ابن عمر مرفوعا اذانصح العبد لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين

ولما اعتق ابو رافع بكى وقال كان لى اجران فذهب احدهما (ويهذب اهل البيت) من الولد والزوجة والخدم (بالرياضة) اى بتحسين الاخلاق (لاسيما الولد المرهق) اى القريب الى البلوغ الذى وقع فيه تكليف الخالق فهو اى التهذيب فى حال الصغر (ايسر) اى اسهل على كل منهما (وورد) اى فى قوله تعالى ياايها الذين آمنو (قوا انفسكم واهليكم) اى احفظوها (نارا واقودها الناس والحجارة) عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما امرهم ويفعلون مايؤمرون (ولايطأ حيوانا) اى لايدوسه (فانه يسأل عنه) اى هل كان عبثا اوعمدا اوخطأ اونسيانا وقد قال تعالى حكاية عن النمل * لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون وقد قيل البر من لايؤذى الذر (ويطوف طوافات البيت) اى يجوزان يدخلوا فى بيته الاماء والعبيد الصغار دون الخصى والعبيد الكبار (فهو مأثور) اى مروى فى الكتاب والسنة قال تعالى *ياايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض *ولا يبعد ان يراد بالطوافات الهرات فعن كبشة بنت كعب بن مالك وكانت تحت ابن ابى قتادة دخل عليها فسكبت له وضوأ فجاءت هرة تشرب منه فاصغى لها الاناء حتى شرب قالت كبشة فرآنى انظر فقال اتعجبين يابنة اخى قلت نعم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها ليست بنجسة انها من الطوافين عليكم والطوافات رواه الاربعة وقال الترمذى حسن صحيح (ولايضرب شيئا) اى حتى الدواب (على الوجه ولايعذب) اى الوجه وغيره (بالنار) اى بالكى ونحوه واختلف فى تجويز تحريق الزنديق (فنهى عنهما) فلابى داود عن ابى هريرة اذا ضرب احدكم فليتق الوجه وللترمذى والحاكم عن عمران انه عليه السلام نهى عن الكى (ويعرض الماء والعلف على الفرس) اى فى الجهاد ونحوه (سبعين مرة) ولعله اريد به الكثرة للمبالغة والاقد سبق حديث للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف (وورد يمن الفرس ذله) اى انقياده لراكبه (وحسن خلقه) اى لصاحبه وقد تقدم والله اعلم (ولايدخل على الظلمة) اى الشاملة للكفرة والفجرة قال تعالى *ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار * فالاولى والاسلم من الاحوال ان يعتزل عنهم فلا يراهم ولا يرونك ودون هذه الحالة ان يدخلوا عليك ويترددوا اليك وشر الاحوال ان تدخل عليهم وتتوسل اليهم وهذا مذموم فى الكتاب والسنة (تحاميا عن استعمال دراهم) المغصوبة من اهل ديارهم (ومظلتهم) اى ومكان ظل خيمهم واشجارهم (وفراشهم) اى بساطهم ودثارهم (فلايخلوا عن حرام) وقد قال تعالى * وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم * وهو بعموم بناء يشمل الاحياء والاموات وان كان الكفار الاموات تراد فى معناه ولما وصف عليه السلام الامراء الظلمة قال فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم اوكاد يسلم ومن وقع معهم فى دنياهم فهو منهم الطبرانى من حديث انس بسند ضعيف وفى رواية من خالطهم هلك وانما قال اوكاد يسلم فان من اعتزلهم سلم من اثمهم ولكن ربما لايسلم من عذاب نقمة معهم ان نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة (والتواضع لهم) اى وعن اظهار المذلة والمسكنة المستلزم لاكرام الظلمة لاسيما ان ركع اوسجد اوتمثل له قائما فى الخدمة والتواضع للظالم من المعصية بل من تواضع لغنى ليس بظالم لاجل غناه لا لمعنى آخر يقتضى التواضع نقص ثلثا دينه فكيف اذا

تواضع للظالم فلا يباح له الا مجرد السلام فاما تقبيل اليد والانحناء فلا الا عند خوف ولقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم فى السلام قال فى الاحياء وفيه نظر لان ذلك واجب فلا ينبغى ان يسقط بالظلم قلت قد سقط بادنى من ذلك ومن جملته انه عليه السلام مارد جواب من لبس ثوبا احمر (فورد من اكرم فاسقا) وهو مرتكب الحرام وكان الاكرام من غير ضرورة فى ذلك المقام (فقد اعان على هدم الاسلام) اى على تعطيل بعض اركانه بتعظيم الظالم الذى يجب الاهانة فى شانه فى الحديث غريب بهذا اللفظ والمعروف من وقر صاحب بدعة رواه ابن عدى حديث عائشة والطبرانى فى الاوسط وابو نعيم فى الحلية من حديث عبدالله بن بسر بسند ضعيفة (والسكوت) اى وعن عدم الانكار بلسانه (على منكر رآه عندهم) اى وقدر على انه ينكر باللسان عليهم كان يكون من العلماء والمشايخ العظماء وذلك لانه يرى فى مجلسهم من الفرش الحرير واوانى الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ماهو حرام من خاتم الذهب ونحوه وكل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك فى تلك السيئة فان قلت انه يخاف على نفسه فهو معذور فى السكوت فهذا حق لكنه مستغن عن ان يعرض نفسه لارتكاب مالا يباح الا لعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر وعند هذا يقال من علم فسادا فى موضع وعلم انه لم يقدر على ازالته فلا يجوز له ان يحضر ذلك الموضع ليجرى ذلك الفساد بين يديه وهو يشاهد ويسكت عليه (والدعاء لهم بالبقاء) اى حال التحية اووقت الاعطاء (فورد من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله فى ارضه) اى من الابتداء الى الانتهاء والحديث ذكره الزمخشرى فى تفسيره والغزالى فى الاحياء قال السخاوى ولم نره فى المرفوع بل اخرجه ابو نعيم فى الحلية من قول سفيان الثورى وقال العراقى رواه ابن ابى الدنيا من قول الحسن البصرى وكذا قال العسقلانى فى تخريج الكشاف (والمدح) اى وعن ثناء الفاسق (وان صدق) اى فى مدحه اى وكذا ان صدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله اوبتحريك رأسه او باستبشار فى وجهه (فهو اعانة على الاثم) وتحريك للرغبة فى المعصية والاعانة على المعصية معصية ولو بشطر كلمة لانه بسبب مدحه يجترى على ظلمه وفسقه (وورد ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق) ابن ابى الدنيا وابن عدى وابو يعلى والبيهقى عن انس ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك فى برية هل يسقى شربة ماء فقال لا دعه حتى يموت لان ذلك اعانة له وقال غيره يسقى الى ان تتوب اليه نفسه ثم يعرض عنه وانما يجوز له ان يدعو بقوله اصلحك الله فى الاوقات اووفقك للخيرات اوطول عمرك فى الطاعات (والمحبة لهم) بان يظهر لهم الموالاة والاشتياق الى الملاقاة (فهى ارادة الظلم) اى اى منهم فيكون شريكا لهم فى الاثم معهم ثم ان كان كاذبا عصى معصية الكذب والنفاق وان كان صادقا عصى بحبه بقاء ظالم فى الافاق وحقه ان يبغضه فى الله ويمقته فالبغض واجب ومحب المعصية والراضى بها عاص ومن احب ظالما فان احبه لظلمه فهو عاص بمحبته وان احبه بسبب آخر فهو عاص من حيث انه لم يبغضه وان اجتمع فى شخص خير وشر وجب ان يحبه لذلك الخير ويبغضه لذلك الشر وقد حكى عن بعض عباد البصرة انه كان يأخذ اموالا من الامراء ويفرقها على الفقراء فقيل له الا تخاف ان تحبهم فقال لو اخذ رجل بيدى وادخلنى الجنة ثم عصى ربه ما احبه قلبى لان

الذى سخره للاخذ بيدى هو الذى ابغضه لاجله شكرا لله على تسخيره اياه اقول وهذا مقام دقيق لان الطبع يميل الى من يحسن اليه كما روى عن عائشة جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها كذا فى الاحياء وهو من رواية البيهقى فى الشعب عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا ويؤيده حديث اللهم لاتجعل لفاجر عندى يدا فيحبه قلبى رواه ابن مردويه فى التفسير عن رجل لم يسم والديلمى عن معاذ وروى ان بعض الامراء ارسل الى مالك ابن دينار بعشرة آلاف فاخذها كلها فاتاه محمد بن واسع فقال ماصنعت بما آتاك هذا المخلوق فقال سل اصحابى فسألهم فقالوا اخرجه كله فقال انشدك اقلبك اشد حبا له الآن ام قبل ان ارسل اليك فقال بل الآن فقال انما كنت اخاف هذا وقد صدق فانه اذا احبه احب بقاءه وكره عزله وفناءه وكل ذلك حب لاسباب الظلم وهو مذموم عند اهل العلم (واستحقار نعمته تعالى على نفسه) اى وعن استصغار نعمه سبحانه لظاهرة والباطنة عليه من العلم والعمل واختيار الفقر والقناعة بالكفاية للقيام بالطاعة (برؤية التوسع عليهم) وشاهدة اسباب التنعم لديهم فللحاكم من حديث عبد الله بن الشخير وصححه اقلوا الدخول على الاغنياء فانه اجدر ان لاتزدروا نعم الله عزوجل وقد تقدم حديث ابى هريرة ابغض القراء الى الله عزوجل الذين يأتون الامراء وحديث انس العلماء امناء الرسول على عباد الله مالم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الله ورسوله فاحذروهم واعتزلوهم ولابى عمرو الدانى فى كتاب الفتن من رواية الحسن مرسلا لاتزال هذه الامة تحت يد الله وكنفه مالم يمل قراؤها امراءها ورواه الديلمى عن على وابن عمر بلفظ مالم يعظم ابرارها فجارها ويداهن خيارها شرارها ولابى داود والترمذى وابن ماجة عن ابن مسعود مرفوعا لما وقعت بنو اسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم واكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ولفظه للترمذى وقال حسن غريب والحاصل ان الافضل فى حقه ان يغفل عنهم واذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ماقال خاتم الاصم ان مابينى وبين الملوك يوم واحدا ما امس فلا يجدون لذته وانى واياهم فى غد على وجل وانما هو اليوم فعسى ان يكون فى اليوم وما قال ابو الدرداء ان اهل الاموال يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس لهم فضول اموال ينظرون اليها وننظر معهم اليها وعلمهم حسابها ونحن منا برآء قلت وهو مقتبس من قوله تعالى * ان تكونوا تألمون فانهم يألمون وترجعون من الله مالا يرجعون * (الا) استثناء من قوله ولايدخل على الظلمة الا (لرعاية اطاعة الرعية) فللبخارى من حديث انس اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كان رأسه زبيبة ولمسلم من حديث ابى هريرة عليك بالطاعة فى منشطك ومكرهك وله ايضا عنه من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية (ودفع التأذى) اى ولدفع شر الاذى (والظلم عن نفسه او غيره) من اهله ونحوه (فيدخل) اى حينئذ (مراعيا حقه تعالى) حيث قال * ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم (ويكره) اى بالقيام ونحوه كرها (من دخلوا) اى الظلمة (عليه) اى معتقدين لما يديه (مكافاة) علة للاكرام اى مجازاة (لاكرامه) اى اكرام الظالم له (عز الدين) اى لعز اهله من اهل العلم والعمل به وقد قال تعالى * هل جزاء

الاحسان الاالاحسان * وقدسبق حديث اذااتاكم كريم قوم فاكرموه (ورعاية للحشمة بين الرعية) اى فى الملاء (ويجوز الاهانة فى الخلاء) اى بترك القيام وزيادة الكلام بعدرد السلام (وعندالعلم بعدم اضطراب الرعية) اى من الامراء والوزراء اذا كان اهانته (بنية اعزاز الدين) واهله من العلماء المجتهدين (وتحقير الظلم) اى فى نظرهم (واظهار الغضب له تعالى كما هوواجب على اهل العلم وغيرهم كما ورد فى احاديث الحب فى الله والبغض فى الله ولقد دعى سعيد بن المسيب الى البيعة للوليد وسليمان ابنى عبدالملك بن مروان فقال لاابايع اثنين مااختلف الليل والنهار فان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين فقال ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر قال لا والله لايقتدى لى احد من الناس فجلد مائة والبس المسوح رواه ابونعيم فى الحلية باسناد صحيح والحاصل انه لايجوز الدخول عليهم الابعذر ان يكون من جهتهم امر الزام لا امر اكرام وعلم انه لوامتنع اوذى اوفسد عليهم طاعة الرعية واضطراب امر السياسة العرفية فيجب عليه حينئذ الاجابة طاعة لهم ومراعاة لمصلحة الخلق حتى لايضطرب امر الولاية (والاصل الاستفتاء من القلب) اى فى جهة رضاء الرب (ونية الاصلاح) اى حلهم على صلاح حالهم وفلاح مآلهم (لاالاشتهار) اى بانه من اهل العلم والصلاح وانه من الفائزين بالنجاة والنجاح فان العاقبة مستورة فينبغى ان تكون النية فى هذه الامور صحيحة مبرورة (وهو) اى ماذكر من نية الاصلاح وعدم الاشتهار (يعرف بالفرحة عند حصول الموعظة) اى للظلمة (من غيره) اى الموجودين من الوعاظ الابرار والعلماء الكبار ثم اذاابتلى بالدخول عليهم يجب ان ينصحهم فقدورد ان الدين النصيحة قيل لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المؤمنين وعامتهم روى عن محمد بن صالح قال كنت عند حماد بن سلمة واذا لبس فى البيت الاحصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأفيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ فيها فبينا انا عنده اذدق داق الباب فاذاهو محمد بن سليمان فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال مالى اذا رأيتك امتلأت منك رعبا قال حماد لانه قال عليه السلام ان العالم اذاارادبعلمه وجه الله هابه كل شئ وان اراد ان يكنزبه الكنوز هاب كل شئ ثم عرض عليه اربعين الف درهم وقال تأخذها وتستعين بها قال اردد ها على من ظلمته بها قال والله مااعطيك الاماورثه قال لاحاجة لى فيها قال فتأخذها وتقسمها قال لعلى ان عدلت فى قسمتها ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل فى قسمتها فيأثم فازوها عنى كذا فى الاحياء وقال مخرجه حديث حماد بن سلمة مرفوعا هذا معضل وروى ابوالشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من حديث واثلة بن الاسقع من خاف الله خوف الله منه كل شئ ومن لم يخف الله خوفه من كل شئ وللعقيلى فى الضعفاء من حديث ابى هريرة نحوه (والاولى الاجتناب عنهم وعن خواصهم) لئلايقع فى طمع من جاههم واموالهم (والتغافل عن احوالهم) بالتجاهل عن افعالهم واقوالهم والاشتغال بعيوب نفسه ومحاسبة يومه وامسه ومذاكرة الموت ومابعده من حال رمسه فعن حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وماهى قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ماليس فيه وقال ابوذر لسلمة لاتغش ابواب السلاطين فانك لاتصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وقال سفيان فى جهنم وادلايسكنه الا القراء الزوارون للملوك والامراء وقال الاوزاعى مامن شئ ابغض الى الله عزوجل من عالم يزور عاملا وقال ممنون

ما اسمج بالعالم يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال انه عند الامير قال وكنت اسمع انه يقال اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذا ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك مع ما او اجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم وقال ابو ذر في حديث من كثر سواد قوم فهو منهم اى من كثر سواد الظلمة وقال ابن مسعود ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له قيل له لم قال لانه يرضيه بسخط الله وقال الفضيل ما ازداد رجل من ذى سلطان قربا الا ازداد من الله بعدا وقال وهب هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم اضر على الامة من المقامرين وقال محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء الجورة ولما خالط الزهرى السلطان كتب اخ له فى الدين اليه عافانا الله واياك ابابكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغى لمن عرفك ان يدعولك ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء فقال عز وجل ❊ واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ❊ واعلم ان ايسر ما ارتكب واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغى بدنوك ممن لم يود حقا ولم يترك باطلا حتى اتخذوك قطبا تدور عليك رحى ظلمهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيه الى ضلالتهم واغوائهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فايسر ما عمروا لك فى جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم * فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات * الآية وانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء والسلام فان قلت فقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين فاقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل فقد حكى ان هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى مكة فلما دخلها قال ائتونى برجل من الصحابة فقيل يا امير المؤمنين قد تفانوا قال فمن التابعين فاتى بطاوس اليمانى فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساط ولم يسلم عليه بامرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك ياهشام ولم يكنه وجلس بازائه وقال كيف انت يا هشام فغضب هشام حتى هم بقتله فقيل له انت فى حرم الله وحرم رسوله فلا يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما الذى حملك على ما صنعت فقال وما الذى صنعت فازداد غضبا وغيظا فقال خلعت نعليك بحاشية بساطى ولم تقبل يدى ولم تسلم على بامرة المؤمنين ولم تكنى وجلست بازائى بغير اذنى وقلت كيف انت ياهشام فقال اما ما فعلت من خلع نعلى بحاشية بساطك فانى اخلعهما بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبنى ولا يغضب على واما قولك لم تقبل يدى فانى سمعت امير المؤمنين على ابن ابى طالب رضى الله عنه يقول لا يحل لرجل ان يقبل يد احد الا امرأته شهوة او ولده من رحمة واما قولك لم تسلم على بامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بامرتك فكرهت ان اكذب واما قولك لم تكنى فان الله سمى اولياءه وقال يا داود يايحيى ياعيسى وكنى اعداءه فقال تبت يدى ابى لهب واما قولك جلست بازائى فانى سمعت امير المؤمنين على ابن ابى طالب يقول اذا اردت ان تنظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام

فقال له هشام عظنى فقال سمعت امير المؤمنين على بن ابى طالب يقول ان فى جهنم حيات كالفلال وعقارب كالبغال تلدغ كل امير لايعدل فى رعيته ثم قام وهرب عن صحبته وعن سفيان الثورى قال ادخلت على ابى جعفر بمنى فقال لى ارفع الينا حاجتك فقلت له اتق الله فقد ملأت الارض ظلما وجورا قال فطأطأ رأسه ثم رفع رأسه فقال ارفع الينا حاجتك فقلت انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وابناؤهم يموتون جوعا فاتق الله واوصل اليهم حقوقهم قال فطأطأ رأسه ثم رفع رأسه فقال ارفع الينا حاجتك فقلت حج عمر رضى الله عنه فقال لخازنه كم انفقت قال بضعة عشر درهما وأرى ههنا اموالا لايطيقها الجبال ولما استعمل عثمان بن عفان العباس اتاه اصحاب النبى عليه السلام وابطأ عنه ابوذر وكان له صديقا فعاتبه فقال ابوذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل اذا ولى ولاية تباعد الله عنه كذا فى الاحياء وقال مخرجه لم اقف له على اصل وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان ابن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد ففزع ووضع صدره على مقدم الرحل فقال عمر هذا رحمته فكيف اذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان الى الناس يوم عرفة فقال ما اكثر الناس فقال عمر خصماؤك يا امير المؤمنين فقال سليمان ابتلاك الله بهم وحكى ان سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فارسل الى ابى حازم فدعاه فلما دخل عليه قال سليمان يا اباحازم مالنا نكره الموت فقال لانكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب فقال ياابا حازم كيف القدوم على الله قال يا امير المؤمنين اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسيئ فكالآبق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال ليت شعرى مالى عند الله فقال ابو حازم اعرض نفسك على كتاب الله حيث قال * ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم * قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين ثم قال سليمان يا اباحازم اى عباد الله اكرم قال اهل المروءة والتقى قال فاى الاعمال افضل قال اداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فاى المؤمنين اكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس اليها قال فاى المؤمنين احمق قال من باع آخرته بدنيا غيره قال سليمان ماتقول فيما نحن فيه قال اوتعفينى قال لاولكن نصيحة تلقيها الى قال يا امير المؤمنين ان آباءك قهروا الناس بالسيف فأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضى منهم حتى قتلوا قتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت ماقالوا وماقيل لهم فقال له رجل من جلسائه بئس ماقلت قال ابو حازم ان الله قد اخذ الميثاق على العلماء ليبينونه للناس ولايكتمونه فقال لنا ان نصلح هذا الفساد قال ان تأخذ المال من حله فتضعه فى حقه فقال سليمان ومن يقدر على ذلك قال من يطلب الجنة ويخاف النار قال سليمان ادع لى فقال اللهم ان كان سلمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ماتحب وترضى فقال سليمان اوصنى فقال اوصيك واوجز عظم ربك وتنزهه ان يراك حيث نهاك اويفقدك حيث امرك وحكى ان ابابكرة دخل على معاوية فقال اتق الله يامعاوية واعلم انك فى كل يوم يخرج عنك وفى كل ليلة تأتى عليك لا تزداد من الدنيا الا بعدا ومن الآخرة الا قربا وعلى اثرك طالب لاتفوته وقد نصب علم لاتجوزه فما اسرع ماتبلغ العلم وما اوشك مايلحق بك الطالب وانا ومانحن فيه زائل وفى الذى نحن اليه صائرون باق ان خيرا فخير وان شرا فشر (ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر) لقوله

تعالى * كنتم خير امة اخرجت للناس * اى اظهرت تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقوله * والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر * الآية وقوله * الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور * وقوله عليه السلام المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا رواه الشيخان عن ابى موسى (وهو) اى ما ذكر من الامر والنهى او افرد الضمير باعتبار التلازم بينهما (فرض) اى بالاجماع والكتاب والسنة (على الكفاية) اى اذا اطلع على الامر جماعة وامرا ونهى واحد منهم سقط عن الباقين والاثم الجميع واذا كانوا معذورين باليد واللسان فحينئذ عليهم ان ينكروا بالجنان وذلك اضعف زمان الايمان او اهله فى مقام الاتقان اومراتب ارباب الاحسان (فى الفرض) اى من المعروف (فعلا) كالصلوة والصيام (وتركا) كاجتناب ماعرف من الحرام (ومندوب) اى من المعروف فعلا وتركا (وورد) فى التنزيل (ولتكن منكم امة) اى جماعة منكم وهو دليل كونه من الكفاية (يدعون الى الخير) اى المحض وهو الايمان (ويأمرون بالمعروف الآية) اى * وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون * اى الناجون عن العذاب والمظفرون بالثواب هم هؤلاء القائمون به والمباشرون له وهو القلب الاعظم فى الدين والامر المهم الذى بعث الله له النبيين اجمعين فلو طوى بساطه واهمل علمه وعمله بالمرة تعطلت النبوة وعمت الفترة واضمحلت الديانة وارتفعت الامانة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة وظهر الفساد وخرب البلاد وهلك العباد وان لم يشعروا بالهلاك الى يوم التناد ولاصحاب السنن عن ابى بكر الصديق انه قال فى خطبة خطبها ايها الناس انكم تقرؤون هذه الآية وتتأولونها على خلاف تأويلها يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم * وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر على ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله تعالى بعذاب من عنده ولابى داود الترمذى وحسنه وابن ماجة من حديث ابى ثعلبة الخشنى انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى * لايضركم من ضل اذا اهتديتم * فقال يا ابا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع العوام ان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم المتمسك فيها بمثل الذى انتم عليه اجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال بل منكم لانكم تجدون على الخير اعوانا وللبزار من حديث عمرو الطبرانى فى الاوسط من حديث ابى هريرة مرفوعا لتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر اوليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم وللترمذى وحسنه من حديث حذيفة نحوه الا انه قال اوليوشكن الله يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلايستجيب لكم ولابن ماجة باسناد جيد مرفوعا ان الله تعالى ليسأل العبد مامنعك اذا رأيت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله العبد حجته قال يارب وثقت بك وفرقت من الناس وللطبرانى والبيهقى وحسنه عن عكرمة عن ابن عباس لاتقفن عند رجل يقتل مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه ولاتقفن عند رجل يضرب مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره وللبيهقى عن ابن عباس بسند حسن لاينبغى لامرئ شهد مقاما وفيه حق الا تكلم به فانه لن يقدم اجله ولن يحرمه رزقه هوله ورواه الترمذى

وحسنه وابن ماجه من حديث ابى سعد بلفظ لايمنعن رجلا هيبة الناس ان يقول بحق اذا علمه ولابن عدى من حديث ابى هريرة من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فاحبها فكأنه حضرها ثم الامر والنهى يجب على العبد (وان عدم العدالة) اى منه بفقد عمله بها (تحرزا عن انسداد باب الاحتساب) اى الحبسة بالامر والنهى لاجل الثواب (لتعذر العصمة) اى عن جميع المعصية الالارباب النبوة دون الصحابة فضلا عمن دونهم والانبياء كما قال الحجة قد اختلف فى عصمتهم عن الخطايا والقرآن دال على نسبة آدم الى المعصية وكذا جماعة من الانبياء ولذا قال معيد بن جبير ان لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الا من لايكون فيه شئ فاعجب ذلك مالكا من سعيد بن جبير (ولان الواجب عليه) شيئان وهما (الامتناع) اى بنفسه عن المعصية (ولمنع) اى لغيره عنها (فلايسقط ترك احدهما) وهو الامتناع (الآخر) وهو المنع كما فى عكسهما فلاتلازم بينهما واما ما ورد فى ذم القائل بمالايعمل) كقوله تعالى * يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون * وقوله * اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون * وكحديث مررت ليلة اسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وكما روى ان الله تعالى اوحى الى عيسى عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحيى منى وكقول القائل (شعر) * لاتلم المرء على فعله * وانت منسوب الى مثله * من ذم شيئا واتى نحوه * فانما يزرى على عقله * (فلعدم العمل) اى لالمجرد الامر والقول كما توهمه قوم (واذن الامام) اى وان عم اذنه بالحسبة (لعموم الادلة واطلاقها) اى من غير تقييد باحد دون آخر (حتى يحتسب على الامام ايضا) كما يدل عليه حديث ابى سعيد الخدرى افضل الجهاد كلمة حق عند امام جائر ابو داود وابن ماجة والترمذى وحسنه فاذا جاز الحكم على الامام على مر انفه فكيف يحتاج الى اذنه وقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا اللآحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان الآيات والاخبار تدل على ان كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى اين ما رآه وكيف ما رآه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الامام تحكم لا اصل له والعجب ان الروافض زادوا على هذا فقالوا لايجوز الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مالم يخرج الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم وهؤلاء اخس رتبة من ان يكلموا بل جوابهم ان يقال لهم اذا جاؤا الى القضاء طالبين لحقوقهم فى دمائهم واموالهم ان نصرتكم امر بالمعروف واستخراج حقوقكم من ايدى من ظلمكم نهى عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وماهذا زمان النهى عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعدم يخرج هذا واستمرار عادات السلف فى الحسبة على الولاة قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من امر بمعروف فان كان الوالى راضيا به فذاك وان كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى اذنه فى الانكار عليه ومن جملة ما انكر السلف على الامراء ماروى ان مروان بن الحكم خطب قبل الصلوة فى العيد فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلوة فقال له مروان ترك ذلك يا فلان فقال ابو سعيد اما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم فبقلبه وذلك اضعف الايمان وروى ان المهدى لما قدم مكة لبث ماشاء الله فلما اخذ فى الطواف تحى الناس عن البيت فوثب عبد الله ابن مرزوق فلببه بردائه وقال له

انظر ماتصنع من جعلك بهذا البيت احق ممن اتاه من البعد حتى اذا صاروا عنده حلت بينهم وبينه من جعل لك هذا فنظر فى وجهه وكان يعرفه لانه من مواليهم فقال له عبدالله بن مرزوق فقال نعم فاخذ فجيء به الى بغداد فكره ان يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه فى العامة فجعله فى اصطبل الدواب ليسوسها وضموا اليه فرسا عضوضا سيء الخلق ليعقره الفرس قلين الله له الفرس قال ثم صيره الى بيت واغلق عليه واخذ المهدى المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث الى البستان يأكل البقل فاذن به المهدى فاستدعاه فقال من اخرجك قال الذى حبسنى قال من حبسك قال الذى اخرجنى قال فضج المهدى وصاح وقال اما تخاف ان اقتلك فرفع عبدالله اليه رأسه وضحك وهو يقول لو كنت تملك حيوة اوموتا لكان ذلك فازال محبوسا حتى مات المهدى ثم خلى عنه فرجع الى مكة قال وكان قد جعل على نفسه نذرا ان خلصه الله من ايديهم ان ينحر مائة بدنة فكان يعمل فى ذلك حتى نحر مائه بدنة وروى عن جنان بن عبدالله قال نزه هارون الرشيد بالدوير مع رجل من بنى هاشم وهو سليمان بن ابى جعفر فقال له هارون قد كانت لك جارية تغنى فتحسن فجئتنا بها قال فجاءت فغنت فلم يحمد غناها فقال ماشانك قالت ليس هذا عودى فقال للخادم جيئها بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال الطريق ياشيخ فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فاخذه وضرب به الارض فاخذه الخادم وذهب به الى صاحب الربع فقال احتفظ بهذا فانه طلبه امير المؤمنين فقال صاحب الربع ليس ببغداد اعبد من هذا فكيف يكون طلبه امير المؤمنين فقال له اسمع ماأقول لك ثم دخل على هارون فقال انى مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع رأسه فرأى العود فاخذه فضرب به الارض فكسره فاستشاط هارون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن ابى جعفر ماهذا الغضب ياامير المؤمنين ابعث الى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمى به فى دجلة فقال لا ولكن نبعث اليه وناظره اولا فجاءه الرسول وقال اجب امير المؤمنين فقال نعم قال اركب قال لا فجاء يمشى حتى وقف على باب القصر فقيل لهارون قد جاء الشيخ فقال للندماء اى شيء ترون ترفع ماقدمنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ اونقوم الى مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا له نقوم الى مجلس ليس فيه منكر اصلح بنا فقاموا صغرة اى اذلاء الى مجلس ليس فيه منكر ثم امر بالشيخ فادخل وفى كمه الكيس الذى فيه النوى فقال له الخادم اخرج هذا وادخل على امير المؤمنين فقال هذا عشائى الليلة قال نحن نعيشك قال لاحاجة لى فى عشائك فقال له هارون اى شيء تريد منه فقال فى كمه نوى فقلت له اطرحه وادخل على امير المؤمنين فقال دعه لايطرحه قال فدخل فسلم وجلس فقال له هارون ياشيخ ماحملك على ماصنعت فقال واى شيء صنعت وجعل هارون يستحيى ان يقول كسرت عودنا فلما اكثر عليه قال انى سمعت آباءك واجدادك يقرؤن هذه الآية على المنبر ❊ ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ❊ رأيت منكرا فغيرته قال فغير فوالله ماقال الاهذا فلما خرج اعطى رجلا بدرة فقال له اتبع الشيخ فان رأيته يقول قلت لامير المؤمنين وقال لى فلا تعطه شيئا وان رأيته لايكلم احدا فاعطه البدرة فلما خرج من القصر اذا هو بنواة فى الارض قد نغاصت فجعل يعالجها ولم يكلم احدا فقال له يقول لك امير المؤمنين خذ هذه البدرة فقال قل لامير المؤمنين يردها من حيث اخذها وروى انه اقبل بعد فراغه من كلامه على نواة يعالج قلعها من الارض وهو يقول

بحر وافر (شعر) مفاعلتن ست مرتبه

* ارى الدنيا لمن هى فى يديه * هموما كلها كثرت لديه *
* تهين المكرمين بها بصغر * وتكرم كل من هانت عليه *
* اذا استغنيت عن شئ فدعه * وخذ ما انت محتاج اليه *

(وحقه) اى وحقوق وجوب الاحتساب ثلاثة (العلم) اى معرفة خطاء الامور وصوابها (ليعلم الحدود) اى بمراتبها (والحقوق) المتعلقة باصحابها فالجاهل يعزل عن هذا الباب بل شرط ان يكون مسلما مكلفا قادرا على الاحتساب ومن ههنا قال بعض علمائنا ان العامى انكاره بالجنان والعالم انكاره باللسان والامير انكاره بالاركان فانه يجب ان يعلم المحتسب مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها ليقتصر على حد الشرع فى ابوابها وذلك معنى قوله (والورع) اى عن المنكرات مطلقا اوعن ذلك المنكر والاول اظهر ليردعه ورعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف فى الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض الفاسدة اوعوض من الاعواض الكاسدة وليكون كلامه ووعظه مقبولا (لعدم تأثير قول الفاسق وسقوط اعتباره) عند الخلايق لان الحسبة تارة تكون بالنهى بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينفع وعظ من لا يتعظ اولا وكذا ان قهر بالفعل فقد قصر بالحجه اذ يتوجه عليه ان يقال فانت لم تقدم عليه فينفر الطباع عن قهره بالفعل فلا يفيد فائدة لاسيما مع ارباب الجهل والافلا يخرج الفعل عن كونه حقا كما ان من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل اباه وهو مظلوم معهم تتنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا فتحصل من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لانه لا يتعظ به واذا لم يكن عليه ذلك وعلم انه يفضى الى تطويل اللسان فى عرضه بالانكار فنقول ليس له ذلك ايضا فرجع الكلام الى ان احد نوعى الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه واما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حجر على الفاسق فى اراقة الخمر وكسر الملاهى وغيرها اذا قدر عليه قال الغزالى وهذا غاية الانصاف والكشف فى المسألة انتهى ولا يخفى ان هذا مخالف لما تقدم من ان العدالة ليست بشرط فى هذا الباب بل هو من باب الكمال والله اعلم بالصواب وقد ورد عن انس قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله قال عليه السلام بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله الطبرانى فى المعجم الصغير والاوسط (وحسن الخلق) اى ليقدر به على ترتيب الحسبة على الخلق بالحكمة اولا بالموعظة ثانيا وبالمجادلة من المدافعة والمضاربة والمقاتلة ثالثا (وهو الاساس) اى مدار سياسة الناس ففى الاحياء ورد لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه الحديث قال مخرجه لم اجده هكذا وللبيهقى فى الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده من امر بمعروف فليكن بمعروف والحاصل ان العلم والورع لا يكفى فيه بل لابد من حسن الخلق ايضا فان الغضب اذا هاج لم يقم العلم والورع فى قمعه مالم يكن فى الطبع قبوله لحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع الا مع حسن الخلق والقدرة على دفع الشهوة ومنع

الغضب وبه يصير المحتسب على ما اصابه فى دين الله كما قال تعالى حكاية عن لقمان * يابنى اقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور * وعن بعض السلف اذا اراد احدكم ان يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق من الله بالثواب والاجر فمن وثق باجر المولى لم يجد مس الاذى ولا فاذا اصيب عرضه او نفسه بشتم او ضرب نسى الحسبة وغفل دين الله وتصحيح النية وتحسين الطوية فاشتغل بنفسه الردية واخلاقها الدنية بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه او طمع المال او للرياء والسمعة ولعل هذا وجه قول القائل هذا زمان السكوت ولزوم البيوت وقال كعب الاحبار لابى مسلم الخولانى كيف منزلتك عند قومك قال حسنة قال ان التورية يقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال ابو مسلم صدقت لتورية وكذب ابو مسلم (فهيجان الغضب) اى منه او من غيره (لايسكن دونه) اى عند امر من الامور بل يتحرك فيه انواع من الشرور (وورد) اى فى طه (فقولا له قولا لينا) اى ملاينا هينا (لعله يتذكر) اى يتعظ فيترك الكفر ابتداء (او يخشى) اى عقاب ربه فينتهى عن خلافه انتهاء فاذا كان الانبياء مأمورين بالرفق مع شر الخلق فكيف بالعلماء مع اهل الحق وحكى عن المأمون اذ وعظه واعظ وعنف له فى القول فقال يارجل ارفق فقد بعث الله تعالى من هو خير منك الى من هو شر منى وامره بالرفق فقال * فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى * وقد روى ابو امامة ان غلاما شابا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يانبى الله ائذن لى فى الزنا فصاح الناس به فقال عليه السلام اقروه ادن فدنا حتى جلس بين يديه فقال عليه السلام اتحبه لامك قال لا جعلنى الله فداك قال كذلك الناس لايحبونه لامهاتهم قال اتحبه لابنتك قال لا جعلنى الله فداك قال كذلك الناس لايحبونه لبناتهم قال اتحبه لاختك قال لا جعلنى الله فداك قال كذلك الناس لايحبونه اخواتهم وزاد ابن عوف انه ذكر العمة والخالة وهو يقول فى كل ذلك لا جعلنى الله فداك وهو عليه السلام يقول كذلك الناس لايحبونه وقالا جميعا فى حديثهما اعنى ابن عوف والراوى الآخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شئ ابغض اليه منه اى من الزنا رواه احمد باسناد جيد رجاله رجال الصحيح وقيل للفضيل بن عياض ان سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال ما اخذ منهم الا دون حقه ثم خلابه وعذله وو بخه فقال سفيان يا اباعلى ان لم نكن من الصالحين فانا نحب الصالحين (واوله) اى بدء الحسبة (التعريف) اى تعريف قبح المعصية (ثم الوعظ) اى النصيحة بالكلام اللطيف (والتخويف منه تعالى) اى بالعقوبة فى الدنيا والاخرى (لايتجاوز) اى المحتسب (عنه) اى عما ذكر من الامور الثلاثة (ان كان) احتسابه (على الوالدين) وقد سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده قال يعظه ما لم يغضب فاذا غضب سكت عنه قيل و فى معنى الوالدين والاستاذ واما مافى الاحياء من الاخبار الواردة فى ان الجلاد ليس له ان يجلد اباه فى الزنا ولا ان يباشر اقامة الحد عليه ولا ان يباشر قتل ابيه الكافر وانه لو قطع يده لم يلزمه القصاص ثم قال وثبت بعضها بالاجماع فقال مخرجه لم اجد فيه الا حديث لايقاد الوالد بالولد رواه الترمذى وابن ماجة من حديث ابن عمر (او المولى) اى المالك من العبد (او البعل) اى الزوج من المرأة

(او السلطان) اى على الخليفة ومن فى معناه من الرعية من امرائه ووزرائه فانه يكاد يفضى الى خرق هيبته واسقاط حشمته وترتب عليه الفساد من جهة حميته والغضب على رعيته فللحاكم فى مستدركه من حديث عياض بن غنم الاشعرى من كانت عنده نصيحة لذى سلطان فلا يكلمه بها علانية ولياخذ بيده فليخل به فان قبلها والا كان ادى الذى عليه والذى له وقال صحيح الاسناد والترمذى وحسن من حديث ابى بكرة من اهان سلطان الله فى الارض اهانه الله فى الارض وهذا منه عليه السلام طريق رأفة ورحمة على الانام والا فقد ورد عنه من حديث ابى عبيدة قلت يارسول الله اى الشهداء اكرم على الله قال رجل قام الى وال جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله الحديث رواه البزار والحاكم فى مستدركه وصحح اسناده من حديث جابر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام الى امام جائر فامره ونهاه فقتله ويقويه ماسلف من السلف حتى قارب امرهم الى الهلاك والتلف والحاصل انه لايجب عليه يستحب له ويثاب عليه (بل يشتغل بالدعاء) اى لتوفيقهم بالمعروف (والاستغفار) اى المجاورة عنهم فى المنكر فان هذين الامرين نفعهما اكثر خصوصا فى هذا الزمان فتدبر (ثم لتعنيف) اى الكلام الحشن (والسب) اى الشتم (دون الفحش) فلايقول له ياكافر يايهودى ياانصرانى ياخنزير ياكلب يافاسق بل يقول (مثل ياجاهل يا احمق) الا ان خاف من الله ومايجرى مجراه (لايتجاوز عنه) اى عن هذا الامر (ان كان) الاحتساب (على المسلم من الذمى تحرزا عن استيلاء الكافر) فان الذمى اذا منع المسلم بفعله دون قوله فهو يسلط عليه فيمنعه من الوصول اليه لقوله تعالى * ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا * واما مجرد قوله لاتزن ونحوه من النصيحة والتخويف من الفضيحة فلا محذور فيه بل ربما يكون سببا للامتناع عما فيه (ثم التغيير) اى تغيير المنكر باليد والمباشرة على سبيل المنع بالقهر (ككسر الملاهى) اى من آلات المناهى كالمزمار والاوتار (واراقة الخمر) اى التى هى ام الخبائث واصل المعاصى واساس الشر وكذا اختطاف الثوب الحرير من رأسه واستلاب الشئ المغصوب من يده ورده على صاحبه فللترمذى من حديث ابى طلحة انه قال يانبى الله انى اشتريت خمرا لايتام فى حجرى قال اهرق الخمر واكسر الدنان (ثم التهديد) اى التخويف بالضرب من عنده اومن عند غيره من الحاكم ونحوه (ثم الضرب) اى بمباشرته ان كان قدرة لديه حتى يمتنع عما هو عليه (وهو بقدر الوسع) اى الطاقة فى تأدية الطاعة كالمواظب على القذف والغيبة فان سلب لسانه ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يحوج الى استعانة وحصول اعانة (وان لم يقدر) اى على الضرب ونحوه (فالكراهة) اى بقلبه كافية (فورد) اى فى حديث اوله من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه (فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان) اى اضعف اهل الايمان اواضعف زمانه اواضعف مراتبه فى شانه رواه احمد ومسلم والاربعة عن ابى سعيد مرفوعا ولايخفى ان العاجز ليس عليه حسبة الا بقلبه اذ كل من احب الله يكره معاصيه وينكرها قال ابن مسعود جاهد والكفار بايديكم فان لم تستطيعوا الا ان تكفهروا فى وجوههم فافعلوا ثم اعلم انه لايتوقف سقوط الوجوب على العجز الحسى فقط بل يلتحق به مايخاف عليه مكروها يناله فذلك فى معنى العجز وكذا اذا لم يخف مكروها ولكن علم ان انكاره لاينفع وهذا معنى قوله (فان ظن الاضرار لايجب) اى

الانكار بالقبول (بل يستحب اظهارا لامر الدين) نعم يلزمه ان لايحضر مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لايشاهد ولايخرج الا لحاجة مهمة او واجب ولايلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة الا اذا كان يرهق الى الفساد ويحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات فتلزمه الهجرة ان قدر عليها فان الاكراه لايكون عذرا في حق من يقدر على الهرب من الاكراه (وان ظن اصابة مكروه) من ضرب ونحوه (اوفعل منكر آخر) اى بسببه كضرب غيره من اصحابه اواقاربه اورفقائه (يحرم) اى حينئذ الاحتساب (الا ان يظن الامتناع ايضا) فاذا تعارض الظنان (فيستفتى من القلب) في اختيار مايلهمه الرب (و ينظر في صلاحه) اى صلاح الامر من حاله (مبالغا) في تحسين مآله فروى عن العالم الرباني ابي سليمان الداراني انه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فاردت ان انكر عليه وعلمت اني اقتل ولم يمنعني القتل ولكن كان في ملاء من الناس فخشيت ان يعتريني التزين للخلق فاقتل من غير اخلاص في الفعل للحق فان قيل فما معنى قوله تعالى * ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة ۞ اجيب بانه لاخلاف في ان المسلم الواحد له ان يهجم على صف الكفار و يقاتل وان علم انه يقتل وهذا ربما يظن انه مخالف لموجب الآية وليس كذلك فقد قال ابن عباس ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة في طاعة الله تعالى اى من لم يفعل ذلك فقد اهلك نفسه ويؤيده الجملتان السابقة واللاحقة اذ قال تعالى * وانفقوا في سبيل الله ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا * ولايبعد ان نفس التهلكة باسراف المال وتضييع العيال وقال ابو ابو عبيدة هو ان يذنب ثم لايعمل بعده خيرا حتى يهلك ذكره في الاحياء وهو صحيح في المعنى لكن يبعد مأخذه من الآية بحسب ايراده من المبنى ثم اذا جاز ان يقاتل الكفار حتى يقتل جاز ايضا ذلك في الحسبة (والاعتبار للظن الغالب) في حصول فائدة من المحارب والمحتسب (من معتدل الحال) بان يكون في طبعه من ارباب الكمال (فالجبان) وهو ضعيف القلب في ميدان البيان (يستغرب البعيد) اى من الامكان فيرى البعيد قريبا حتى كانه يشاهده و يرتاع منه ولايجاهده (والمتهور يعكس) اى الامر بان يستبعد القريب في الزمان والمكان فيبعد وقوع المكروه به بحكم ماجبل عليه من حسن امله واصل طبعه حتى انه لايصدق به الابعد وقوعه والحاصل ان الجبن مرض وهو ضعف في القلب بسبب قصور في القوة وتفريط والتهور افراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وانما الكمال في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة فلا التفات الى الطرفين في الاخلاق والاحوال (ولايتجسس) فيشترط ان يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تفحصه فكل من ستر على معصية في داره واغلق على بابه لايجوز لاحد ان يتجسس عليه من طاقته وجداره وامثاله (كوضع الاذن) لسماع الملاهي (والانف لشم الخمر والمناهي (لاحساس صوت الاوتار) متعلق بوضع الاذن (ورائحة الخمر) في تلك الدار (وطلب ارادة مانحت الثوب) فاذا روى فاسق وتحت ذيله شيء نحو ظرف خمر اوخشب عود لم يجز ان يكشف عنه مالم يظهر بعلامة خاصة بان كانت له رائحة فائحة او تشكل العود اذا كان الثوب الساتر رقيقا والا فمجرد الظن لايعمل به فانه قد يستر قارورة الخمر في الكم وتحت الذيل ولايدل فسقه على ان الذي معه خمر يشرب منها اذا الفاسق يحتاج ايضا الى الخل وغيره ولايجوز ان يستدل باخفائه وانه لو كان خلا لما اخفاه لان الاغراض في الاخفاء

لانحصر بالاستقصاء كذا فى الاحياء (فهو) اى التجسس (منهى عنه) اى فى قوله تعالى ﴿ ياايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولاتجسسوا ﴾ وروى ان عمر رضى الله عنه تسور دار رجل فرآه على حالة مكروهة فانكر عليه فقال ياامير المؤمنين ان كنت قد عصيت الله من وجه فقد عصيته انت من ثلاثة اوجه فقال ماهى قد قال الله تعالى (ولاتجسسوا) وقد تجسست وقال ﴿ وأتوا البيوت من ابوابها ﴾ وقد تسورت من السطح وقال تعالى ﴿ تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ﴾ وماسلمت فتركه عمر وشرط عليه التوبة وقد شاور عمر الصحابة وهو على المنبر وسألهم عن الامام اذا شاهد بنفسه منكرا فهل له اقامة الحد فاشار على بان ذلك منوط بعدلين فلايكفى فيه واحد (ويدخل الدار عند ارتفاع الاصوات) اصوات الملاهى ومايدل على مجالس المنكرات من المناهى وهذا بمنزلة الاستثناء من الحكم السابق والمعنى انه لايجوز الدخول على من اغلق باب داره وتستر بحيطان جداره الا ان ظهر فى الدار ظهورا يعرفه من هو خارجها كاصوات المزامير والاوتار اذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهى وقطع الاوتار وكذا اذا ارتفعت اصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعهم اهل الشوارع فهذه الاظهر موجب للحسبة والانكار (ويحتسب على غير المكلف) اذ شرط المحتسب عليه ان يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه فى حقه منكرا ولو لم يكن معصية بالنسبة اليه ولعله يكفى فى ذلك ان يكون انسانا ولايشترط كونه مكلفا اذ تقرر ان الصبى لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وان كان قبل البلوغ ولايشترط كونه مميزا لما تحقق ان المجنون لو كان يزنى بمجنونة اويأتى بهيمة اويشرب الخمر وجب منعه نعم من الافعال مالايكون منكرا فى حق المجنون كترك الصلوة والصوم وغيره (ففى المحتسب عليه لايشترط التكليف) اى بخلاف المحتسب فانه يشترط تكليفه فى حق الوجوب عليه واما امكان الفعل وجوازه فلايستدعى الا العقل حتى ان الصبى المراهق للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر وله ان يريق الخمر ويكسر الملاهى فاذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لاحد منعه من حيث انه ليس بمكلف فان هذه قربة وهو من اهلها كالصلوة والامامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك اثبتوا الحسبة للعبد وآحاد الرعية نعم فى المنع بالفعل وابطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الايمان كقتل المشرك وابطال اسبابه وسلب اسلحته فان للصبى ان يفعل ذلك حيث لايستضر به فالمنع عن القسة كالمنع عن الكفر (لافى محل الخلاف) اى لايحتسب الا فى المتفق على كونه منكرا فكل ماهو فى محل الاجتهاد فلاحسبة فيه (كاكل الشافعى الضب) فليس للحنفى ان ينكر عليه اكله وكذا فى اكل الضبع ومتروك التسمية عمدا ولا للشافعى ان ينكر على الحنفى شربة النبيذ الذى ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوى الارحام وجلوسه فى داراخذها لشفعة الجوار الى غير ذلك من مجارى الاجتهاد نعم لو رأى الشافعى شافعيا يشرب النبيذ اوينكح بلاولى ويطأ زوجته اورأى الحنفى حنفيا يلعب بالشطرنج اويلبس الثوب الاحمر فهذا فى محل النظر كما فى الاحياء والاظهر ان له الحسبة والانكار اذلم يذهب احد من المحصلين الى ان المجتهد يجوز له ان يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا ان الذى ادى اجتهاده فى التقليد الى شخص رآه افضل العلماء انله ان يأخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب اطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده فى كل تفصيل فاذن مخالفته

للمقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة الا انه جوز له تقليد غيره من الائمة في بعض المسائل فاذا اعتذر وقال انا مقلد للشافعي او الحنفي في هذا الباب يرتفع عنه الحساب والله اعلم بالصواب وقد ذهب جمع الى انه لا حسبة الا في مثل الخمر والخنزير ومايقطع بكونه حراما كاكل الميتة والدم ومما جمع على تحريمه حيث جوزا لكل مقلد ان يختار من المذاهب ماراد رقابه ولعل وجه كلامهم ماورد من ان الله سبحانه يحب ان يؤتى رخصة كما يحب ان يؤتى عزائمه وقد قال تعالى * فسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون * فمن تبع عالما لقي الله سالما ومن المعلوم ان الله سبحانه ما كلف احدا ان يكون حنفيا او مالكيا او شافعيا وحنبليا بل كلفهم ان يعملوا بالكتاب والسنة ان كانوا علماء وان يقلدوا العلماء اذا كانوا من الجهلاء (ولا قبل الارتكاب) اى ولا يحتسب قبل مباشرة مايجب عليه الاجتناب فيشترط ان يكون المنكر موجودا في الحال لا انه يتوقع منه في المآل (فهو) اى وجوده قبل الارتكاب (مشكوك فيه) فلا يجوز فيه الاحتساب كمن يعلم بقرينة حاله وهيئته انه عازم على الشرب في ليلته فانه لاحجة عليه الا بوعظه ونصيحته فان انكر عزمه عليه لم يجز وعظه ايضا لديه فان فيه اساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على مايعزم عليه لعائق عن فعله وليتنبه للدقيقة المتفرعة على هذا الاصل وهي ان الخلوة بالاجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء ومايجري مجراه من سائر الاشياء (ولا بعده) اى ولا يحتسب بعد الارتكاب وفراغه عن هذا الباب (فهو) اى هذا النوع من الاحتساب (حق الامام) اى ومن جعله من الثواب (وعلى المحتسب عليه القبول والاعتذار) اى واجبان عليه ولازمان لديه (فهو المأثور) اى عن السلف الابرار (وبغض المصر) اى الملازم على المعصية من غير رجوع بالتوبة سواء كان كافرا او فاجرا او مبتدعا ولو لم يكن داعيا (فيه) اى في الله (تعالى) اى شانه وتعاظم برهانه (بالاعراض عنه) اى في السلام والكلام (والاهانة) اى بزيادة المهانة (وترك الاعانة) اى في مايظهر من الاعانة (وابطال اغراض تعين على المعصية دون غيرها) اى غير المعصية (ولو اعان) اى في الاغراض التي تعين على غير المعصية (تحريضا على قبول النصح) اى فيما يذكر له من الكلام (او الحق الاسلام فحسن) اى فاعانته مستحسن قال تعالى * لاينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين * فهذا في زماننا يتصور في حق اهل الذمة (فالحال تختلف بالنية) اى باختلافها وتفاوت الطوية (كما في الترك للفسق) اى كما يختلف في ترك الاحسان لخوف الفسق (الا ان يعلم) مخرج من قوله ولو اعان اى الا ان يعلم المبغض (الاقتداء) اى اقتداء الناس كما في نسخة فلا يعينه حينئذ (كما في المبتدع) اى الداعي لا يعينه (والمعلن بالفسق في الملاء) تأكيد للاعلان او قيد للمبتدع والمعلن فهو احتراز من البدعة والفسق في الخلاء والاظهر انه ظرف لبغض المصر كما يشير اليه قوله (حتى يترك السلام) اى في الابتداء ورده في الانتهاء (فهو) اى حق السلام ورده (يسقط بادنى غرض) كالبول في الحمام ونحوه (فورد من انتهر) اى زجر وقهر (صاحب بدعة) اى منكرة (ملأ الله قلبه ايمانا) اى معرفة وايقانا (ومن اهانه امنه الله) اى جعله آمنا من عذابه (يوم الفزع الاكبر) وهو القيمة الكبرى (ومن لان له) اى في الكلام (او اكرمه) اى بالقيام (او لقيه ببشر) اى في حال السلام (فقد استخف بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم) اى فلم يعمل بما يجب عليه من الاحكام وان استحل فقد خرج عن دائرة اهل الاسلام

والحديث لم اجد فى كتب الاعلام ولكن ورد عنه عليه السلام من وقر صاحب بدعة فقد اعان على هدم الاسلام (ويستغنى من القلب فى الخلاء) اى اذا كان وحده او فى حكم الخلاء (ان اظهار البغض اقرب الى الانزجار) اى امتناع المبتدع والفاسق عن حالهما (ام التلطف بالنصح) انسب الى اصلاح امرهما فيفعل بمقتضى ذلك (ولا يحسن الى من جنى) اى ظلم (فى حق الناس) اى لا بالحماية ولا بالشفاعة والعناية (فهو) اى الاحسان الى الظالم (اساءة فى حق المظلوم) اى الاولى بالرعاية كما فى نسخة (بخلاف حقه) اى فله ان يعاقبه بمثله وله فى مقابلة ظلمه عليه بل هذا من الخلق الممدوح لديه قال تعالى * ادفع بالتى هى احسن (ويضطر الذمى الى اضيق الطرق) اى بنية اهانته وعزة المسلم وغلبته فالاسلام يعلو ولا يعلى عليه (ولا يبدأ بالسلام عليه) لانه من باب الاكرام لديه والاحسان اليه (ولا يزيد فى جوابه) اى على قوله وعليك او عليك فحسب وعبارة المصنف موهمة ان يقول له وعليك السلام من غير زيادة ورحمة الله وبركاته وليس كذلك فانه مخالف للرواية والدراية (ويسلم على من اتبع الهدى ان كان) الذمى او الحربى او الفاسق او البدعى (فى جمع المسلمين) وكأنه مقتبس من قول موسى عليه السلام ۞ والسلام على من اتبع الهدى ۞ وكذا فى العكس بان كان المسلم بين الكافرين او الفاجرين وقيل يقول السلام عليكم وينوى المسلمين الكاملين (ويدعو فى تشميته) اى جواب عطسته (بالهداية) اى بان يقول يهدينا ويهديكم الله (لا بالرحمة) فلا يقول يرحمكم الله (ولا يرشده) اى لا يدله (الى معبده) اى من البيعة لليهود والكنيسة للنصارى فانه اعانة على المعصية وقال تعالى ۞ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان (ولا يصافحه) لان المصافحة من باب كمال المصالحة (ويعيد الوضوء) اى اللغوى وهو غسل اليد (ان صافحه) اى كافرا لظاهر قوله تعالى انما المشركون نجس (ولا يستقبل جنازته بالوجه) اى بالمواجهة بل يدير عنها وجهه اذا اتته فى المقابلة

﴿ الباب التاسع فى الصمت وآفات اللسان ﴾

المراد بالصمت السكوت فى ميدان البيان فقد ورد من صمت نجا رواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمر بسند فيه ضعف والطبرانى بسند جيد الصمت حكمة وقيل فاعله الديلمى عن ابن عمر بسند ضعيف والبيهقى فى الشعب من حديث انس بلفظ حكم بدل حكمة قال والصحيح عن انس ان لقمان قال ولابى نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر من كثر كلامه كثر سقطه وما احسن قول القائل

(شعر)

* ما ان ندمت على سكوتى مرة ۞ ولقد ندمت على الكلام مرارا

(بسم الله الرحمن الرحيم) خير كلام صدر من كل حكيم (ورد ان اكثر خطايا ابن آدم فى لسانه) الطبرانى وابن ابى الدنيا فى الصمت والبيهقى فى الشعب بسند حسن والترمذى وصححه وابن ماجة والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث معاذ قلت يا رسول الله انؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك امك وهل يكب الناس على مناخرهم الا

حصائد السنتهم وللترمذى وحسنه من حديث عقبة بن عامر قلت يارسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وفى الصحيحين من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا اوليسكت ولابن ابى الدنيا وغيره من حديث انس مرفوعا رحم الله عبدا تكلم فغنم اوسكت فسلم (ففى الصمت الوقار) اى حصول الرزانة والطمانينة (واجتماع الهمة) اى للامور المهمة (والفراغ للعبادة) التى هى وسيلة الى سيادة السعادة (والسلامة من آفات الدارين) اى محن الكونين وفتن المحلين (فان البلاء) اى فى الدنيا والاخرى (موكل بالمنطق) مصدر ميمى اى بنطق اللسان الصادر عن الانسان فى معرض البيان فاللسان صغير جرمه وكبير جرمه اذ لا يتبين الكفر والايمان والطاعة والعصيان الا بشهادة اللسان ثم الذى ادرجه المصنف فى كلامه حديث رواه الخطيب فى تاريخه عن ابن مسعود بلفظ البلاء موكل بالمنطق فلو ان رجلا غير رجلا برضاع كلبة لرضعها قال السخاوى ضعيف اقول ويقويه مانسبه الزركشى الى ابن لال فى مكارم الاخلاق من حديث ابن عباس والديلمى من حديث ابى الدرداء قال السيوطى والديلمى ايضا من حديث ابن مسعود مرفوعا واحمد فى الزهد عنه موقوفا وابن السمعانى فى تاريخه من حديث على مرفوعا وبهذا تبين خطأ ابن الجوزى حيث ذكره فى الموضوعات لكن لفظه البلاء موكل بالقول ولعل هذا سبب نسبته الى الوضع (منها) اى من آفات اللسان (مالا يعنى) اى مالا ينفع الانسان من البيان (وهو) اى مالا يعنى (مالا اثم عليه ولا ثواب) اى لا اجر لديه وينبغى ان يزاد ولا حاجة اليه وقد يعبر عنه باللغو ومنه قوله تعالى * والذين هم عن اللغو معرضون * واذا مروا باللغو مروا كراما * والاصل فى اللغو ومالا يعنى كلاهما شمول القول والفعل بل خطور القلب وتصوره فى ميدان العقل الا ان الاكثر استعمالهما فيما يتعلق باللسان (فيه) آفات كثيرة وعاهات شهيرة ذكر المصنف منها ثلاثة عشر آفة الاولى (تضييع الوقت) وهو يوجب المقت فانك به مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك فرأس مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى مالا يعنيه ضاعت حالاته ومضت ايامه فى الدنيا ولم يدخر فيها ثوابا للعقبى ومن هنا قال الصديق الاكبر ليتنى كنت اخرس الا عن ذكر الله وفى الحديث ليس يحضر اهل الجنة يوم القيمة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها رواه الطبرانى والبيهقى عن معاذ وجاء فى حديث ضعيف ان الله امرنى ان يكون نطق ذكرا وصمتى فكرا ونظرى عبرة (وقساوة القلب) لانها بالغفلة عن ذكر الرب قال تعالى * فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله * وقال عز وعلا * الذين آمنو وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب * اى تسكن وتبين وقال عز وعلا فى بيان القرآن وذكره * تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله (ووهن البدن) اى ضعفه بضعف بعض جسده فانه اذا اشتكى بعض الاعضاء يتألم معه سائر الاجزاء (وتأخير الرزق) اى المعنوى اوالحسى ايضا جزاء لما فاته من الرفق (وايذاء الحفظة) اى الكرام الكاتبين بالقاء كلامه واملاء مرامه من غير فائدة فى تمامه قال عطاء بن ابى رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون منه ماعدا كتاب الله وسنة رسوله اوامرا بمعروف اونهيا عن منكر اونطقا بحاجتك فى معيشتك التى لابد لك منها اتنكرون ان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون

وعن اليمين وعن الشمال قعيد مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحيى احدكم ان لو نشرت صحيفته التى املاء صدر نهاره كان اكثر مافيها ليس من امر دينه ولا دنياه (وارسال كتب) اى صحائف من (اللغو اليه تعالى اى للعرض عليه قبل القيمة (وقراءته بين يديه تعالى يوم القيمة على رؤس الاشهاد) كما يشير اليه قوله تعالى * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا * ومن هنا قال عمر رضى الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وهو مستفاد من قوله تعالى * يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله * وتكرار الامر بالتقوى لانها مطلوبة فى الدنيا والاخرى فافهم (والحبس عن الجنة) اى بمقدار ما اختاره فى الدنيا من الغفلة عن الحضرة (والحساب) اى لما اثبته فى الكتاب من استحقاق الثواب او استيجاب العقاب (واللوم) كما يشير اليه قوله سبحانه * لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم بالنفس اللوامة * فانها تلوم نفسها على وجه الندامة فانها ان عملت خيرا تلوم نفسها لماذا مازادت عليه وان عملت شرا فظاهر فى حقها الملامة (والتعيير) اى التوبيخ على التقصير (وايقاع الحجة) اى ابطالها فى تلك الحالة (والحياء منه تعالى) لماله من الجلالة (وورد) اى من حديث ابى هريرة فى رواية الترمذى وابن ماجة (من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه) بل ورد ماهو اشد من هذا فعن انس استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يابنى وقال عليه السلام ومايدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه او يمنع مالا يضره ابن ابى الدنيا والترمذى مختصرا وفى حديث آخر انه عليه السلام فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشى حتى اتاه فلما دخل عليه قال له ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال عليه السلام من هذه المقالية على الله قال هى امى يارسول الله قال ومايدريك يا ام كعب لعل كعبا قال مالا يعنيه اومنع مالا يغنيه والمعنى ان الجنة انما تتهيأ لمن لا يحاسب ولا يعاقب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا تتهيأ الجنة له لاسيما مع المناقشة فى الحساب فانه نوع من العذاب (ومنها الفضول) اى فضول الكلام (وهو زيادة فيما يعنى) يعنى قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يكره بكلام يختصره ويمكنه ان يبسطه ويعزره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول اى فضل على الحاجة فعن ابن مسعود انذركم فضول الكلام بحسب امرئ مابلغ به حاجته اى من المرام فى المقام (فورد طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله) وتمامه ووسعته السنة ولم تستهوه البدعة رواه البغوى والبيهقى وقال ابن عبد البر حديث حسن وفضول الكلام لا ينحصر ولا يحصى بل المهم محصور فى كتاب الله تعالى * لا خير فى كثير من نجويهم الا من امر بصدقة اومعروف اواصلاح بين الناس * وقد ورد الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا امر بمعروف اونهيا عن منكر اوذكر الله البزار عن ابى مسعود والطبرانى عن ابى الدرداء بلفظ الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ماابتغى به وجه الله عزوجل (ومنها الخوض فى الباطل) وهو الكلام فى المعاصى (كمحاسن النساء) اى حكايات احوالهن من قدهن وخدهن وجمالهن (ومقامات الفساق) من مجالس الخمر وسماع الزمر (وتنعم الاغنياء) اى بالمأكول والمشروب من الاشياء (وتجبر الملوك) اى واتباعهم من الامراء والوزراء (وحروب

الصحابة) كقصتي الجمل وصفين على طريق الاخباريين لا على رواية المحدثين (والمذاهب الباطلة) وما يتعلق بها من المشارب العاطلة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه (فورد اعظم الناس خطايا) جمع خطيئة كقضية وقضايا (يوم القيمة اكثرهم خوضا في الباطل) ابن ابي الدنيا من حديث قتادة مرسلا ورجاله ثقات ورواه هو والطبراني موقوفا على ابن مسعود بسند صحيح وهو في حكم المرفوع ولابن ماجة والترمذي وقال حسن صحيح من حديث بلال بن الحارث ان الرجل لينكلم بالكلمة من رضوان الله مايظن ان تبلغ به مابلغت يكتب الله بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل لينكلم بالكلمة من سخط الله مايظن ان تبلغ به مابلغت يكتب الله بها عليه سخطه الى يوم القيمة وكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحرث ولابن ابي الدنيا من حديث ابي هريرة بسند حسن مرفوعا ان الرجل لينكلم بالكلمة يضحك بها جلساؤه يهوى بها ابعد من الثريا وللشيخين والترمذي واللفظ له وقال حسن غريب ان الرجل لينكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوى بها سبعين خريفا في النار (وهو) اي الخوض في الباطل (حرام) كما يشير اليه قوله تعالى * وكنا نخوض مع الخائضين ۞ وقوله ۞ فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ۞ وقال سلمان اكثر الناس ذنوبا يوم القيمة اكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول توضأوا فان بعض ماتقولون شر من الحديث يعني فان الحديث مباح وكلام المعصية منكر ولذا كان بعض السلف يتوضأ من الغيبة والنميمة والمقصود الطهارة الظاهرة والباطنة عن المعصية الذميمة (والاولان) اي مالا يعني وفضول الكلام (مكروهان) كراهة تنزيه لانهما ترك الاولى كما لا يخفى (وسبب الكل) اي باعث جميع ماذكر مما لا يعني والفضول والخوض (هو الحرص على علم لا ينفع) بل انه يضر ولا يدفع ومن هنا قال عليه السلام انتم اعلم بامور دنياكم وقال الانساب بيان علم لا ينفع وجهل لا يضر (والانبساط بالكلام المتودد) اي المتحبب مع الانام والغفلة عن ذكر الملك العلام (وامضاء الوقت) من الليالي والايام من غير منفعة للخاص والعام (والعلاج) اي معالجة الكل ستة (ذكر اتيان الموت) لانه به يتدارك الفوت في الاوقات وقد ورد اكثر واذكر هادم اللذات (والسؤال) اي وذكر السؤال عن الاحوال يوم العرض على الملك المتعال (ولحوق الخسران بتضييع الوقت) اي الزمان في الهذيان فقد قال تعالى * قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا * (والعزلة وهو الانفع) اي في المعالجة لان اكثر الضرر في الصحبة والخلطة والقاء نواة في الفم) او حصاة (وهو مروي عن الصديق) رضي الله عنه ففي الاحياء عنه انه كان يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام فيما لا يعنيه فكان يشير الى لسانه ويقول هذا الذي اوردني الموارد اي المهالك الصادرة من شانه (والسكوت عن بعض المهمات) حذرا من كل الآفات لانه لا نجاة من هذا الامر الا بالسكوت عن كل مالا يأثم به لو سكت بالمقامات وعن بعضهم جعلت على نفسي بكل كلمة فيما لا يعني صلاة ركعتين فسهل ذلك علي فجعلت لكل كلمة صوم يوم فسهل علي ولم تنته حتى جعلت على نفسي بكل كلمة ان اتصدق بدرهم فصعب علي فانتهت كذا في شرح الخطب (ومنها المراء وهو) في هذا المقام (الطعن في الكلام) اي كلام الغير (باظهار خلل) اي نقصان (او طغيان) اي زيادة

فى معرض بيان بحسب المبنى اومن جهة المعنى (وهو حرام) قال تعالى * فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا * وعنه عليه السلام لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده وعدا فتخلفه الترمذى من حديث ابن عباس وللطبرانى من حديث ابى الدرداء وابى امامة وانس بن مالك وواثلة بن الاسقع وابن ابى الدنيا موقوفا على ابن مسعود ذر والمراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته (والواجب السكوت) باظهار كونه معترفا اومتوقفا وهذا اذا لم يكن بامور الدين متعلقا (والسؤال مستفيدا) اى متعرفا (او التعريف) اى تعريف الخلل (متلطفا) اى لا متعنتا ولا متكلفا (وورد من ترك المراء وهو محق) اى صاحب حق (بنى له بيت فى اعلى الجنة ومن تركه وهو مبطل بنى له فى اسفل الجنة) وفى رواية بنى له بيت فى ربض الجنة رواه الترمذى وابن ماجة من حديث انس مع اختلاف قال الترمذى حديث حسن ولابن ابى الدنيا من حديث ابى هريرة لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يذر المراء وان كان محقا وهو عند احمد بلفظ لا يؤمن العبد حتى يترك الكذب فى المزاحة والمراء وان كان صادقا وللديلمى من حديث ابى مالك الاشعرى ست خصال من الخير من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام فى الصيف وتعجيل الصلوة فى يوم الدجن اى الغيم والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وللطبرانى من حديث ابى امامة تكفير كل لحاء ركعتان واللحاء مصدر لاحى بمعنى مارى وآفات المراء كثيرة ومضراته مستطيرة قال سفيان الو خالفت اخى فى رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بى الى السلطان وقال ايضا صاف من شئت ثم اغضبه بالمراء فليريحنك بداهية تمنعك من العيش وقال ابن ابى ليلى لا امارى صاحبى فاما ان اكذبه واما ان غضبه (ومنها الجدال) اى البحث لترجيح كلامه كيف ما كان على وفق مرامه (وهو) اى فى العرف او الغالب (مراء متعلق باظهار المذاهب) اى الفروعية الخلافية والاصولية الاعتقادية قال تعالى * ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شئ جدلا * وقال عزوجل * ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن * فهو مأذون فيه مع اهل الكفر والبدعة ومنهى عنه فى حق المسلمين من اهل السنة والجماعة فللترمذى من حديث ابى امامة وصححه ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه اوتوا الجدال (وهو) اى الجدل المذموم (يعرف بكراهة اصابة الخصم) اى الحق والصواب فى اثنائه (وارادة خطائه) وهو قد يوجب ظهور كفره واغوائه (واظهار فضل النفس) فى اهوائه (وورد) اى من حديث ام سلمة (ان اول ما عهد الى ربى ونهانى عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال) اى مجادلتهم ومنازعتهم ومماراتهم فى محاوراتهم رواه ابن ابى الدنيا والبيهقى وابو داود مرسلا من حديث عروة بن رويم (والسبب) اى الباعث للمراء والجدال (الترفع) باظهار الفضل والكمال والتهجم على الغير باظهار نقصه فى العلوم او الاعمال (والغضب) اى وتهجمه فى محافل الرجال (وعلاج كل) اى من الترفع الغضب (فى موضعه) اى الاليق ومجمله ان علاج الترفع ترك الكبر والتواضع وعلاج الغضب تصور قدرة الرب ويروى ان الامام الهمام ابا حنيفة قال لداود الطائى احد تلاميذه لم آثرت الانزواء قال لاجاهد نفسى بترك الجدال والمراء قال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم فى الاثناء قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة اشد مما هنالك قال فى الاحياء وهو كما قال لان من سمع

من غيره خطأ وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه جدا ولذا قال عليه السلام من ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى اعلى الجنة لشدة ذلك على النفس وما يحصل لها من المحنة ثم قال وينبغى للانسان ان يكف اللسان عن اهل القبلة واذا رأى احد المبتدعة تلطف فى نصحه على الخلوة بطريق المجادلة الحسنة والمحاورة المستحسنة فعنه عليه السلام رحم الله من كف لسانه عن اهل القبلة الا با حسن ما يقدر عليه ابن ابى الدنيا من حديث هشام ابن عروة مرسلا وقال هشام بن عروة كان يردد قوله هذا سبع مرات (ومنها الخصومة) وهى من الصفات المذمومة والاخلاق المشؤمة (وهى لجاج) اى مخاصمة زائدة (فى الكلام) مع اصحابه الكرام (لاستيفاء حق) اى له اولغيره اصالة اونيابة (ابتداء اواعتراضا) كاثبات الوراثة ودفع الخصومة انتهاء فالاول نعت المدعى بالكسر والثانى وصف المدعى عليه ومن هنا قيل الصوفى لايخاصم ولايخاصم (فورد) اى فى البخارى عن عائشة (ابغض الرجال الى الله الالد الخصم) اى اللجوج الشديدة الخصومة والحديث مقتبس من قوله تعالى ❁ ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه وهو الد الخصام ❁ ولابن ابى الدنيا وغيره عن ابى هريرة من جادل فى خصومة بغير علم لم يزل فى سخط الله حتى يفرغ (وهو حرام الا للمظلوم ينصر حجته بطريق الشرع مقتصرا على الحاجة) اى قدر حاجته من غير تعد الى حد لحاجته لقوله تعالى ❁ لايحب الجهر بالسوء من القول الا من ظلم ❁ وقوله ❁ والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون ❁ (والاولى الترك) اى اذا وجد اليه سبيلا فى مكان الامكان (لعسر ضبط اللسان على الاعتدال) فى ميدان البيان (والاحتراز عن موجبات الاثم) اى والاحتراس عن مقتضيات انواع العصيان (كالحقد والغضب والسب) وغيرها من نحو الكذب والبهتان (والفرح بغم المسلم) فى ذلك المقام (وفوت طيب الكلام) اى ولفوته وقد قال عليه السلام يوجب الجنة اطعام الطعام وحسن الكلام الطبرانى من حديث هانى ابن شريح باسناد جيد وقال عمر رضى الله عنه

(شعر)

* بنى ان البر شئ هين * وجه طليق وكلام لين *

ولاجل ماتقدم قال تعالى ❁ فمن عفا واصلح فاجره على الله ❁ وقال عز وعلا ❁ وقولوا للناس حسنا ❁ وقد قال بعضهم ماخاصم قط ورع فى الدين وقال ابن قتيبة مر بى بشر بن عبد الله بن ابى بكر فقال مايجلسك قلت خصومة بينى وبين ابن عم لى قال ان لابيك عندى يدا وانى اريد ان اجزيك بها وانى والله مارأيت شيئا اذهب للدين ولانقص للمروءة ولااضيع للذة ولااشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لارجع فقال لى خصمى مالك فقلت لااخاصمك فقال عرفت انه حق فقلت لا ولكنى اكرم نفسى عن هذا قال فانى لا اطلب منه شيئا هو لك (ومنها التشدق) اى التكلف فى الكلام والتوسع فى المرام (بتكلف السجع والتصنع فيه) اى من غير ان يكون فى سجيته سجيع الطبع كما قيل لبعض المشايخ فى ذم السجع فقال رجعت عما سجعت واما اصل السجع فغير مذموم فى الشرع كما نزل فى فواصل آى القران القديم وورد فى كثير من حديث النبى الكريم ومنه اعوذ بك من علم لاينفع وقلب لايخشع ونفس لاتشبع ودعاء لايسمع ومن هؤلاء

الاربع واما ماورد من انه عليه السلام قضى بغرة فى الجنين فقال بعض قوم الجانى كيف ندرى من لاشرب ولااكل ولاصاح ولااستهل ومثل ذلك يطل اى يهدر ويبطل فقال عليه السلام اسجعا كسجع الاعراب وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه فى هذا الباب والحديث رواه مسلم من حديث المغيرة بن شعبة وابى هريرة واصلهما عند البخارى ايضا (فورد شرار امتى الذين يتشدقون فى الكلام) ابن ابى الدنيا من حديث فاطمة شرار امتى الذين غذوا فى النعيم يأكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون فى الكلام ولمسلم من حديث ابى مسعود الاهلك المتطعون ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء ولاحمد من حديث ابى ثعلبة وهو عند الترمذى من حديث جابر وحسنه ان ابغضكم الى الله وابعدكم منى مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون (والسبب اظهار الفصاحة) والبلاغة (واما تحسين الالفاظ فى المواعظ) وكذا فى الخطب والتصنيف (للتأثير فى القلوب فجائز دون الافراط) اى من غير الاطناب فى الاغراب لان المقصود تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها وتحقيقها وتدقيقها ولرشاقة الالفاظ والمبانى تأثير فى ميدان المعانى واما المحاورات التى تجرى فى قضاء الحاجات فلا يليق بها السجع فيما بين الكلمات فاشتغال به من التكلف المذموم اذلا باعث عليه الا رياء الملوم (ومنها الفحش وهو التصريح بالذمائم) اى بالكلمات الذميمة (كلفظ الجماع) اى تصريحا لا تلويحا فعن ابن عباس ان الله حى كريم ويكنى كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة بالاجماع (والبول) وكذا الخرء بالاولى فينبغى ان يكنى عنهما بقضاء الحاجة او بالغائط فانه من كنايات القرآن اذا حقيقته الموضع المنخفض من الارض مع مافيه من التنبيه ان مثل هذا المكان يليق بقضاء حاجة الانسان (والجذام) ونحوه من البرص والقرع والبواسير والقولنج والاسهال بل يقال العارض الذى يشكوه (وزوجتك) وكذا امرأتك وسريتك بل يقال من فى البيت والعيال اواهل البيت اوام الاولاد ونحو ذلك والظاهر ان زوجك من كنايات القرآن حيث قال تعالى * اسكن انت وزوجك الجنة * وقال * امسك عليك زوجك (فورد الفحش ليس من الاسلام) احمد وابن ابى الدنيا باسناد صحيح من حديث جابر بن سمرة بلفظ ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام فى شئ الحديث وللنسائى والحاكم وصححه من حديث عبدالله بن عمرو اياكم والفحش فان الله لايحب الفحش ولا التفحش ولابن ابى الدنيا وابى نعيم فى الحلية من حديث عبدالله بن عمرو باسناد لين الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها قال العلاء بن زياد وكان عمر بن عبد العزيز يتحفظ فى منطقه فخرج جراح فى ابطه فقلنا نسأله ماذا يقول فقلنا من اين يخرج فقال من باطن اليد من هذا القبيل قوله عليه السلام لامرأة رفاعة حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك رواه البخارى من حديث عائشة ومن ذلك ماتفق الشيخان عليه من حديثها فى المرأة التى سألته عن الاغتسال من الحيض خذى فرصة ممسكة فتطهرى بها الحديث (ومنها السب) اى الشتم (فورد سباب المؤمن فسق) رواه الشيخان عن ابن مسعود ولفظه سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ولمسلم من حديث ابى هريرة المستبان ماقالا فعلى البادى مالم يتعد المظلوم ولاحمد وابى يعلى والطبرانى من حديث ابن عباس باسناد جيد ملعون من سب والديه وفى رواية الصحيحين من حديث عبدالله

بن عمرو من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا يارسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب ابا الرجل فيسب الاخر اياه ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان يسب قتلى بدر من المشركين وقال لاتسبوا هؤلاء فانه لايخلص اليهم شئ مما تقولون وتؤذون الاحياء رواه ابن ابى الدنيا من حديث محمد بن على الباقر مرسلا ورجاله ثقات وللنسائى من حديث ابن عباس باسناد صحيح ان رجلا وقع فى اب للعباس كان فى الجاهلية فلطمه الحديث وفيه لاتسبوا اموانا فتؤذوا احياءنا ولابى داود والترمذى وقال غريب من حديث ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وللنسائى من حديث عائشة لاتذكروا موتاكم الابخير واسناده جيد وللبخارى من حديث عائشة لاتسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ماقدموا (والرخصة فى مثل هل انت الا من بنى فلان) اى اذا كان بنو فلان من القبائل الدنية واهل الشمائل الردية فيكون صادقا فى قوله (ياسئ الخلق) لان الخلق لايخلو من سوء الخلق (لاحياء لك) اى حق الحياء (ياأحمق) اذ لايخلو احد من نوع حماقة (ياجاهل) لان كل احد جهله اكثر من علمه لقوله تعالى ۞ وما اوتيتم من العلم الاقليلا ۞ (فكل) اى من افراد الانسان (لايخلوا عن جهل وحمق) ولو فى بعض الاحيان والله المستعان (ومنها اللعن) بمعنى الطرد (وهو الابعاد عنه تعالى) اى طلب بعد الغير عن رحمته سواء يكون بجملة خبرية كلعنه الله او دعائية كاللهم العنه (فهو حكم عليه تعالى) لان الخبر ايضا بمعنى الامر (فلايجوز) اى على احد من فاسق ومبتدع وفاجر بل لايجوز (لاعلى ميت كافر) اى بحسب حكم ظاهر (لجواز انه اسلم) اى ولم يطلع على ايمانه احد (الا اذا علم موته كافرا) بنص قطعى من كتاب كابى لهب او بتواتر فى حديث (كابى جهل وفرعون) فان كفره ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة ولا التفات الى كلام ابن العربى ومن تبعه كما بينته فى رسالة مستقلة (ولا حى) اى ولاعلى كافر حى (لاحتمال انه يسلم) فى آخر عمره وخاتمة امره (بخلاف الترحم للاسلام الحالى) جواب سؤال مقدر وهو انه ينبغى ان لايجوز الترحم للمسلم فى الحال لجواز انه يكفر فى المآل فقال انما يجوز (لانه) اى الدعاء بالرحمة للمسلم (سؤال الثبات على الاسلام وهو مستحب) باجماع الاعلام (وسؤال الثبات على الكفر كفر) لانه يدل على رضاه به بخلاف الدعاء لاحد بالموت على الكفر فان رضاه ليس بكفره بل بموته على كفره تغيظا فى امره ويدل على جوازه دعاء موسى وهارون على فرعون وقومه بقولهما ۞ ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلايؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ۞ ومن المعلوم ان ايمانهم عند رؤية العذاب ايمان يأس وتوبة يأس فلايقبل لقوله تعالى * فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا * وقوله * حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن * وقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر واما اذا قيل اغفر وارحم فلانا وهو كافر واراد به الدعاء له بان يجعله سبحانه اهلا للمغفرة والرحمة بالايمان والمعرفة فقيل لابأس والظاهر انه لايجوز لنهى الشارع ان يقال فى جواب عطسة الكافر يرحمك الله بل يقال يهديك الله (ويجوز التعميم مثل لعن الله الكافرين) لقوله تعالى « فلعنة الله على الكافرين * و الالعنة الله على الظالمين * بل يجوز التعميم ايضا فى حق الفاجرين من غير تعيين بان يقال لعن الله آكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون كما رواه الطبرانى عن ابن مسعود مرفوعا ولعن الله الخمر وشاربها

وساقيها وبايعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها كما اخرجه ابو داود والحاكم عن ابن عمر ولعنت القدرية على لسان سبعين نبيا رواه الدار قطني في العلل عن علي رضي الله عنه يجوز ولعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى الخوارج والروافض (والاولى الترك) اى ترك اللعن (مطلقا) اى عموما وخصوصا فيما لم يرد في الكتاب والسنة لعنه (اذهو مما لا يعنيه) قال مكي بن ابراهيم كنا عند بن عوف فذكروا بلال بن ابي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عوف ساكت فقالوا يا ابن عوف انما نذكره لما ارتكب منك فقال ابن عوف انهما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيمة لا اله الا الله ولعن الله فلا تافلان تخرج من صحيفتي لا اله الا الله احب الى من ان يخرج لعن الله فلانا وعلى الجملة ففي لعنة الاشخاص خطر فليجتنب في امره ولا خطر في السكوت عن لعن ابليس فضلا عن غيره (وورد المؤمن) اى الكامل (ليس بلعان) اى بذي لعن فالصيغة للنسبة كالتمار واللبان او للمبالغة فانه ربما يصدر عن المؤمن في حالة من احوال الغضب او الغفلة وهو مذموم سواء يكون لانسان او جماد او حيوان والحديث رواه الترمذي وحسنه من حديث ابن عمر لا يكون المؤمن لعانا ولابي داود والترمذي من حديث سمرة بن جندب وقال الترمذي حسن صحيح لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال عمران بن الحصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره اذا امرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال عليه السلام خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة قال فكاني انظر الى تلك الناقة تمشي في الناس لا يتعرض لها احد رواه مسلم ولابن ابي الدنيا باسناد جيد من حديث انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون قال ذلك انكارا عليه كذا في الاحياء وعن ابي ذر وابي الدرداء ما لعن الارض احد الا قالت لعن الله اعصانا لله وعن عائشة قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه وقال يا ابا بكر العانين وصديقين كلا ورب الكعبة العانين وصديقين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلاثا فاعتق ابو بكر يومئذ رقيقه وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا اعود رواه ابن ابي الدنيا ولمسلم من حديث ابي الدرداء ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة وشرب نعيمان الخمر فحد مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به فقال عليه السلام لا تكن عونا للشيطان على اخيك وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله ابن عبد البر في الاستيعاب وللبخاري من حديث ابن عمر ان رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جلده في الشراب فاتي به يوما لامر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما اكثر ما يؤتى به فقال عليه السلام لا تلعنوه فوالله علمت الا انه يحب الله ورسوله وهذا يدل على ان لعن فاسق بعينه لا يجوز وفي الصحيحين من حديث ثابت بن الضحاك لعن المؤمن كقتله والتحقيق ان اللعن غير جائز الا على من يتصف بصفة تبعده عن الله وهو الكفر والفسق والظلم والبدعة وذلك غيب باعتبار الخاتمة اذ ربما يموت صاحبه على التوبة فلعن الاعيان فيه خطر لان الاحوال تنقلب على الاعيان الا انه عليه السلام يجوز ان يعلم من يموت على غير الاسلام ولذا كان يقول

فى دعائه على قريش اللهم عليك بابى جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وغيرهما ممن قتلوا على الكفر ببدر كما فى الصحيحين من حديث ابن مسعود واما من لم يعلم عاقبته وكان يلعنه فنهى عن ذلك اذ روى انه كان يلعن الذين قتلوا اصحاب بئر معونة فى قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ﴿ ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ﴾ يعنى انهم ربما يتوبون فمن اين تعلم انهم ملعونون كذا فى الاحياء وقال مخرجه راوه الشيخان من حديث انس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا اصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا الحديث وفى رواية لهما قنت شهرا يدعو على رعل وذكوان الحديث ولهما من حديث ابى هريرة كان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه الحديث وفيه العن لحيان ورعلا الحديث وفيه ايضا ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله ﴿ ليس لك من الامر شئ ﴾ ولفظه لمسلم واما من بان موته على الكفر فيجاز لعنه ان لم يكن فيه اذى على مسلم لما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ابا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه وهو عمرو بن سعيد قال يا رسول الله هذا قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب للهمام من ابى قحافة فقال ابو بكر يكلمنى هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال عليه السلام لعمر واكفف عن ابى بكر وانصرف ثم اقبل على ابى بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء للآباء فكف الناس عن ذلك كذا فى الاحياء قال مخرجه رواه ابو داود فى المراسيل من رواية على بن ربيعة قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه من فوره ذلك الى الطائف ومعه ابو بكر ومعه ابنا سعيد بن العاص فقال ابو بكر لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال ابو بكر لعن الله صاحب هذا القبر فانه كان يحاد الله ورسوله الحديث وفيه فاذا سببتم المشركين فسبوهم جميعا وللترمذى من حديث المغيرة بن شعبة ورجاله ثقات لاتسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء فان قيل هل يجوز لعن يزيد لكونه قاتل الحسين او آمرا به فقال الغزالى هذا لم يثبت اصلا فلا يجوز ان يقال انه قتله او امر به مالم يثبت فضلا عن اللعن لانه لايجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق و بصيرة ثم يجوز ان يقال قتل ابن ملجم عليا رضى الله عنه وقتل ابو لؤلؤة عمر رضى الله عنه لان ذلك ثبت متواترا ولايجوز ان يرمى مسلم بكفر وفسق من غير تحقيق فعنه عليه السلام لايرمى رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الاارتد عليه ان لم يكن صاحبه كذلك رواه الشيخان من حديث ابى ذر وللديلمى من حديث انس ماشهد رجل على رجل بالكفر الاأتى احدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او غيرها كان مخطئا لاكافرا فان قيل فهل يجوز ان يقال قاتل الحسين لعنه الله او الآمر بقتله لعنه الله قلت الصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة فان وحشيا قاتل حمزة قتله وهو كافر ثم تاب عن القتل والكفر جميعا ولايجوز ان يلعن والقتل كبيرة ولاينتهى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان فيه خطر كذا فى الاحياء وقد تقدم عنه انه لايجوز لعن احد الا اذا تحقق موته على الكفر فالصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات على الكفر لعنه الله اذ لايجوز لعنه ان مات على الايمان وتاب عن العصيان

والله المستعان (ومنها نسبة الذنب الى المسلم) يعنى وهو برئ منه (الا الذنب بعد التحقيق) اى الا الذنب الذى تحقق وقوعه منه فقد قال تعالى * ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا (ومنها الدعاء على احد) قال تعالى * ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا (فورد ان المظلوم ليدعو على الظالم) اى فيقول لاصح الله جسمه ولاسلم الله روحه ونحوه (حتى يكافيه) اى بمثله فى الظلم (ثم يبقى للظالم عنده فضلة) اى زيادة (يوم القيمة) اى ان زاد على مثله لقوله تعالى * فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم * والحديث كذا فى الاحياء وقال مخرجه لم اقف له على اصل وللترمذى من حديث عائشة بسند ضعيف من دعا على من ظلمه فقد انتصر قلت وهو مطابق لقوله تعالى * ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس * اى ابتداء او بالتجاوز عن الحد انتهاء (ومنها المزاح) بكسر الميم مصدر مزح او مازح وبالضم اسم مايمزح به وهو المطايبة فى الكلام بالمسان الا انه لما كان اللسان كالترجمان عن حال الجنان قال المصنف (وهو مطايبة القلب) ولا يبعد ان يكون المعنى وهو سبب لطيب القلب (وهو) اى كثيره او اصله (مذموم) اى وفاعله ملوم (لانه يولد) اى يهيج (كثيرا من الذنوب والعيوب) اى الظاهرة والباطنة (كحقد العاقل وجراءة السفيه) اى الجاهل فعن سعيد بن العاص لابنه يابنى لاتمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنى فيجترئ لديك (وسقوط الوقار) اى الهيبة والعظمة فى نظر الابرار فعن عمر رضى الله عنه من مزح استخف به (وذهاب حلاوة المحبة) لانه لا يخلو عن مرارة فى الصحبة ويقال المزاح مذهبة للبهاء ومقطعة للاصدقاء (والغفلة عنه تعالى) اى عن ذكر الرب بحسب الاغلب (وظلمة القلب) اى الناشئة عن الغفلة (وورد لاتمار اخاك ولاتمازحه) الترمذى (الا النادر الخالى عن الباطل) اى فانه غير مذموم كما ورد انى لامزح ولا اقول الا حقا لكن مثله يقدر على ان يمازح ولا يقول الا حقا واما غيره فاذا فتح باب المزاح كان عرضه ان يضحك الناس كيف كان وكثرة الضحك تميت القلب ويدل على الغفلة عن احوال الآخرة واهوالها وقد ورد لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا متفق عليه من حديث انس وعائشة وقال القاسم مولى معاوية اقبل اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قلوص له فسلم فجعل كلما دنا الى النبى عليه السلام ليسأله نفر به وجعل الصحابة يضحكون منه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يارسول الله ان الاعرابى قد صرعه قلوصه فهلك قال فواهكم ملأى من دمه ابن المبارك فى الزهد والرقايق وهو مرسل (كما هو المأثور) عن الحسن قال اتت عجوز الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لاتدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست بعجوز يومئذ قال تعالى ۞ انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا * الترمذى فى الشمائل هكذا مرسلا واسنده ابن الجوزى فى الوفاء من حديث انس بسند ضعيف وروى زيد بن اسلم ان امرأة يقال لها ام ايمن جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجى يدعوك فقال ومن هو اهو الذى بعينه بياض فقالت والله مابعينه بياض قال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال عليه السلام مامن احد الا بعينه بياض اراد به البياض المحيط بالحدقة الزبير بن بكار وجاءته امرأة اخرى فقالت يارسول الله احملنى على بعير فقال عليه

السلام تحملك على ابن البعير قلت ما اصنع به لايحملني فقال عليه السلام وهل من بعير الا وهو ابن البعير ابو داود والترمذي وصححه من حديث انس بلفظ انا حاملوك على ولد الناقة وروى ان الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلا ذميما قبيحا فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندي امرأتان احسن من هذه الحميراء افلا انزل لك عن احديهما فتزوجها وعائشة جالسة تسمع قبل ان يضرب الحجاب فقالت هي احسن ام انت فقال بل انا احسن منها واكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسألة عائشة اياه لانه كان ذميما الزبير بن بكار من رواية عبد الله بن حسن مرسلا او معضلا والدارقطني نحو هذه القصة مع عيينة بن حصين الفزاري بعد نزول الحجاب من حديث ابي هريرة وقال عليه السلام لصهيب وبه رمد وقد رآه يأكل تمرا فقال اتأكل التمر وانت رمد فقال انما آكل بالشق الآخر فتبسم عليه السلام قال بعض الرواة حتى بدت نواجذه ابن ماجة والحاكم من حديث صهيب وروى ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه النبي عليه السلام فقال يا ابا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن ضغير الجمل لي شرود قال فمضى عليه السلام لحاجته ثم طلع عليه فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل ذاك الشراد بعد قال فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك اتقرر منه كما رأيته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة حتى طلع علي وانا اصلي في المسجد فجلس الى فطولت صلاتي فقال لا تطول فاني انتظرك فلما فرغت قال يا ابا عبد الله اما ذلك الجمل الشراد بعد فسكت واستحييت قال وكنت اتقرر منه حتى لحقني يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه في شق واحد فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قلت والذي بعثك بالحق نبيا ما شرد منذ اسلمت قال الله اكبر الله اكبر اللهم اهد اباعبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله الطبراني في الكبير من رواية زيد بن اسلم عن خوات بن جبير ورجاله ثقات وكان نعيمان الانصاري رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعله ويأمر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة لعنك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان يشتري الشيء ويهديه الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم يجيء بصاحبه فيقول اعطه ثمن متاعه فيقول عليه السلام اولم تهده لنا فيقول يا رسول الله والله لم يكن عندي ثمنه واحببت ان تاكله فيضحك عليه السلام ويأمر لصاحبه ثمنه رواه الزبير بن بكار فهذه مطايبات يباح مثلها بل يستحب احيانا ومن الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزاح حرفة على الدوام ويتمسك بفعله عليه السلام فهو كمن يدور مع الزوج ايدا ينظر الى رقصهم ويتمسك باذنه عليه السلام لعائشة في النظر الى رقصهم في يوم عيدهم فهذا خطأ ومن الصغائر ما تصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما تصير صغيرة بالاصرار كذا في الاحياء (ومنها الاستهزاء وهو استحقار الغير بذكر عيوبه على وجه يضحك) اي منه على الملاء (قولا وفعلا) متعلقان بذكر عيوبه تنبيها على ان ذلك قد يكون بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء فعن عائشة حكيت انسانا فقال عليه السلام ما يسرني اني حكيت انسانا ولي كذا وكذا رواه ابو داود والترمذي وصححه (وهو) اي بجميع انواعه (حرام لانه ايذاء) وايضا هو عمل السفهاء ولذا قال موسى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين

حين قال قومه اتتخذنا هزوا اى مهزوا بنا (وورد) فى سورة الحجرات (لايسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم) تمامه ﴿ولانساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن (من عير اخاه بذنب لم يمت حتى يعمله) الترمذى عن معاذ بن جبل وحسنه وذكر عن احمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه وعنه عليه السلام ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجئ بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فمايزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال له هلم هلم فمايأتيه ابن ابى الدنيا مرسلا وعن عبدالله بن عباس فى قوله تعالى * ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها * الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وذلك كالضحك على خطه وصنعته اوعلى صورته وخلقته (الا) استثناء من حرام اى نما يحرم فى حق من يتأذى به لا (فيمن جعل نفسه مسخرة يمزح به) وربما يفرح بسببه (فهو) اى السخرية فى حقه (كالمزاح) الذى فى اصله من جنس المباح (ومنها اظهار السر) اى افشاء سر الغير صاحبه واذاعته واشاعته (فهو من لؤم الطبع) ومنهى عنه فى لسان الشرع (وفيه الايذاء والاستحقار) اى التهاون بحق المعارف والاصدقاء (وورد لايحل لاحدان يفشى على صاحبه مايكره) لم يعرف بهذا اللفظ لكن ورد الحديث بينكم امانة رواه ابن ابى الدنيا من حديث ابن شهاب مرسلا وللخطيب عن على المجالس بالامانة ولابى داود عن جابر المجلس بالامانة الاثلثة مجالس سفك دم حرام اوفرج حرام اواقتطاع مال بغير حق وورد من حديث جابر (اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهى امانة) ابوداود والترمذى وحسنه (ومنها الوعد على عزم الخلف فهو من ثلاث) اى خصال (هى علامات النفاق) فعن ابى هريرة مرفوعا ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان متفق عليه (والواجب) اى شرعا اومروءة (الوفاء فى كل وعد فهم) اى صاحب الوعد (منه الجزم وان استثنى) اى وقال ان شاء الله لانه قد يقال للتبرك وللتبرئ من الحول والقوة كما يشير اليه قوله تعالى * ولاتقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله * اى الا مقرونا بذكر مشيته وارادته (فورد) اى فى قوله تعالى * ياايها الذين آمنوا (اوفوا بالعقود) اى بالعهود وورد فى السنة (العدة) اى الوعد (دين) اى فرض كقرض (اوعطية) شك واختلاف رواية وهو الاظهر وقد اقتصر فى الاحياء على الثانى وقال مخرجه ابونعيم فى الحلية عن ابن مسعود ورواه غيره ايضا واما اللفظ الاول فرواه الطبرانى فى الاوسط عن على وعن ابن مسعود وفى رواية ابن عساكر عن على العدة دين ويل لمن وعد ثم اخلف كرره ثلاثا ولابن ابى الدنيا من رواية ابن ربيعة مرسلا الواى مثل الدين او افضل وقال الواى يعنى الوعد ورواه الديلمى ايضا عن على وقد اثنى الله على نبيه اسماعيل بقوله انه كان صادق الوعد يقال انه واعد انسانا الى موضع فلم يرجع اليه فبقى اثنين وعشرين يوما ينتظره وعن عبدالله ابى الحمساء بايعت النبى صلى الله عليه وسلم فوعدته ان آتيه بها فى مكانه ذلك فنسيت يومى والغد فاتيته اليوم الثالث وهو فى مكانه فقال يافتى قد شققت على انا ههنا منذ ثلاث انتظرك رواه ابو داود وكان عليه السلام جالسا

يقسم غناهم هو اذن بحنين فوقف عليه رجل فقال ان لى عندك موعدا قال صدقت فاحتكم ماشئت فقال احتكم ثمانين ضأنية وراعيها فقال هى لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التى دلته على عظام يوسف كانت احزم منك واجزل حكما حين حكمها موسى فقالت حكمى ان تردنى شابة وادخل معك الجنة ابن حبان والحاكم فى مستدكه من حديث ابى موسى مع اختلاف وقال الحاكم صحيح الاسناد واجزم بالجيم والزاى اوجب ولا يبعد ان يكون بالحاء المهملة اى احوط وازم (ويعذر) اى يعد معذورا (ان ترك) اى الوفاء (بعذر) اى شرعى اوعرفى فكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله اى تعليقا لئلا يكون الوعد تحقيقا وقيل لابراهيم بن ادهم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجئ قال ينتظره ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلوة التى تجئ قلت وهذا من قبيل الايجاب وما سبق من باب الاستحباب (فوردفيه) اى فى المعذور (نفى الاثم ان كان فى نيته الوفاء) اى من اصله فى الوعد المذكور فلا بى داود والترمذى من حديث زيد بن ارقم اذا وعد الرجل اخاه وفى نيته ان يفى فلم يف فلا اثم عليه (لكنه متصور بصورة الخلف فالاولى الاحتراز) اى احتراسا من التهمة فى خلف الوعد واما ما فى الاحياء انه عليه السلام كان اذا وعد وعدا قال عسى فقال مخرجه لم اجد له اصلا (ومنها الكذب) بفتح فكسر وبكسر فسكون وقد عد من قبائح الذنوب وفواحش العيوب (وهو حرام) بالكتاب والسنة قال تعالى ❁ انما يفترى الكذب الذين يؤمنون بآيات الله ❁ وفى الصحيحين اربع من كن فيه فهو منافق اذا حدث كذب وفيهما عن ابن مسعود لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ولابن عبد البر فى التمهيد بسند ضعيف عن عبد الله بن جراد انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم هل زنى المؤمن قال قد يكون من ذلك قال هل يكذب قال لا ثم اتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه الكلمة انما يفترى الكذب الذين يؤمنون بآيات الله وفى حصره مبالغة فى نفيه عن المؤمن او مقيد بالكامل ويؤيده مارواه ابن ابى شيبة فى مصنفه من حديث ابى امامة وابن عدى من حديث سعد بن ابى وقاص على كل خصلة يطبع او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقيل لخالد بن صبيح من يكذب كذبة واحدة هل يسمى فاسقا قال نعم (الا) استثناء من قوله وهو حرام اى ولا يحرم بل يجب (اذا وقع تركه) اى حصل فى ترك الكذب (افحش منه) اى منكر اعظم من الكذب (كما فى ستر الاسرار) اى بان يسأل عن سر اخيه فله ان ينكره ويكذب فيه وكذا فى ستر اسرار نفسه من كشف عوراته فعنه عليه السلام اجتنبوا هذه القاذورات التى نهى الله عنها فمن عمل شيئا فليستتر بستر الله رواه الحاكم واسناده حسن وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى بل اعظم من الاولى فللرجل ان يحفظ ذمة وماله الذى يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا (والانكار عن العلم) اى وكما فى عدم الاقرار (بمكان من اختفى عن ظالم قصد قتله) اوضربه او اخذ ماله او كشف عرضه وحاله فعن ميمون بن مهران ان الكذب فى بعض المواطن خير اى من الصدق ارأيت لو ان رجلا يسعى وآخر وراءه بالسيف فدخل دارك فانتهى اليك فقال رأيت فلانا ما كنت قائلا له الست تقول له لم اره وما تصدق فهذا الكذب واجب (او فيه) اى او فى تركه (احسن من الصدق) كما فى اصلاح ذات البين (فورد الاستثناء) اى استثناء حرمة الكذب (فى الحرب والاصلاح) اى اصلاح ذات البين (والحديث

المرأة) ففى صحيح مسلم عن ام كلثوم قالت ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص فى شئ من الكذب الا فى ثلاث الرجل يقول القول يريد الاصلاح والرجل يقول القول فى الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها ولعل المراد بتحدث الزوجين مايقع بينهما من الوعد فى احد الامرين بينة عدم الوفاء فى الخبرين لما رواه ابن عبد البر فى التمهيد رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسلا قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم اكذب اهلى قال لاخير فى الكذب قال اعدها واقول لها قال لاجناح عليك ولان اسرار الحرب لووقف عليه العدو واجترأ واسرار الزوج لووقفت عليه المرأة نشأ عنه فساد اعظم من فساد الكذب وكذا المتخاصمان يدور بينهما المعصية والعداوة فاذا امكن الاصلاح بكذب فذلك اولى من الصدق الذى لم يترتب عليه خير ثم لايجوز الكذب ولوكان بطريق اللعب فعن عبدالله بن عامر جاء عليه السلام الى بيتنا وانا صبى صغير فذهبت لالعب فقالت امى ياعبدالله تعال اعطك فقال عليه السلام ماأردت تعطيه فقالت تمرا فقال اما انك لولم تفعلى كتبت عليك كذبة رواه ابو داود (لا) اى لايجوز الكذب (عند استواء الطرفين فاصله قبيح) اى فى الامرين فلابد من ترجيح (والاولى الترك) اى ترك الكذب (فى حاجته) اى امر نفسه لان الصدق انجى والخلاص فيه ارجى (لا فى حاجة الغير) وهو تصريح بما علم ضمنا (ان امكن) اى تركه (لعموض الامر) اى لخفاء جواز امر الكذب فانه يختلف باختلاف الذوات وتفاوت الاوقات والحالات (ولو تعريضا) غاية من قوله والاولى الترك (لانه) اى التعريض بمعنى التلويح (تقرير على ظن كاذب) وقد ورد من حدث بالحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكذابين رواه مسلم فى مقدمة صحيحة من حديث سمرة بن جندب هذا وقد جوز الكذب للضرورات المبيحة للمحظورات (والا) اى وان لم يمكن ترك الكذب (فالمعاريض) متعينة وهى بفتح الميم ان يتكلم الرجل بكلمة يظهر من نفسه شيئا ومراده شئ آخر كذا فى البستان وتحقيقه فى قوله تعالى * ولاجناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء * وفى المغرب التعريض خلاف التصريح والفرق بينه وبين الكناية هو ان التعريض يضمن الكلام دلالة ليس فيها ذكر كقوله ماأقبح البخل تعريض بانه بخيل والكناية ذكر اللازم وارادة الملزوم كقولك فلان طويل النجاد كثير الرماد والنجاد حمائل السيف والمعنى انه طويل ومضياف وقد ورد ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب ابن عدى والبيهقى عن عمران بن حصين مرفوعا وفى الاحياء وقد نقل عن السلف ان فى المعارض مندوحة عن الكذب وغفل مخرجه ايضا عن ايراد حديثه (مثل الله يعلم ماقلته) لاحتمال كون ما نافية اوموصولة او استفهامية (ومذ فارقتك مارفعت الجنب عن الفراش الامار فعنى الله تعالى) فانه يشمل الرفع الاختيارى والاضطرارى (فى الانكار عن القول) بالنسبة الى الاول (والصحة) بالاضافة الى الثانى فهما لف ونشر مرتب فى بديع المبانى ومنبع المعانى وفى الاحياء ومن امثلة المعاريض اماروى ان مطرفا دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال مارفعت جنبى مذفارقت الامير الامار فعنى الله وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل عنك شيئا فكرهت ان تكذب قلت ان الله ليعلم ماقلت من ذلك من شئ فيكون قوله ماحرف نفى عند المستمع وعنده الابهام وكان معاذ عاملا لعمر رضى الله عنهما فلما رجع قالت امرأته ماجئت به مما يأتى به العمال من عراضة اهليهم ولم

يكن جابه فقال كان معى ضاغط فقالت كنت امينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر فبعث معك عمر ضاغطا فقامت بذلك فى نسائها فاشتكت عمر فلما سمع عمر بذلك دعا معاذا فقال بعث معك ضاغطا فقال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر واعطاه شيئا وقال ارضها به وقوله ضاغطا يريد به ربه تعالى اى محاسبا ضابطا وكان النخعى لا يقول لابنته اشترى لك سكرا ولوزا ولكن يقول ارأيت لو شريت لك فانه ربما لا ينفق له ذلك وكان ابراهيم اذا طلبه فى الدار من يكرهه قال للجارية قولى له اطلبه فى المسجد ولا تقولى ليس ههنا كيلا يكون كذبا وكان الشعبى اذا طلب فى البيت وهو يكرهه يخط دائرة ويقول للجارية ضعى اصبعك فيها وقولى ليس ههنا ومن المعاريض ما اخرجه الحسن بن سفيان والديلمى عن ابى هريرة قال ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ناقة ابى بكر وقال يا ابا بكر ول الناس عنى فانه لا ينبغى لنبى ان يكذب فجعل الناس يسألون من انت قال باغ يبتغى قالوا ومن ورائك قال هاد يهدينى (ثم التصريح) اى بالكذب عند عدم امكان التلويح (والمعتبر النية) اى تحسين الطوية فى التصحيح (والاستثناء من القلب) اى السليم من الغرض السقيم (ومنه) اى من جنس الكذب الملحق به ولا يوجب الفسق بسببه (التسامح فى العدد) اى بذكره (مبالغة) اى زائدة (مثل قلته مائة مرة) وقد يزاد فى المبالغة ويقال الف مرة فيأثم بالمرة (ونحوها) اى العشرة (لا بالمجاوز عن الحد) اى حد الكثرة (المعهودة) فى المحاورة (ولكن لا يعتاده) اى لا ينبغى اعتياد المبالغة (ففيه خطر الوقوع فى الاثم) اى اثم الكذب اذ الم يصل فى العرف الى حد الكثرة وكذا الاستعارة مرتبة من هذا القسم من الكذب فى المبالغة ولكنها ليست بكذب فان علماء البيان قد حققوا ذلك بالبرهان وقالوا الاستعارة تفارق الكذب من وجهين احدهما البناء على التأويل وثانيهما نصب الدليل من القرينة على ارادة خلاف الظاهر نحو رأيت اسدا فى الحمام والله اعلم بحقايق المرام ولكن عليك بالاحتياط فى مثل هذا الكلام فعن حوات التيمى قال جاءت اخت الربيع بن خيثم عائدة الى بنى فاكتبت وقالت كيف انت يا بنى فقال ربيع ارضعته قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن اخى فصدقت (وفى شهوة الطعام) اى من الكذب التسامح فى نفى شهوة الطعام وذلك كأن يقال لانسان كل الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك منهى عنه ان لم يكن له غرض صحيح فيه (فورد) اى عن مجاهد عن اسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التى هيأتها وادخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعى نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى اى صيافة الا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة فاستحيت الجارية قالت فقلت لا تردى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذى منه قالت فاخذته على حياء فشربت منه ثم قال لى ناولى صواحبك فقلن لا نشتهى فقال عليه السلام (لا يجتمعن جوعا وكذبا) كذا فى الاصل من باب الافتعال والرواية الصحيحة لا يجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا لشئ نشتهيه لا اشتهيه ايعد ذلك كذبا قال عليه السلام ان الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة كذيبة والحديث اخرجه ابن ابى الدنيا والطبرانى فى الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد وهو الصواب فان اسماء بنت عميس كانت اذذاك بالحبشة لكن فى طبقات الاصبهانيين لابى الشيخ من رواية عطاء بن ابى رباح عن اسماء

بنت عميس رقتنا الى النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه الحديث فاذا كانت غير عائشة ممن تزوجها بعد خيبر فلا مانع من ذلك (والافحش) من انواع الكذب (وقوعه في اليمين فهو من الكبائر) فورد ثلثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الكاذب والمسبل ازاره رواه مسلم من حديث ابي ذر في الصحيحين من حديث ابن مسعود من حلف على يمين مأثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم وقال عليه السلام وكان متكئا الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد فقال الا وقول الزور متفق عليه من حديث ابي بكر وهو اعم من شهادة الزور (وفي) اى وكذا الافحش وقوعه (مثل الله يعلم انه كذا) قال النووي في الاذكار وهذه العبارة فيها خطر وان كان صاحبها متيقنا (فمن عيسى عليه السلام انه من اعظم الذنوب) فانه نسبة الجهل الى علام الغيوب فان علمه تعالى تعلق بعدم وقوعه (وفي الاخبار) اى وكذا افحش الكذب صدوره في الاخبار وهو بفتح الهمزة او بكسرها اى الاعلام لاسيما الكذب على النبي عليه السلام (والرؤيا) اى وفي الاحلام (فهما عدا من اعظم الفرى) اى الافتراء ففي البخاري ان من اعظم الفرى ان يدعي الرجل الى غير ابيه ويرى عينيه مالم تراويقول على مالم اقل وفي الاحياء وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار في فضائل الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد فيه صحيح وهو خطأ محض اذ قال عليه السلام من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار يعني وهو متفق عليه من طرق قاربت ان يكون تواترا فهذا لا يترك الا لضرورة اذ في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ورد من الآيات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك تكرر على الاسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ليس هذا من الاغراض التي تقاوم محذور الكذب على الله ورسوله ويؤدي فتح بابه الى امور تشوش الشريعة ولا يقوم خير هذا بشره اصلا فالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر اقول وقد صرح الجويني والد امام الحرمين بانه كفر هذا وعن اسماء بنت ابي بكر سمعت امرأة تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول ان لي ضرة وانى اتكثر من زوجي بما لم يفعل اضارها بذلك فهل علي فيه شئ فقال المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور متفق عليه ولابن عبد البر في الاستيعاب عنه عليه السلام لا يستكمل المؤمن ايمانه حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه (ومنها الغيبة) بكسر الغين (وورد فيها) اى في حدها وتعريفها (ذكرك اخاك بمايكره) اى على سبيل المنقصة في حال الغيبة فعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بمايكره قيل ارأيت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ماتقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ماتقول فقد بهته رواه مسلم (ويجوز الاجمال اى الابهام في الغيبة (فورد مابال اقوام يفعلون كذا) رواه ابوداود عن عائشة بسند صحيح انه عليه السلام كان اذا كره من انسان شيئا قال مابال اقوام يفعلون كذا وكذا (الا ان يفهم المعين) اى من المبهم بقرينة مقولك بعض من قدم من السفر وبعض من يدعي العلم وبعض من رأيناه اذا كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو غيبة لان المحذور تفهيمه دون مابه التفهيم (وكذا من الطائفة الذين مضوا على اليوم من جملة الابهام فان الطائفة بمعنى القوم (وانواعها) ستة (التصريح) وهو

ظاهر ومنه ان عائشة ذكرت امرأة فقالت انها قصيرة فقال عليه السلام اغتبتها رواه احمد واصله عند ابى داود والترمذى وصححه (والتعريض) اى التلويح (مثل فلان تاب الله عليه) ففيه تنبيه انه يرتكب مايجب عليه التوبة وقد يقول ذلك المسكين قد بلى بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه (الحمد لله الذى عصمنى عن مخالطة السلطان) وهذا من غيبة القراء المرائين واتباع الشيطان وهو احبث انواع الغيبة فانهم يفهمون المقصود على صيغة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ولايدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة (والاشارة فورد تسميته غيبة) وفى نسخة تسمية غيبة ومن ذلك قول عائشة دخلت علينا امرأة فلما ومأت بيدى اى قصيرة فقال عليه السلام قد اغتبتها ابن ابى الدنيا وابن مردويه ورجال ثقات (والغمز) اى بالعين للتشبيه او اخذن البدن للتنبيه (والمحاكاة) فورد حين حكت عائشة انسانا فقال مايسرنى وفى رواية ماأحب انى حكيت انسانا وان لى كذا وكذا وقد تقدم يقال حكاه وحاكاه اذا فعلت مثل فعله واكثر مايستعمل فى القبيح قال النووى ومن الغيبة المحرمة المحاكاة بان يمشى متعارجا اومتطأطئا رأسه اوغير ذلك من الهيئات بل هو اشد انواع الغيبة لانه اعظم فى التصوير والتفهيم على مافى الاحياء (وكل ماينبئ عنها) كذكر المصنفين فى تصنيفاتهم شخصا معينا وتهجين كلامه وتهوين مرامه الا ان يقترن به شئ من الاعذار المحوجة الى ذكره وذلك لان القلم احد اللسانين ويحصل به الغيبة تصريحا وتلويحا (وفورد) اى فى سورة الحجرات (ولايغتب بعضكم بعضا) اى لايتناول بعضكم بعضا فى ظهر الغيب بمايسوؤه مما (ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا الآية) اى فكرهتموه والاستفهام للانكار كما قال مجاهد لما قيل لهم ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا قالوا لا اى بلسان القال اوببيان الحال قيل فكرهتموه والمعنى فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غالبا قال الزجاج وتأويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزله اكل لحمه وهو ميت لايحس به وقالت عائشة لايغتاب منكم احدا حدا فانى قلت لامرأة مرة وانا عنده عليه السلام ان هذه لطويلة الذيل فقال اغطى اغطى فلفظت بضعة من لحم احمر ابن ابى الدنيا وابن مردويه فى التفسير ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل فى الزنا قال رجل لصاحبه اقعص كما يقعص الكلب اى اقتل مكانه فمر النبى صلى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة فقال انتهشان منها فقالا يارسول الله ننهش جيفة فقال ماأصبتما من اخيكما انتن من هذه ابوداود والنسائى من حديث ابى هريرة باسناد جيد وعن ابى هريرة موقوفا ومرفوعا من اكل لحم اخيه فى الدنيا قرب اليه لحمه فى الآخرة فيقال كله ميتا كما اكلته حيا ابن مردويه فى التفسير وروى عن ابى بكر وعمر ان احدهما قال لصاحبه ان فلانا لنؤوم ثم طلبا ادما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلاه مع الخبز فقال عليه السلام قد ائتدمتما فقالا مانعلمه فقال بلى ما اكلتما من لحم صاحبكما رواه ابو العباس الثغولى او الدغولى فى الآداب من رواية عبد الرحمن بن ابى ليلى نحوه كذا فى تخريج الاحياء وقال الامام الدميرى هو من كبار الحفاظ توفى سنة خمس وعشرين وثلثمائة وله مسند مشهور ففى هذا الحديث وحديث المرجوم جميعهما وكان القائل احدهما تنبيه على ان المستمع احد المغتابين وان المستمع لايخرج من اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه فان خاف فبقلبه وان قدر على القيام اوقطع الكلام بكلام آخر فى ذلك المقام فلم يفعل لزمه الاثم ولايكفى ان يشير

باليد اى اسكت او يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغى ان يعظمه ويذب عنه صريحا فعنه عليه السلام من اذل عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينصره فلم ينصره اذله الله يوم القيمة على رؤس الخلائق احمد والطبرانى عن سهل بن حنيف ولابن ابى الدنيا عن ابى الدرداء من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيمة ولاحمد والطبرانى عن اسماء بنت يزيد من ذب عن غرض اخيه بالغيبة كان حقا على الله ان يعتقه من النار (الغيبة اشد من ثلاثين زنية فى الاسلام) وانما قيده بحال الاسلام لانه اقبح بما قبله فى الاحكام وقيل لان الزنى فى دار الحرب وفى عسكر اهل البغى لا يوجب الحد وفيه بحث اذ عدم وجوب الحد ليس الا لكونه فى خطر انتقاله الى اهلهما والا فلا يسقط عنه بالكلية ولانه اخف من زناه فى دار الاسلام والله سبحانه اعلم بحقايق المقام والحديث رواه ابن ابى الدنيا فى الصمت وابن حبان فى الضعفا وابن مردويه فى التفسير بلفظ اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل قد يزنى ويتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه واما الحديث بلفظ الماتن فقد اشتهر على وجه المبالغة وليس له اصل صريح لكن قد يؤخذ من حديث انس قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربوا واعظم شانه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربوا اعظم عند الله فى الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وان اربى الربوا عرض الرجل المسلم فالغيبة تناول العرض والحديث رواه احمد وابن ابى الدنيا وعن مجاهد فى تفسير قوله تعالى * ويل لكل همزة لمزة * الهمزة الطعان فى الناس واللمزة الذى يأكل لحوم الناس وقال الحسن والله للغيبة اسرع فسادا فى دين المؤمن من الاكلة فى الجسد وقال بعضهم ادركت وهم لا يرون العبادة فى الصوم ولا فى الصلوة ولكن فى الكف عن اعراض الناس السلف وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك ولعله مقتبس من قوله عليه السلام طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس الديلمى عن انس وقال ابو هريرة يبصر احدكم القذا فى عين اخيه ولا يبصر الجذع فى عين نفسه وسمع على بن الحسين رجلا يغتاب آخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والافك والكل فى كتاب الله فالغيبة ان تقول ما فيه والبهتان ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك ولعل الاخير مأخوذ من القصة المعروفة وتعميمه مستفاد من حديث كفى بالمرء كذبا او اثما ان يحدث بكل ما سمع (والسبب) اى الباعث على الغيبة سبعة مشهورة (التشفى من الغيظ) اى الغضب الكامن فى القلب فيسبق اللسان بالطبع الى الطعن الدنى ان لم يكن له مانع من الدين القوى والورع الجلى فللبزار وابن ابى الدنيا وابن عدى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله وللديلمى عن سهل بن سعد من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه ولابى داود والترمذى وحسن وابن ماجة من حديث معاذ بن انس من كظم غيظا وهو قادر على ان ينفذه اى يمضيه كما فى رواية دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلايق حتى يخيره فى اى الحور شاء (وموافقة الاقران) اى اخوان الزمان (خوفا عن التثقيل) اى عن عده ثقيلا فى ذلك المكان اذا انكر الغيبة اوقطع مجلس الصحبة ويرى ذلك من حسن المعاشرة وجميل المحاورة ولم يعلم بان الله يغضب عليه اذا طلب سخطه فى رضى المخلوقين (والتحامى) اى المحافظة (عن رد قوله

لسبق الغير فى تقبيحه) اى تقبيح قوله و بيانه ان يستشعر من انسان انه سيقصده و يطول لسانه ويفتح مقاله ويفضح حاله عند محتشم اويشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ان يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط اثر مقالته وشهادته وكما اذا ذكر زيد مسألة فاعترض عليها عمر وفيكون باعثا لزيد ان يغتاب عمرا بان يقول هو جاهل اواحمق ونحوهما ليحامى ماسبق من كلامه عن بطلان مرامه (والتبرى عن فاحشة منسوبة اليه بالنسبة الى الغير) اى بنسبته الى غيره ليخلص عن عيبه وضره وحاصله انه ينسب الى شئ فيريد ان يتبرء منه فيذكر الذى فعله وكان من حقه ان يبرئ نفسه ولايذكر الذى فعله ولاينسب غيره اليه فيكون بهذا جمعا بين الذنوب لديه وقد قال تعالى * ومن يكسب خطيئة اواثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا (والمباهاة) اى التصنع والمفاخرة بان يرفع نفسه بنقص غيره وخفض امره فيقول فلان جاهل وفيه ركيك وكلامه ضعيف وعقله خفيف وغرضه ان يثبت فى ضمن ذلك فضل نفسه و يرى انه اعلم منه والحسد وهو انه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه والطعن عليه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء على حاله ومقاله لانه يثقل عليه ان يسمع علو مرامه (والاستهزاء) اى الاستحقار له فان ذلك قد يجرى فى الحضرة فيجرى ايضا فى الغيبة (ونحوها) اى من اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت باسباب المقت (والعلاج) اى الذى به يمنع اللسان من الغيبة (ذكر ماورد فيها) اى فى ذم الغيبة من الكتاب والسنة (ودفع السبب) اى من نحو الحسد والحقد والتكبر والغضب (بما فى موضعه) اى بما يذكر من كتب الاخلاق فى محله فان مساوى الاخلاق كلها انما تعالج بمجون العلم والعمل المركب لها وانما علاج كل علة بمضادة سببها فليفحص عن سببها ويعالج بضدها هذا والمغتاب فاسق واذا كان من عادته ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا فى امر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق وهذه بلية عامة شاملة للعباد فى جميع البلاد فهى من اكبر الفساد الا من حفظه الله من العباد (والمرخص) اى فى ذكر مساوى الغير سبعة امور (الظلم فورد) فى سورة النساء (لايحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الآية) فمن ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا واما المظلوم من جهة القاضى فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لايمكنه استيفاء حقه الا بذكره وقد قال عليه السلام ان لصاحب الحق مقالا) ومطل الغنى ظلم وكلاهما متفق عليه من حديث ابى هريرة ولابى داود والنسائى وابن ماجة من حديث الشريد باسناد صحيح لى الواجد يحل عرضه وعقوبته (والاستعانة) اى بالحاكم ونحوه (على تغيير المنكر) اى ازالته (واصلاح العاصى) بتركه وتوبته (فهو مأثور) اى مروى عن الصحابة كما قيل لعمر بن الخطاب ان اباجندل قد باشر الخمر بالشام فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لااله الاهو اليه المصير* فتاب الله عليه ورجع بالرحمة اليه (والاستفتاء) كما تقول للمفتى ظلمنى ابى اواخى اوزوجى وكيف طريق الخلاص لى (فلم تمنع هند امرأة ابى سفيان بن الحرب) اى لم يمنعها النبى صلى الله عليه وسلم عن الغيبة حال كونها (ذاكرة بخل ابى سفيان لاخذ ماله) اى لاجل

اخذها من ماله (بغير علم) فى الصحيحين من حديث عائشة ان هندا قالت للنبى صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان رجل شحيح لايعطينى ما يكفينى انا وولدى فقال عليه السلام خذى مايكفيك وولدك بالمعروف وهذا كان بطريق الفتوى لاعلى سبيل الحكومة والدعوى (والتعريض اولى) بان يقول كيف من يأخذ مال زوجها بغير اذنه لاجل بخله (والتحذير عندخوف سراية الفسق) فاذا رأيت متعففا يتردد الى فاسق اومبتدع وخفت ان يسرى اليه فسقه اوتعدى بدعته فلك ان تكشف له بدعته وفسقه (اوالضرورة) اى اوعندخوف الضرر الكثير المنجر (الى الغير فورد) اى من رواية بهز بن حكيم عن ابيه عن جده (اذكروا الفاجر بما فيه ليحذره الناس) رواه الطبرانى وغيره بلفظ اترعوون عن ذكر الفاجر اذكروه بمافيه يحذره الناس وهذا دليل السراية واما دليل الضرورة فقوله عليه السلام لامرأة استشارت النبى فى تزوج معاوية او ابى جهم اواسامة (اما معاوية فرجل صعلوك) اى فقير جدا (لامال له) تأكيد لحاله (واما ابوجهم فلايرفع العصا عن اهله) وهو كناية عن كثرة ضربه وسوء خلقه وفى رواية عن عنقه وهو يحتمل المعنى المذكور والكناية عن كثرة سفره وقلة اقامته فى حضره (انكحى اسامة زيدا بن) اى فانه خير منهما فى حسن عشرته وطيب نفقته (واشتهار المذكور باسم العيب) اى من الاعذار المرخصة (كالاعمش والاعرج) وكذا الاعمى والاعور والاصم والابكم والابرص والاحمر والاصفر (والعدول) اى الى وصف آخر اوعبارة اخرى (اولى) اى احرى ولذا يقال البصير للاعمى عدولا عن اسم النقص فى المبنى وان كان المآل او احدا فى المعنى ذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله انى ارانى قداغتبته وذكر لابن سيرين ابراهيم فقال النخعى ولم يقل الاعور (واظهاره الفسق) اى اعلانه وعدم مبالاته به من المرخص كالمخنث والقواد والمجاهر بشرب الخمر والزنى والربوا ومصادرة الناس باخذ اموالهم (فورد) من حديث انس (من القى جلباب الحياء) اى غطاءه (فلاغيبة له) رواه ابن عدى وابو الشيخ نعم لوذكره بغير مايتظاهر به اثم قال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله غدا كان اصغر ذنب اصبته اشد عليك من اعظم ذنب اصابه الحجاج وقال قوم لاغيبة فى الدين لانه ذم ماذمه الله فذكره بالمعاصى وذمه يجوز بدليل ماروى انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وكثرة صومها وصلاتها ولكنها تؤذى جيرانها فقال هى فى النار ابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابى هريرة وذكر امرأة اخرى بانها بخيلة قال فماخيرها اذا رواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث ابى جعفر محمد بن على مرسلا قال فى الاحياء وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم النقص ولا يحتاج اليه فى غير مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول وفيه بحث لان الصحابة كانوا عارفين بان اذى الجار والبخل من الصفات الذميمة واما قوله والدليل عليه اجماع الامة على ان من ذكر غيره بمايكرهه فهو مغتاب ففيه هذا عام وقد خص منا احكام فلاحجة فيه ولا الزام (ونحوه) اى ونحوه المذكور (من الغرض الصحيح) بان يقول لمن يريد ان يودع عنداحد انه خائن (والاصل) اى فى الغرض الصحيح (الاستفتاء من القلب) اى فى التصريح والتلويح بذكر

العيب ثم اعلم ان الواجب على المغتاب ان يتوب و يندم ويتأسف على مافعل ليخرج عن حق الله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته و ينبغى ان يستحله وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما يحتج فى ذلك بماروى انس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته ان تستغفر له ابن ابى الدنيا والحارث بن اسامة فى مسنده من حديث انس بسند ضعيف وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثنى عليه وتدعوله بخير و يؤيده قوله تعالى * ادفع بالتى هى احسن السيئة * والاحسن التفصيل وهو ان لايحتاج الى الاستحلال اذا لم يصل الكلام الى المغتاب منه بخلاف مااذا وصله الا اذا كان يتشوس بذكره فقد يكون الاعتذار اكبر من الذنب عند بعض الابرار واما قول عطاء بن ابى رباح حين سئل عن التوبة عن الغيبة قال تمشى الى صاحبك وتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسأت فان شئت اخذت بحقك وان شئت عفوت فهو خاص بالافتراء بل ينبغى ان يعترف بالخطأ فى حضور الملاء بالخلاء اوالملاء فقول صاحب الاحياء وهو الاصح مبنى على انه لافرق بين الغيبة والغيبة بعيد بلامرية واما اطلاق قول القائل العرض لاعوض له فلايجب الاستحلال منه بخلاف المال فكلام ضعيف اذفى الحديث الصحيح المتفق عليه عن ابى هريرة من كانت لاخيه عنده مظلمة فى عرض اومال فليتحللها من قبل ان يأتى يوم ليس هنالك دينار ولادرهم فيؤخذ من حسناته فان يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته فان كانت صاحب الغيبة غائبا اوميتا فينبغى ان يكثر الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات تكفيرا للسيئات فان الحسنات يذهبن السيئات وكان بعض السلف لايحلل للظالم قال سعيد بن المسيب لااحلل من ظلمنى وقال ابن سيرين انى لم احرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحل ماحرم الله ابدا والظاهر ان المراد بالاستحلال جعله فى حل بمعنى عفوه عنه لينقلب حرامه بمنزلة الحلال المباح له وهذا محمل قوله عليه السلام اعجز احدكم ان يكون كابى ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم انى تصدقت بعرضى على الناس رواه البزار وابن السنى فى اليوم والليلة والعقيلى فى الضعفاء من حديث انس وذكره ابن عبد البر من حديث ثابت مرسلا عند ذكر ابى ضمضم فى الصحابة قال العراقى وانما هو رجل ممن كان قبلنا كما عند البزار والعقيلى والمعنى انى لااطلب مظلمة فى القيامة منه ولااخاصمه والافلاتصير الغيبة حلالا به بل ولاتسقط المظلمة بسببه لانه عفو قبل وجوبه الا انه وعد له العزم على الوفاء بان لايخاصم فان رجع وخاصم كان له ذلك قياسا على سائر الحقوق بل صرح بعض الفقهاء بان من اباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمته ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل وثوابه اكمل وقال الحسن اذا جثت الامم على الركب بين يدى الله يوم القيمة نودوا ليقم من كان اجره على الله فلايقوم الامن عفا عن مظلمة فى الدنيا وكأنه مستفاد من قوله * فمن عفا واصلح فاجره على الله * ذوجاء فى قوله تعالى (خذ العفو) الآية انه عليه السلام قال ياجبريل ماهذا العفو قال ان الله يأمرك ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك وقد روى عن الحسن ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب وقال قد بلغنى انك قد اهديت الى حسناتك فاردت ان اكافيك عليها فاعذرنى فانى لااقدر على ان اكافيك على اتمام وقال بعضهم لوكنت اغتاب احدا لاغتبت امى فانها اولى بان تأخذ حسناتى اوآخذ من سيئاتها

يوم القيمة (ومنها النميمة وهى تبليغ كلام) اى مذموم (يقال فى حق الغير اليه) متعلق بتبليغ اى الى الغير وهو المقتول فيه كأن يقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا (وهو حرام) سواء كان التبليغ قولا او فعلا او كناية او رمزا او اشارة (فورد) فى سورة ن (همماز) اى عياب او مغتاب (مشاء بنميم الآية) وهى * مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم * والمقصود منه من جمع بين انواع من الوصف الذميم وفى رواية احمد من حديث ابى مالك الاشعرى (الا اخبركم بشراركم المشاؤن بالنميمة) آخره المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات وفى الصحيحين من حديث حذيفة لا يدخل الجنة نمام وفى حديث آخر قتات وهو النمام قال عبد الله بن المبارك ولدازنا لا يكتم الحديث واشار به الى ان كل من لا يكتم الحديث و يمشى بالنميمة دل على انه ولد زنا استنباطا من قوله تعالى * زنيم * فانه هو الدعى وللحاكم من حديث ابى موسى من سعى بالناس فهو لغير رشدة او فيه شئ منها وللطبرانى بلفظ لا يسعى على الناس الا ولد بغى والا من فيه عرق منه وقال تعالى * حمالة الحطب * قيل كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى * فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا * قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح كانت تخبر بانه مجنون (والسبب) اى الباعث عن ذلك ثلاثة (ارادة الشر فى القائل) اى قصد السوء بالمحكى عنه فعن ابى ذر من اراد على مسلم كلمة يشينه بها بغير حق شانه الله بها فى النار يوم القيمة ابن ابى الدنيا والطبرانى وعن ابى الدرداء ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها برئ ليشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله ان يشينه بها يوم القيمة فى النار ولعل الحديثين مقتبسان من قوله تعالى * ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة * (او اظهار محبة السامع) وهو المحكى له وقد قال بعضهم لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجترى بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك حيث لم يقابلك بشتمك (او التفرج بالحديث) اى التنزه بحكاية اهل الدنيا (فعلى السامع التكذيب) اى تكذيب قول القائل وعدم قبوله فعن مصعب بن الزبير نحن نرى ان قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ فاخبر به كمن قبله واجازه (لان النمام فاسق لا يقبل قوله) لقوله تعالى * يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين * وعلى السامع ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله قال تعالى * وأمر بالمعروف وانه عن المنكر * وان يبغضه فى الله وان لا يظن باخيه الغائب السوء لقوله تعالى * اجتنبوا كثيرا من الظن * وان لا يحمله ما حكى له على التحقيق والتفحص لقوله تعالى * ولا تجسسوا * وان لا يرضى لنفسه بما صدر عن النمام فى حقه فلا يحكى نميمته بقوله فلان قد حكى لى كذا وكذا فيكون به نماما ومغتابا ويكون قد اتى بما عنه نهى فقد روى كعب انه اصاب بنى اسرائيل قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما اجيب فاوحى الله اليه انى لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام وقد اصر على النميمة فقال موسى يارب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا وقال الحسن من نم اليك نم عليك وروى عن عمر بن عبد العزيز انه دخل اليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئا فقال له عمر ان شئت نظرنا فى امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الآية * ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا * وان كنت صادقا فانت من اهل هذه الآية * همماز مشاء بنميم * وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المؤمنين لا اعود اليه ابدا ومثله روى عن على كرم الله وجهه ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال له ياهذا نحن نسأل عما قلته فان

كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك فقال اقلنى يا امير المؤمنين فالسعاية قبيحة وان كانت صحيحة وقد ذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق فى كل طبقة من الناس الامنهم وقد بلغ سعاية بعض الى احد من العلماء فقال الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيمة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين هذا وقد قال تعالى * ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض * والنمام منهم وقال عليه السلام ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره متفق عليه من حديث عائشة والنمام منهم وقال عليه السلام لا يدخل الجنة قاطع رواه الشيخان من حديث جبير بن مطعم قيل اى قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وقيل قاطع الطريق والله ولى التوفيق (ومنها التكلم) اى تكلم ذى اللسانين (مع كل من المتعادين بما يوافقه) اى تكلم كل واحد بكلام يوافقه (فهو نفاق) اى نوع من النفاق وصنف من الشقاق (فورد) عن عمار بن ياسر مرفوعا (من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان فى الآخرة) رواه البخارى فى كتاب الادب المفرد وابو داود بسند حسن بلفظ من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة وهو كذلك فى الاحياء وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة تجد من شر الناس يوم القيمة ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث وفى لفظ آخر يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقيل لابن عمر انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الطبرانى من طرق واصله فى صحيح البخارى وقال ابو الدرداء انا لنشكر فى وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو فلما دخل الان له القول واقبل عليه فلما خرج قلت يا رسول الله قلت ما قلت ثم النت له القول فقال يا عائشة ان شر الناس الذى يكرم اتقاء شره متفق عليه (ومنا المدح) وهو منهى عنه فى بعض المواضع (فهو يضر المادح) اذا كان الممدوح ظالما او فاجرا (بخطر اصرار الفاسق) اى فرحه بمدحه فلابن ابى الدنيا والبيهقى من حديث انس ان الله يغضب اذا مدح الفاسق (والرياء) فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمر له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا (والكذب) اى حقيقة او حكما حيث يذكره بالظن وقد لا يكون مطابقا (فورد ان كان لابد احدكم ان يكون مادحا) اى لاحد (فليقل احسب فلانا) اى كذا وكذا انه صالح اومتق او نحوهما (والممدوح) اى ويضر الممدوح (بحدوث الكبر والعجب) اى والغرور فى قلبه بسبب مدحه (فورد فيه) اى فى ضرر الممدوح برواية الصحيحين من حديث ابى بكرة ان رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال و يحك (قطعت عنق صاحبك) زاد ابن ابى الدنيا (لو سمع) اى لو بلغه وقبله (ما افلح) لحدوث المهلك وقال عمر رضى الله عنه المدح هو الذبح (ولو سلم) اى المدح (عنه) اى عن الضرر (فمندوب اليه فورد انا سيد ولد آدم) اى يوم القيمة كما فى صحيح مسلم من حديث ابى هريرة وزاد الترمذى وابن ماجة من حديث ابى سعيد الخدرى والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد (ولا فخر) وله من حديث عبادة بن الصامت انا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر (اى اقوله افتخارا) اى امتثالا لامره سبحانه وتعالى بنعمة ربك فحدث (لا افتخارا) اى تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على انفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله و بقربه فى مقام انسه لا يكونه مقدما على ابناء جنسه (لو وزن ايمان

ابى بكر بايمان العالم) وفى نسخة العالمين (لرجح) اى ايمان ابى بكر وغلب على ايمان غيره من غير الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين اخرجه ابن عدى فى الكامل من حديث ابن عمر مرفوعا ولفظه لو وزن ايمان ابى بكر بايمان الناس لرجح ايمان ابى بكر ورواه اسحق بن راهويه والبيهقى فى الشعب بسند صحيح عن عمر موقوفا والترمذى وحسنه من حديث عقبة بن عامر لوكان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب ولابن عدى عنه لولم ابعث فيكم لبعث عمر فيكم وللديلمى عن ابى هريرة لولم ابعث لبعث ياعمر قال سفيان بن عيينة لايضر المدح من عرف نفسه و ثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لايعرفونى فانت تعرفنى وقال على كرم الله وجهه لما اثنى عليه اللهم اغفر لى مالا يعلمون ولاتؤاخذنى بما يقولون واجعلنى خيرا مما يظنون (ومنها التكلم بالمنهى عنه) اى من الاقوال الصادرة على لسان العامة وبعض الخاصة الناشئة عن الغفلة عن دقائق الخطأ فى الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله من ذاته وصفاته (كالحلف بالآباء) ففى الصحيحين من حديث عمر ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم ولابن عمر من حلف بغير الله فقد اشرك احمد والترمذى والحاكم فى مستدركه وفى رواية احمد والبيهقى عن قتيلة بنت صيفى من حلف فليحلف برب الكعبة وفيه تنبيه على انه لايجوز الحلف بالكعبة ولا بالصحف ولا بالنبى ولا بالامانة ونحوها (وتسمية العنب بالكرم) بفتح فسكون فروى الكرم قلب المؤمن وفى الصحيحين من حديث وائل بن حجر لاتسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم ولمسلم من حديث لاتقولوا الكرم ولكن قولوا العنب والحبلة ولابى داود من حديث ابى هريرة لايقولن احدكم الكرم فان الكرم الرجل المسلم ولكن قولوا حدائق الاعناب (وقوله ماشاء الله وشئت) لان فى العطف المطلق بالواو تشريكا وتسوية فى الكلام وهو خلاف مايوجب الاحترام فعن حذيفة لايقل احدكم ماشاء الله وشئت ولكن ليقل ماشاء الله ثم شئت وقال ابن عباس جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فى بعض الامور فقال ماشاء الله وشئت فقال عليه السلام اجعلتنى لله عديلا قل ماشاء الله وحده وفى صحيح مسلم من حديث عدى بن حاتم خطب رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال عليه السلام قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفى الاحياء فكره قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع انتهى وفيه بحث لايخفى ولعل الاوجه ان يقال العدول عن الاسمين الشريفين غير لائق وان كان المقام يقتضى الضمير اختصارا والله در القائل * اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع * ولهذا ورد فى كثير القرآن ومن يطع الله ورسوله ومن يعص الله ورسوله (وعبدى وامتى وربى وربتى) فعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقل احدكم عبدى وامتى كلكم عباد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى ولايقول المملوك ربى ولاربتى ولكن ليقل سيدى وسيدتى فكلكم عبيد والرب هو الله سبحانه رواه الشيخان (فالصواب) اى فى مقام الخطاب (ثم شئت) بدل قوله وشئت فكان ابراهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك ويجوز ان يقول لولا الله ثم فلان ولايقول لولا الله وفلان (وغلامى وجاريتى) بدل عبدى وامتى (وسيدى وسيدتى) بدل ربى وربتى (ونحوها) اى من الكلمات المنهية وللنسائى وابن ماجة من حديث بريدة باسناد برئ من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام فهذا وامثاله مما يدخل فى مذموم الكلام ولايمكن حصره فى هذا المقام

وقال ابراهيم اذا قال الرجل للرجل ياحمار ياخنزير قيل له يوم القيمة احمارا رأيتني خلقة اخنزيرا رأيتني خلقة وعن ابن عباس ان احدكم يشرك حتى يشرك بكلبه يقول لولاه لسرقنا الليلة ولاجد من حديث البراء من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله هى طابة هى طابة ولابى داود من حديث بريدة بسند صحيح لاتقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وكما روى لايقولن احدكم زرعت ولكن ليقل حرثت والحديث فى الاكمال للسيوطى ولعله مقتبس من قوله افرأيتم ماتحرثون انتم تزرعونه ام نحن الزارعون * وكان يقول على فيه وفى نظائره بل انت وفى الحديث لايقل احدكم خبثت نفسى وليقل لقست وفى الحديث لايقل احدكم نسيت بل ليقل نسيت (ومنها سؤال العامة عما يتعذر ادراكه) اى حتى للخاصة (كسر الروح) وقد قال تعالى * قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا * والمعتقد ان الارواح اجسام لطيفة تدخل فى اشباح كثيفة وتخرج منها كما اخبر سبحانه عنها بقوله * ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عباد وادخلى جنتى * وانها خلقت قبل الاجساد بخمسمائة عام فهى حادثة غير قديمة خلافا للحكماء وتبعهم ومن تبعهم من الجهلاء (وحقائق الصفات) كحقيقة كلامه سبحانه وكذا كنه معرفة سمعه وبصره وسائر كمالاته وقد قال تعالى * ولايحيطون به علما * و * ليس كمثله شئ * فكل ماخطر ببالك فالله وراء ذلك وقد قال عليه السلام سبحانك لااحصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك اى من قوله قل هو الله احد وسائر آيات الصفات من الجمالية والجلالية الدالة على كمال الذات (او يضر) اى عما يضره ولو لم يتعذر (كسر القدر) فانه بالنسبة الى الاغلب قد يتعسر فهو بحر عميق كم فيه غريق ولامخلص منه الا بان يقال فيه يفعل الله مايشاء ويحكم مايريد ولايسأل عما يفعل وهم يسألون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهديكم اجمعين خلقت هؤلاء للجنة ولاابالى وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالى وانما شان العوام الاشتغال بالعمل بما فى القرآن والتسليم بماجاء به الرسل من تفاصيل الاسلام والايمان ولذا قال عليه السلام ذرونى ماتركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فانهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فأتوا منه مااستطعتم متفق عليه من حديث ابى هريرة وقال انس سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر فقال سلونى فانى سألونى عن شئ الا اباتكم به فقام اليه رجل فقال يارسول الله من ابى فقال ابوك حذافة فقام اليه شامان اخوان فقالا يارسول الله من ابونا فقال ابوكما الذى تدعيان له فتام اليه رجل فقال يارسول الله فى الجنة ابى او فى النار فقال لابل فى النار فما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا فقام اليه عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال احسنت يرحمك الله انك ماعلمت لموفق متفق عليه وفى الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال واضاعة المال وكثرة السؤال متفق عليه من حديث المغيرة وعنه عليه السلام يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا الله احد الله الصمد حتى تختموا السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم والحاصل ان السؤال ينبغى ان يكون من اهل الكمال فيما يكون من الضروريات فى الاعتقادات والعبادات والمعاملات والله اعلم بحقائق الحالات (وكالقول بالظن) لاسيما فى العقائد المتعلقة بالرب قال تعالى * ان الظن لايغنى من الحق شيئا (وهو) اى القول بالظن او نفس الظن (مايغير به القلب) اى يسمعه عما كان به ويحصل التردد فى بابه

وانما يجوز في غير ذوات الاصول للضرورة او للتفكه (فورد اجتنبوا كثيرا من الظن
الآية) اى بعض الظن اثم وكان هذا النهى يشمل ماذا بنى عليه خبر من موت احد
اوقدومه اوسفره اوامر خيره استثنى بقوله (الا اذا تعذر) اى بالموت اوالقدوم اوالسفر
ونحوه (وعلم عدم العداوة) اى بالنسبة الى البيت واهله (وحاصل) اى وعلم عدم باعث
(آخر) كالعصبية فى نسبه والدعوة الى ملته ومذهبه (فيعذر) اى اذا اخبر عن ظن
وقوعه (اذتكذيبه سوء الظن) اى به وبكلامه (والتجسس) عطف على القول بالظن اى
وكالتفحص عن حقيقة الامر (فهو هاتك الستر) اى كاشفه وفاضحه فى الخبر (فورد) فى
سورة الحجرات (ولاتجسسوا والاستماع) اى وكاستماع القول بالظن (فورد) فى سورة القصص
(واذاسمعوا اللغو اعرضوا عنه) تمامه * وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لانبتغى
الجاهلين (المستمع شريك القائل) لم ارله اصلا وفى الاحياء المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم
ولم يخرجه العراقى وفى الطبرانى مرفوعا نهى عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة (وفيه) اى
فى استماعه (هيجان الوساوس) اى ثورانها (وبقاؤها فى النفس) على طريق الهواجس
(ولاقصاص فى نحو الغيبة)فلامخلص لمن يقول انا اغتاب الناس وهم يغتابونى فيكون المقاصصة
فى الدنيا دون العقبى (والسب والتجسس) من الاقوال الردية والافعال الدنية (لانحصاره)
اى القصاص (على مورد الشرع) اى فى النفس والاطراف ونحوها من تضييع الاموال فيقتص
بالضرب والقطع والقتل واخذ الامثال والابدال (وورد ان امرؤ عيرك بمافيك) اى
من الخصائل الذميمة (فلاتعيره بمافيه) اى فانه لايجوز فيه المقاصصة ولايبعد ان يكون هذا
محمولا على التحريض على ماهو الاولى من العفو (وقيل بقابل) اى نحو الغيبة وماعطف عليه
(بمالا كذب فيه) لظاهر قوله تعالى * وجزاء سيئة سيئة مثلها (والاولى الترك) لقوله
* فمن عفى واصلح فاجره على الله * ولقوله تعالى * ولئن صبرتم لهو خير للصابرين * (والتحقيق)
فى سماع الابرار (ان لاحرمة فى الاشعار) اى فى نفسها مع قطع النظر عما فيها فان الشعر كالنثر
كلام صريح حسنه حسن قبيحه قبيح (للالتذاذ) اى لايحرم لاجل التلذذ بها (والالحرم كل لذة)
يلتذ بها كالماء الجارى والخضرة ونحوها ولم يقل احد بحرمتها (ولاالوزن) اى ولايحرم
بمجرد التقابل والتعادل بين الكلمتين اوالجملتين اوالمصراعين (والالحرم سماع صوت العندليب)
اى لمسمى بالبلبل لمعبر عنه بالهزار دستان فان افغانها بلغت الالف فى الاشجار والبستان
(والقمرى)وكذا الفاختة والحمامة واغرب من الكل الطوطى المسمى بالدرة التى تتفصح
حتى تقرؤ الآية والسورة وتتكلم بما وقع فى البيت من امور الضرورة طبق ماوقع فى المعنى
والصورة (فهو) اى صوتهما ونحوهما (موزون) ى متلائم ينتظم اوائله واواخره (لتناسب
مطالعه ومطاطعه) اى مباديه ومايشعر بتناهيه (ولالمفهم) اى ولايحرم لمجرد فهم الكلام
من الصوت فى ذلك المقام (والالحرم كل مفهوم) من المرام ولم يقل به احد من الاعلام(هذا)
اى مضى اوخذ هذا اوالامر هذا (والشعر كلام) اى كسائر الكلام من حيث هو مباح
فى اصل الاحكام (والانشاد مأثور) وعن النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه مروى ومنشور
فكان عليه السلام يقول لابن مع لقوم فى بناء حديث يقول (شعر)

* هذا الحمال لاحمال خيبر * هذا ابر ربنا واظهر *

رواه البخارى فى قصة الهجرة من رواية عروة مرسلا قال ابن شهاب ولم يبلغنا فى الاحاديث

انه عليه السلام نطق ببيت شعر تام غير هذا البيت وفى الصحيحين من حديث انس يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يقول * اللهم انه لاخير الاخير الآخرة * فانصر الانصار والمهاجرة * قال العراقى وليس البيت الثانى موزونا يعنى باعتبار المصرع الاول فتأمل وفى رواية * اللهم ان العيش عيش الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة * وفى الصحيحين ايضا انه قاله فى حفر الخندق بلفظ فبارك فى الانصار والمهاجرة وفى رواية فاغفر وفى رواية لمسلم فاكرم ولهما من حديث سهل بن سعد فاغفر للمهاجرين والانصار وللبخارى تعليقا وابى داود والترمذى والحاكم متصلا من حديث عائشة كان عليه السلام يضع لحان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او ينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسانا بروح القدس ما نافح او فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الترمذى حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الاسناد ولمسلم من حديث عائشة انشاد حسان

(شعر)

* هجوت محمدا فاجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء *

* هجوت محمدا ولست بكفؤ * فشر كما لخير كالفداء *

القصيدة وانشاد حسان ايضا * بحر طويل

* وان سنام المجد من آل هاشم * بنو بنت مخزوم ووالدك العبد *

وللبخارى انشاد ابن رواحة

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع

الابيات وللترمذى فى الشمائل انشاده ايضا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة

* خلوا بنى الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله *

* ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله *

وللبغوى فى معجم الصحابة وابن عبد البر فى الاستيعاب من حديث النابغة قال انشدت النبى صلى الله عليه وسلم شعرا فقال احسنت لا يفضض الله فاك وفى الصحيحين عن عائشة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك ابو بكر وبلال وكان بها وباء فقلت يا ابت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك فكان ابو بكر اذا اخذته الحمى يقول

* كل امرئ مصبح فى اهله * والموت ادنى من شراك نعله *

وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته اى صوته ويقول

(شعر)

* الا ليت شعرى هل ابيتن ليلة * بواد وحولى اذخر وجليل *

* وهل اردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل *

وهما جبلان بمكة قالت عائشة فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد وانقل حماها فاجعلها فى الجحفة ومن انشاد عائشة

* ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * وبقيت فى جلف كجلد الاجرب *

وللترمذى من حديث جابر بن سمرة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الاشعار وهو يتبسم وللبيهقى فى دلائل النبوة ان النساء انشدن عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم

* طلع البدر علينا من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا ما دعا لله داع *

واما ذكر السطوح والدفع والالحان كما ذكره في الاحياء فمما لا اصل له كما صرح به مخرجه وفي الجملة اشعار بفرح قدمه وسرور قدومه عليه السلام الى ذلك المقام ومن هذا القبيل قوله عليه السلام انى لا ادرى بفتح خيبرا فرح ام بقدوم جعفر ولمسلم من حديث عمرو بن الشريد عن ابيه قال انشدت النبي صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول امية بن الصلت في كل ذلك يقول هيه هيه اى استزاده ثم قال ان كاد في شعره ليسلم فنفس الانشاد والسماع جائزان بالاجماع ولابى داود الطيالسى عن انس كان يحدى له في السفر وان انجشة كان يحدو بالنساء وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال فقال عليه السلام بانجشة رويدك سوقك بالقوارير ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمانه عليه السلام واصحابه الكرام وماهو الاشعار تؤدى باصوات طيبة والحان موزونة (والنهى) اى عن الشعر (المجرد له فهو اشتغال بما لا يعنيه فوردلان يمتلئ بطن احدكم قيحا) اى صديدا (حتى يريه) بفتح فكسر من ورى وريا كرمى رميا اى يفسده (خيرله من ان يمتلئ شعرا) رواه احمد واصحاب الكتب الستة (وتضمنه) عطف على التجرد اى وتضمن الشعر (فحشا) من الكلام (وهجاء) اى ذما لاحد من اهل الاسلام (وافتراء) اى في مقام المرام (كنظم الكفار والمبتدعة) في ذم المسلمين واهل السنة والجماعة (ويجوز هجاؤهم) اى ابتداء وانتهاء (فقعله حسان وامر به) كما تقدم ففي الصحيحين من حديث البراء انه عليه السلام قال لحسان اهجهم اوهاجهم وجبريل معك وقد قال تعالى * والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا (والتوسع) اى ويجوز المبالغة (في المدح ان وجد الوصف المذكور في الممدوح) اى في الجملة (لانه ليس بكذب) اى حينئذ بل مبالغة وتسامح لاسيما في الشعر (لفقد قصدا اعتقاد صورته) اى صورة الكذب وحقيقته (وتورث استماع المبالغات) اى ولتواتر استماعها في اشعار العرب وغيرهم (بلا نكير) اى بلا انكار على قائلها ومنشدها بل عد الكذب من محسنات الشعر كما قيل اكذب الشعر احسنه ويشير اليه قوله تعالى * والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون * وقد سبق التسامح النثر ايضا اذا اريد به المبالغة مثل مائة مرة والف مرة ويراد به الكثرة ونظير هذا قولهم لبيك وسعديك في اطلاق التثنية وقصد التكرير والتكثير كقوله تعالى * ثم ارجع البصر كرتين * ومن هذا القبيل ايضا قوله تعالى * ان تستغفر لهم سبعين مرة * فانه لم ترد به حقيقة العدد اذلا مفهوم له عند ارباب الوصول بل اريد به الكثرة هنا بدليل آية اخرى * سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (ووصف نحو الخد) وجاز نعت نحو الوجه والوجنة من من البياض والحمرة (والقد) اى القامة باعتدالها في جمالها وكمالها (والصدغ) اى الشعر المتدلى على الوجه المسمى بالزلف (على الاقرب) اى جاز ماذكر على القول الاقرب الى الصواب او الانسب في بيان الرخصة المحتاج اليها في هذا الباب وقيل لا يجوز مطلقا وان وجه التفصيل الآتى وهو قوله (ان لم يحمل) اى صاحب الخد والقد وكذا السامع (على معينة سوى امرأته وامته) وذلك كمن يعشق زوجته او سريته فيصغى الى غائها لتضاعف لذته في لقائه وهذا اذا كان السامع والمغنى في بيته واما اذا كان في مجلس من جماعته فلا يجوز له ذكر امرأته ولا جاريته وكذا لا يجوز ان يحمل على امرد صبيح الوجه بخصوصه مطلقا (او استعار) اى جاز ماتقدم ان استعار (العارف) بالمجاز والحقيقة والصريح والكناية (سوالصدغ لظلمة الذنب)

وهو جنس المعصية الناشئة من ظلمة الغفلة (وبياض الحد لنور الطاعة) وسرور الحالة (والوصال) وفى معناه الوصل والاتصال (للمحبة تعالى) اى فى دار البقاء او مقام الغناء (والفراق) وكذا الجفاء والانفصال (للحجاب ونحوها) من انواع العذاب (والنصر) مبتدأ (الى الاثر) اى اثر التأثير (فى المتغنى به) من الشعر وغيره ففيه تفصيل (على الاقرب) اى بناء على القول الاقرب وقد قيل لاعبرة بالنظر الى التأثير بل هو حرام مطلقا (فمندوب) خبر اى فمستحب سماعه ومطلوب لكن بشروط بينها بقوله (ان شوق) اى المتغنى به (الى الحج او الغزو ان كان) اى احدهما (قربة) اى واجبا (بخلاف ما اذا لم يجب) بان لم يوجد شرائط وجوب الحج (او الا يوان لا يأذنان) فانه عذر فى التأخير على القول بالتراخى فى الحج (او غلب الهلاك فى الطريق) اى برا وبحرا (ونحوه) من فقد ان سائر شروط الاداء وفى الاحياء ومن الغناء المباح غناء الحجابيج فانهم يدرون اولا فى البلاد والطبل والشاهين والغناء وهو جائز لانها اشعار نظمت فى وصف الكعبة والمقام وزمزم والحرم وسائر المشاعر العظام ووصف البادية وغيرها من الامور الكرام تأثير ذلك تهييج الشوق الى بيت الله واشعال نيرانه ان كان ثمة تشوق حاصل او استثارة الشوق بكل مايشوق اليه محمودا (او حزن) اى اوقع المتغنى به حزنا وتأسفا (على التقصير فى الدين كالمروى عن داود عليه السلام انه كان حسن الصوت فى النياحة على نفسه وفى تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والوحوش والطيور لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه اربعمائة جنازة ومايقرب من ذلك فى تلك الحالة وفى الحديث فى مدح ابى موسى الاشعرى لقد اعطى مزمارا من مزامير آل داود وقد تقدم وذكر فى تفسير قوله تعالى * يزيد فى الخلق مايشاء * هو حسن وقد قرئ بالحاء المهملة وقد ورد لله اشد اذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته وقوله تعالى * ان انكر الاصوات لصوت الحمير * يدل بمفهومه على مدح لصوت الحسن وهذا امر مجمع عليه وفى الحديث ان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا على ما نزل به جبريل عليه السلام (وما) اى وكما (انشده الوعاظ على المنابر) من نظم اونثر مجموع من الترغيبات والترهيبات فى الحج والغزو ونحوهما (او أكد) اى ان زاد المتغنى به (حبه تعالى) بذكره والتأمل فى امره والاشتغال بفكره فانه مندوب فى كل من التشويق والتحزين (مباح) اى مستور طرفاه لاثواب والاعقاب (ان اكد) المتغنى به (السرور) والفرح (فيما يباح فيه كالعيد والعرس والولادة) اى اولها (والختان وحفظ القرآن) اى تمامه وكذا اجتماع الاخوان فى بعض الزمان للطعام والكلام وكذا قدوم بعض الاصحاب من السفر كما تقدم وتقرر (فهو مأثور) اى مذكور عن السلف والخلف بل عن النبى صلى الله عليه وسلم اما العيد ففى الصحيحين عن عائشة ان ابا بكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان فى ايام منى تدفقان وتضربان والنبى صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما ابوبكر وفى رواية قال مزامير الشيطان فكشف النبى عليه السلام عن وجهه فقال دعهما يا ابابكر فانها ايام عيد قالت وكان يوم عيد تلعب فيه السودان بالدرق والحراب فاما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مانشتهين تنظرين فقلت نعم فاقامنى وراءه وخدى على خده ويقول دونكم اى افعلوه يابنى ارقده حتى اذا ملت قال حسبك قلت نعم قال فاذهبى وفى صحيح مسلم فوضعت رأسى على منكبه فجعلت انظر الى لعبهم حتى كنت

انا التى انصرفت واما العرس فقد تقدم حديث اعلنوا بالنكاح واضربوا عليه بالدف وفى معناه الولادة والختان ومما يؤيد الولادة ذبح العقيقة وهو لاصحاب الطريقة فى الحقيقة واما حفظ القرآن فهو اكبر سرور واعظم نورا (اوشق) المتغنى به (الى الاخوان) من الاحباء الاتقياء فى الغربة والبلدان (اوالمرأة اوالامة) من غير تعيينهما للاجنبى فانه حينئذ مباح (حرام ان شوق) المتغنى به (الى الزنى) اوتوابعه (اوحزن) المتغنى به (على الموتى) اى فيحصل به الجزع والفزع (والبلايا) اى على البلايا المتقدمة (فورد) فى الحديد (كيلا) وفى التنزيل لكيلا (تأسوا على مافاتكم) تمامه * ولا تفرحوا بما آتيكم * والقصر وفى آل عمران * لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا ماأصابكم (وادنى رتبه) اى مراتب التغنى وسماعه (الاستماع للشهوة) ويحرم حينئذ سواء غلب على قلبه حب شخص معين اولم يغلب لانه لايسمع وصف نحو الخد والقد والوصل والهجر الا ويحرك ذلك شهوته ونزله على صورة معينة وفق لذته ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال دخان يصعد الى دماغ انسان يزيله الجماع وتهيجه السماع (وهو بنفخ الشيطان) المنافى لنفخ الرحمن فللديلمى من حديث على كان ابليس اول من ناح واول من تغنى ولابن ابى الدنيا والطبرانى عن ابى امامة مارفع احد عقيرته بغناء الابعث الله اليه شيطانين على على منكبيه يضربان على اعقابهما بصدره حتى يمسك (ثم للتلهى) اى الاشتغال بمجرد النغمة وهو المعنى بقوله تعالى * ومن الناس من يشترى لهو الحديث * الآية (والمواظبة عليه) اى من غير تخلل التوبة لديه (ذنب) اى عند الكل من العلماء والصوفية من الصلحاء وهذا محمل الكلام الائمة المجتهدين من الفقهاء فقد حكى القاضى ابو الطيب الطبرى عن ابى حنيفة ومالك والشافعى وسفيان وجماعة من العلماء الفاظا استدل بها على انهم رأوا تحريمه قال وقال الشافعى فى كتاب ادب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته قال الشافعى صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته قال وحكى عن الشافعى انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن قال واما مالك فقد عن الغناء وقال اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ان يردها وهو مذهب سائر اهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده قال واما ابو حنيفة فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذا سائر اهل الكوفة وسفيان الثورى وحماد وابراهيم النخعى والشعبى وغيرهم انتهى كلام الطبرى ويؤيده ماورد من الاحاديث فى ذم القينة وهى الجارية المغنية فللطبرانى من حديث عائشة ان الله حرم القينة وبيعهما وثمنها وتعليمها ويقويه ما رواه ابوداود عن نافع كنت مع ابن عمر فى طريق فسمع زمارة راع فوضع اصبعيه فى اذنيه ثم عدل عن الطريق ولم يزل يقول يانافع اتسمع ذلك حتى قلت لافاخرج اصبعيه ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه ابوداود وعن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل رواه البيهقى ولابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى بن كثير مرسلا مااستلأت دار منها حبرة الا استلأت عبرة والحبرة الغناء ومنه قوله تعالى * فى روضة يحبرون * اى يغنون اويسرون ومر على بن عمر على قوم محرمون وفيهم رجل يغنى فقال الا لاسمع الله لكم وقال الشبلى السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة اى ومحنة واما مانقل ابو طالب المكى اباحة السماع عن جماعة من الصحابة والتابعين كعبد الله بن جعفر وابن الزبير ومعاوية وغيرهم فامامحمول على سماع ليس فيه شئ من الغناء كسماع القرآن واشعار العرب ولو بالالحان واما على انه مذهبهم المختار عندهم فان المسألة خلافية

لااجماعية وفعلهم ليس بحجة عندغيرهم فكذا ماروى عن بعض المشايخ الصوفية وقد ذكرت هذه المسئلة فى رسالة مستقلة وقد رأيت رسالة منسوبة الى الشيخ احمد الغزالى اخو حجة الاسلام محمد الغزالى متضمنة لتكفير منكر السماع بادلة سخيفة ظاهرة الفساد واقيسة ضعيفة مالها عند الائمة رواج وكساد هذا وقد يكون مراد المصنف ان التلهى صغيرة والمواظبة والاصرار على الصغيرة كبيرة وقد يراد ان التلهى مباح والمواظبة على المباح قد تصير كبيرة كما اذا داوم على الطبل طول الايام اوتبع الحبشة فى رقصهم على الدوام (ثم لترويح النفس) اى لاراحتها اوازاحة تعبها (قطعا للملالة) والسآمة (من العبادة) كما يجرى ويسرى فى العادة لاهل الارادة وهى للعابدين (ثم لمقابلة حالها) اى حال النفس ومقامها (فى المعاملة معه تعالى) من تحصيل مرامها وهذا حالة العارفين وفيها خطر باعتبار تمامها ودوامها وتحقيق ذلك ان الانام يترشح بمافيه سواء يكون صاحبه يوافقه او ينافيه فالسماع يشبه الخمر فى اخراج مافى الباطن وبه يعرف مافى القلب من خوف ورجاء وقلق وسكون وشوق وذوق ونشاط وانبساط فيقابل المريد حال نفسه فى المعاملة معربه فاذا كان فى باطنه خوق يظهر منه آثاره من نحو البكاء والحزن والمحن واذا كان رجاء يتبين انواره من الفرح والسرور وكمال الحضور ومن هنا قال ابوسليمان السماع لايحعل فى القلب ماليس فيه ولكن يحرك مافيه (و يشترط رعاية السنة) اى الشريعة الغراء والطريقة الزهراء (بالحمل) اى بحمل الاستماع (على مايليق به تعالى) اى على وجه الكمال ففى بياض الخد ونحوه يتذكر صفات الجمال وفى الزلف ونحوه يتفكر فى نعوت الجلال (ثم لحبه تعالى فقط) اى مع قطع النظر عن لوازمه وتفصيل مكارمه (وهو) اى هذا المقام (لمن فنى عن حظوظ نفسه) اى بالكلية (وغاب عماسواه) اى عن خطور غيرالله تعالى (حتى عن شهوده معه ايضا) المعبرعنه بالفناء عن الفناء وذلك فانه مهما فنى عن نفسه فهو من غيره افنى فكأنه فنى عن كل شئ الاعن الواحد المشهود وفنى ايضا عن الشهود فان القلب ان التفت الى الشهود والى نفسه بانه مشاهد فقد غفل عن المشهود كالسكران لاخبرله عن سكره وهو نهاية مقام العارفين فى حال البقاء وقد يعبر عن هذا بمقام اللقاء ولكن هذا كالبرق الخاطف من ظهوره فى عالم السماء فان دام لاتطيقه القوة البشرية (ومنه) اى ومن حبه تعالى (تولد الوجد) اى حصول الذوق ووصول الشوق (وهو) اى الوجد (ماصادف القلب) اى وجد القلب (من شوق) اى الى الله ورضاه (وخوف) اى من حجابه وسخطه (وحزن) اى تأسف على مات (وقلق) اى اضطراب فى حال آت (و يحدى) من الاجداء اى يفيد الوجد (نقاء القلب) اى طهارته عن السوى من كمال الصفاء (وحصول العلم) اى زيادته المقرونة بالحلم (والمكاشفة) وهى العلم بالله وصفاته الفاخرة وباحوال الآخرة (وربما لايمكن العبارة عنه) اى اذا كان متعلقا بالذات او بكنه الصفات (كما عن الفصاحة والملاحة) فانهما من المعانى الدقيقة يعجز التعبير عنها ولو بالمبانى الرشيقة ثم لايبعد ان يكون السماع سبب الكشف بما لم يكن مكشوفا قبل الاستماع فان للكشف اسبابا ولقمه ابوابا منها التنبيه والسماع تنبيه للنبيه ومنها تغير الاحوال ومشاهدتها فى الاقوال والافعال وادراكها نوع علم يفيد ايضاح امور لم تكن معلومة قبل ذلك من الاحوال ومنها انبعاث وانبساط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ماكان قصر عنه دركه كما يقوى الجمل على الحمل بحيث يطلع على الجبل بسبب سماع الحداء بانواع الغناء وحمل القلب استكشاف جماله وملاحظة اسرار الملكوت وانوار الجبروت طبق جماله ووفق جلاله

ومنها الصفاء وهو سبب الكشف لارباب الوفاء وهذا نوع اسباب وفتح ابواب ورفع حجاب اى يمثل الحق لعبده فى لفظ منظوم لقرع سمعه يعبرعنه بصوت الهاتف او بالالهام اوفى صورة مشاهدة منزهة عن صورة الانام والسماع شبكة للحق يصيد به الخلق هذا وكما يسمع صوت الهاتف عندسماع القلب يشاهد ايضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فانه يتمثل الارباب القلوب بصور مختلفة وفى مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للانبياء اماعلى حقيقة صورتها اوعلى مثال يحاكى صورتها بعض المحاكاة (والتواجد) اى التكلف فى الوجد واظهاره من غيرتحصيل القصد (مذموم للرياء) لتعلقه برؤية الخلق (لايقصدالوصول الى الحقيقة) اى حقيقة الوجود لتعلقه برؤية الحق وذلك (لوروداللهم ارزقنى حبك) يحتمل الاضافة الى الفاعل والمفعول كماحقق فى قوله تعالى يحبهم و يحبونه كذا قوله (وحب من يحبك وحب من يقربنى الى حبك) اى من القول والعمل وغيرذلك والحديث قد ذكر (وماسبق) اى ولورود ماتقدم (من التباكى) اى ومدحه وهو التكلف بالبكاء (فى التلاوة) اى فى فصل التلاوة وذلك لتشبه باهل البكاء من الانبياء والاولياء حال القراءة ومن تشبه بقوم فهومنهم (ومشاهدة افضاء دوام ذكر الشئ) اى ايصاله واتصاله (والنظر اليه) فى اختلاف احواله (والفكر فى فضائله) ومايترتب عليه من تحسين آماله (الى عشقه) متعلق بافضاء اى بانجراره الى محبته ومودته (حتى يمتنع الخلاص عنه) اى عن تفكره وتذكره ولوتكلف بالدفع فى تصوره (وحقه) اى حق السماع وواجبه (ان لايكون المستمع) اى المغنى (ممن حرم النظر اليه) كالنسوان والمردان (الاالشيخ) اى الكبير الفانى (الآمن على نفسه) اى من الشهوة (كما فى قبلة الصائم) من التفصيل بين الامن وغيره وقال القاضى ابو الطيب استماعه من المرأة التى ليست بمحرمة له لايجوز عند اصحاب الشافعى بحال سواء كانت مكشوفة اومن وراء ستر سواء كانت حرة اومملوكة انتهى ولعل وجهه ان صوة العورة عورة لاتحل الالمضرورة ولايخفى ان الامرد الحسن الوجه خطره اقوى فانه عندالشيطان اشهى وللخلق اغوى حتى قال النووى ان النظر اليه حرام ولو بلاشهوة واماقول الغزالى ان صوت المرأة فى غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء فى زمن الصحابة يكلمن الرجال فى السلام والاستفتاء فى الاحكام والمشاورة فى الكلام فمحمول على ان الضرورات تبيح المحظورات (ولاالآلة) اى ولايكون آلة الغنا (مزمارا) وكذا طبل الكوبة اوتارا وهذا مجمع عليه لانه من شعار الاشرار واما قصب الراعى فمختلف فيه فاباحه الرافعى وحرمه النووى من اتباع الشافعى وصرح علما ؤنا بان الدف مباح فى محله اذا لم يكن له جلاجل فى طرفيه لان اباحته وقعت على خلاف القياس فيقتصر على مورده وقال يزيد بن الوليد اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل مايفعله السكر فان كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء فان الغنا داعية للزنا (فهو) اى الغناء باعتبار اصله (شعار اهل الشرب) فى مجلسه (فحرم تبعا) اى لحرمة شرب الخمر فانه قديفضى الى فساد الامر ويجر الى مباشرة الشر (كخلوة الاجنبية) لانهامقدمة الجماع (والنظر الى فخذها) لاتصاله بالسواتين ثم انهما حرامان لالذاتهما بل تبعا لحرمة الزنا اذهما قديكونان وسيلتين الى فعله (ولانه) اى الغناء المذموم (يذكره) اى الشرب ويفكره (كالمزفت) بتشديد الفاء المفتوحة اى ظرف القير (والحنتم) اى الظرف الاخضر ونحوهما من الدبا والنقير فان الشرع حرم استعمال هذه الاشياء ولذا امر بكسر دنان الخمر وظروفها تبعا لحرمة الخمر تغليظا فى امرها ثم احلها بعد بعد

المدة وفيه انه ابيح هذه الاشياء بخلاف آلات الغناء فهو حجة على مبيح مطلق السماع من العلماء فالسماع حينئذ حرام كقليل الخمر وان كان لايسكر لانه يدعو الى السكر ومامن حرام الاوله حريم يطيف به فحكم الجرمة يتسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له واخطارا مانعا حوله كما ورد ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه (وفيه) اى ويقع فيما اذا كان الآلة مزمارا (التشبه باهل الشرب) ومن تشبه بقوم فهو منهم حتى حرم تشبه الرجال بالنساء كعكسه وحتى قيل تترك السنة اذا صارت شعار اهل البدعة ثم قال فى الاحياء بل المتشبه باهل الفساد ينهى عن لبس القباء فى بلاد صار فيها من لباس الاجناد ولاينهى عن ذلك فى ماوراء النهر لاعتياد اهل الصلاح من الزهاد والعباد قال فلهذه المعانى حرم المزمار العراقى والاوتار كلها كالعود والرباب والبربط وغيرها واما ماعدا ذلك فليس فى معناه كالشاهين للرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقصب سوى مايعتاده اهل الشرب فانه اذا رتفع علة المشابهة بقى على اصل الاباحة (كما) اى كالتشبه (فى الاجتماع للسماع واحضار الآلات ونصب الساقى) اى المناول (فى ادارة السكنجبين) ونحوه من اللبن والماء والقهوة الحادثة المصنوعة من اللبن وقشره فانه اذا اجتمع قوم فى مجلس والساقى على قاعدته يدور بكأس واحد على جماعته واحد بعد واحد وفق عادته فانه يحرم السكنجبين وامثاله للتشبه (بخلاف نحو الدف) بضم الدال ويفتح (والطبل) اى طبل الحج والغزو واما طبل الكوبة فحرام لانه من شعار الفسقة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين ولعل هذين لم يكونا من شعار اهل الشرب فى زمنه عليه السلام اوفى ايام المصنف اوذكره تبعا للغزالى لجوازهما فى مذهبه واما اذا كانا من شعار اهل الفسق فينبغى ان يقال بحرمتها للتشبه فان العلة مشتركة (ولا المتغنى به قرانا اذلايجوز فيه) اى فى القران (مد المقصور وقصر الممدود) اى فى المجمع عليهما وهما لازمان فى التغنى المذموم (لتوافق الصوت) اى بالالحان الفسقية والانغام الموسيقية والا فالصحابة الكرام تبعاله عليه السلام كانوا يأمرون فى مجلس سماعهم ان يقرأ واحد بصوت حسن ماتيسر من القرآن عملا بقوله عز وجل * واذا سمعوا ماانزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق * وقد اخبر الله سبحانه عن حال الانبياء بقوله * اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا * وعن حال الاولياء من الاصفياء * ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا * الى قوله * يبكون ويزيدهم خشوعا * وفى الصحيحين ان ابن مسعود قرأ على النبى عليه السلام بامره فلما انتهى الى قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنابك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن ورأيت عينيه تذرفان اى تسيلان دمعا ولمسلم من حديث ابن عمر انه قرأ ۞ ان تعذبهم فانهم عبادك فبكى ولابن عدى فى الكامل والبيهقى فى الشعب انه قرئ عنده ۞ ان الدنيا انكالا وجحيما وطعاما ذاغصة وعذابا اليما ۞ فصعق اى بكى بصوت ولابى داود والنسائى والترمذى فى الشمائل من حديث عبدالله بن الشخير انه كان يصلى ولصدره ازيز كازيز المرجل واما حديث اختصام على وجعفر وزيد بن حارثة فى حضانه ابنة حمزة فقال لعلى انت منى وانا منك فحجل وقال لجعفر اشبهت خلقى وخلقى فحجل وقال لزيد انت اخونا ومولانا فحجل الحديث فرواه ابوداود من حديث على وهو عند البخارى دون ذكر الحجل فى اصله نوعا من الرقص وهو على رجل واحد فلاينبغى ان يحمل عليه لقولهم الرقص نوع من النقص وما ابعد من استدل على جواز الرقص على الدوام بهذا الحديث الذى وقع ندرة

من الصحابة الكرام فى مجلسه عليه السلام مع عدم كونه نسا فى مقام المرام وقد ورد ليس منا من لم يتغن بالقرآن وزينو القرآن باصواتكم (ولا النهى) اى وانما قلنا انه لايجوز ان يكون المتغنى به قرآنا اذ لايجوز فيه مد المقصور الى اخره ولايجوز النهى (عن آيه) اى عن قراءتها حيث (لاتوافق السامع) بالنسبة الى ماله من الحالات والمقامات (كاحكام المعاملات والحدود) فى باب السياسات وهذا لقصور فهم السامع عن الآيات البينات ومايتضمنها من اللطائف والاشارات واما العارف فيلاحظ هذه المعانى من جميع المبانى كما قاله سبحانه ۞ فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هديهم الله واولئك هم اولوا الالباب ۞ واما الموحد فينظر الى كلام ربه كأنه يسمع منه فانيا عن غيره فيكون قلبه مطمئنا بذكره ومشتغلا بفكره كما قال تعالى ۞ الا بذكر الله تطمئن القلوب ۞ وقال ۞ تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ۞ وقال * انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم * وقال * لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله * ومن المقرر ان القرآن افضل الذكر لاشتماله على ذكر الله باعتبار توحيد ذاته وانواع صفاته واصناف حكوماته واجناس اخباره من مبدأ مخلوقاته ومنتهى مصنوعاته فالطمانينة وكذا الاقشعرار والخشية ولين القلب والوجل والخشوع وسمع عمر رجلا يقرأ * ان عذاب ربك لواقع مالهُ من دافع * فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريضا شهرا وروى ان زرارة بن ابى اوفى من التابعين كان يؤم الناس بالرقة فقرا ليلة * فاذا نقر فى الناقور * فصعق ومات فى محرابه وسمع الشافعى قارئا يقرأ * هذا يوم لاينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون * فغشى عليه وكان الشبلى فى مسجده ليلة من رمضان وهو يصلى خلف امام له فقرأ الامام * ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك * فزعق الشبلى زعقة ظن الناس انه قد طارت روحه وكان يقول بمثل هذا يخاطب الاحباب وسمع رجل من اهل التصوف قارئا يقرأ * يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية * فاستعادها من القارى وقال * كم اقول لها ارجعى فليست ترجع ونواجد فزعق زعقة فخرجت روحه وسمع على بن الفضيل قارئا يقرأ * يوم يقوم الناس لرب العالمين * فسقط مغشيا عليه وسمع بكر بن معاذ قارئا يقرأ * وانذرهم يوم الآزفة * فاضطرب ثم صاح وقال ارحم من انذرته ولم يقبل اليك بطاعتك بعد الانذار ثم غشى عليه وسمع ابراهيم بن ادهم احدا يقرؤ * اذا السماء انشقت * فاضطربت اوصاله وعن محمد بن صبيح قال كان رجل يغتسل فى الفرات فمر به رجل على الشط يقرأ * وامتازوا اليوم ايها المجرمون * فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات وقال بعض الصوفية كنت ليلة اقرأ هذه الآية * كل نفس ذائقة الموت * فجعلت اردادها فاذا هاتف يهتف بى كم تردد هذه الاية فقد قتلت اربعة من الجن لم يرفعوا رؤسهم الى السماء منذ خلقوا وقال ابو على المغازلى للشبلى ربما يطرق سمعى اية من كتاب الله فاجدنى على الاعراض عن الدنيا ثم ارجع الى احوالى والى الناس فلا ابقى على ذلك فقال ما طرق سمعك من القرآن فاجتذبك اليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك واذا ردك الى نفسك فهو شفقة منه عليك فانه لايصلح لك التبرى من الحول والقوة فى التوجه اليه وبالجملة لايخلوا صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن وذكر الرب فان كان القرآن لايؤثر فيه اصلا فمثله كمثل الذى ينعق بما لايسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لايعقلون (ولايجوز) اى حينئذ وهو حال كون المتغنى به قرآنا (ضرب اليد والدف) لان القرآن حق محض فلايقرن بصورة

اللهو كما يشير اليه قوله تعالى * افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون * اى مغنون ويدل عليه قوله سبحانه * وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون * وقوله عز وعلا * واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون * ثم فى معنى القرآن كل ما يكون من ذكر الله والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فما يفعله بعض من مشايخ اليمن من الجمع بينهما منكر ظاهر لكن خفى على جماعة بحيث يحسبه العامة انه طريق الصوفية وقد يجترؤن على مثله فى المسجد وفى المقبرة وفى الاسواق ومحاضر النساء والله ولى دينه وناصر دين نبيه وزماننا هذا زمان السكوت وملازمة البيوت لظهور اهل الفساد وغلبة اهل العناد والله رؤف بالعباد ومما يؤيده ما قدمنا انه فى البخارى لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يغنين فسمع احدا هن تقول وفينا نبى يعلم ما فى غد فقال عليه السلام دعى هذا وقولى ما كنت تقولين وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنها وردها الى الغناء الذى هو لهو لان هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فالفاعلون للجمع بينهما يصدق عليهم قوله سبحانه * وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم (وينتفى) عطف على ان لا يكون اى وحق السماع ان ينتفى فيه (شاغل) للخاطر مما ينافيه (من الزمان كوقت الصلوة والطعام) اى حضوره (والمكان) اى وشاغل من المكان (كالشارع) اى الجادة والاسواق (ومافيه صورة قبيحة اورائحة كريهة) فانهما منفرتان للطبيعة المستقيمة ولتبعد الملائكة عنهما (والاخوان) اى وشاغل من الاخوان الحاضرين (كالمتكبر المحتاج الى رعايته) خصوصا اذا كان من ذوى الجاه والحكومة (والمتكلف) اى من الفقهاء حيث تكلف فى حضوره (المشوش) فى خاطره (بالرقص) بناء على قول بعض الصوفية ايضا الرقص من النقص (وحرق الثوب) فانه من ضيق الحال وعدم اتساع المجال مع مافيه من تضييع المال او المتكلف المتواجد من اهل التصوف المرائى بالوجد والرقص وتمزيق الثياب وة قال سهل كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل وروى ان موسى عليه السلام وعظ فى بنى اسرائيل فمزق واحد منهم ثوبه فاوحى الله الى موسى عليه السلام قل له مزق قلبك ولا تمزق ثوبك (والمتزهد) اى المتكلف فى الزهد عن الدنيا والرغبة الى العقبى (المفلس فى الباطن) عن محبة المولى (وعديم الذوق فى السماع) بان لا يكون فى طبعه لذة وشوق الى الاستماع وقد عد هذا اضل من البهائم فانه حول محسوساته هائم (والجاهل الحامل على ما يليق به تعالى) فان المحبة قد تؤثر فى الباطن قبل الظاهر (والملوث قلبه بحب الدنيا) وهذا يستغنى عنه بقوله والمتزهد وانما ذكره لاستيعاب الانواع المحذورة فى مجلس السماع (والشهوة) اى ويحب ما يشتهى من المحمدة والثناء والمتلهى بالنغمة) اى المشتغل بمجرد النغمة وما به يتلهى (ويصغى بالحضور) اى وحق السماع ان يستمع بحضور القلب المفيد للسرور ونفى الخاطر المخضور (ولا يلتفت الى الجوانب) اى ولا ينظر الى الداخل والخارج من الاقارب والاجانب (ووجوه المتغنين) لانه من اسباب الفتور المانع عن الحضور الحاصل بسماعهم وكلامهم لا بملاحظة وجوههم ومقامهم (ويشتغل بنفسه) وما يجب عليه من مقام انسه (رعاية قلبه) عند ذكر ربه (وما فتح عليه) من كشف لبه (ويجلس على هيئة المتأمل) فى الكلام (المستغرق) فى المقام من لجة التفريد وبحر التوحيد (يحترز عما يشوش) اى عليه وعلى غيره ان امكن له (كالسعال والتثاؤب) وكذا الطعاس فانها من الشيطان (والمنكرات كضرب اليد) اى على

طبق الغناء (وتحريك الاطراف) اى التى مقدمة الرقص المعبر عنه بالوجد (والرقص) نفسه وهو بالقيام ونحوه (وحرق الثوب) اى قطعه ورميه (الاان صار مغلوبا) على عقله (بحيث لايعلم بفعله او) اى ان كان مجذوبا (لايطيق الامتناع عنه لطريان نحو هيبة) اى عظمة الهية (اواجلال) اى خوف مع خشية ربانية (اوحياء) من نعم واردة على تواتر زمانية (فيعذر) اى فى هذه الحالات عن مخالفة ظاهر الشريعة من المنكرات (كما غلب على رضى الله عنه عام الحديبية) بالتخفيف افصح (ويوم مات عبدالله بن ابى) رئيس المنافقين (حمية الدين) فاعل غلب اى حمايته ورعايته بحسب ماظهرله من حسن رأيه وفق عادته (حيث انكر الصلح) اى عام الحديبية فقال عمر كما فى صحيح البخارى فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله الست نبى الله حقا قال بلى قال السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا اذا قال انى رسول الله ولست اعصيه وهو ناصرى قال العلماء لم يكن سؤاله وكلامه المذكور تكابل طلبا لكشف ماخفى عليه من الامر وحثا على اذلاله الكفار وظهور الاسلام وعزاهله الابرار كما عرف فى خلقه وقوته فى نصرة الدين واذلال المبطلين (والصلوة) اى وانكر عمر الصلوة (على جنازته) اى جنازة ابن ابى (والدعاء) اى فى الصلوة وغيرها (والقيام له على قبره) حيث هم النبى صلى الله عليه وسلم يفعل عذا كله وقد وافق قول عمر حكم الله حيث نزل ﴿ ولاتصل على احد منهم مات ابدا وتقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله ماتوا وهم فاسقون ﴾ ولعل همه عليه السلام كان لظاهر ما كان يبدى من الاسلام او التألف ولده فانه كان فى انقياد الاحكام ومنع عمر لما كان يترشح من ابى آثار الكفر والظلام (وابى طيبة) رضى الله عنه اى وكما غلب على ابى طيبة حب الاسلام (حيث شرب دمه عليه السلام بعد الحجامة) تبركا بما برز من باطنه عليه السلام والحديث رواه الدار قطنى وقال حسن صحيح وقد وقع شرب بوله ودمه عن جماعة من الصحابة الكرام ولم ينكر عليهم بل نسب الخير اليهم فقال لواحد صحبة ولآخر لم يمسك النار وقد بسطت عليه الكلام فى سيره عليه السلام وقد قال جماعة من العلماء الشافعية ان فضلاته عليه السلام ظاهرة وانه من خصوصياته ظاهرة وهو قول امامنا الاعظم والله اعلم ومن ذلك ماروى ابن حبان ان غلاما كان فى بنى اسرائيل على جبل فقال لامه من خلق السماء فقالت الله فقال من خلق الارض فقالت الله فقال من خلق هذه الغنم قالت الله قال انى اسمع لله تعالى شأنا ثم رمى نفسه من الجبل فتقطع وهذا كأنه سمع مادل على جلال الله وعظمته وتمام قدرته فطرب لذلك ورمى بنفسه من هنالك وفى الاحياء رأيت مكتوبا فى الانجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا اقول المعنى بينا لكم الترغيب وترهيب فلم تمتثلوا وشوقنا بذكرنا وفكرنا فلم تشتاقوا (لانه) اى وصف المغلوبية (ضرب تقصير) اى فى نوع قصور منه (جل قدر ذوى الكمال عنه لاسيما الانبياء) وكذا ورثتهم من العلماء واتباعهم من الاولياء (فهم اصحاب شرايع) اى حقيقة وحكما (مكملون) اى كاملون فى انفسهم مكملون) لغيرهم لقول عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم يدعى فى الملكوت عظيما اى فينبغى ان يكون فى الملك كريما (ويساعد) اى وحق السماع ان يعاون (الاخوان فى القيام) فى المجلس (ورفع العمامة) عن الرأس اذا سقطت عمامته (ان كان) اى التعاون (معتادا) فيما بينهم (فالمخالفة موحش) اى بعد الحضور (والاسرار) مبتدأ اى وادخال السرور (بالمساعدة فيما لم ينه عنه) اى نهيا صريحا (وصار معتادا بعد عصرهم) اى بعد انقضاء زمان السلف وانتهاء الامر الى الخلف (حسنة) خبر المبتدأ اى مستحسن لما روى عن ابن مسعود

مرفوعا وموقوفا ماراه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ولقوله عليه السلام خالقوا الناس باخلاقهم رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين (وان كان) اى ماذكر (بدعة) اى فى نفس الامر والاولى عدم حضور ذلك المجلس لئلا تحتاج الى خطر الخطير فقد قال تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان * فاجتناب التعاون على المباح اقرب الى النجاح وعدم الجناح لاسيما وقد قال عليه السلام من احدث فى امرنا ماليس منه فهو رد اى مردود وقال كل بدعة ضلالة فعليك باتباع السنة وترك البدعة نعم البدعة المحذورة ماتزاحم السنة المأثورة ولم يقع نهى عن الصور المذكورة (ويخفى به) اى وحق السماع بالنسبة الى المقتدى ان يخفى بالسماع (لئلا يقتدى العوام) به فى جواز مطلق الاسماع وعموم انواع السماع (ويظهر المنع) اى للعوالم (فهو يضر الاكثر للاعانة على الهوى) اى لغلبة هوى النفس حتى على المبتدئين من المريدين (ويتخلف الكامل المعرفة) اى فى لبه (والمحبة) لربه عن مجالس التغنى والسماع فى غالب امره (للاستغناء) اى لاستغناء الكامل فى مقام الفناء والبقاء (عن المحرك الخارجى) من سماع الغناء كما اشار اليه الصديق حيث رأى الاعراب يقدمون ويسمعون القرآن فيبكون فقال كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا اى اشتدت وقويت لتحمل مانزل بنا وقيل للجنيد مابالك تركت السماع فقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب * وقال بعضهم صحبت سهل بن عبدالله ستين سنة فما رأيته تغير عند شئ كان يسمعه من الذكر والقرآن فلما كان فى اخر عمره قرأ رجل بين يديه * فاليوم لايؤخذ منكم فدية * الآية فرأيته قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد على حاله سألته عن ذلك فقال نعم ياحبيبى ضعفنا وكذلك سمع مرة قوله تعالى * الملك يومئذ الحق للرحمن * فاضطرب فسأله ابن سالم وكان من اصحابه وقال قد ضعفت فقيل له وان كان هذا من الضعف فما قوة الحال فقال لايرد عليه وارد الا وهو يبتلعه بقوة حاله وقال الجنيد لايضر نقصان الوجد مع فضل العلم اذا فضل العلم اتم من الوجد (الا بنية الاسرار) اى ادخال السرور فى قلوب اصحاب مجلس التغنى بشروطه (بالمساعدة) فى الموافقة وترك المخالفة بالمباعدة (وتعليم) اى والا بنية تعليم (ضبط الجوارح) من الاقوال والافعال (مع كمال الحال والاسلم) فى جميع الاحوال والاقوال (الاجتناب عن مطلق السماع) ولو بشروط مع الاصحاب (لمكان الاختلاف) اى فى هذا الباب والصوفى فى طريقة اختيار العزيمة دون الرخصة والخروج عن الخلاف مستحب بالاجماع ومنه السماع المشهور فى الاسماع (وندرة تحقق الشروط) فى غالب مجالس الاستماع (لدقة مكائد النفس) اى هواجسها (والشيطان) يحملها على وساوسها وما احسن قول الحصرى ماذا اعمل بسماع ينقطع اذا مات من يسمع منه اشارة الى ان السماع من الله هو الدائم فالانبياء وكمل الاولياء فى لذة السماع على الدوام فلا يحتاجون الى تحريك كالعوام وقال بعض المشايخ الكرام

ليتنا نجونا من هذا السماع رأسا برأس وقال ابو القاسم النصرابادى لابى عمرو بن نجيد انا اقول اذا اجتمع القوم فيكون منهم قوال يقول خير من ان يغتابوا فقال ابو عمر والرياء فى السماع وهو ان ترى من نفسك حالا ليس فيك شر من ان تغتاب ثلاثين

سنة

قد تم طبع الجلد الاول من شرح عين العلم
ويليه الثانى اوله الباب العاشر